



إصدارات الجمعية العلمية السعودية
للقرآن الكريم وعلومه - الرسائل العلمية (٢٥)

منهج تربية الناشئة في القرآن الكريم

ودوره في مواجهة الأخطار المعاصرة
دراسة موضوعية

إعداد
صباح بنت ناصر بن عبد الله الطليان

تقديم
فهد بن عبد الرحمن الرومي

دار التدمرية

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ ـــ ٢٠١٢م



إصدارات الجمعية العلمية السعودية
للقرآن الكريم وعلومه - الرسائل العلمية (٢٥)



منهج تربية الناشئة في القرآن الكريم

ودوره في مواجهة الأخطار المعاصرة
دراسة موضوعية

إعداد
صباح بنت ناصر بن عبد الله الطليان

تقديم
فهد بن عبد الرحمن الرومي

دار التدمرية

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الرياض للبنات
كلية التربية للبنات بالرياض ـ الأقسام الأدبية
قسم الدراسات الإسلامية

منهج
تربية الناشئة في القرآن الكريم
ودوره في مواجهة الأخطار المعاصرة

دراسة موضوعية

رسالة مقدمة إلى قسم الدراسات الإسلامية
ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية
تخصص: التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالبة
صباح بنت ناصر بن عبد الله الطليان

إشراف
أ. د. توفيق بن محمد علوان
الأستاذ في التفسير وعلوم القرآن في قسم الدراسات الإسلامية
في كلية التربية الأقسام الأدبية في الرياض

شكر وتقدير

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الهادي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم، المستحق للشكر الجزيل، القائل في محكم تنزيله: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل: ٤٠]، وصلَّى الله على سيدنا محمد الرسول المربي الرؤوف الرحيم.

أما بعد:

فإني أحمدُ الله حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأشكره على أن وفَّقني وأعانني على إتمام هذا البحث المتواضع الذي أتقرب به إليه على ما فيه من قلة البضاعة، وضعف البصيرة، ونقص البشر، أشكره شكر العارفين بفضله الرَّاجين ثوابه وأجره.

ثم أتقدم بالشكر وخالص التقدير لأستاذي ومشرفي الدكتور: توفيق علوان لما أبداه من تعاون ومن توجيهات سديدة أفادتني في إعداد البحث وذلّل ما تعسر عليّ، فله جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

وكل الشكر والتقدير إلى والدتي، رمز الحنان والعطف التي كان لها الفضل الكبير بعد الله في إتمام دراستي وتشجيعي وتوجيهي هذه الوجهة المباركة، وقد غمرتني بدعائها، فجزاها عني خير الجزاء، وأطال عمرها ورفع درجتها، وأعانني على برِّها والإحسان إليها.

وأشكر إخوتي الأعزاء وخالي العزيز على ما بذلوه من جهد لإتمام هذا البحث وتذليل صعوباته، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

كما أشكر عميدة كلية التربية بالرياض ووكيلتها، ووكيلة الدراسات

العليا، ووكالة الكليات وعلى رأسها إدارة كليات البنات على ما يبذلونه من جهد لتيسير كافة الطرق أمام الباحثات.

كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء كليتي كلية التربية بالخرج ممثلة في العميدة والوكيلة ورئيسة قسم الدراسات الإسلامية، على ما قدَّموه من تعاون جليل في إنجاز هذا البحث.

وأخيراً أشكر كل من مدَّ يد العون وكل من أسدى إليَّ معروفاً، أو نصحاً، أو إرشاداً، أو مساعدة بمشورة، أو معلومة، أو كتاب زوَّدني به، فجزى الله الجميع خيراً، وأثابهم على حسن صنيعهم، وأسأل الله سبحانه التوفيق والسداد، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه، والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

✍ **الباحثة**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ **أما بعد**:

فإن من أعظم نعم الله على الإنسان أن جعل كل مولود يولد على الفطرة، فهيَّأه بها لقبول الخير واتباع الحق ومقاومة النفس الأمارة بالسوء، فإذا انحرف عن الجادة ومال عن الطريق فليس ذلك لمغروس فيها، وإنما لتربية طارئة انحرفت به عن الحق.

إن هذا القرآن ربَّى أمةً كانت في أدنى درجات الجاهلية في دينها واقتصادها وسياستها وعلومها ومعارفها، وفي سنوات معدودة أصبحت خير أمة أخرجت للناس، وصارت لها دولة، وأي دولة وقوة، وأي قوة بل صارت صاحبة السيف والقلم، وأمة الأمم.

إن هذا القرآن الذي ربَّى هذه الأمة في جماعتها قد ربَّاها وبناها مع ذلك في أفرادها ورسم معالم التربية السليمة والمنهج القويم في تربية الإنسان قبل أن يتكوَّن في رحم أمه، وأثناء تكوينه، وبعد ولادته ولم يزل يتتبعه بالتربية حتى وفاته.

إن حاجة الأمة إلى من يرسم لها معالم منهج التربية القرآنية ماسَّة، فالعصر هذا، عصرُ فتن ومحن عصفت بالناشئة والشباب، والكهول والشيوخ، والذكور والإناث.

وقد رأت الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم (تبيان)، تلك

الحاجة فرغبت في نشر رسالة علمية تعنى بجانب من جوانب التربية في القرآن ألا وهو تربية الناشئة، فكان من توفيق الله أن إحدى الأخوات الباحثات الجادَّات قد تصدَّت للكتابة في هذا الموضوع الركيزة، والجانب الكؤود في التربية، واستوفت كثيراً من جوانبه، وهي الأستاذة صباح بنت ناصر بن عبد الله الطليان ـ رحمها الله تعالى وأسكنها فسيح جناته ـ فقد كانت رسالتها للماجستير بعنوان: (**منهج تربية الناشئة في القرآن الكريم ودوره في مواجهة الأخطار المعاصرة ـ دراسة موضوعية**).

وقد رأيت منها الخلق الحسن والأدب الرفيع، والحرص على طلب العلم ونشره، وإعانة الباحثين وطلبة العلم، ورأيت الأمانة العلمية والأصالة في البحث، فحين سجَّلت رسالتها للدكتوراه عن المدرسة النيسابورية في التفسير، أبدت رغبتها في أن تقرأ تفاسير الثعلبي والواحدي وغيرهما من مفسِّري نيسابور لاستخراج مناهجهم في التفسير، وحين أخبرتها أن مناهج هؤلاء المفسرين مدروسة في رسائل علمية وأن عليها أن توفر جهدها وطاقتها لرسم معالم منهج المدرسة عامة، فقد كُفيت مناهج أفرادها، فقالت: إنها لا تريد أن تبني دراستها على جهد غيرها، وتوفيت رحمها الله تعالى أثناء فترة إعداد رسالتها للدكتوراه.

وقد بذلت الباحثة في رسالتها للماجستير التي بين يديك ـ أخي القارئ ـ جهداً كبيراً في بيان شمول التوجيهات القرآنية وكمالها للجوانب العقدية والنفسية والجسمية للناشئة، وأبرزت العناية بهم ومجالاتها وأساليبها في ضوء القرآن الكريم، ولم تحجم عن خوض بحار مواجهة الأخطار المعاصرة التي يواجهها الناشئة عبر وسائل الغزو الفكري والعقدي، وعبر النظريات التربوية المعاصرة من الغرب والشرق، مبينة منهج القرآن لإعداد الناشئة لمواجهة هذه الأخطار، كاشفة عن نماذج من الأخطار الداهمة على الناشئة عبر وسائل الغزو وثورة نقل المعلومات

المعاصرة ووسائل الإعلام الوافدة وكيفية مواجهتها، وعن نماذج لبعض النظريات الغربية لتربية الناشئة كاشفة عن آثارها، وأضرارها، مؤكدة على أن النجاة كل النجاة في التزام المنهج القرآني لإعداد الناشئة.

وهي بهذا الجهد تقدم المنهج السليم لتربية الناشئة وتبرز معالمه، أسأل الله أن يجعل ثواب هذا العمل في ميزان حسناتها، وأن يكون من العلم الذي يُنتفع به بعد وفاتها، ولكل من كان له أثر في نشره وإخراجه للناس، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه
أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي
أستاذ الدراسات القرآنية
جامعة الملك سعود

المقدمة

وتشمل:

أ ـ أهمية الموضوع.

ب ـ أسباب اختياره.

ج ـ هدف البحث.

د ـ منهج البحث.

هـ ـ الدراسات السابقة.

و ـ خطة البحث.

المقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه، هو كلام الله تعالى، الجامع لكل خير والنافي لكل شر، والمُنزل روحاً من أمر الله ﷻ لتربية الإنسان، وهديه إلى سواء السبيل، ومن أعظم ما تضمنه الكتاب العزيز تلك الوسائل البليغة والغايات الشريفة لتنشئة الإنسان على طريقة رشيدة، وإحاطته بنور من الله في سائر أطوار حياته جنيناً في بطن أمه، ووليداً، ومراهقاً، وكهلاً وشيخاً.

فهي حلقات متكاملة في انتظام بديع لتأهيل الإنسان لما خلقه الله تعالى له من خلافته في أرضه، وقيامه بعبادته على الطريقة المثلى التي ارتضاها ﷻ وعلَّمها لعباده في كتابه العزيز.

ولما كانت التربية في زمن التنشئة والطفولة لها من الأثر الذي لا يخفى في سلوك المرء في سائر أطوار حياته تجلَّت أهميتها وضرورتها العظمى.

وقد أجمع أهل العلم والحكمة والفضل، بل العقلاء جميعاً، على

أن التربية القويمة للناشئة تتطلب جهوداً صادقة قائمة على أسس ثابتة ومرتكزات راسخة، إقامة لهم على صراط مستقيم وحماية من التردي في مهاوي الانحلال، وحصنا حصيناً في وجه موجات الغزو التربوي لا سيما مع عموم البلوى واتساع دعاوى الانحراف في العصور المتأخرة.

والمتدبر لسور القرآن الكريم وآياته يقف على منهج قويم شامل في مجال تربية النفوس وتنشئة الأجيال، وتوجيهات بليغة للآباء والمربِّين لتربية الناشئة على الطريقة الصالحة المستقيمة وفق قواعد التربية الصحيحة الراشدة، وتحذيرات أكيدة من المآل الوخيم الذي توعَّد الله به كل من فرَّط في هذا الواجب المحتَّم في قوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وقد دعا الباحثة حديث القرآن عن ذلك وما فيه من فوائد عظمى إلى التأمل والتدبر في الآيات والسور بغرض الوقوف الراسخ على عناصره وأساليبه وآثاره، وما تضمنه من توجيهات عالية وفوائد جليلة، وقد وجدت ذلك جلياً واضحاً في كتاب الله، فكانت هذه فرصة سانحة لاختيار هذا الموضوع والبحث فيه.

وقد اخترت له عنوان «**منهج تربية الناشئة في القرآن الكريم ودوره في مواجهة الأخطار المعاصرة**» دراسة في التفسير.

أ ـ أسباب اختيار الموضوع:

١ ـ الحاجة الماسَّة إلى إعداد الناشئة إعداداً تربوياً في كافة الجوانب النفسية والجسمية والدينية في ضوء القرآن الكريم.

٢ ـ الواجب الشرعي في حماية الناشئة من الوقوع في موجات

الانحراف وأخطاره، ولا سيما وقد عمَّت به البلوى في العصور المتأخرة.

٣ ـ بيان المنهج الواضح لتربية الناشئة في ضوء القرآن الكريم ليلتزم به الآباء والأمهات والمربون والعلماء في تربية الناشئة على نور من القرآن الكريم.

٤ ـ إن هذا الموضوع رغم أهميته البالغة لم يسبق دراسته في إطار الضوابط العلمية المقررة ضمن تخصُّص التفسير.

ب ـ أهداف البحث:

١ ـ إبراز المنهج القرآني في تربية الناشئة، وما تضمنه من إرشادات وتوجيهات تربوية عظيمة النفع.

٢ ـ بيان أهمية تطبيق المنهج القرآني، وآثار ذلك على الناشئة خاصة والأمة عامة.

٣ ـ تزويد المربِّين بالوسائل الشرعية النافعة في مواجهة الأخطار المعاصرة.

ج ـ منهج البحث:

١ ـ دراسة البحث دراسة موضوعية من حيث بيان منهج القرآن الكريم في تربية الناشئة.

٢ ـ الاعتماد على كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ في الاستدلال.

٣ ـ عزو ما ورد من الآيات في ثنايا البحث إلى سورها وذكر أرقامها، وجعلت ذلك في الهامش. كتابة الآيات بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم.

٤ ـ الاكتفاء بتخريج الأحاديث من صحيح البخاري ومسلم، فإن لم أجد فيهما انتقلت إلى السنن الأربع مع مسند الإمام أحمد، فإن لم

تكن فيها خرَّجتها من كتب الحديث الأخرى مع نقل حُكم العلماء على الأحاديث ما أمكن.

٥ ـ ترجمة موجزة للأعلام المذكورين في البحث عند أول موضع يرد فيه، ثم أحيل عليه إن ورد مرة أخرى.

٦ ـ شرح ما رأيت الحاجة إلى شرحه من الألفاظ الغريبة من مصادرها الأصلية.

٧ ـ عند النقل من كتب التفاسير أنقل من كانت عبارته أسهل وأقرب إلى المعنى المراد توضيحه، ثم أشير في الهامش إلى البقية إذا احتاج الأمر، مرتبة حسب الأقدمية.

٨ ـ عند الإحالة للمراجع فإني أذكر اسم الكتاب في الهامش كاملاً، وكذا اسم مؤلفه في أول موضع يرد فيه ثم أذكره مختصراً.

٩ ـ استلهام منهج التربية من توجيهات الآيات الكريمة، والإفادة من عمومها لإسقاطها على الناشئة خاصة.

١٠ ـ الاستعانة بكتب التربية القديمة والحديثة التربوية التفصيلية مما ينسجم مع المنهج القرآني العام الداعي إلى حسن التربية.

د ـ الدراسات السابقة:

بمراجعة المراكز البحثية المتخصِّصة والجامعات، ظهر لي أنه لم يسبق دراسة هذا الموضوع عينه بأية دراسة علمية جامعية في مجال التفسير.

وإن كانت هناك دراسات سابقة مختلفة في مجال تخصص التربية وبعضاً من المراجع في قسم التربية، **نذكر منها على سبيل المثال:**

١ ـ الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة، مقدمة من الطالبة: حنان بنت عطية الطوري الجهني، من كلية التربية بالرياض قسم التربية وعلم النفس، رسالة ماجستير عام **١٤١٩**هـ.

٢ ـ نماذج من التربية القرآنية بالأحداث، مقدَّمة من الطالبة: حصة حمد محمد اللعبون من جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، رسالة ماجستير عام ١٤٠٩هـ.

٣ ـ أصول تربية الطفل في الإسلام، مقدمة من حسن إبراهيم عبد العال جامعة طنطا، كلية التربية قسم أصول التربية، رسالة دكتوراه عام ١٩٨٠م.

٤ ـ تربية الطفل في ضوء القرآن والسُّنَّة، مقدمة من الطالبة أسماء عبد الله السلطان من كلية التربية بالرياض، قسم التربية وعلم النفس، ماجستير عام ١٤٠٩هـ.

٥ ـ مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، مقدمة من عدنان حسن باحارث، جامعة أم القرى، كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة، رسالة ماجستير عام ١٤٠٩هـ.

٦ ـ دور الأسرة في تربية أولادها تربية إسلامية، مقدمة من: عبد الرحمٰن عبد الخالق حجر الغامدي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية قسم التربية، رسالة دكتوراه، عام ١٤١١هـ.

وبالنظر في هذه العناوين، يبدو جلياً التفاوت بين موضوع دراستي وتلك البحوث التي أقرب ما تكون إلى ميدان التربية، وأنها تعالج بعض جوانب التربية، كذلك أنها ليست في مجال التفسير فلا تعد مرجعية تفسيرية.

ويلاحظ أن جميعها مقيدة بعناصر بذاتها ولا تشمل منهجاً متكاملاً شاملاً، الأمر الذي توافرت له هذه الرسالة، كذلك لا تتعلق بمجال التفسير الموضوعي الذي يقوم على الدراسة الراسخة والاستقصاء التام للقرآن الكريم في موضوع البحث، مع الرجوع إلى ما يتميز به المتخصِّصون في التفسير من رؤية مختلفة بناءً على الخلفيات التفسيرية العميقة.

فضلاً عن عدم وجود أي بحث تفسيري في الجامعات يشمل

الأهداف التي ارتكزت عليها الخطة وهي المنهج الشامل المتكامل لتربية ناشئة المسلمين من واقع الدراسات التفسيرية الموضوعية، ثم دوره في مواجهة موجات الخطر المعاصرة على الناشئة إعلامياً، وتنظيرياً، وفكرياً، وباستخدام التقنيات المعاصرة، وظهور أفكار عولمة التربية دولياً، وغيرها من الأخطار الكثيرة التي ستقوم الباحثة بواجبها كمفسرة في مواجهتها، وكلها أمور حديثة جداً لم تتوافر للرسائل السابقة مجتمعة سواء من حيث إدراجها أصلاً في الرسائل، أو وجودها نظراً لحداثتها مضافاً إلى كونه المرة الأولى التي يتناول فيها متخصِّص في التفسير هذا المقصد العظيم الذي يعد من أعظم المقاصد لنزول القرآن الكريم وبعثة نبيه ﷺ، ولا مانع طبعاً من الإفادة من كافة المراجع المعنية للخروج بالثمرة المرجوة من هذا البحث، علماً بأن المفسر هو الحجة والمرجعية فيما يتعلق بالتفسير لا غيره من المتخصِّصين، حتى إن تعرَّض لمسائل بحثية تتعلق بالتفسير.

هـ ـ خطة البحث:

تشتمل خطة البحث من هذه المقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

وقد اشتمل التمهيد على ما يلي:

أولاً: بيان أهم **مصطلحات** البحث في ضوء القرآن الكريم:

منهج ـ تربية ـ الناشئة.

ثانياً: بيان أهمية تربية الناشئة في ضوء القرآن الكريم.

الفصل الأول: كمال التوجيهات القرآنية وإحاطتها بالجوانب العقدية والنفسية والجسمية للناشئة.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: كمال التوجيه الرباني وإحاطته بالجوانب العقدية للناشئة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني: كمال الإرشادات القرآنية وإحاطتها بالجوانب النفسية للناشئة في ضوء القرآن الكريم

المبحث الثالث: العلل والانحرافات النفسية الناتجة عن مخالفة المنهج القرآني في تربية الناشئة وعلاجها في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الرابع: كمال المنهج الرباني وإحاطته بمقومات السلامة الجسدية للناشئة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الخامس: المنهج القرآني الشامل للناشئة وأثره في استقامة السلوك في كلّ مراحل الحياة.

الفصل الثاني: عناصر العناية بالناشئة ومجالاتها وأساليبها في ضوء القرآن الكريم.

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: عناصر وأساليب قرآنية شاملة عظيمة النفع للناشئة في ضوء سورة لقمان.

المبحث الثاني: عناصر تأهيل المربِّي وأساليبه، وبيان خصائصه وصفاته في ضوء القرآن الكريم

المبحث الثالث: كمال الإحاطة الربانية للأنبياء في طفولتهم، وفوائده العظيمة للناشئة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الرابع: منهج الأنبياء في تنشئة ذرياتهم وما فيه من فوائد جليلة للناشئة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الخامس: عناصر الآداب القرآنية للناشئة وأساليبها في مجال معاملة الوالدين والإخوة.

المبحث السادس: عناصر وأساليب الآداب القرآنية للناشئة في مجال التعليم واختيار القرناء.

المبحث السابع: عناصر وآداب وأساليب قرآنية في توجيه الناشئة في مجال الأخلاق.

المبحث الثامن: عناصر تأهيل النشء في مجال الآداب الاجتماعية العامة، وأساليبه في ضوء القرآن الكريم.

أما الفصل الثالث فقد كان بعنوان:

الفصل الثالث: المنهج القرآني لإعداد وتأهيل الناشئة وأثره في مواجهة الأخطار المعاصرة.

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: جوانب وأنواع الأخطار الداهمة على الناشئة عبر وسائل الغزو الفكري والعقدي.

المبحث الثاني: نماذج من الأخطار الداهمة عبر ثورة نقل المعلومات المعاصرة ووسائل الإعلام الوافدة.

المبحث الثالث: خطر بعض النظريات المعاصرة وبيان المآخذ الشرعية عليها.

المبحث الرابع: الأثر الضار لبعض التطبيقات المعاصرة على الناشئة في مراحلها العمرية المختلفة.

المبحث الخامس: ضرورة التزام المنهج القرآني لإعداد الناشئة، ودوره الهام وأثره البليغ في مواجهة سائر الأسباب المعاصرة للانحراف.

الخاتمة:

بيَّنت فيها أهم نتائج البحث وثمراته.

الفهارس:

١ ـ فهرس المصادر والمراجع، مرتبة حسب ترتيب الحروف الهجائية.

٢ ـ فهرس الموضوعات.

تمهيد

ويشمل على:

أولاً: بيان أهم مصطلحات البحث.

ثانياً: بيان أهمية تربية الناشئة في ضوء القرآن الكريم.

تمهيد

ويشمل التمهيد على ما يلي:

أولاً: مصطلحات البحث:

(المنْهَج):

ن، هـ، ج أصلان متباينان الأول النّهج: الطريق، ونهج ولي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج والمِنهاج: الطريق أيضاً، والجمع: المناهج[(١)].

الطريق الواضح ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨][(٢)].

ثم انتقل معنى المنهاج من معناه المحسوس إلى المجرّد، فذكر المعجم الوسيط أنه استخدم بمعنى الخطّة المرسومة[(٣)].

قال القرطبي: «والمنهج في اللغة الطريقُ الواضح، ومثلُه: النَّهج والمِنْهاج»[(٤)].

ومما تقدم فإن ما نعنيه في عنوان هذا البحث بالمنهج القرآني إنما هو الخطّة المرسومة في القرآن لتربية الناشئة.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ص١٠٠٠، والمفردات في غريب القرآن، للأصفهاني ص٥٠٨.
(٢) انظر: المعجم الوسيط (ن هـ ج) ٢/ ٩٥٧.
(٣) المعجم الوسيط (ن هـ ج) ٢/ ٩٥٧.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٦/ ١٩٩.

(التربية):

الأصل ربا/يرْبو، ومعناه: زادَ ونَما، ومنه الربا لأنها زيادة على رأس المال ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]، هذا هو المعنى العام لهذا الأصل الثلاثي والفعل المزيد عليه بحرف هو الفعل (رَبَّى)، ومصدره القياسي (تربية)، وهو دالّ على التعدية، فإذا قلنا: ربَّاه؛ أي: زاده ونمّاه، ولما كانت الزيادة في البشر إما في الأجسام أو في العقول شملت التربية بمفهومها معنى التنشئة والإصلاح والرعاية، وقيل في المعنى الأول: «ربّاه تربية؛ أي: غذّاه، وهذا لكل ما ينمّى كالولد والزرع ونحوه. وربيته تربية: غذوته كتربيته»[١].

فالناشئ «حين يتزود بأنواع المعرفة وألوان الثقافة، يتغذى عقله وتكبر مداركه، فيزكو ويسمو. علاوة على نماء جسمه، بسبب تغذيته ورعايته صحياً، وتأمين ما يحتاج إليه من مأكل ومشرب، ليترعرع بعافية جيدة، ويشبّ عن الطوق بقوة فيتحمل تكاليف الحياة وتبعاتها، وقد تربى جسمه، ونما عقله، وصفت نفسه، وزكت روحه»[٢].

وقد ذكرت التربية في القرآن الكريم بذكر فعلها (ربّى)، وذلك في مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، ومنها كذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الشعراء]، وهذا خطاب من فرعون إلى موسى عليه السلام على وجه المَنّ، بأنه أنعم عليه وقام بتربيته منذ أن كان وليداً في مهده ولم يزل كذلك، فقد ربَّاه صغيراً ولم يقتله في جملة من قتلهم، والتربية كفالة الصبي وتدبير شؤونه[٣].

---

(١) مختار الصحاح (ر ب ا) ص٢٠٣، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي ١/١٦٥٩.
(٢) تربية الأطفال في ضوء القرآن والسُّنَّة، يوسف بديوي ومحمد محمد قاروط ١/١٤.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٣/٩١، والتحرير والتنوير ١٩/١١١.

وفي كلتا الآيتين المذكورتين جاء الفعل (ربّى) ومصدره (تربية) بمعنى التنشئة التي تصَدق عليها التنشئة الجسمية والتنشئة العقلية.

الناشئة:

(ن، ش، الهمزة) أصل صحيح يدل على ارتفاع في الشيء وسمُوّه، والنشءُ والنشأ: أحداث الناس، والناشئ: الغلام والجارية جاوزا حدّ الصغر.

والنَّشَأ: صغار الإبل، ونشّأ الصبي: ربَّاه[1] كما جاء في تنزيل العزيز: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف]».

الناشئ في اصطلاح التربية:

من أبرز تعريفات الناشئ: «هو الطفل المأخوذ بالتربية والإعداد حتى يبلغ الحلم، وهي الفترة التي تتحدد فيها ملامح شخصيته الرئيسية، ويستعد باستكمالها لتسلم زمام نفسه، ومواجهة الحياة وحده بحصيلة من هذه التربية التي تقف به على أعتاب الرجولة»[2].

وعليه، فإن هذه الدراسة تُعنى بتربية الناشئ منذ ولادته حتى بلوغه.

ثانياً: بيان أهمية تربية الناشئة في ضوء القرآن الكريم:

ويمكننا أن نجمل هذه الأهمية في عدة نقاط، **أبرزها**:

١ ـ أن الله جَبَل قلوب الوالدين على حبّ الولد وجعله من زينة الحياة، قال تعالى:

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا...﴾ [الكهف: ٤٦]، وهذا من

---

(١) انظر: القاموس المحيط ١/٦٨، ومقاييس اللغة ص١٠٢٨، والمعجم الوسيط ٢/ ٩٢٠.
(٢) كيف نربي أولادنا في ضوء الإسلام، محمود محمد عمارة ص١٣.

دواعي بقاء النوع البشري لما يقدمه الوالدان في الرعاية والحماية لمن شغفهم حبّاً، وهو في الوقت نفسه فتنة للوالدين: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال].

٢ ـ أن الأولاد مصدر فخر واعتزاز للآباء والأمهات؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان].

٣ ـ إن تربية الأبناء تربية صالحة من ضمن مسؤوليات الوالدين، ومن خير التكليفات الشرعية، ومن أسباب الوقاية التي أمر الله بها عباده المؤمنين في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

وقوله عليه السلام: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها**»(١).

٤ ـ أن من مصلحة الوالدين أن يكون لهما من يقوم على خدمتهما إذا كبرا فيحسنون إليهما، ويتحقق التكافل الاجتماعي في مجتمع الإسلام: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء]، وأن يقوم الأولاد بالدعاء لهما بعد موتهما، فقد قال ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**»(٢).

٥ ـ أن الأولاد من ضعفاء الأمة، ولهذا عني الإسلام بالدعوة إلى

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده، رقم الحديث (٢٥٥٨).

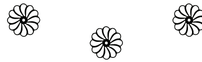
(٢) أخرجه مسلم، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، كتاب الوصية، حديث رقم (١٦٣١) كتاب الوصية.

إحسان تربيتهم والسعي إلى حسن إعالتهم والبذل لهم، وجعل السعي لقوت العيال واجباً، ويكفينا على ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [النساء].

٦ ـ حسن إعداد الأبناء للقيام بمهمة الخلافة في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ [البقرة: ٣٠]. وتهيئتهم لحمل الأمانة العظيمة التي حملها الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب].

٧ ـ إن تربية الأبناء تربية للأمة كلها فهم مستقبل الأمة المسلمة ولهذا وجب أن ينشأ الأبناء على البر وطاعة الله ومخافته وعبادته حتى يكونوا من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر شاب نشأ في عبادة الله ﷻ[1].

هذه بعض النقاط التي تبرز أهمية تربية الناشئة والعناية بهم، وقد تولى القرآن أمر هذه العناية، أما كيف تولى القرآن ذلك، وما الأساليب التي اتبعها في هذه السبيل، فهو موضوع بحثنا الذي أرجو أن يجيب عن هذه الأسئلة إجابة وافية شافية بإذن الله.



(١) انظر: الحديث بكامله في صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم الحديث (٦٦٠).

الفصل الأول

كمال التوجيهات القرآنية
وإحاطتها بالجوانب العقدية والنفسية والجسمية للناشئة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: كمال التوجيه الرباني وإحاطته بالجوانب العقدية للناشئة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثاني: كمال الإرشادات القرآنية وإحاطتها بالجوانب النفسية للناشئة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: العلل والانحرافات النفسية الناتجة عن مخالفة المنهج القرآني للناشئة وعلاجها في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الرابع: كمال المنهج الرباني وإحاطته بمقومات السلامة الجسدية للناشئة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الخامس: المنهج القرآني الشامل للناشئة وأثره في استقامة السلوك في كل مراحل الحياة.

المبحث الأول كمال التوجيه الرباني وإحاطته بالجوانب العقدية للناشئة في ضوء القرآن الكريم

إن من أعظم نعم الله على الإنسان أن خلقه مفطوراً على الإيمان به والإسلام له، فكان بذلك مهيئاً لقبول الخير، ومستعداً للاستقامة على أمر دينه، قال ﷻ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

والفطرة في اللغة: «فطرة الله: هي ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيمان، وقيل: هي: ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به. وهي أيضاً الخلقة التي يُخلق عليها المولود في بطن أمه»[(١)]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف: ٢٧].

قال الطبري رحمه الله[(٢)]: «فطرة الله؛ أي: صبغة الله التي خلق الناس عليها»[(٣)].

والفطرة في الاصطلاح: هي الجِبِلَّة المتهيئة لقَبول الدين[(٤)].

بهذه النعمة السابقة من الله تعالى يتمهَّد الطريق للأبوين للعناية

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور ١١/ ١٩٧، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص٣٨٤.

(٢) هو: أبو جعفر محمد بن جرير بن كثير الطبري الإمام، أقام في بغداد إلى حين وفاته، وكان فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن والتاريخ والفقه. من مؤلفاته: «جامع البيان في تأويل القرآن، وتاريخ الأمم والملوك»، وغيرها توفي سنة (٣١١هـ). طبقات المفسرين، للداوودي ص٣٧٤، وفيات الأعيان، لابن خلكان ٤/ ١٩١.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري ١٨/ ٤٩٣.

(٤) التعريفات، علي الجرجاني ص١٦٨.

بطفلهما والحفاظ على هذه الفطرة بتلقينه مبادئ الدين والهداية، وإلّا فإن فطرته قد تنحرف في ظل الإهمال والتقصير[١].

فإذا نشأ الطفل في بيت يتبع منهج الإسلام فإنه ينشأ على إيمان راسخ قويم بإذن الله، وإن نشأ الطفل في بيت مسلم تحت رعاية والدين غير ملتزمين بالكتاب والسُّنَّة، فإنه بالتالي يشب على الانحراف الأخلاقي والبعد عن الفطرة التي ارتضاها له ربُّ العالمين كما جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة[٢] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**»[٣].

ولمَّا كانت جهود الأبوين في الحفاظ على هذه الفطرة لا يمكن أن تثمر إلا بالتربية الإسلامية الصحيحة كانت تلك الجهود واجباً من واجبات الشرع.

---

(١) انظر: منهج القرآن الكريم في رعاية ضعفاء المجتمع، عماد زهير حافظ ص١٣٨.

(٢) هو: عبد الرحمٰن بن صخر الدوسي، واختلف في اسمه اختلافاً كبيراً، يكنى بأبي هريرة، لهرة كان يحملها، صاحب رسول الله ﷺ وأكثر الصحابة حديثاً، سكن المدينة وهو صغير وبها كانت وفاته، توفي سنة (٥٧هـ)، وقيل: (٥٨هـ).
انظر: أسد الغابة، لابن الأثير ٣/ ٤٥٧، والإصابة، لابن حجر العسقلاني ٤/ ٢٣٨٥.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث (١٣٨٥).

التربية العقدية للناشئة
في ضوء القرآن الكريم

❐ العقيدة في اللغة: العقدُ:

مأخوذة من مادة (عقد): الشد والربط، ومن معانيه أيضاً: العهد والوجوب، والإبرام، والصلابة، واللزوم، والاستحكام، والتأكيد، وكل ما يدين الإنسان به(١).

فمدار مادة عقد في اللغة على اللزوم والتأكد والاستيثاق، وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ [المائدة: ٨٩]، «وتعقيد الأيمان إنما يكون بقصد القلب وعزمه»(٢).

❐ العقيدة في الاصطلاح وأهميتها:

وقد عرَّفها بعض العلماء: «هي مجموعة من قضايا الحق البدهيّة المسلَّمة بالعقل والسمع والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه ويطوي عليها صدره جازماً بصحتها قاطعاً بوجودها وثبوتها، ولا يرى خلافها»(٣).

والعقيدة لها أهميتها، وينبغي تعميقها في نفس الناشئ المسلم،

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٤/٨٦، ولسان العرب، لابن منظور ١٠/ ٢٢١.

(٢) العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر ص١١.

(٣) عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري ص٢٣.

لأنها «إذا تمكنت في نفس الإنسان أيقظت فيه دوافع الخير وأضفت على حياته الأمن والاستقرار الداخلي والخارجي، وحمته من الشك والارتياب، ومحت من نفسه القلق والحيرة»(١).

ومعلوم من الدين أن الأعمال والأقوال لا تصح ولا تقبل إلا إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

«والعقيدة الإسلامية لها أركان يجب الإيمان بها وغرسها في نفوس الناشئة، لأنها العقيدة الصحيحة التي تمتاز بموافقتها لفطرة الإنسان وطبيعته، وباتفاقها مع العقل السليم وعدم مخالفته أو التناقض معه»(٢).

والعقيدة الصحيحة تقوم على أصول ستة نزل بها كتاب الله العزيز، وبعث الله بها رسوله محمداً ﷺ، كما جاء في كتابه العزيز: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة].

وورد ذكر القدر بالإضافة لما سبق في الحديث المشهور حين سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(٣).

❑ نموذج من توجيهات النبي ﷺ العقدية للناشئة:

وفي حديث الرسول ﷺ مع ابن عباس رضي الله عنهما وصايا عظيمة، وقواعد

(١) تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها وثمارها، عبد السلام الفندي ص١٠١.
(٢) تربية الطفل في الإسلام، عبد السلام عطوة الفندي ص١٠١.
(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل عن الإيمان، حديث رقم (٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم (٨).

كلية من أهم أمور الدين وأصول عقيدة المسلم، فعن ابن عباس[(١)] رضي الله عنهما قال: «كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال لي: **يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفَّت الصحف**»[(٢)]، وفي رواية أخرى: «**احفظ الله تجده أمامك، تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النَّصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**».

وهذا الحديث النبوي يعتبر ينبوعاً تربوي اشتمل على توجيهات طيبة من النبي الكريم ﷺ إلى أمته بالاهتمام بتنشئة الأبناء على العقيدة السليمة، وهذا الاهتمام ينبغي أن يكون سمة المصلحين، والمربِّين، والمعلِّمين، فهي كلمات قليلة الألفاظ، ولكنها كبيرة المعنى لها آثارها، ففيها التأكيد على حفظ حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه، وفي حفظها ضمان لحفظ الله للإنسان وتوفيقه وإعانته، وفيها التأكيد على أن السؤال لا يكون إلا لله ولا يسأل غيره.

وفيها أن ما يصيب العبد في دينه مما يضره أو ينفعه فكلّه مقدَّر

---

(١) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة، ترجمان القرآن، فقيه عصره وإمام التفسير، توفي سنة (٦٨هـ) بالطائف، انظر: أسد الغابة، لابن الأثير ٣/ ٢٩١، وفيات الأعيان، لابن خلكان ٣/ ٦٢.

(٢) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب حديث حنظلة، رقم الحديث (٢٥١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الألباني: حديث صحيح في سنن الترمذي ص٥٦٦.

عليه، ولا يصيبه إلا ما كُتب له ولو اجتمع الخلق على نفعه أو ضره، وغيرها من الركائز التي دعا إليها الرسول ﷺ في هذا الحديث التوجيهي لذلك الغلام الصغير[١].

❐ أركان الإيمان العقدي:

الركن الأول: الإيمان بالله ﷻ:

ومعناه: «الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه الذي يستحق وحده أن يُفرد بالعبادة من صلاة وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذل وخضوع، وأنه المتصف بصفات الكمال كلها والمنزَّه عن كل نقص»[٢].

والإيمان بالله تعالى هو الركيزة الأولى في البناء الإيماني للإنسان المسلم، وهو الأصل الذي به ينتقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح].

وعلم التوحيد هو أول علم ينبغي أن نعلِّمه للناشئ قبل القول والعمل[٣]، لقوله ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقد اهتم الإسلام منذ الوهلة الأولى لمجيء الطفل إلى الحياة بقرع مسامعه بكلمة التوحيد عن طريق الأذان في أذنه كما جاء عن أبي رافع[٤] قال: رأيت رسول الله ﷺ أذّن في أُذُن الحسن بن علي[٥] حين ولدته

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، عبد الرحمٰن بن رجب الحنبلي ص١٩٩ ـ ٢١٤.

(٢) الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، محمد نعيم ياسين ص٦.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ص٧٨.

(٤) هو: أبو رافع مولى النبي ﷺ، اختلف في اسمه فقيل: اسمه إبراهيم، وقيل: أسلم، كان إسلامه قبل بدر ولم يشهدها وشهد أُحداً وما بعدها، روى عن النبي ﷺ، توفي في خلافة عثمان، وقيل: في خلافة علي. انظر: أسد الغابة، لابن الأثير ٦/١٠٢، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣٦٢.

(٥) هو: الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي، المدني، ولد سنة ثلاث من الهجرة في =

فاطمة[١] بالصلاة[٢].

وسِرُّ التأذين كما يقول ابن القيم[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان كلماته ـ أي: الأذان ـ المتضمِّنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا؛ كما يلقَّن كلمة التوحيد عند خروجه منها، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثيره به وإن لم يشعر، مع ما في ذلك من فائدة أخرى، وهي: هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد. . . فسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه، وفيه معنى آخر وهو أن تكون دعوته إلى الله وإلى دينه الإسلام وإلى عبادته سابقة على دعوة الشيطان؛ كما كانت فطرة الله التي فُطر عليها سابقة على تغيير الشيطان لها، ونقله عنها»[٤].

= شعبان، وقيل: ولد لأربع سنين وتسعة أشهر ونصف من الهجرة، سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا مات سنة (٤٩هـ) وهو ابن سبع وأربعين. انظر: سير أعلام النبلاء ١٢٨/٤، وتهذيب التهذيب ٢/ ٥٠.

(١) هي: فاطمة بنت رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمية، تكنى بأم أبيها ولقبت بالزهراء، أمها: خديجة بنت خويلد، ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ وتزوجها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أُحد. توفيت في اليوم الثالث من رمضان سنة إحدى عشرة. انظر: أسد الغابة ٢١٦/٧، الإصابة ٢٥٩٦/٤.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في المولود يؤذن في أذنه، رقم الحديث (٥١٠٥)، وضعفه الألباني في سنن أبي داود ص٧٦٥، والترمذي كتاب الأضاحي، باب الأذان في أُذن المولود، رقم الحديث (١٥٢٤)، وقال الترمذي عيسى: هذا حديث حسن صحيح وضعفه الألباني في سنن الترمذي ص٣٥٨.

(٣) هو: الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية، **أحد** كبار العلماء، تتلمذ على يد شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان حسن الخُلق محبوباً، ألف تصانيف كثيرة منها: «إعلام الموقعين»، «ومفتاح دار السعادة»، «ومدارج السالكين» وغيرها كثير جداً، ولد عام (٦٩١هـ)، وتوفي عام (٧٥١هـ).
انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي ص٣٦٣، والأعلام ٥٦/٦.

(٤) تحفة المودود بأحكام المولود، لابن قيم الجوزية ص٦٤.

المعاني التربوية التي ينبغي غرسها في نفوس الناشئة تجاه الإيمان بالله:

تنمية الإيمان بالله تعالى: فالكون مليء بالشواهد التي تدل على عظمة الخالق ﷻ، وهي آيات له مستلزمة لوجوده سبحانه، والسبيل إلى توظيف هذه الحقيقة كما جاء في المنهج القرآني بالبدء أولاً بالبرهان على عظمة الله ثم ينتقل إلى باقي المعتقدات باتباع التدرج من مستوى إلى مستوى، ومن المحسوس إلى المعقول(١).

وبالتالي، فإن تنمية الإيمان بالله لدى الناشئة يتم باتجاهات عدة، أهمها:

أولاً: إبراز قدرة الله المعجزة وإبداعه الرائع:

ومن ذلك التوجيه الرباني إلى النظر في مبدأ خلق الإنسان، قال سبحانه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾ [الطارق](٢). وأن هذا النظر الذي أمرنا الله تعالى به في الآية الكريمة، وهو نظر التفكر والاستدلال في مبدأ خلقه، حتى يتضح له قدرة واهبه، وليعرف الناظر أن الذي ابتدأه من نطفة قادر على إعادته(٣). وبعد هذا الخلق يلتقي الإنسان بأسرار تدهش

---

(١) انظر: الرد على المنطقيين، لابن تيمية ص١٩٦ وما بعدها.

(٢) فخلق الإنسان من أكبر البراهين على قدرة الله وعظمته، فقد خُلق من ماء دافق يجتمع من صلب الرجل وهو عظام ظهره الفقارية، ومن ترائب المرأة وهي عظام صدرها العلوية. وقد كان هذا سرّاً مكنوناً في علم الله لا يعلمه البشر حتى كان نصف القرن الأخير حيث اطلع العلم الحديث على هذه الحقيقة بطريقته. انظر: روح المعاني ٣٠/ ١٧٤، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢٩٤، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٨، وفي ظلال القرآن ٦/ ٣٨٧٨.

(٣) انظر: روح المعاني ٣٠/ ١٧٣، وزاد المسير، لابن الجوزي ٩/ ٨٢، والتحرير والتنوير ١٥/ ٢٦١.

وتحيّر عندما يتأمل عجائب نفسه «من أعضاء وتوزيعها ووظائفها وطريقة أدائها لهذه الوظائف وما يحدث في جسمه من عمليات، من عملية هضم وامتصاص، وعملية التنفس والاحتراق، ودورة الدم في القلب والعروق، والجهاز العصبي وتركيبه، وإدارته للجسم، وتناسيق هذه الأجهزة وتعاونها وتجاوبها الكامل الدقيق، وكل عجيبة من هذه تنطوي تحتها عجائب، وفي كل عضو وكل جزء من عضو خارقة تحيَّر الألباب»[(١)].

وصدق الله سبحانه القائل: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات]، وكذلك النظر إلى طعام الإنسان وكيف أوجده سبحانه وبيَّن مراحله، قال سبحانه: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس].

وهذا النظر «هو نظر القلب بالفكر؛ أي: ليتدبر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته، وكيف هيَّأ له أسباب المعاش ليستعد بها للمعاد»[(٢)].

وكذلك إبراز قدرته ﷻ عن طريق «النظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته»[(٣)]، كما جاء توجيه ذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية][(٤)]. والمتأمل في هذه الآيات

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٧٩ بتصرف. (٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٩١.
(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٠.
(٤) قال ابن عاشور في تفسير هذه الآية: أن النظر: هو نظر العين المفيد الاعتبار بدقائق الأمور، وتعديته بحرف (إلى) تنبيه على إمعان النظر ليشعر الناظر مما في المنظور من الدقائق، فإن قولهم: نظر إلى كذا أشد في توجيه النظر من نظر كذا لما في (إلى) من معنى الانتهاء. التحرير والتنوير ١٥/ ٣٠٤.

الكريمة يجد أنها «توحي إلى القلب شيئاً بمجرد النظر الواعي والتأمل الصاحي. وهذا القدر يكفي لاستجاشة الوجدان واستحياء القلب، وتحرك الروح نحو الخالق المبدع لهذه الخلائق»[(١)] وغيرها من آيات الله في الكون، وفي النفس التي توقظ الحس فتجعله متفتحاً لهذه الآيات مقدراً لعظمتها شاعراً بالقدرة الربانية من وراء كل آية تستوجب التسبيح بحمده والاعتراف بفضله[(٢)].

ويمكن تقريب هذه المعاني الكبار وما فيها من معاني وروعة الخلق وعظمة الخالق وإبداعه في أذهان الناشئة في أعمارهم المختلفة بما استجد من وسائل توضيحية بليغة ومتنوعة، وعن طريق التقنيات الحديثة، واضعين في الاعتبار أن الناشئة في أيامنا هذه يجمعون كمّاً من العلوم والمعارف عن طريق القنوات والشبكات ما لا يقارن بالناشئة في العصور السابقة، والمقصود أن ما ذكرناه من الأمثلة الدالة على عظمة الله ممكن توصيلها للناشئة في سائر أعمارهم مع رجاء الثمرة الكاملة في اليقين التام في الله تعالى.

ثانياً: مراقبة الله الدائمة عند الناشئة:

وذلك بتعليم الولد أن الله سبحانه وتعالى يراقبه ويراه ويعلم سرَّه ونجواه، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وأن الله قادر على كلّ شيء في هذه الحياة الدنيا، وأنه إذا أراد شيئاً فيقول له كن فيكون. قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

وهو سبحانه يرى الإنسان في أي مكان، وأنه محيط به وبحركاته

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٨٩٩.
(٢) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ١/ ٥٠.

وسكناته: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العلق]. «وأنه تعالى مطَّلع على ما في النفس من وساوس خافتة فهي مكشوفة لا يحجبها ستر، قريب إليه»[(١)]، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق].

فعلى المربِّي تقريب هذه المعاني إلى ذهن الناشئ في كل ما يصدر عنه من مواقف، وأن يستحضر قرب الله له وأنه بين يديه، وأن يعبد الله كأنه يراه، فيحقق بذلك درجة الإحسان التي سأل جبريل عليه السلام الرسول ﷺ عنها قائلاً: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(٢)]، مما يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم في حق الله تعالى[(٣)].

ويمكن تقريبهما بما ورد عن السلف من القصص كما جاء عن الإمام الغزالي[(٤)]: «أنه كان لبعض المشايخ تلميذ شاب، وكان يكرمه ويقدِّمه، فقال له بعض أصحابه: كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ؟ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائراً وسكيناً وقال: ليذبح كل واحد منكما طائره في موضع لا يراه أحد، ودفع إلى الشاب مثل ذلك، وقال له كما قال لهم، فرجع كل واحد بطائره مذبوحاً، ورجع

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٦٢ بتصرف.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل عن الإيمان حديث رقم (٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم الحديث (٩).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ص٤٠.

(٤) هو: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، من فقهاء الشافعية حجة الإسلام، اتجه إلى الزهد والتصوف ولد سنة (٤٥٠هـ) في الطابران ورحل إلى نيسابور، ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. له مصنفات عديدة منها: «إحياء علوم الدين»، و«جواهر القرآن»، و«تهافت الفلاسفة»، توفي سنة (٥٠٥هـ) في الطابران. انظر: وفيات الأعيان ٤/ ٢١٦، والأعلام ٧/ ٢٢.

الشاب والطائر حي في يده، فقال: ما لك لم تذبح كما ذبح أصحابك؟ فقال: لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد، إذ الله مطلع عليَّ في كل مكان، فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا: حق لك أن تُكرم»[١].

ويمكن تقريبها بما جدَّ من أمور المراقبة البشرية للناس عن طريق الكاميرات الخفية، والتصوير السري، ووسائل النقل بالصوت، والصورة لكل حركة وسكنة، بحيث يفاجأ الإنسان إذا كان تحت المراقبة بكل لفظ صدر منه وكل حركة افتعلها مسجلة مصورة متحركة يراها رأي العين، فإذا كان المخلوق العاجز الضعيف قد تمكن من ذلك بحيث صار معتاداً معلوماً، فكيف بالخالق الذي لا يذر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها؟ فهو دليل قاطع على ما اعتقدناه وما أردنا تعليمه للناشئة.

ثالثاً: عن طريق خشية الله تعالى والإنابة إليه:

إن الخشية من الله تعالى تحمل «معنى الخوف الذي يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه»[٢]، كما جاء في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وتربية الناشئة على الخشية من الله تعالى لها أثرها النافع في الناشئة وفي الوالدين بالخير والجزاء من الله تعالى؛ «لأن الخشية ملاك السعادة الحقيقية والفوز بالمراتب العلية، إذ لولاها لم تُترك المناهي والمعاصي، فالخشية تدفع إلى كل صلاح وتنهي عن كل انحراف، وهو شعور يزيح الحواجز، فالذي يخشى ربه حقاً لا يملك أن يخطر في قلبه ظلاً لغيره من خلقه»[٣]، والذي يخشى ربه ويخاف عقابه يطمع في جزائه. قال

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ١٧٦٤.
(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص١٥٥.
(٣) روح المعاني، للألوسي ٣٠/ ٣٦٩، وفي ظلال القرآن بتصرف ٦/ ٣٩٥٣.

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة].

ومن الآثار التي تتركها الخشية من الله في نفس الناشئ «أنها تحضه على الشجاعة ومواجهة المواقف وقول الحق والصدع به»(١)، قال تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣]. والملاحظ أن أسلوب التخويف في تربية الناشئة مقروناً بالإغراء والتشجيع يعد أسلوباً شائعاً ووسيلة ناجحة لكف الناشئة عما يضرهم، كونهم لا يملكون إدراكاً تاماً بما يضرهم ولا ينفعهم، ويمكن كما تقدم تقريب المعاني الجليلة من خوف الله ورهبته وخشيته في نفوس الناشئة بما يناسب عقولهم ودرجة إدراكهم ومراحلهم العمرية.

رابعاً: تبصير الناشئ بنعم الله عليه ووجوب شكره عليها:

إن نعم الله ﷻ على الإنسان كثيرة جداً لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل]، والطريق إلى تبصير الناشئ بنعمه سبحانه وتعالى هو «تعداد النعم المحسوسة التي يتمتع بها الإنسان، وإثارة عقله ووجدانه للتفكير فيها، ومن ثم فإنه يفكر في واهبها، وحينئذ يظهر لدى الناشئ الرغبة في الاعتقاد بالله خالق هذه النعم»(٢).

والله تعالى أخرج الإنسان من بطن أمه لا يعلم شيئاً، ثم بعد هذا يرزقه سبحانه السمع الذي يدرك به الأصوات، والأبصار التي بها يحس بها المرئيات، والأفئدة، وهي العقول التي يميز بها بين الأشياء ضارها

---

(١) تربية الأطفال في ضوء القرآن والسُّنَّة ١/ ١٦١.
(٢) فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، علي أبو العينين ص١٨٢.

ونافعها كما جاء في كتابه الحكيم: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [النحل: ٧٨].

وهذه النعم التي أكرم الله بها الإنسان «جعلها الله فيه ليتمكن من عبادة ربه تعالى فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه»[١]، ويتبع هذه المرحلة مرحلة البيان الواضح من المربِّين للناشئة بأنهم سيُسألون عن هذه النعم فيما استعملوها، كما قال ﷻ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر]، وكذلك المسؤولية تجاه هذه النعم، فهو مسؤول عن سمعه وبصره وفؤاده أمام واهب السمع والبصر والفؤاد، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء].

فهي أمانة يُسأل عنها صاحبها، «ويرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة، وكلما روى الإنسان رواية، وكلما أصدر حكماً على شخص أو أمراً أو حادثة، فهو منهج رباني كامل للقلب والعقل»[٢].

ومن نعمه عليه أيضاً نعمة «اللسان الذي ينطق به فيعبر عمَّا في ضميره، والعينان ليبصر بهما، والشفتان يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام وجمالاً لوجهه وفمه، وهداه الطريقين الخير والشر»[٣]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البلد].

ومن واجبات المربي أن يرسخ لدى الناشئ أن الله ﷻ هو صاحب الفضل عليه في كل أمور حياته، حيث إنه هو الذي خلق الإنسان ثم يميته ثم يحييه يوم البعث، وهو الذي يطعمه ويسقيه، وهو الذي منحه

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٢/٥٠١.
(٢) في ظلال القرآن ٤/٢٢٢٧ بتصرف يسير.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ٤/٤٤٨ بتصرف.

الصحة والعافية، وهو الذي يمرضه، وهو القادر على أن يشفيه، وقد جاء ذكر هذه النعم في قوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء]، وغيرها من النعم التي تعدد ذكرها في كتابه الكريم.

والغرض الأساس من تبصير الناشئ بنعم الله عز وجل أن يشكره عليها. فقد امتدح الله نبيه إبراهيم عليه السلام لأنه كان شاكراً لأنعم الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ [النحل].

إن شكر الناشئ لأنعم الله سببٌ في دوامها واستمرارها وزيادتها، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم].

الركن الثاني: إيمان الناشئة بالملائكة:

والمقصود بالإيمان بالملائكة: «الاعتقاد الجازم بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها»[1].

المعاني التربوية التي ينبغي غرسها في نفوس الناشئة تجاه الملائكة:

تحبيب الناشئة بالملائكة:

إن إدراك الناشئة لطبيعة الملائكة الخيّرة، وطبيعة الاهتمام والحرص منهم تجاه المؤمنين يبعث في نفس الناشئ روح الولاء والمحبة تجاه هذه المخلوقات المباركة الصالحة لأنهم يقومون:

(١) الإيمان أركانه حقيقته نواقضه ص٣٢.

أ - بالتسبيح والاستغفار والدعاء للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧].

ب - تبشير المؤمنين الذين استقاموا على طريق الحق بالإيمان والعمل الصالح بجنات النعيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [فصلت: ٣٠].

ج - تصلِّي على المؤمنين كما أخبر عن ذلك ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾ [الأحزاب]. وما لهذه الصلاة من أثر في الإنسان «بإخراجه من الظلمات إلى النور، والجهل إلى نور الإيمان، والتوفيق والعلم والعمل، فهذه أعظم نعمة أنعم بها على العباد الطائعين»[(١)].

د - تنصر المؤمنين وتثبتهم كما جاء في الكتاب العزيز ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩﴾ [الأنفال]، وقوله: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ [الأنفال: ١٢].

فهي تبعث في نفوسهم الأمن والطمأنينة وتذهب عنهم - بإذن الله - الحزن والخوف، فتربية الناشئة على حب الملائكة يعد تثبيتاً لهم على طاعة الله، ففي ذلك وقوف مع طائفة من مخلوقات الله لا تريد للإنسان إلا الخير والفوز بالجنة.

الركن الثالث: الإيمان بكتب الله المنزلة:

من أركان العقيدة الإسلامية الإيمان بكتب الله المنزلة على رسله،

---

(١) تفسير السعدي ص٦٦٧.

وقد أمر الله ﷻ في القرآن الكريم أن نؤمن بها كما جاء في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وكُتُب الله التي يجب الإيمان بها: «هي الصحف التي حوت كلام الله ﷻ الذي أوحاه إلى رسله عليهم السلام فكونت كتباً، أو بقيت صُحُفاً لم تجمع، ولم يتكون منها كتاب خاص. فالصُّحُف كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، والكتب كالتوراة والزبور، والإنجيل، والقرآن العظيم»[1].

والقرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية المنزلة، لذلك ينبغي للمربي الحرص على تعليم أبنائه القرآن الكريم وحفظه، لأنه من أهم أسس التربية الإيمانية للناشئة[2].

تربية الناشئة بالقرآن الكريم حفظاً وتعليماً:

«لقد اهتم الرسول الكريم ﷺ بتعليم الصحابة رضي الله عنهم وأبنائهم القرآن الكريم، وأدرك الصحابة رضي الله عنهم أهمية تعليم القرآن وتحفيظه لأطفالهم، وتعويدهم على قراءته وتجويده، وفهمه وتدبر معانيه»[3].

فتربية الناشئة على حفظ القرآن وتعليمه لهم منذ نعومة أظفارهم له أهميته حتى يتحقق صلاح الأمة وعزتها، والقيام بهذه المهمة على وجهها الصحيح من قبل الآباء والمربين هو الواجب الأكبر الذي لا يمكن التقصير فيه لتحقيق الرفعة والخيرية لهم ولأبنائهم في الدنيا والآخرة.

أهمية تلاوة الناشئ للقرآن الكريم وحفظه والعمل به:

إن تلاوة الناشئة للقرآن الكريم وحفظ آياته له أهميته في تحقيق فوائد عظيمة وآثار نافعة، **منها على سبيل المثال:**

---

(١) عقيدة المؤمن ص٢٣٤.
(٢) انظر: أساليب التربية الإيمانية للطفل ص٧٥ ـ ٧٦ بتصرف.
(٣) المرجع السابق ص٧٦.

١ ـ تعوّد لسان الناشئ على الفصاحة والبيان، وذلك من خلال تقويم لسانه بقراءة القرآن وتجويده على الأسس المعروفة والمتفق عليها عند العلماء، فيستطيع أن يتلوَ القرآن بلسان عربيٍّ مبين[(١)]، قال ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

٢ ـ «تربي العواطف الربانية من خوف وخشوع ورغبة ورهبة وترقيق للقلب والمشاعر»[(٢)]، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

٣ ـ تعوّد الناشئ على العمل بتعاليم القرآن الكريم وآدابه في كل مجال من مجالات حياته اليومية في مأكله ومشربه وعلاقاته بأهله وغير ذلك من نشاطات الحياة.

٤ ـ «تربي الناشئ على الحياة المستقيمة والأخلاق الفاضلة»[(٣)]؛ كما قال سبحانه: ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

٥ ـ ومن الفوائد أيضاً ما يحصل لهؤلاء الناشئة من الأجر العظيم والفضل الكبير من الله تعالى في اجتماعهم في حِلَق التحفيظ في بيوت الله ﷻ، فعن أبي هريرة[(٤)] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة،**

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية ص٩٢.
(٢) أصول التربية الإسلامية ص٩٢.
(٣) التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات ص٧٦.
(٤) سبقت الترجمة له.

وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»(١).

الركن الرابع: الإيمان بالرسل:

إن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم ومنحه عقلاً يدرك به ما حوله من مخلوقات في السمٰوات والأرض، «ويميز به الحق من الباطل، والخير من الشر، ويفكر فيما حوله من آيات الخلق وعجائب الكائنات، وركز فيه فطرةً يعرف بها ربه وخالقه، لكن العقل وحده لا يستقل بالمعرفة والتمييز، والفطرة تحيط بها عوامل الانحراف من داخل النفس ومن خارجها فتحرِّفها عن مسارها الصحيح، لذا كان من رحمة الله بعباده ألّا يتركهم سدًى، فاصطفى منهم نخبة ميزهم بالفطرة السليمة، وبلغ بهم من الكمال ما يليقون معه لتحمُّل الأمانة»(٢) وتبليغ الرسالة. . . أولئك هم الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه، فهؤلاء الرسل والأنبياء يجب الإيمان برسالتهم ونبوتهم، وبكل ما جاؤوا به.

والإيمان بالرسل معناه: «الإيمان بمن سمَّى الله تعالى في كتابه من رسله وأنبيائه، والإيمان بأن الله ﷻ أرسل سواهم، وأنبياء لا يعلم عددهم وأسماءهم إلا لله تعالى الذي أرسلهم»(٣)، قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

ومن حكمة الله سبحانه أن أرسل في كل أمة رسولاً من أنفسهم يعلِّمهم الكتاب والحكمة، ويسلك بهم الطريق الذي يؤدي إلى سعادتهم

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن على الذكر، حديث رقم (٢٦٩٩).
(٢) تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم، أحمد محمد المقري ص٢١٠.
(٣) الإيمان أركانه حقيقته نواقضه ص٤٨.

وفلاحهم في العاجل والآجل، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

ومن عدله سبحانه «ألا يعذب أحد من الخلق إلا بعد أن تقوم عليه الحجة»(١): ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

والأنبياء والرسل(٢) المذكورون في القرآن الكريم خمسة وعشرون ذُكر منهم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام].

وورد ذكر الآخرين في مواضع من القرآن: قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود: ٥٠، الأعراف: ٦٥]، وقال: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود: ٦١، الأعراف: ٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقال: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر ص١٧.

(٢) النبي إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع ولكنه لم يكلف بالتبليغ، وأما الرسول: فهو إنسان من البشر، أوحى الله تعالى إليه بشرع وأمره بتبليغه. فالرسالة أعلى مرتبة من النبوة، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول. وعدد الأنبياء لا يحصى إذ يزيد عددهم على ما جاء في بعض الآثار ١٢٠ ألف، يجب الإيمان بهم جملة بأن نصدق بأن هناك أنبياء غير هؤلاء الذين ذكروا في الكتاب العزيز. انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص١٥٨، والنبوة والأنبياء، محمد الصابوني ص١٧ ـ ١٨.

المعاني التربوية التي ينبغي غرسها في نفوس الناشئة تجاه الإيمان بالرسل:

من أجلّ المعاني التي ينبغي غرسها في نفوس الناشئة تجاه الإيمان بالرسل، هو الاقتداء بهؤلاء الرسل الكرام، وبالحكم الربانية في إرسالهم إلى خلقه ومنها:

١ ـ وهو الغرض الأساسي من إرسالهم: وهو عبادة الله ﷻ وتوحيده، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٢ ـ هداية الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم، وقد جاء ذلك البيان في قول الحق ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

٣ ـ تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ٥].

٤ ـ قيادة الأمة وتطبيق شرع الله فيهم كما قال تعالى مخاطباً رسوله محمد ﷺ: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

٥ ـ الاقتداء بهم والسير على منهاجهم، وقد كمَّلهم الله سبحانه بصفات جليلة من الأمانة والصدق، والصبر، والفطنة، وغيرها من الصفات والأخلاق، وقد شهد الله تعالى لهم بالصدق، فقال ﷻ عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا

نَبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم]، إلى غير ذلك من الآيات الربانية التي شهدت لهم بالصدق والهدى.

٦ ـ غرس حب رسول الله ﷺ في نفوس الناشئة عن طريق:

• طاعته ﷺ واقتفاء أثره، وترسُّم خطاه في جميع مسالك الدنيا والدين، وفي ذلك تطبيق لأمر الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران].

• حُسن اتباعه ﷺ والسير على هداه، لأن ذلك سبب في محبة الله لعبده، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

• توقيره وتعظيمه وألا يقدم على حبه حب مخلوق أو توقيره، وتقدم محبته حتى على الوالدين والنفس لقوله ﷻ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[(١)].

• موالاة من كان يوالي رسول الله ﷺ، ومعاداة من كان يعاديه، والرضا بما كان يرضى به، والغضب لما كان يغضب له.

• إجلال اسمه وتوقيره عند ذكره، والصلاة والسلام عليه، واستعظامه وتقدير شمائله وفضائله، فكان عظيم الرحمة والشفقة بأمته[(٢)]: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، فكان حليماً لا يغضب إلا لله تعالى، متواضعاً للمؤمنين، وغير ذلك من الأخلاق التي اجتمعت في شخصه ﷺ، فهو عليه السلام القدوة والمثل الأعلى الذي ينبغي على الناشئة

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ، حديث رقم (١٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ، رقم (٤٤).

(٢) انظر: أساليب التربية الإيمانية للطفل ص٦٦.

الاقتداء به والسير على هداه، وذلك عن طريق تطبيق المربِّين لسُّنَّة النبي ﷺ تطبيقاً عملياً على مرأى من الناشئة، وبيان أن هذا من فعل الرسول ﷺ ومن خُلُقه عليه السلام، فليست محبته عليه الصلاة والسلام نطقاً باللسان، وإنما تطبيقاً لهذه السُّنَّة ودفاعاً عن هذه القدوة الكريمة بكل وسيلة ضد من يعاديها أو يرصد الهجمات للنيل منها.

● احترامه ﷺ عند قبره وفي مسجده بخفض الصوت لمن أكرمه الله بزيارة مسجده وشرَّفه بالوقوف عند قبره ﷺ.

الركن الخامس: إيمان الناشئة باليوم الآخر:

ومعنى الإيمان باليوم الآخر، هو «الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه وأخبر به رسول الله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه، ونعيمه، والبعث والحشر، والصحف، والحساب والميزان، والحوض، والصراط، والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعاً»[1].

ولقد حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر، واهتم بتقريره في كل موقع، ونبه إليه في كل مناسبة، **والسبب في ذلك يرجع إلى عدة أمور منها:**

١ ـ أن لليوم الآخر أثراً عظيماً في حياة الإنسان، لأن الإيمان به وبما فيه من جنة ونار، وحساب وعقاب وثواب، وفوز وخسران، له الأثر الأكبر في توجيه حياة الإنسان وانضباطه، وتقوى الله عز وجل، والتزامه بالعمل الصالح، وقد جاء ذلك البيان في كتابه الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات].

٢ ـ غفلة العباد وكثرة نسيانهم لليوم الآخر بسبب تثاقلهم إلى

(١) الإيمان أركانه حقيقته نواقضه ص٧٣.

الأرض بسبب «الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على المصالح والمتاع، والرغبة في الراحة والاستقرار»[(١)]، فيكون الإيمان به وما فيه من عذاب، ويعينهم ما يخفف من الانغماس في الدنيا وطلبها، فيعلم العباد أن شهوات الدنيا ولذاتها فانية لا تستحق الركون إليها فيتطلع إلى ما هو أعظم من ذلك، إلى ما أعده الله لهم في ذلك اليوم العظيم[(٢)]، ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة].

المعاني التربوية التي ينبغي غرسها في نفوس الناشئة تجاه الإيمان باليوم الآخر، ومن هذه المعاني:

١ ـ أن يغرس المربي في نفوس الناشئة أن الله تعالى يبعثهم يوم القيامة من الموت ليجدوا جزاء أعمالهم، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً، كما أخبر عن ذلك سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، فيشتد الموقف على الكفار والمنافقين فيعلوهم الحزن ويظهرون الحسرة والندامة[(٣)]، ويقولون: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس: ٥٢].

٢ ـ أن يغرس المربي في نفوس الناشئ أن الله تعالى يحشر الناس جميعاً بعد بعثهم وإخراجهم من قبورهم.

والحشر: هو الجمع[(٤)] كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، وقد بيَّن الرسول ﷺ الحال التي يحشر

---

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٦٥٥.

(٢) انظر: الإيمان أركانه حقيقته نواقضه ص٧٦.

(٣) انظر: تفسير السعدي ص٢٥٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١٥/٦٢٨، والمحرر الوجيز، لابن عطية ٤/ ٣٢، والتحرير والتنوير، لابن عاشور ١٦/١٦٨.

عليها الناس، فعن عائشة[(١)] ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**»[(٢)]، قلت: يا رسول الله ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»[(٣)].

وأخبر القرآن الكريم عن التفاوت الكبير بين المؤمنين المتقين والكافرين المجرمين يوم الحشر، فالمؤمنون يُقْدِمون على الرحمٰن وفداً في كرامة وتبجيل وحسن استقبال، وذلك بسبب ما قدَّموه من العمل بتقواه واتباع مرضاته: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم].

أما حال المجرمين فهم يساقون إلى جهنم عطاشاً على وجه الذل والصغار كما تساق القطعان[(٤)]: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم].

٣ ـ أن يغرس المربِّي في نفوس الناشئ أن الله تعالى أوجد في ذلك اليوم الجنة دار الكرامة والسعادة والخلود، خلقها الله تعالى ليثوب عباده المؤمنين، وأوجد النار التي أعدها الله للكافرين، ويتم ذلك الغرس عن طريق الترغيب في نعيم الجنة وما أعده الله فيها للمؤمنين كما جاء

(١) هي: عائشة بنت أبي بكر الصديق «أم المؤمنين»، زوج الرسول ﷺ وأشهر نسائه، تزوجها الرسول ﷺ قبل الهجرة بسنتين، كانت فقيه عالمة توفيت سنة (٥٧هـ)، وقيل: (٥٨هـ).

انظر: أسد الغابة ٧/ ١٨٦، وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني ٧/ ١٨٢.

(٢) غرلاً: جمع أغرل وهو الذي لم يختن.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث (٢٨٥٩).

(٤) انظر: روح المعاني، للألوسي ١٦/ ١٩٨، وتفسير الطبري ١٥/ ٦٣١، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٢، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١١/ ١٣٨ ـ ١٤٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٣/ ١٢٠، وتفسير السعدي ص٥٠٠، وفي ظلال القرآن ٤/ ٢٣٢.

في وصف هذا النعيم في كتابه الكريم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم]، ووصفه في موضع آخر: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الواقعة]، وفي ذلك ترغيب للناشئ لفعل الطاعة والحرص عليها والترهيب من النار وما فيها من العذاب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ﴾ [النساء: ٥٦].

وقال في موضع آخر: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصافات]، فشعور الناشئ بالخوف من ذلك تدفعه إلى «اتقاء عذاب الله في الحياة الآخرة، فالخوف من عقاب الله يدفع المؤمن إلى تجنب الوقوع في المعاصي وإلى التمسك بالتقوى والانتظام في عبادة الله وعمل كل ما يرضيه»[1]: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة].

٤ ـ تربية الناشئ على قوة الإرادة وإيثار الآخرة على الدنيا، لأن مغريات الحياة الدنيا ومكائد الشيطان وأتباعه من الإنس لا علاج لها إلا ما يربيه القرآن في النفوس من إيثار الآخرة، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَن

(١) القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي ص٧٢.

طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

الركن السادس: الإيمان بقضاء الله وقدره:

عرّف العلماء القضاء بأنه: «علم الله تعالى الأزلي بكل ما أراد إيجاده من العوالم والخلائق والأحداث والأشياء وتقدير ذلك الخلق، وكتابته في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ كما هو يقضي بوجوده في كميته وكيفيته وصفته...»(١).

«والقَدَر بفتح الدال: تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق له علمه واقتضته حكمته»(٢).

فالإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان العقيدة الإسلامية، وينبغي غرسه في عقيدة الناشئ ليؤمن به، خيره وشره، حلوه ومرّه. يقول الإمام البغوي(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ في الإيمان بالقدر: «الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خلق أعمال العباد خيرها، وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن خلقهم... فالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، كلها بقضاء الله وقدره، وإرادته ومشيئته، غير أنه يرضى الإيمان والطاعة ووعد عليهما الثواب، ولا يرضى الكفر والمعصية وأوعد عليهما العقاب»(٤).

---

(١) انظر: عقيدة المؤمن ص٣٤٥. (٢) رسائل في العقيدة ص٣٧.
(٣) هو: الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي يعرف بابن الفراء، ويلقب بمحيي السُّنَّة، وركن الدين، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، له مصنفات كثيرة منها: «معالم التنزيل في التفسير»، و«شرح السُّنَّة». مات سنة (٥١٦هـ) بمرو وقد جاوز الثمانين. انظر: طبقات المفسرين، للداودي ص١١٣، وفيات الأعيان ٢/ ١٣٦.
(٤) شرح السُّنَّة البغوي، كتاب الإيمان، باب القدر ١/ ١٤٢.

وقد تقدم الحديث عن وجوب الإيمان بالقدر في الحديث السابق عندما سأل جبريل عليه السلام الرسول ﷺ عن الإيمان ـ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

المعاني التربوية التي ينبغي غرسها في نفوس الناشئة تجاه الإيمان بالقضاء والقدر:

١ ـ تربية الناشئة على طلب السؤال من الله تعالى ولا يسأل غيره، وأن يستعان بالله وحده، فالدعاء يتوجه به إلى الله تعالى، فهو سبحانه المستحق لهذه العبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

٢ ـ تربية الناشئة على التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه «في جلب المصالح ودفع المضار عنهم، والثقة بالله في تحصيل المطالب، فلا خاب من توكل عليه، وأما من توكل على غيره فإنه مخذول غير مدرك لما أمل، فهو سبحانه المتولي للأمور الدينية والدنيوية»(٢).

وأن ما يصيب العبد في دنياه من الضر والنفع كله مقدر عليه وكتبه الله له، ولا يستطيع الخلق ولو اجتمعوا على تغييره، وقد جاءنا تأكيد ذلك والحث عليه في كتاب الله العزيز: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقوله ﷻ في موضع آخر: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام]، «فالأمر كله لله لا يملك أحد معه منه شيئاً، فلا يأتي

(١) سبق تخريجه.
(٢) تفسير السعدي ص٣٣٩ بتصرف.

بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه، ولا يضر سم ولا سحر ولا شيطان ولا حيوان ولا غيره إلا بإذن ومشيئته»[(١)].

وقد جمع الرسول ﷺ هذه المعاني القيمة في مواعظ تربوية في حديثه عليه السلام مع ابن عباس[(٢)] رضي الله عنهما الذي روى هذه المواعظ بقوله: «كنت خلف النبي ﷺ فقال لي: **يا غلام إني أعلِّمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف**»[(٣)].

٣ ـ تربية الناشئة على الصبر على قضاء الله وقدره، ويستثمر المربي أسلوب الموعظة في تعميق ذلك في نفس الناشئ «عندما تظهر عليه علامات اليأس والملل والضيق لفقر أسرته وضيق ذات اليد، فيستغل المربي هذا الجانب ليدخل الرضا والطمأنينة على نفس الناشئ ليحفظه من الانحراف»[(٤)]، ويذكره بموعظة لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان]، فإذا صبر على ما نزل من مكروه «فإنه سيدفع مكائد الأعداء، أما من قلّ صبره غرب رأيه واشتد جزعه، فصار صريع همومه وفريسة غمومه»[(٥)]. «ويستغل المربي مفهوم القضاء والقدر أيضاً في تخفيف حدة

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر، لابن قيم الجوزية ص٥٣٥، ٥٣٦.

(٢) سبقت الترجمة له.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، عدنان حسن باحارث ص١٤٢.

(٥) أدب الدنيا والدين، علي بن محمد الماوردي ص٣٥٦.

الشعور بالنقص عند الولد المصاب بعاهة جسدية تعيقه كالشلل أو التشوه أو غيرها، فيبين له أن ذلك بقضاء الله وقدره ليجزيه على صبره أجراً»[(١)] قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

وبناء على ما تقدم ينبغي على المربين من آباء ومعلمين استثمار كل ما من شأنه تعميق العقيدة في نفوس الناشئة من وسائل وتقنيات حديثة كما أشرنا سابقاً لما للتطور المعلوماتي اليوم من دور كبير في غرس القيم لدى الناشئة، ولهذا ينبغي الاستفادة من الحاسوب وبرمجياته في حكاية قصص الأنبياء والصالحين التي أوردها القرآن الكريم من خلال برامج ممتعة للناشئة تغرس العقيدة في نفوسهم، ومن خلال استخدام وسائل التربية الهامة التي استخدمها القرآن الكريم في تربية عباده تربية متميزة مثل:

١ ـ التربية بالقدوة التي لها أكبر الأثر في التنشئة الصحيحة والتربية العقدية السليمة، والرسول ﷺ هو القدوة والمثل الأعلى الذي ينبغي على المربين الاقتداء به والسير على هداه وتطبيق سُنَّته تطبيقاً عملياً واقعياً مع أبنائهم، فهو عليه السلام يمثل الصورة الكاملة للمنهج القرآني الذي بعثه الله تعالى به وأمر عباده بالاقتداء به، قال عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

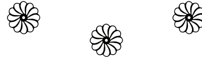
٢ ـ والتربية بالمثل كالترغيب في الأعمال الصالحة ومضاعفة الأجر عليها: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة]، وغيرها من الأمثلة.

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص١٤٣.

٣ ـ والتربية بالقصة كما جاء عن قصة ابني آدم وما فيها من دلالات تربوية من التحذير من ارتكاب الشر وتجنب الحسد بين الإخوة، قال تعالى: ﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [المائدة]، وغيرها من القصص التي ورد ذكرها في القرآن الكريم.

وينبغي الإشارة إلى أهمية مدارس وحلقات تحفيظ القرآن الكريم في تعميق الجانب العقدي في نفوس الناشئة وضرورة التحاق الناشئة بها فهي البداية الصحيحة لعقيدة متينة وسليمة لهؤلاء النشء، وحصناً منيعاً من موجات الزيغ والانحراف ووقاية من الوقوع فيها، ففيها يرتبط الناشئ بكتاب الله فيصبح ذاكراً حافظاً لكتابه ومطبقاً لتعاليمه.



المبحث الثاني كمال الإرشادات القرآنية وإحاطتها بالجوانب النفسية للناشئة في ضوء القرآن الكريم

❐ تمهيد:

اهتم القرآن الكريم بالجوانب النفسية للناشئة وبتربيتها، ابتداءً من البحث عن النفس ومكوناتها ومصيرها ودوافعها المختلفة، والعواطف البشرية من غضب وحلم ومودة، إلى رسم الطريق الصحيح أمام الناس وتوضيح السلوك الجيد من الرديء والبعد عن السمات السيئة من الحقد والغيرة والحسد والأنانية وغير ذلك[١].

فتربية الناشئة نفسياً تتطلب تربيتهم «منذ أن يعقلوا على الجرأة والصراحة، والشجاعة، والشعور بالكمال، وحب الخير للآخرين والتحلي بكل الفضائل النفسية على الإطلاق.

والهدف من هذه التربية تكوين شخصية الناشئة وتكاملها واتزانها حتى يستطيعوا إذا بلغوا سن التكليف أن يقوموا بالواجبات التي كلفوا بها على أحسن وجه، وإذا كان الناشئ منذ أن يولد أمانة بيد مربيه، فالله ﷻ في كتابه الكريم يأمرهم أن يغرسوا فيه منذ أن يفتح عينيه أصول الصحة النفسية التي تؤهله لأن يكون إنساناً ذا عقل ناضج، وتفكير متزن وتصرُّف حسن، وإرادة مستعلية»[٢]، وذلك ضمن إرشادات ربانية أرشدنا إليها ربُّ

(١) انظر: التربية المتكاملة للطفل المسلم ص٣٥١.
(٢) تربية الأولاد في الإسلام ١/ ٢٣١ بتصرف.

العزَّة نعمل بها ونطبقها عملياً حتى تتحقق التربية النفسية بشكل صحيح لأن النفس هي محرك الإنسان نحو تحقيق أهدافه وإشباع حاجاته على قدر المستطاع فيلزم تدريبها وتربيتها، وعليها يتوقف فلاح الإنسان أو الخيبة والخسران، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس].

❐ أهم الجوانب النفسية للناشئة التي اهتم بها القرآن الكريم:

أولاً: اختيار الاسم الحسن وأثره في نفسية الناشئة:

الاسم الجميل للإنسان يريح صاحبه ويفرحه ويفتخر به، وقد اعتنى الإسلام بتسمية الأولاد تسمية حسنة، فمن حق الابن على أبويه أن يعطوه اسماً جميلاً، له معنى محبَّب؛ لأن الولد سيحيا في نطاق المجتمع، ولأنه «سيتأثر نفسياً بنوع الكنية أو الاسم الذي يعطى له، فتتأثر رؤيته لنفسه بذلك فلا بد أن يكون ذا قدر وقيمة في كل شيء ومن ذلك حمله لاسم لائق. وذلك لأن بعض الأطفال يعانون من أسمائهم لأنها تحمل معاني لا تعجبهم، فتتأثر نفسياتهم ويتعرضون لأوقات وظروف عديدة من البؤس والتعاسة، وذلك لأن أول كلمة يتعلمها الطفل عادة، أو يحاول أن يكتبها هي اسمه، فإذا كان جميلاً انعكس ذلك عليه بهجة وسعادة وإن كان ذميماً وقبيحاً انعكس عليه بؤساً وشقاءً»(١)، وتعرض لسخرية الناس، إذ يعيبون عليه بالقول والإشارة، هازئين، غامزين، وهذا الموقف له أثره في نفسية الناشئ.

ومن هنا جاء الوعيد في القرآن الكريم: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة]، ليرفع أخلاق الناس ويصحح تعاملهم، فيحيَوْن فيما بينهم

---

(١) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٥٧.

على أساس من القيمة والواقعية»[١].

وحفاظاً على نفسية الناشئ وحتى لا يتعرض لهذه الأمور، فقد أرشد الله ﷻ إلى ما يتوجب فعله عند قدوم المولود الجديد من اختيار اسم جميل له يدعى به بين الناس ويميزه عن غيره من الأشخاص، كما أخبرنا الله ﷻ ببشارته ﷻ لزكريا عليه السلام بغلام اسمه يحيى، قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم].

وهذا الاسم «منَّة من الله وإكراماً لزكريا إذ جعل اسم ابنه مبتكراً. وللأسماء المبتكره مزيَّة قوة تعريف المسمى لقلة الاشتراك إذ لا يكون مثله كثيراً مدة وجوده، وله مزية اقتداء الناس به من بعد حين يسمون أبناءهم ذلك الاسم تيمناً واستجادة»[٢].

وحسن التسمية فيه نوع من الحب، وجاء التوجيه أيضاً من الرسول ﷺ إلى ذلك، فعن أبي الدرداء[٣] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تُدْعَون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم**»[٤].

وهذا الحرص والتأكيد من الشريعة الإسلامية لحسن اختيار الاسم يعود إلى الارتباط الوثيق بين الاسم والمسمَّى، كما أشار إلى ذلك الإمام

---

(١) انظر: حق الوالدين على الأبناء وحق الأبناء على الوالدين، يوسف بديوي ص١١٧.

(٢) التحرير والتنوير ١٦/ ٦٩.

(٣) هو: عويمر بن عبد الله، وقيل: ابن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، وقيل: عويمر بن قيس بن زيد، أبو الدرداء الخزرجي، له عن النبي ﷺ عدة أحاديث، أسلم يوم بدر وشهد أُحداً وأبلى فيها، قال عنه الرسول ﷺ يوم أُحد: «**نعم الفارس عويمر**»، وله مناقب وفضائل كثيرة جداً. مات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين هـ بدمشق. انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٧٤، وتهذيب التهذيب ٥/ ١٦٢.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، رقم الحديث (٤٩٤٨)، وضعفه الألباني في سنن أبي داود ص٧٤١.

ابن القيم[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فذكر أن هناك علاقة وارتباطاً بين الاسم والمسمى، وأن للأسماء تأثيراً على المسمّيات وبالعكس[٢]، إن صاحب الاسم الحسن يحمله اسمه ويدفعه إلى فعل المحمود من الأفعال وذلك حياء من اسمه لما يتضمنه من المعاني الحسنة[٣].

ففي قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ [مريم]، «كان اسماً موافقاً لمسمَّاه، يحيا حياة حسية فتتم به المنة، ويحيا حياة معنوية وهي حياة القلب والروح بالوحي، والعلم، والدين»[٤].

ما يستحب من الأسماء وما يكره:

إن مما يجب أن يهتم به المربي عند تسمية الولد أن ينتقي له من الأسماء أحسنها وأجملها، لأن ذلك من حقوقه الأولى على ولي أمره ومراعاة للأثر النفسي الذي يتركه الاسم كلما ناداه به مُنادٍ أو دعاه به داع[٥].

١ ـ الأسماء المستحبة:

ومما يدل على ذلك قوله ﷺ عن ابن عمر[٦] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحب أسمائكم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ عبد الله**

---

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم ٢/ ٣٣٦.

(٣) انظر: تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم ص٢٥٠.

(٤) تفسير السعدي ص٤٩٠.

(٥) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان ١/ ٦٥ ـ ٦٦، وتربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها وثمارها ص٦٩.

(٦) هو: عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، كان كثير الاتباع لآثار الرسول الكريم حتى أنه ينزل منازله ويصلي في كل مكان فيه، توفي سنة (٧٣هـ). انظر: أسد الغابة ٣/ ٣٣٦، وتهذيب التهذيب ٣/ ٥٧٩.

وعبد الرحمٰن»[١].

ومن فائدة هذه التسمية أن الطفل إذا وعى وعقل أدرك أنه عبدُ الله وأن الله تعالى هو إلهه ومولاه[٢].

وأيضاً ما روي عن أبي وهب الجشمي[٣] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تسمّوا بأسماء الأنبياء»**[٤].

وقال أيضاً: **«تسمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي، فإنما أنا أبو القاسم أقسم بينكم»**[٥]، ومن هنا شاع بين الناس أن (خير الأسماء ما حُمِّد وعُبِّد) للحديثين السابقين، ومثله (إذا سمَّيتم فعبِّدوا) و(أحبُّ الأسماء إلى الله ما تعبّد له) قال السخاوي[٦]: «وأما ما يذكر على الألسنة خير الأسماء ما حُمِّد أو عُبِّد فباطل»[٧].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء، رقم الحديث (٢١٣٢).

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود ص٣٨٩.

(٣) هو: أبو وهب الجشمي، له صحبة عن النبي ﷺ في الخيل، سكن الشام، وروى عن النبي ﷺ. . انظر: أسد الغابة ٦/ ٣٢٣، والإصابة ٤/ ٢٤٠٢.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، رقم الحديث (٤٩٥٠)، وقال الألباني في سنن أبي داود ص٧٤٢: صحيح دون قوله: تسمّو بأسماء الأنبياء.

(٥) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ: **«سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»**، حديث رقم (٦١٨٨)، ومسلم، كتاب الأدب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم، حديث رقم (٢١٣١).

(٦) هو: محمد بن عبد الرحمٰن بن محمد السخاوي الأصل القاهري المولد، الشافعي المذهب، نزل الحرمين الشريفين، وحفظ القرآن وهو صغير، من تصانيفه: «الجواهر والدرر في ترجمة الشيخ ابن حجر»، و«المقاصد الحسنة»، و«فتح المغيث بشرح ألفية الحديث»، توفي سنة (٩٠٢هـ) بالمدينة.
انظر: شذرات الذهب، عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي ٨/ ١٥/ ١٧.

(٧) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعجلوني ١/ ٩٥.

٢ ـ الأسماء التي يُكره التسمية بها:

كما على المربي «أن يجنِّب ابنه الأسماء التي فيها يُمن أو تفاؤل حتى لا يحصل كدر عند مناداتهم وهو غائبون بلفظ «لا» ـ كالتسمية بأفلح ونافع، ورباح، ويسار»[١]، فعن سمرة بن جندب[٢] ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «... **لا تُسمِيَنَّ غلامك يساراً ولا رباحاً ولا نجيحاً، ولا أفلح. فإنك تقول: أثَمَّ هو؟ فلا يكون، فيقول: لا، إنما هُنَّ أربَعٌ فَلا تَزيدُنّ عَلَيَّ**»[٣].

وهذا إرشاد من نبي الرحمة ﷺ لأمته إلى منعهم من الأسباب التي توجب لهم سماع المكروه ووقوعه؛ لأنهم قد يتطيَّرون بذلك، «والطِّيَرة»[٤] منهي عنها، فيعلمهم أن يعدلوا إلى أسماء يحصل بها المقصود من غير مفسدة، وقد صرَّحت السيدة عائشة أم المؤمنين[٥] ﵂: «أن الرسول ﷺ كان يُغيّر الاسم القبيح إلى اسم حسن»[٦]، وممّا يشهد

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام ١/ ٦٧.

(٢) هو: سمرة بن جندب بن هلال بن جريج بن مُرّة بن حزن بن عمرو بن جابر الفزاري يكنى بأبي سليمان، نزل البصرة وكان زياد ابن أبيه يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة، وكان شديداً على الخوارج وقتل منهم جماعة، وكان الحسن وابن سيرين يثنيان عليه ﵁. مات سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة تسع وخمسين.. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٩٥، والإصابة ١/ ٧٦٧.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الآداب، باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة، حديث رقم (٢١٣٧).

(٤) مضادة للفأل، وكانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد، فأثبت النبي ﵇ الفأل واستحسنه وأبطل الطيرة ونهى عنها، والطيرة من أطيرت وتطيرت، انظر: لسان العرب ٩/ ١٧٣.

(٥) سبقت الترجمة لها.

(٦) رواه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في تغيير الأسماء، رقم الحديث (٢٨٣٩). قال الترمذي: مرسل، قال الشيخ الألباني: صحيح في سنن الترمذي ٦٣٥.

لذلك حديث عبد الله بن عمر[١] رضي الله عنهما: «أن ابنة لعمر كان يقال لها: عاصية، فسمّاها رسول الله ﷺ: جميلة»[٢].

«وقد نهانا رسول الله ﷺ كذلك عن الأسماء المشتقة من ألفاظ تحوي في مضمونها معاني التشاؤم والغلظة ليسلم الطفل وأهله من مصيبة هذه التسمية ونكدها»[٣]، فقد روي عن سعيد بن المسيّب[٤] عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ وسلم فقال: «**ما اسمك**؟ قلت: حَزَن، فقال: **أنت سهل**، قال: لا أغير اسماً سمَّانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة[٥] فينا بعد»[٦].

كما أن النبي ﷺ نهانا عن الأسماء التي فيها تزكية للنفس لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

عن محمد بن عمرو بن عطاء[٧]، قال: سمَّيت ابنتي برَّة، فقالت

---

(١) سبق الترجمة له.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، رقم الحديث (٢١٣٩).

(٣) تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها وثمارها ص٧٠.

(٤) هو: أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، الإمام، العلم، أبو محمد، عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه بالمدينة، كان رجلاً صالحاً فقيهاً وكان لا يأخذ العطاء، مات سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد وهو ابن خمس وسبعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٣٥، وتهذيب التهذيب ٢/ ٦٨٩.

(٥) الحزْنُ: ما غلظ من الأرض، والجمع: حزون، وفيها حزونة، وقد حزن المكان حزونة، جاؤوا به على بناء ضدّه، وقيل: الحزن المكان الغليظ وهو الخشن. انظر: لسان العرب ٤/ ١١٠.

(٦) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب اسم الحَزْنِ، رقم الحديث (٦١٩٠).

(٧) هو: أبو عبد الله محمد بن عمرو بن عطاء العامري، روى عن أبي حميد الساعدي وابن عباس وأبي هريرة، وروى عنه أبو الزناد، وموسى بن عقبة وابن إسحاق، مات بالمدينة سنة (٥٤هـ). انظر: تهذيب التهذيب ٥/ ٧٧١.

لي زينب بنت أبي سلمة(١): إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم، وسُمِّيتُ بَرَّة، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم**»(٢)، فقال: ما نسمِّيها؟ قال: «**سمُّوها زينب**». والقرآن الكريم ينهى أن يلقب الولد بألقاب ذميمة مثل الأعور والأخرس والأطرش، والقزم.... ونحو هذا، وبيَّن أن هذا من ظلم الإنسان لأخيه لما يسببه له من التحقير أو الحُزن أو السخرية والاستهزاء، وتتولد لديه مركبات الشعور بالنقص وآفات العقد النفسية، فلا عجب أن نراه في حالة يرثى لها من الصراع النفسي والحقد الاجتماعي والنظرة المتشائمة للحياة، وما يترتب على ذلك من الحقد والبغضاء بين الناس(٣).

وإن كل هذه الأمور نهى عنها الدين الإسلامي وصرح بها في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

٣ ـ الأسماء المنهي عنها:

وعلى المربي أن يُجنب ابنه الأسماء المختصه بالله سبحانه وتعالى، فلا تجوز التسمية بالأحد ولا بالصمد ولا بالخالق ولا بالرزاق، ولا التسمي بملك الملوك وشاهنشاه ونحو ذلك، فعن أبي هريرة(٤) رضي الله عنه عن النبي ﷺ

---

(١) هي: زينب بنت أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عمرو بن مخزوم المخزومية، ربيبة رسول الله ﷺ، أمها أم سلمة بنت أبي أمية، ولدت بالحبشة وتزوج الرسول عليه السلام أمها وهي ترضعها، وقد حفظت عن النبي ﷺ وروت عنه وعن أزواجه. توفيت قريباً من سنة أربع وسبعين. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٥، والإصابة ٤/ ٢٥٢١.

(٢) رواه مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن، رقم الحديث (٢١٤٢).

(٣) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان ١/ ٢٥٤، وتربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها وثمارها ص٧١.

(٤) سبق الترجمه له.

قال: «**إن أخنع**[(١)] **اسم عند الله رجل يسمَّى ملك الأملاك**»[(٢)]، وأيضاً ما رُوي عن أبي شريح[(٣)] رضي الله عنه أنه كان يسمَّى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «**إن الله هو الحكم وإليه الحكم، فلمَ تكنى بالحكم؟**»، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أحسن هذا، فما لك من الولد؟**»، قال: شُريح، مسلم، عبد الله، قال: «**فمن أكبرهم؟**»، قال: قلت: شريح، قال: «**فأنت أبو شريح**»[(٤)].

الحكمة من استحباب الاسم الحسن والنهي عن القبيح:

من خلال النصوص المتعددة التي تدعونا إلى اختيار الاسم الحسن وترغِّب فيه، وتنهى في المقابل عن الاسم القبيح وتنفِّر منه، تظهر لنا بعض الحِكم التي يستحسن لنا أن نقف عليها لما فيها من معانٍ وتوجيهات طيبة، **ومنها:**

١ ـ أن المرء يدعى بهذا الاسم في حياته الدنيا وسيدعى به في الآخرة على رؤوس الخلائق، وهو ما يعرف به ويميزه عن غيره.

٢ ـ أن الاسم مثار إيحاء المعاني الخيِّرة التي يحملها كلما هتف به هاتف أو دعاه به داع، فيطبع فيه آثار هذه المعاني الطيبة حتى تصبح له خُلقاً حميداً يتخلَّق به.

---

(١) أي: أذلها وأوضعها. انظر: لسان العرب مادة: (خ ن ع) ٥/ ١٦٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله، رقم الحديث (٦٢٠٦)، ومسلم، كتاب الأدب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، حديث رقم (٢١٤٣)، بلفظ: إن أخنع.

(٣) هو: أبو شريح الخزاعي، الكعبي، خويلد بن عمرو بن صخر بن عبد العزى بن معاوية من بني عدي بن عمرو بن ربيعة، أسلم قبل الفتح، روى عن النبي ﷺ أحاديث، مات بالمدينة سنة ثمان وستين. انظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٣٩٣، والإصابة ٤/ ٢٢٦٣.

(٤) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، رقم الحديث (٤٩٥٥). وصححه الألباني في سنن أبي داود ص٧٤٢، وقال: حديث صحيح.

٣ ـ إن في الاسم عامل حثٍّ لصاحبه للتأسي بمن سُمِّي به من الصالحين والمبدعين، فيقتدي بهم في حياته، ويسير على دربهم، ويتشبه بحالهم.

٤ ـ أن الطفل وأهله يَسْلَمون من الأسماء التي فيها معاني الشؤم والحزن والمصيبة؛ فلا تتأثر النفوس بذلك ولا ينعكس ذلك على السلوك.

نخلص في مسألة حسن اختيار الاسم للولد أن القرآن الكريم قد سلط الضوء على أهمية اختيار الاسم الحسن للولد كما ظهر في آية مريم، أما التفصيل في هذه المسألة فقد غذته السُّنَّة النبوية المطهرة، التي اختارت أسماء يحسن التسمية بها، وذكرت أسماء يحسن اجتنابها، وأسماء يحرم التسمية بها، أما الآثار التربوية لكل ذلك فقد ظهر لنا منها أن الاسم الحسن ذو إيحاء بالمعاني الخيرة الكامنة فيه مما يترك أثره على سلوك الناشئ، فإن كان الاسم موافقاً لاسم أحد الصحابة أو فضلاء التابعين فالإيحاء يكون بتمثل صاحب الاسم الأصلي في أفعاله وصفاته. وأخيراً فإن ترك التسمية بالرديء من الأسماء تجنيب للناشئ للكثير من العقد النفسية التي تنشأ عن تلك التسمية الخاطئة.

ثانياً: الرحمة والحب للناشئة:

إن الرحمة صفة كريمة، وهي عاطفة حية نابضة بالحب والرأفة، وهي في أفقها الأعلى وامتدادها صفة المولى تباركت أسماؤه[1]، «فبرحمته يدخل المؤمنون في جنته، وبرحمته يغفر للمسيئين، وبرحمته يستجيب للمضطرين، وكثير من أسماء الله الحسنى تنبع من معاني الرحمة والكرم، والفضل والعفو»[2]، فهو سبحانه خير الراحمين: ﴿وَقُل رَّبِّ

---

(١) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي ص١٨٧.

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمٰن حسن حبنكة ١٦/٢.

ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ [المؤمنون]، «فالرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف»[1]، وقد تمثلت الرحمة في شخص الرسول ﷺ المبعوث رحمة للعالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

والرحمة بالأولاد من أهم الغرائز التي فُطر عليها الإنسان وجعلها الله أساساً من أسس الحياة النفسية تتطلبها وتقوم عليها، وتتحمل الأسرة وقوامها الأبوان مسؤولية رحمة الأولاد ومحبتهم والعطف عليهم، فبها ينشأون نشأة نفسية صحيحة، تعمر قلوبهم الثقة ويشيع في نفوسهم الصفاء[2].

والرحمة بالناشئة تتجلّى في **عدة مظاهر أهمها**:

١ ـ الرحمة بالصغار:

وقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع الأمثلة في الرحمة حيث كان يعامل الصغار بكل رأفة وشفقة ورقة، فيقبِّلهم ويمسح على رؤوسهم ويحملهم على ظهره، فقد كان يقرِّب الحسن[3] والحسين[4] ويقبِّلهما وغيرهما من الصغار، ويعطيهم من الحنان والشفقة ما يحتاجون، ومن الأمثلة على رحمته بالصغار، أن الرسول ﷺ كان يأخذ أسامة بن زيد[5] فيقعده على

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن ص١٩٧.

(٢) انظر: شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسُّنَّة، محمد علي الهاشمي ص٩٥.

(٣) سبقت الترجمة له.

(٤) هو: الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عبد الله، الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ. قُتل يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، واختلف في سن الحسين يوم قتله، فقيل: قتل وهو ابن سبع وخمسين، وقيل غير ذلك. انظر: الاستيعاب ١/٣٩٦، والإصابة ٢/٨١.

(٥) هو: أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى، يكنى أبا محمد وقيل: أبو زيد، وهو مولى الرسول ﷺ، أمه أم أيمن، حاضنة النبي ﷺ، سكن المزّة ثم انتقل إلى المدينة، له فضائل كثيرة وأحاديثه شهيرة، توفي بالمدينة سنة (٥٤هـ) وهو ابن (٧٥) سنة.
انظر: أسد الغابة ١/١٩٥ ـ ١٩٦، وتهذيب التهذيب ١/١٩٨.

فخذه ويقعد الحسن بن علي[١] على فخذه الآخر ثم يضمهما، ثم يقول: **اللَّهُمَّ ارحمهما فإني أرحمهما**»[٢]، وفي هذا الحديث الشريف بيّن لنا الرسول ﷺ الأسلوب العملي لكيفية إمداد الصغير بالحنان والرحمة والعاطفة من الوضع على الفخذ، والضم، والدعاء، وهذا الأسلوب في التعامل يؤدي إلى غرس الرحمة في قلوب الناشئة وتعويدهم عليها[٣].

وتقبيل الولد يعد من مظاهر الرحمة بالصغير والشفقة به، وكذا الشم والمعانقة[٤]، ومن خلا قلبه من ذلك فإنه لا يكون من أهل الرحمة، فقد قبّل الرسول ﷺ الحسين بن علي[٥] وعنده الأقرع بن حابس التميمي[٦] جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»[٧].

٢ ـ الرحمة باليتيم:

اليتيم[٨] فرد من أفراد المجتمع، وهو في حاجة إلى رعاية الآخرين من حوله، فله حق على المسلمين بكفالته وبره وجبر خاطره وتأديبه

---

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ، رقم الحديث (٦٠٠٣).

(٣) انظر: علم النفس الدعوي، عبد العزيز النغيمشي ص١٩٤.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ٧/ ١٤٧.

(٥) سبقت الترجمة له.

(٦) هو: الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي الدارمي، وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة، وحنين والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حسن إسلامه، قتل باليرموك. انظر: الإصابة ١/ ٦٤.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم الحديث (٥٩٩٧)، ومسلم كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال، حديث رقم (٢٣١٨).

(٨) اليتيم: هو الذي مات أبوه فهو يتيم حتى يبلغ، والجمع: أيتام ويتامى. انظر: لسان العرب ١٥/ ٣٠٨، والتعريفات للجرجاني ص٢٥٨.

وتربيته أحسن تربية، وقد أوصى الله ﷻ بالإحسان إليه والحنو والعطف عليه[١]: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، والوصية باليتيم وذلك لأنه فرد ضعيف عديم النصير[٢] يحتاج إلى من يرعاه ويعطف عليه ويشعره بالمحبة والرحمة.

وقد جاء التوجيه القرآني في مواضع متعددة بضرورة الرحمة باليتيم وتجنب كل ما يؤثر في نفسيته **منها**:

- إكرام اليتيم والنهي عن قهره وإذلاله وتحقيره، وأمر الله ﷻ بالإحسان إليه والتلطف به وبره[٣]، فجاءت الوصية بالرحمة به في كتابه العزيز: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الضحى]، والقهر المنهي عنه هو «القهر الذي لا يعامل به غير اليتيم»[٤].

- عدم معاملته بالقسوة والعنف ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون]، وقد نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب، فكان ينحر كل أسبوع جزورين فآتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ ...﴾[٥]، فالدفع العنيف والزجر القبيح الذي يهين اليتيم ويؤذيه إنما يدل على قساوة القلب وخلوه من الرحمة والشفقة، فهذا تأكيد من الله تعالى على حسن معاملة اليتيم واجتناب مثل هذه الأفعال التي لها من الأثر الكبير في سلامة نفس اليتيم، وفيها تحذير للمسلمين من الاقتراب

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص١٧٨. (٢) انظر: التحرير والتنوير ٤/ ٥٠.
(٣) انظر: روح المعاني ١٥/ ٢٩٣، تفسير الطبري ٢٤/ ٤٩٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٩١، وتفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٧.
(٤) التحرير والتنوير ١٥/ ٤٠٢.
(٥) أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي ص٢٠٦.

منها لأنها من صفات الذين لا يؤمنون بالجزاء[١].

ـ أمر الله تعالى بالحفاظ على حقوقه والنفقة عليه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال ﷻ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٥].

ـ وبناء على ما سبق نجد أن الرحمة بالناشئة أمر مهم في تربيتهم تربية نفسية سليمة وأن يكون المربي متحلياً بها، وقد أوصى الله تعالى المؤمنين بهذا الجانب كما أمر رسول الله ﷺ به في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ففي هذه الآية الكريمة يبيِّن الله ﷻ لنا جانباً تربوياً مهماً «لأهمية العطف والرحمة، وبياناً لمضار القسوة والفظاظة والغلظة المنفرة للناس وعدم الصبر على معاشرة صاحبها وإن كثرت فضائله ورجيت فواضله، بل يتفرقون ويذهبون من حوله ويتركونه وشأنه»[٢]. وفي ذلك تذكير للمربين لتجنب هذه القسوة لما يترتب عليها من بُعد أبنائهم عنهم ونفرتهم منهم، مما يؤدي إلى عدم الاستقرار النفسي والخوف المستمر وعدم الشعور بالحب والحنان، فينشأ الصبي مضطرب الشخصية مسلوب الإرادة، وبالتالي فإنه لا يتعلم الرحمة والحنان والعطف، فلا يرحم غيره، لأن القسوة تجفف في داخل نفسه عاطفة الإحساس بآلام الآخرين وحاجاتهم ومراعاة مشاعرهم.

ثالثاً: العدل مع الناشئة:

حث المنهج القرآني على العدل «الذي يكفل تماسك الجماعات

---

(١) انظر: روح المعاني ١٦/ ٤٣٥، وتفسير السعدي ص٩٣٥، وفي ظلال القرآن ٦/ ٣٩٨٥، والتحرير والتنوير ٣٠/ ٥٦٥.

(٢) تفسير المنار ٤/ ١٦٢.

واطمئنان الأفراد، فهو يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الهوى ولا تتأثر بالود والبغض وإنما توسط لا إفراط ولا تفريط، وقد جاء الأمر الرباني بتحقيق العدل في المعاملة مع الخالق والمعاملة مع المخلوقات سواء في الأقوال والأفعال»[(١)]، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

ومن الواجبات المترتبة على المربين نحو أبنائهم أن يعدلوا بينهم، فالعدل في تربية الأولاد من أعظم العوامل التي تؤثر في سلوك الناشئ.

ومن مظاهر عدل الوالدين مع الناشئة:

ـ «العدل في المحبة بين الأولاد وتربيتهم على المحبة والعدل في العاطفة بينهم واجتناب تفضيل بعضهم على بعض بما يعده المفضول إهانة له ومحاباة لأخيه بالهوى، وفي تحقيق العدل اتقاء لوقوع التحاسد والتباغض بينهم كما جاء في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته»[(٢)]: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف].

وأيضاً لا ينبغي أن يحنو الوالدين على الأبناء الذكور دون الإناث فلا يقبِّل إلا الذكور، وإن تقبيل طفل صغير من قبل والديه أمام أخيه الصغير يحدث في نفسه جرحاً لا يلتئم، ويشعر بحرمان العاطفة التي فقدها، وهذا الحرمان يؤثر في نفسيته في المستقبل[(٣)]، وإذا التزم الوالد بالمساواة بين ابنه وابنته كان جزاؤه الوقاية من النار كما وعد بذلك الرسول ﷺ بهذا الجزاء، فعن عائشة[(٤)] قالت: دخلت امرأة معها ابنتان

---

(١) فتح القدير ٣/ ٢٣٦، وفي ظلال القرآن ٤/ ٢١٩٠ بتصرف، والتحرير والتنوير ٧/ ٢٥٥.

(٢) انظر: تفسير المنار ١٢/ ٢٢١.

(٣) انظر: الطفولة في الإسلام، سليمان عبيدات ص٧٧.

(٤) سبقت الترجمة له.

لها تسأل فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته، فقال النبي ﷺ: «**من ابتُلي من هذه البنات بشيء كن له ستراً من النار**»[(١)].

ولأن في هذه المساواة من قبل الأب بين الذكر والأنثى مخالفة لعادة الجاهلية التي تبدأ من الكراهية للأنثى وتتسع إلى دفنها وهي حية: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل].

العدل في العطية والهبة:

إن التسوية بين الأبناء في العطية دعا إليه: المربي الأول الرسول ﷺ حتى يتربى الأبناء على التراحم والتعاطف بينهم، وحتى لا يشبوا وهم يحقد بعضهم على بعض، فعن النعمان بن بشير[(٢)] أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت[(٣)] ابني هذا غلاماً، فقال: «**أكُل ولدك نحلت مثله؟**»، قال: لا، قال: «**فارجعه**»[(٤)].

وفي رواية: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**»، قال: لا، قال: «**فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، رقم الحديث (١٤١٨).

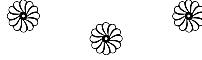
(٢) هو: النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، ولد قبل وفاة النبي ﷺ بثماني سنين وسبعة أشهر، روى عن النبي ﷺ، مات سنة ٦٥، وقيل: ٦٦. انظر: أسد الغابة ٥/ ٣١٠، وتهذيب التهذيب ٦/ ٥٥٧.

(٣) النِّحلة: العطية بغير عوض ولا استحقاق. انظر: فتح الباري ٤/ ٦٦، والنهاية في غريب الحديث ص٩٠٥.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب الهبة للولد، رقم الحديث (٢٥٨٦)، ومسلم كتاب الهبات، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، رقم الحديث (١٦٢٣).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب الإشهار في الهبة، رقم الحديث (٢٥٨٧).

ومما سبق تبين لنا أن للقرآن الكريم مواقف من قضايا حثَّ عليها، كرعاية الصغير واليتيم والرحمة بهما، وتحقيق العدل بين الأولاد في المحبة، وفي الهبات، وفي المعاملة على حد سواء، لينشأ الصبي نشأة بعيدة عن الشعور بالظلم والحقد وهو يترعرع في حبّ غامر من أبويه فينشأ نشأة سليمة.





المبحث الثالث
العلل والانحرافات النفسية الناتجة عن مخالفة المنهج القرآني في تربية الناشئة وعلاجها في ضوء القرآن الكريم

❏ تمهيد:

نظَّم القرآن الكريم شؤون الأسرة وعلاقات أفرادها حماية لهذه الأسرة وعملاً على تهيئة أحسن الظروف التربوية والنفسية حتى يعيش الناشئ في بيئة سويَّة خالية من المشكلات، قائمة على أسس من الصحة النفسية السليمة حتى تساعده على حسن التوافق النفسي في مراحل حياته وخاصة مرحلة الطفولة التي تعتبر من أهم مراحل حياة الإنسان وأكثرها خطورة، لما تتميز به عن غيرها من صفات وخصائص واستعدادات؛ إذ هي الأساس لمراحل تالية، وفيها تأخذ شخصية الطفل بالبناء والتكوين، وهي سنوات على درجة من الأهمية، «وخاصة السنوات الخمس الأولى في حياة الفرد، حيث توضع في هذه الفترة نواة وأسس بنيتها، وهذه الفترة هي التي يكون فيها الطفل داخل نطاق الأسرة ويتأثر بها كل التأثير، فإذا وضعت الأسرة في الطفل أسساً سوية، شب الطفل سوياً متمتعاً بالصحة النفسية وقادراً على التوافق السليم، أما إذا وضعت فيه أسساً غير سوية، شبَّ الطفل مريضاً عاجزاً عن التوافق السليم»(١). وتعرضه لبعض العلل والانحرافات النفسية التي حذر منها القرآن الكريم،

(١) الصحة النفسية للطفل والمراهق، وجدان عبد العزيز الكحيمي، وآخران ص١٠١.

وأرشد إلى الصحيح منها كما عرضنا في المبحث السابق. ومن هذه العلل على سبيل المثال: الرعاية الزائدة، والحنان المفرط، والتمييز في المعاملة بين الأبناء، وغيرها من العلل التي سأتحدث عنها من خلال هذا المبحث.

❐ أولاً: الخوف:

١ ـ الخوف في اللغة:

«الفزع، وخافه يخافه خوفاً وخيفة ومخافة، ومنه: التخويف والإخافة والتخوف، والنعت خائف وهو الفزِع»[(١)].

وقال ابن فارس[(٢)]: «الخاء والواو والفاء، أصل واحد يدل على الذعر والفزع، يقال: خفت الشيء خوفاً وخيفة، والياء مبدلة من واو لمكان الكسرة»[(٣)].

٢ ـ الخوف في الاصطلاح:

قال الراغب الأصفهاني[(٤)]: «هو توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة»[(٥)].

---

(١) لسان العرب ٥/ ١٧٩، وانظر: تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ٤/ ١٣٥٨.

(٢) هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب. أصله من قزوين وأقام في همذان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها سنة (٣٩٥هـ) وإليها نسبته، من أشهر كتبه: «مقاييس اللغة»، و«المجمل»، و«جامع التأويل» في التفسير.
انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠٣، والأعلام ١/ ١٩٣.

(٣) مقاييس اللغة ٢/ ٢٣٠.

(٤) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب، أديب، سكن بغداد، قال أبو نعيم عنه: كثير الحديث، وصاحب معرفة وإتقان، صنف عدة مصنفات منها: «الأخلاق»، «جامع التفاسير» «المفردات في غريب القرآن»، اختلف في سنة وفاته فقيل: (٣٦٩هـ)، وقيل: (٥٠٢هـ). وقيل غير ذلك. انظر: طبقات المفسرين ص١١٢، والأعلام ٢/ ٢٥٥.

(٥) المفردات في غريب القرآن ص١٦٦.

وقيل: «هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن، والتيقظ لنداء الوعيد، والحذر من سطوة العقاب»[(١)].

وقيل أيضاً هو: «توقع مكروه أو فوات محبوب، وقيل: حذر النفس من أمور ظاهرها يضره، وقيل: غم يلحق الإنسان مما يتوقعه من السوء»[(٢)].

والخوف في نظري نوعان:

خوف إيجابي مشروع يعدّ واقياً للإنسان من المخاطر، وخط دفاع ضد ما يواجهه من أخطار. **وخوف سلبي** ينشأ عن ترسب عادات سيئة في محيط البيت والأسرة تركت بصماتها على الناشئ، فينشأ سقيم النفس متردداً جباناً.

ومن أهم أسباب نشوء الخوف السلبي ما يلي:

١ ـ القسوة في التعامل مع الأولاد:

وتتمثل تلك القسوة بالغلظة المستمرة والتوبيخ المتواصل والازدراء والتحقير والسخرية والنهي والنقد والعقاب والمقاومة لرغبات الأطفال، فهناك من الآباء من يبدو صارماً في معاملته لأطفاله لدرجة أن كلمة (لا) تتردد دائماً على لسانهم عندما يقوم الأبناء بعمل من الأعمال، أو يطلب طلباً غير مقبول لديهم، وقد نهى الدين الإسلامي عن هذه القسوة لما لها من أثر سيئ في سلوك وخُلق الطفل من تقييده بأغلال الخوف والانكماش اللذين يظهران على تصرفاته وأفعاله[(٣)].

ولعل من أبرز أسباب التربية القاسية عند الآباء تأثرهم بما لاقوه

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية ص٣٦٢.
(٢) التعريفات ص١٠١، وانظر: التعاريف للمناوي ٢/٣٢٨.
(٣) انظر: الصحة النفسية، مصطفى فهمي ص١٠٥.

هم من سوء معاملة والديهم، أو محاولتهم تحقيق مطامح لم يستطيعوا تحقيقها في ذواتهم فأرادوا تحقيقها عنوة في أبنائهم، ومهما تكن أسباب لجوء الآباء إلى مثل تلك المعاملة القاسية، فإن الأهم ما تتركه تلك المعاملة من آثار على الناشئة، **وأبرز تلك الآثار والنتائج**:

١ ـ المبالغة في الأدب والاستكانة تحاشياً لقسوة التعامل من الوالدين، ويترتب عن هذا: شخصية ضعيفة غير قادرة على المناقشة وتحقيق الذات.

٢ ـ التوكل والاعتماد على الآخرين في كل شيء، وذلك لأن بعض الآباء لا يَدعُون أبناءهم يفكرون ويستخدمون عقولهم.

٣ ـ ضعف الثقة بالنفس والشعور بالعجز والقصور، لأن الطفل تعوَّد أن يكون تابعاً لا متبوعاً[١]، وضعف الثقة بالنفس لها مظاهرها على الناشئ، منها: «التردد، وانعقاد اللسان في المجتمعات، والتهتهة[٢]، واللجلجة[٣]، والانكماش، والخجل، وعدم القدرة على التفكير المستقل، وعدم الجرأة وتوقع الشر، وزيادة الحرص، ومن الغريب أن من مظاهره التهاون والاستهتار والنقد والسخرية من الآخرين. ولا شك في أن هذه الخصلة الهدامة المفككة للشخصية إنما تتكون في السنوات الأولى من حياة الطفل ويغرسها في نفسه أعز الناس وأقربهم إلى قلبه وهما الوالدان»[٤].

---

(١) انظر: الصحة النفسية، مصطفى فهمي ص١٠٥، ١٠٦، ومبادئ الصحة النفسية، محمد الطحان ص٣٠٧.

(٢) هي: التواء في اللسان مثل اللَّكْنَة. انظر: لسان العرب ٢/٢٤٢، والمعجم الوسيط ص٨٩ ـ ٩٠.

(٣) هي: التردد في الكلام، وأن يتكلم الرجل بلسان غير بيِّن. انظر: لسان العرب ١٣/١٧٢.

(٤) أسس الصحة النفسية، عبد العزيز القوصي ص٣٢٧.

ـ علاج ظاهرة قسوة الآباء في القرآن الكريم:

أولاً: إن القرآن الكريم منهاج قويم بتعاليمه القويمة الخالدة بما فيه من توجيهات، لمن كان في عنقه مسؤولية التوجيه والتربية ولا سيما الآباء والأمهات منهم، فهو يأمرهم جميعاً بأن يتحلوا بالملاطفة الرصينة والمعاملة الرحيمة حتى ينشأ الأولاد على الاستقامة ويتربوا على الجرأة واستقلال الشخصية حتى يشعروا أنهم ذوو تقدير واحترام وكرامة.

ومن هذه التوجيهات: الرحمة بالأولاد: وهي تتطلب رقة في القلب وحساسية في الضمير وإرهافاً في الشعور، وتستهدف الرأفة بالآخرين والتألم لهم، والعطف عليهم، وهي من المشاعر النبيلة التي أودعها الله في قلبَي الأبوين، وهو شعور كريم له في تربية الأولاد وفي إعدادهم وتكوينهم أفضل النتائج وأعظم الآثار.

والقلب الذي يتجرد من خُلق الرحمة يتصف صاحبه بالفظاظة العاتية، والغلظة اللئيمة القاسية، ولا يخفى ما في هذه الصفات القبيحة من ردود فعل في انحراف الأولاد[١]. ولهذا فقد بيَّن الله تعالى أنه قد جبل نبيَّه على الرحمة واللين والشفقة، فتأثر به الناس وأقبلوا عليه وأحبوه وانقادوا له، ولو كان قاسياً غليظاً لتفرّق الناس من حوله وأعرضوا، ولما استطاع أن يغيِّر في حياتهم وتوجهاتهم ومسالكهم[٢]، وقد جاء هذا البيان في كتابه العزيز: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فالمربي لا بد أن يكون رحيماً؛ «لأن الناس في حاجة إلى كنف

(١) انظر: تربية الأولاد، عبد الله علوان ١/٤٣ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ٢٧٨ بتصرف.
(٢) علم النفس الدعوي، عبد العزيز النغيمشي ص٣٠٠.

رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء»[١].

ويأمر سبحانه بالعفو ويمتدح من يفعله: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ومن الرحمة بالأولاد القول الحسن اللطيف عند التعامل معهم: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

«فالطفل الذي يخطئ ويعرف أن السَّوط ـ لا سواه في الدار ـ سيروح شارداً لا يرجع إلى الدار أبداً. ولكنه إذا علم أنه إلى جانب السوط يداً حانية، تُرَبِّت على ضعفه حين يعتذر من الذنب وتقبل عذره، فإنه سيعود»[٢].

وقد اهتم الرسول ﷺ بالرحمة وحرص على تحلي الكبار بها، فعن عمرو بن شعيب[٣] عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا**»[٤].

«إن تلبية الحاجات كلها من مأكل ومشرب ومسكن وغذاء فكري وفوقها المداعبة والملاعبة وحتى القبلة، تعتبر جميعها من الضرورات،

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٤٩٤، ٤٩٥ بتصرف.

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٤٧٠.

(٣) هو: عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي، أبو إبراهيم، سكن مكة وكان يخرج إلى الطائف، كان أحد علماء زمانه وهو من رجال الحديث. توفي بالطائف سنة ثماني عشرة ومائة.. انظر: تهذيب التهذيب ٥/ ٤٣، والأعلام ٥/ ٧٩.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، حديث رقم (٤٩٤٣)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، حديث رقم (١٩٢٠)، وصححه الألباني في سنن أبي داود ص٧٤١، وسنن الترمذي ص٤٣٩.

بل جزءاً من حقوق الطفل المترتبة على أبويه، وبالموازنة فيما بينها جميعاً ننشئ طفلاً سليماً»(١).

ثانياً: إن الله ﷻ قد حثَّ في كتابه الكريم على الرحمة والرفق بالأطفال، ولكنه ـ مع ذلك ـ وجه إلى استخدام العقوبة في الحالات التي تلزم الآباء استخدامها، «فالتربية بالعقوبة أمر طبيعي بالنسبة للبشر عامة والطفل خاصة، وذلك لأن الأجيال التي تنشّأ في ظل تحريم العقوبة ونبذ استخدامها أجيال مائعة لا تصلح لجديات الحياة ومهامها، والتجربة أولى بالاتباع من النظريات مهما كانت لامعة ومغرية، والعطف الحقيقي على الطفولة هو الذي يرعى صالحها في مستقبلها لا الذي يدمر كيانها ويفسد مستقبلها»(٢). ولا يعني ذلك استعمال العقوبة بشكل مطلق، ولكن حسب قواعد تنظم استعمال العقوبة بحيث تؤدي الغرض منها دون أن يتعرض المعاقَب للضرر الجسمي أو النفسي.

ومن هذه القواعد:

١ ـ **التدرج في استعمال العقوبة** من الأخف إلى الأشد: «فينبغي على الوالدين التدرج في العقوبة من الأخف، ويتمثل ذلك بالتوجيه إلى الخطأ والتنبيه عليه بالموعظة والنصيحة. وللقول الحسن والتوجيه قال تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣]. ثم يتم التدرج حتى المرحلة التالية من العقوبة.

٢ ـ **اللَّوم والتأنيب والتوبيخ**: إن لوم الناشئ وتأنيبه له تأثيره القوي

---

(١) الأسرة المسلمة ومواجهة التحديات المعاصرة ص٥٩.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦.

على نفسيته وذلك بأن يتضح أمامه خطأ عمله وتصرفاته فيلوم نفسه، ويدرك بأنه السبب فيما وصل إليه من خطأ، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢].

وعن أبي ذر[1] قال: «إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه، فشكاني إلى النبي ﷺ، فلقيت النبي ﷺ فقال: «**يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية**»[2].

٣ ـ **المقاطعة والهجر**: وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في عقاب الصحابة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم: وكان الهجر متمثلاً في عدم الكلام معهم أو تحيتهم أو مجالستهم، حتى أنزل الله في كتابه توبته عليهم، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ١١٨].

فمن الهجر مع الناشئة والمقاطعة: الإعراض عن الولد المسيء، وكذلك التعبيس في وجه المخطئ والمقصر دور عظيم في ردعه عن تقصيره، «وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على نوع من أنواع الإعراض وهو التعبيس، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ [عبس]».

٤ ـ **الضرب**: إن العقوبة بالضرب أمر أقره الإسلام، وهو يأتي

---

(١) هو: أبو ذر الغفاري: الزاهد الصادق، اختلف في اسمه واسم أبيه، والمشهور أنه جندب بن جنادة، كان من السابقين إلى الإسلام، وهو أول من حيّا النبي ﷺ بتحية الإسلام، كانت وفاته بالربذة سنة (٣١هـ)، وقيل التي بعدها. انظر: الاستيعاب ١/ ٢٥٢، والإصابة ٤/ ٢٢١٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، حديث رقم (٣٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل، رقم الحديث (١٦٦١).

بالمرحلة الأخيرة بعد الوعظ والهجر، وهذا الترتيب يفيد أن المربي لا يجوز له أن يلجأ إلى الأشد إذا كان ينفع الأخف، ولا يلجأ إليه إلا بعد اليأس من كل وسيلة للتقويم والإصلاح، وحتى لا تكون القسوة من الوالدين هي البداية والمنطلق الوحيد في تربية الأبناء.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

وعن عمرو بن شعيب(١) عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**»(٢).

والإسلام حين أقر عقوبة الضرب فإنه، أحاط هذه العقوبة بشروط حتى لا يخرج الضرب من الزجر والإصلاح إلى التشفي والانتقام، **وهذه الشروط**:

١ ـ الابتعاد عن الأماكن الحسَّاسة في الضرب مثل: الوجه، والرأس، والصدر، والبطن؛ لأن الضرب في هذه المواضع يؤدي في بعض الأحيان إلى أضرار بالغة قد تصل إلى درجة الوفاة.

٢ ـ التدرج في الضرب، فيكون في المرات الأولى غير مبرح وغير شديد وأن يكون على اليدين والرجلين بعصا غير غليظة، وأن تكون الضربات من واحدة إلى ثلاثة إذا كان الولد دون الحلم.

٣ ـ قيام المربي بضرب الولد بنفسه وعدم ترك هذا الأمر لأحد من

---

(١) سبقت الترجمه له.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم الحديث (٤٩٥)، وقال الألباني في سنن أبي داود ص٨٢: حديث حسن صحيح.

الإخوة أو من الرفقاء؛ حتى لا تتأجج بينهم نيران الأحقاد والمنازعات[١].

٤ ـ تجنُّب السخرية أثناء العقاب من الأولاد بسبب أخطائهم، وعدم السماح للأبناء الآخرين بالسخرية منه تطبيقاً لقوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١].

٢ ـ التدليل المفرط والترف الزائد:

إن التدليل المفرط «نوع من المبالغة في التساهل مع الطفل بحيث يستجيب الوالدان أو أحدهما لمطالبه مهما كانت هذه المطالب، ويغضُّون الطرف عن كل ما يرتكب من أفعال تقتضي التأديب والعقاب»[٢].

أسباب التدليل المفرط عند معاملة الأبناء:

١ ـ وجود الطفل بعد فترة طويلة من الزواج، أو كونه وحيداً بين عدد من الأخوات.

٢ ـ فقدان الأب ولجوء الأم للتدليل المفرط لتعويض الابن عن هذا الفقد.

٣ ـ شعور أحد الوالدين بالحرمان والسيطرة في أيام الطفولة، فيبالغ في التساهل مع أولاده وتوفير كل طلب لهم ليجنبه ما حصل له من قسوة أثناء الصغر.

٤ ـ تعوّد الأب أو الأم على التدليل منذ الصغر ويريدون أن يتبنوا نفس الدور في معاملة أبنائهم[٣].

---

(١) انظر: تربية الأولاد، عبد الله علوان ٢/ ٥٧٠ ـ ٥٧١.
(٢) مبادئ الصحة النفسية، محمد الطحّان ص٣٠٢، ٣٠٣.
(٣) انظر: المرجع السابق ص٣٠٢، ٣٠٣.

٥ ـ قيام الوالدين بأمور تزيد من التدليل عند الناشئة مثل عدم السماح للولد بالقيام بأعمال أصبح قادراً عليها اعتقاداً أن هذه المعاملة من قِبَلِ الشفقة والرحمة، وأيضاً إغراق الوالدين أبناءهم في حياة الترف والتنعم.

ويترتب على هذه المعاملة الوالدية آثار معينة في تكوين شخصية الناشئة، **ومن هذه الآثار**:

١ ـ عدم تحمل المسؤولية والحاجة الدائمة إلى المساندة والمعونة من الآخرين.

٢ ـ عدم التعاون مع الآخرين واعتياد الطفل الأخذ دون العطاء.

٣ ـ عدم الاعتماد على أنفسهم واتخاذ القرار لوحدهم والتخطيط لحياتهم بمفردهم.

٤ ـ عدم القدرة على مواجهة صعوبات الحياة والشعور بالإحباطات التي تعرضهم لبعض مظاهر الاضطراب النفسي، مثل قضم الأظافر، والأزمات العصبية، والتبول، وثورات الغضب(١).

٥ ـ حدوث الخجل وفقدان الشجاعة، وضعف الثقة بالنفس، والتدرج نحو الميوعة.

ـ علاج هذه الظاهرة في ضوء القرآن الكريم:

١ ـ العلاج عن طريق الاعتدال والتوسط في معاملة الناشئة، فقد امتدح الله ﷻ الأمة الإسلامية بأنها أمة وسطاً، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن الاعتدال التوسط بين القسوة والرحمة أو التدليل عند معاملة

(١) انظر: الصحة النفسية، مصطفى فهمي ص٩٨، ٩٩، ومبادئ الصحة النفسية ص٣٠٣، ٣٠٤.

الناشئ، بمعنى أن التربية الرقيقة الحانية كثيراً ما تفلح في تربية الأطفال على استقامة واستواء، ولكن التربية التي تزيد في الرقة واللطف والحنو تضر ضرراً بالغاً؛ لأنها لا تنشئ كياناً له قوام، وينبغي على الأم المسلمة أن تدرك بأنه لا شيء يحول بينها وبين عطاء الطفل حاجته الطبيعية من الحنان والحب والرعاية، وأنه إذا حُرم منها يفسد كيانه كله، وأن تدرك أن هناك قدراً مضبوطاً من الحب والحنان والرعاية، وهذا هو المطلوب، وأن الزيادة فيها كالنقص، فالزيادة تؤدي إلى التدليل، والتدليل يؤدي إلى رخاوة الكيان النفسي للطفل، والرخاوة عيب في البناء يؤدي إلى عدم تماسكه وعدم صلاحيته للاعتماد عليه في مهمات الأمور[١].

وينبغي أن يتجنب الوالدان تضارب آرائهما أمام الأولاد فلا يأمر الوالد بأمر وتأمر الأم بخلافه، لأن ذلك يشتت الأولاد ويحيرهم فلا يعرف الصواب من الخطأ، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر].

ومن التعارض بين الوالدين في معاملة أبنائهم بأن يظهر الأب بمظهر القسوة والأم بمظهر الرأفة، «وهذا من شأنه أن يولد نفور الابن من والده وقربه من والدته مما يدعوه للكذب للانفلات من العقاب وتبرير التصرفات، فلا بد من الاعتدال والتوسط في الأمور كلها، ولا بد من إشعار الصبي بمحبة والده وشفقته عليه، ومحبة والدته لأدبه وتحلِّيه بالفضائل وتخليه عن الرذائل»[٢].

ومن الاعتدال التوسط في الإنفاق على الأبناء: لأن من الأبناء من يضيع؛ بسبب تقتير الآباء وإسرافهم وذلك بحرمانهم الكثير من

---

(١) انظر: منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ٢/ ١١١.
(٢) انظر: الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم، سعيد عبد العظيم ص١٠٦، ١٠٧.

ضروريات الحياة حباً بالمال ورغبة في جمعه، وبالتالي يبتعد الابن عن فضيلة التوسط بأن يكون جشعاً نهماً ينتهب الأموال ويكثر من الإنفاق بلا مبرر، ويضيِّع ثروة والده، أو يكون شحيحاً مقتراً، فإن تلبية رغبات ومتطلبات الأبناء أمرٌ ضروري ولكن التوازن والتوسط هو المقصد الشرعي[(١)] استجابة لأمر الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان].

٢ ـ العلاج عن طريق «تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفس الأبوين والناشئة»:

فينبغي على الأبوين الاعتقاد بأن كل ما يصيب أولادهم من صحة أو مرض، أو ما يتعرضون له من نعمة أو شقاء، أو ما يقدر الله عليهم من نسل أو عقم أو ابتلاء بغنى أو فقر، إن كل ذلك بمشيئة الله وبقضائه وقدره[(٢)].

وقد أرشدنا ﷻ إلى ذلك في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد]، وقال سبحانه: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى].

وهناك تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفس الناشئ أيضاً وتنشئته منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله والعبادة له والتسليم لجنابه في كل ما يصيبه، ولا شك أن الناشئ إذا تربى على هذه المعاني وعوِّد عليها فإنه لا يخاف إذا ابتُلي، ولا يهلع إذا أُصيب، وإلى هذا أرشد القرآن الكريم

---

(١) انظر: تربية الأطفال في رحاب الإسلام، محمد الناصر، خولة درويش ص٢٧٤.
(٢) تربية الأولاد في الإسلام ١/٢٤٨.

حين قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ [قريش].

٣ ـ العلاج عن طريق تعويد الأبناء التقشف وعدم الاستغراق في التنعم:

ويجب على الوالدين تعويد أبنائهم عدم الاستغراق في التنعم حتى يشعر الولد بكيانه ووجوده وحتى يتحسس بواجبه ومسؤوليته، وإن إعداده وتنشئته على هذا المسلك إنما هو إعداد لما سيكون عليه عندما يكبر وما يكون عليه من واجبات ومسؤوليات تجاه أمته، فنحن نعد فتًى صغيراً لأن يكون بطلاً شجاعاً قادراً على خوض الصعاب وتخطي الأزمات.

فالإسلام قد نبَّه إلى ما سوف يحدث في آخر الزمان من الفتن وغربة الدين وتكالب الأعداء على المسلمين مما نشاهده في عصرنا هذا من الفتن المتلاحقة حتى أصبح المسلم في حيرة من أمره، ولكن السبيل والطريق إلى ذلك إعداد نشء قوي بُنِيَ على قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وينبغي تثبيت الإيمان في قلوب الناشئة من خلال قول الرسول ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله ﷻ من المؤمن الضعيف وفي كل خير. اِحرِص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو إني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[١].

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب الإيمان بالقدر والإذعان له، رقم الحديث (٢٦٦٤).

ومما يساعد على تقليل حذف ظاهرة الميوعة تغذية الناشئة بمغازي رسول الله ﷺ، ومواقف السلف البطولية، وتأديبهم على التخلق بأخلاق العظماء من القواد والفاتحين والصحابة والتابعين، ليتطبّعوا على الشجاعة؛ فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعلِّمون أولادهم مغازي رسول الله ﷺ كما يعلِّمونهم السورة من القرآن[(١)].

وذلك أكثر فائدة من سرد القصص الخرافية التي تجلب الخوف والفزع عند النشء وقد تؤدي بهم إلى أحلام مفزعة، ومن تلك القصص من سيرة أبناء الصحابة الكرام مواقف بطولية خالدة.

وأن يتجنبوا تخويفهم بالأشباح أو الظلام أو المخلوقات الغريبة عند بكائهم أو عند ارتكابهم سلوكاً غير مقبول؛ كتخويفهم بالغول أو الحرامي وغيرهم من المجهولات، والعمل على تحرير الطفل من شبح الخوف حتى ينشأ على الشجاعة والإقدام. وهكذا عندما يتربى الناشئة على هذه الخصال وعلى هذه التوجيهات القرآنية، فإن هذا الجيل يتحول من الخوف إلى الشجاعة، ومن الخور إلى العزيمة، ومن الخنوع والذلة إلى حقيقة العزة تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

٣ ـ المشاجرات بين الوالدين:

إن الشجار والصراع بين الوالدين يجعل الطفل يعيش في جو من الاضطراب وانعدام الأمن، بالإضافة إلى جانب فقده الثقة في والديه وفي سلطتهما مستقبلاً وفي الناس جميعاً، ويجعل الطفل في حيرة بين أمه وأبيه مما يعطيه فكرة سيئة عن الأسرة وعن الحياة الزوجية.

---

(١) انظر: البداية والنهاية ٣/ ٢٤٢.

فمن أسوأ ما يؤثر في نفس الطفل، الخلاف بين الأبوين على مسمع من الأطفال «الذي قد يصل أحياناً إلى الشتائم والاتهامات والألفاظ الجارحة التي تسبب للطفل القلق والاضطراب وعدم الشعور بالطمأنينة الضرورية والأمن اللازم لصحته النفسية.

كما أن الطفل يتعلم عن طريق المحاكاة ما يستوعبه عقله، وما تتشربه نفسه من ألفاظهما، وأخطر من ذلك إذا غرس كل من الأبوين في نفوس هؤلاء كره الآخر، فتصبح الأسرة وكأنها أحزاب متعارضة متصارعة»[(١)].

علاج ظاهرة المشاجرات بين الوالدين في القرآن الكريم:

ولهذا فقد دعا الله ﷻ في كتابه الكريم إلى أن تكون العلاقة بين الوالدين على أساس المودة والرحمة الثابتة والألفة العميقة كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم].

كما دعا إلى حسن المعاشرة بين الأب والأم لترفرف على الأسرة رايات الوئام والمحبة. فيتنفس الطفل هواء الأمن والطمأنينة في ظل أسرة تعيش في بحبوحة من الأمن، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وقال ﷺ: «**لا يفرك**[(٢)] **مؤمن مؤمنة إن كره منها خُلقاً رضي منها آخر**»[(٣)].

فإذا ما اشتد النزاع واستمر الخلاف وتحوَّل الأمر إلى شقاق، جاء

---

(١) تربية الأطفال في رحاب الإسلام، محمد الناصر، خولة درويش ص٦٥ ـ ٦٦.
(٢) الفرك: البغض. لسان العرب ١٠/ ٤٧٤.
(٣) رواه مسلم، كتاب الطلاق، باب الوصية بالنساء، رقم الحديث (١٤٦٧).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥].

وعند استمرار الخلاف بين الزوجين واستعصى الوفاق على الحكمين عمد الإسلام إلى التفريق بين الزوجين على أسس تضمن لكلٍّ منهما حقوقه قِبَلَ الآخر، وتضمن للأولاد أنسب مستوى من العيش الطيِّب بعد ما استحال عيشهم في كنف الأسرة، فبيّن أسس الحضانة ومقومات النفقة والولاية وغير ذلك من الأحكام»[١].

قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠]. وقال جل شأنه: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الطلاق].

ويعتبر الفراق بين الزوجين مخرجاً لإنقاذ الأطفال من الصراع النفسي، وحماية للناشئة من الضياع والتشرد، ورغبة في إيجاد نشء سوي لا يعتريه النقص النفسي ولا يتأرجح في سلوكه المستقبلي، ومن الواجب على الوالدين في خضم خلافاتهما ومحاولاتهما إنهاء حياتهما الزوجية ألا ينسيا دورهما كوليي أمر لهؤلاء الأطفال وواجبهما في التخفيف من حدة الانفصال المؤلم على أبنائهما.

□ ثانياً: الغيرة عند الناشئة:

تعريف الغيرة في اللغة:

قال ابن منظور[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الغَيرة بالفتح، المصدر من قولك: غار

---

(١) الأسرة المسلمة ومواجهة التحديات المعاصرة، عبد الله العميريني ص١٩ ـ ٢٠.

(٢) هو: محمد بن مكرم بن علي، وقيل: رضوان بن أحمد بن أبي القاسم بن حنيفة بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، اختصر كثير من كتب الأدب المطولة كالأغاني، =

الرجل على أهله، وغار الرجل على امرأته، والمرأة على بعلها، يقال: رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء، لأن فعله لا يشترك فيه الذكر والأنثى[(١)].

وقال ابن حجر[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغيرة بفتح المعجمة وسكون التحتانية بعدها راء، وقيل: هي مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص»[(٣)].

والغيرة في الاصطلاح: «كراهة شراكة الغير في حقه»[(٤)].

فالغيرة ليست سلوكاً ظاهرياً وإنما هي حالة انفعالية تتركب «من الغضب والحقد والخوف، كما أنها انفعال مكدر يشعر صاحبه به عندما يدرك وجود من ينافسه على مركز أو مكانة أو منصب أو حب أو أي شيء آخر، ويجد في حصول منافسه عليها حرماناً منها أو تهديداً له بالحرمان من الحصول عليها»[(٥)].

أسباب الغيرة عند الناشئة:

١ ـ المفاضلة بين الإخوة:

لقد صوَّر القرآن الكريم انفعال الغيرة الناتج عن هذه المفاضلة

= والعقد والذخيرة، كان عارفاً بالنحو، واللغة، والتاريخ، والكتابة، توفي في شعبان سنة (٧١١هـ).
انظر: أبجد العلوم، صديق الفنوجي ٣/ ١٠.

(١) انظر: لسان العرب ١١/ ١٠٨.

(٢) هو: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان بفلسطين، ولد وتوفي بالقاهرة، أقبل على الحديث وكثرت مصنفاته وكتبه، ومن أشهر مصنفاته: «فتح الباري»، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، و«الدرر الكامنة» وغيرها كثير توفي سنة (٨٥٢هـ).
انظر: الأعلام ١/ ١٧٨.

(٣) فتح الباري ٢/ ٥٦٤.

(٤) التعريفات ص١٦٣، وانظر: مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية ٣/ ٤٥.

(٥) مشكلات الطفل النفسية، محمد عبد المؤمن ص١٤٩، وانظر: القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي ص٩٨.

تصويراً رائعاً متمثلاً في غيرة إخوة يوسف عليه السلام، فقد كان يعقوب عليه السلام يخصّ يوسف عليه السلام وأخوه برعاية خاصة ويؤثرهما بالحب والعطف والحنان خاصة؛ «لصغرهما وموت أمهما، وهذا من حب الصغير وهي فطرة البشر»[١]، ولكن نار الغيرة اشتعلت في نفوس الإخوة واجتمعوا وتشاوروا بالقيام بأمر يبعد يوسف عن أبيه وعن حبه، وبالتالي يَخْلُ لهم وجه أبيهم ويتفرغ لهم بالشفقة والمحبة: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف].

٢ ـ القسوة والشدة في العقاب الذي يتبعه بعض الآباء في التفرقة بين الأطفال أو كثرة المديح والإطراء:

فالقسوة والشدة في العقاب «تدفع الأولاد إلى الفساد والكذب والنفاق خوفاً من الضرب والإهانة أو التوبيخ، وبسببها يتعلمون المكر والخداع والتظاهر بغير ما في نفوسهم، فتصبح تلك الصفات الفاسدة من طبائعهم»[٢]. وتعد هذه الأمور من أهم الأجواء التي تنتشر فيها الغيرة؛ لأنها تعتمد في طريقة إخفائها وتحقيقها إلى كل هذه الصفات من الطفل الغيور.

٣ ـ الاختلاف المعيشي بين الأسر والمستوى الاقتصادي بينهم يؤدي إلى الغيرة بين الأبناء[٣]:

فالاختلاف في مستوى المعيشة بين الأسر له أثر في ظهور الغيرة

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ٢٢١.
(٢) انظر: منهج الإسلام في تربية الأولاد، سعد الفقي ص٧٨.
(٣) انظر: الصحة النفسية، وجدان الكحيمي وآخران ص١٥٠، ومشكلات الطفولة والمراهقة، عبد الرحمٰن العيسوي ص١١٩، ومشكلات الطفولة من منظور نفسي إسلامي ص٤٦.

وذلك بسبب الاختلاف في المستوى الاقتصادي، وربما تميزت أسرة داخل العائلة على أسرة أخرى منخفضة المستوى المعاشي، أو قد تكون شديدة البخل على الأبناء، مما يجعلهم ينظرون إلى أبناء الأسرة الأخرى المتميزة وممتلكاتهم وألعابهم بعين تمني الحصول مثلهم على هذه الألعاب، ومن هنا تظهر الغيرة بسبب اختلاف الأسر في الإغراق على الأطفال(١).

وغيرها من الأسباب التي تؤدي إلى نشوء الغيرة.

علاج الغيرة:

بيَّن القرآن الكريم وسائل عديدة لعلاج الغيرة والتخفيف من حدَّتها، **ومن ذلك**:

١ ـ العلاج عن طريق الوقاية والحماية:

إن المربي الواعي يعرف كيف يعالج الأمور قبل وقوعها، وقد ضرب نبي الله يعقوب عليه السلام أروع الأمثلة على ذلك، فعندما رأى يوسف عليه السلام رؤيا في المنام وقصها على أبيه وقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وقد استبشر يعقوب عليه السلام بهذه الرؤية «وأدرك بحسه وبصيرته أن وراء هذه الرؤيا شأناً عظيماً لهذا الغلام تؤذن برفعة ينالها يوسف عليه السلام على إخوته»(٢)، وخوفاً على يوسف من غيرة إخوته منه طلب يعقوب عليه السلام من ابنه أن لا يقص هذه الرؤيا على إخوته: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾ [يوسف].

وهنا نجد أن يعقوب عليه السلام عرف غيرة إخوة يوسف منه وخاف أن

---

(١) انظر: المشكلات النفسية عند الأطفال، زكريا الشربيني ص٣٣ ـ ٣٤.
(٢) في ظلال القرآن ٤/ ١٩٧١، والتحرير والتنوير ١٢/ ٢١٣.

تشتد بهم الغيرة فيجد الشيطان طريقاً إلى نفوسهم، فتمتلئ نفوسهم بالحقد فيدبروا له كيداً، فكان هذا التحذير الوقائي من يعقوب عليه السلام لابنه يوسف ليحول دون وقوع المكروه.

٢ ـ العلاج عن طريق إقامة العدل:

ويتم إقامة العدل بين الناشئة بالمساواة بينهم في حسن المعاملة وعدم عقد المقارنات بين الإخوة والعدل في إقامة العقاب حتى لا ينشأ الناشئة وقد أُوغِرت صدورهم على أشقائهم وأقرانهم بدافع الغيرة بما لا تحمد عقباه؛ نظراً لعدم المعاملة العادلة من قبل آبائهم، فالعدل مطلوب في كل الأمور، وقد أمر الله به في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النحل: ٩٠]، وبيَّن سبحانه وتعالى أن القيام بالعدل واتخاذه منهجاً وسلوكاً في التعامل أقرب للتقوى ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وقد سبق أن تحدثنا عن مظاهر العدل بالتفصيل فليرجع إليه(١).

٣ ـ العلاج عن طريق تأمين حاجات الناشئة:

فالحاجة مزلق خطير، ولهذا ينبغي على الوالدين تأمين حاجات الأبناء ومتطلباتهم على حسب مقدرتهم دون تقتير أو بخل، فتربية الأولاد يجب أن تكون وسطية فهي لا تعطي ببذخ فيتعودوا الإسراف والتبذير، ولا تمنع عنهم العطاء فيشعروا بالتقتير عليهم، فيدفعهم ذلك إلى السرقة والفساد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء].

وتعتبر القناعة من الأساليب الهامة التي تعالج الاضطرابات النفسية الناجمة عن الغيرة وكراهية الغير المنافس، وهذا يتطلب من الوالدين تنشئة الأبناء على الرضا والقناعة بما قسم الله، وأنه سبحانه قسم الأرزاق

---

(١) انظر: ص٧٤ من هذا البحث.

وجعلها متفاوتة لحكمة أرادها سبحانه ومنها الابتداء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

❑ ثالثاً: الحسد:

الحسد هو «حالة انفعالية شائعة بين معظم الناس، وهو من الأمراض العظيمة للقلوب»[(١)]، وله من الآثار والنتائج الخطيرة والمضاعفات النفسية الأليمة.

والحسد في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط: حسده ـ حسداً: تمنى أن تتحول إليه نعمته أو أن يُسلبها، ويقال: حسده النعمة وحسده عليها وأحْسَدَه: وجده حاسداً، وتحاسدا: حسد كل منهما الآخر[(٢)].

والحسد في الاصطلاح:

«أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنَّى أن تزول عنه وتكون له دونه، وربما كان مع ذلك سعيٌ في إزالتها»[(٣)]، قال تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق].

ويرى ابن تيمية[(٤)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن السبب في تسمية حب الإنسان أن

---

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ١٠٨٨، والحديث النبوي وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي ص١٠٩.

(٢) ١/ ١٧٢.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث ص٢٠٦، والمفردات في غريب القرآن ص١٢٥، والتعريفات ص٨٧.

(٤) هو: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد ابن المفتي شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني، ولد في ربيع الأول سنة (٦٦١هـ)، عني بالحديث وبرع في الرجال وعلل الحديث، وفقه الإسلام، وعلم الكلام، ألف ثلاث مائة مجلد وامتُحن وأوذي. مات في العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨هـ).
انظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي ١/ ٥٢١.

يكون له مثل هذا النعمة التي لدى الغير مع عدم تمني زوالها عنه حسداً، هو أن مبدأ هذا الحب هو نظره إلى النعمة التي عند الغير وكراهية أن يفضل عليه. ولولا نظره إلى النعمة التي عند الغير، وكراهية أن يفضل عليه لم يُحِب أن يكون له مثلها[١].

وهذا هو المذموم، «أما إذا تمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه فهذه هي الغبطة»[٢].

ووجود هذه الظاهرة المذمومة بين الناشئة يستلزم الاهتمام الكلي من الآباء والمربين لاستئصالها من تلك النفوس الغضة حتى لا تتراكم على أثرها ظواهر سلبية أخرى، ومعرفة أسباب ظهور هذه الظاهرة وانتشارها.

أسباب الحسد:

١ ـ شعور الإخوة بتفضيل أحدهم عند الوالدين:

قد يشعر الإخوة بميل الأبوين لأحدهم فيثير في نفوسهم الحقد والكره لذلك الأخ المفضل والرغبة الشديدة في إيذائه وقد صور القرآن هذا الشعور في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته وما عزموا عليه من قتله والتخلص منه وفيما قاموا به من إلقائه في غور البئر لأنه ظفر بحب أبيه وتفضيله عليهم، فقال سبحانه: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف].

وهذه الآية «من عبر الأخلاق السيئة، وهي التخلص من مزاحمة الفاضل بفضله لمن هو دونه لاشتمالها على الحسد والإضرار بالغير»[٣]

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١/١١٣.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ص٢٠٧.
(٣) التحرير والتنوير ١٢/٢٢٣.

لتحقيق غرض واحد كما قال الطبري[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخل لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف فإنه قد شغله عنا وصرف وجهه عنا»[(٢)].

وكأن يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين لا يرى يوسف «في وجهه يصبح قلبه خالياً من حبه ويتوجه بهذا الحب إلى الآخرين»[(٣)].

٢ ـ تميز أحد الإخوة بصفات طيبة:

عرض القرآن الكريم نموذجين أحدهما يمثل نموذج الخير والآخر يمثل نموذج الشر، وقد تمثل هذين النموذجين في ابني آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهما قابيل وهابيل، فكان هابيل رجلاً رزقه الله بسطة في العقل والجسم، من الذين حُمِّلوا الأمانة فصانوها، ووهبه الله الحكمة فأجلّها يؤثر رضا الله، صالحاً تقياً يطمئن للحق ويرضى بقسمة ربه ويحرص على بر الوالدين، أما قابيل فكان رجلاً تمتزج به عناصر الشر، وتسيطر على تصرفاته دواعي الطمع والإثم والتمرد على حكم الحق، وبين هذين النموذجين وقع الصراع بين الخير والشر الذي كان الحسد قائده، وكانت النهاية قتل النفس الخيِّرة وهذا من أعنف ضروب الحسد[(٤)]، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة].

وهكذا «نجد أن الحسد مثل الغيرة يثير الحقد والكراهية ويدفع إلى

---

(١) سبقت الترجمة له.
(٢) تفسير الطبري ١٣/ ١٩.
(٣) في ظلال القرآن ٤/ ١٩٧٣.
(٤) انظر: مع الأنبياء في القرآن، عفيف طبارة ص٥٣ ـ ٥٥، وقصص القرآن، محمد جاد المولى ص١٦.

تمني وقوع الأذى للشخص المحسود، أو إلى العدوان وإلحاق الأذى بالشخص المحسود، فقد قتل قابيل أخاه هابيل، وقام إخوة يوسف عليه السلام بإلقائه في غور البئر»[١].

علاج الحسد عند الناشئة:

١ ـ العلاج عن طريق إشعار الناشئ بحب الوالدين:

يلعب الحب دوراً هاماً في حياة الإنسان، فهو أساس الحياة الزوجية وتكوين الأسرة ورعاية الأبناء، وحب الآباء لأبنائهم مصدر متعة وسرور لهم، ومصدر قوة، فمنه تستقيم نفسياتهم وتتهذب أخلاقهم، وتصح شخصياتهم، ومن هذا المنطلق ينبغي أن يشعر الناشئ بالحب من الوالدين في جميع الأوقات واختلاف الظروف وتدرج المراحل العمرية له، وذلك حتى يبقى هؤلاء الأبناء أصحاء نفسياً من غير علل أو انحرافات بل زينة في هذه الدنيا وعامل قوة ومتعة لآبائهم كما قال سبحانه: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أنه أشار إلى الحب الأبوي أثناء ذكره لقصة نوح عليه السلام وما كان يكنُّه من حبٍّ لابنه حينما ناداه نداء كله عطف ومحبة وحنان وهو يطلب منه ركوب السفينة لينجو من الغرق[٢]: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، ولذلك نجد في القرآن تلك المحبة الأبوية الغامرة التي كانت عند لقمان حتى وجَّه لابنه تلك النصائح الخالدة[٣].

ولقد كان رسولنا ﷺ قدوة المسلمين والمربين في ذلك، فكان عليه الصلاة والسلام يظهر حبه للأولاد ولا يخفيه، فيقول عن أسامة بن

---

(١) القرآن وعلم النفس ص١٠٠.
(٢) انظر: القرآن وعلم النفس ص٨٩.
(٣) انظر: سورة لقمان، الآيات (١٣ ـ ١٩).

زيد[١] والحسن بن علي[٢] رضي الله عنهما: «**اللَّهُمَّ إني أحبهما فأحبهما**»[٣].

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن إشعار الطفل بالمحبة يصبح أكثر ضرورة عند مقدم طفل جديد وذلك للحيلولة دون اشتداد الحسد وأخذ الاحتياطات اللازمة، ومنها إشراكه في تجهيز أغراض أخيه الأصغر والسماح بملاعبته مع المراقبة، وأن يقدم له البدائل المعنوية التي تشعره بالقوة كشراء الهدايا وبقدر مطلوب مع إشعار الأخ الأكبر بأنه محل العطف والعناية كأخيه الوليد سواء بسواء؛ لأن إشعار الطفل بالمحبة له دوره في تكوين شخصية قائمة على الحب والتعاون والإيثار محرره من الحقد والأنانية والأثرة.

وكذلك تجنب مدح أحد الأبناء في وجود الآخرين من الإخوة تجنباً للحسد والتحريض على فعل الشرور وتدبير المكايد.

٢ ـ العلاج عن طريق تخفيف الشعور بالأنانية عند الناشئة:

«وذلك باتخاذ الوسائل التي تربي في الناشئ حب الآخرين وعدم النظر إلى ما عندهم بطمع ورغبة بالاستيلاء والتي تغذي فيه احترام حقوق الآخرين التي وهبهم الله إياها، فهذه وسيلة وقائية تقي من الإصابة بداء الحسد، ثم يأتي علاج التدرب العلمي وتدريبهم على كف البصر عما وهبه الله للناس من نعم وما فضلهم به من عطايا»[٤]، وقد أرشد القرآن إلى ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [النساء: ٣٢]، وتربيتهم أيضاً على أن الله سبحانه وتعالى: «فاوت بين الناس في الأرزاق والأخلاق والمحاسن والمساوئ والمناظر والأشكال والألوان»[٥]: ﴿نَحْنُ

(١) سبقت الترجمة له.
(٢) سبقت الترجمة له.
(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب ذكر أسامة بن زيد رقم الحديث (٣٧٣٥).
(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمٰن حبنكة ١/ ٨١٧ ـ ٨١٨ بتصرف.
(٥) تفسير ابن كثير ٢/ ١٧٤.

قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وأيضاً أن القرآن الكريم أدَّب أبنائه وأرشدهم حينما يرون شيئاً لغيرهم فيستحسنوه أن يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وأن يدعوا صاحب النعمة بالبركة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف].

المبحث الرابع
كمال المنهج الرباني وإحاطته بمقومات السلامة الجسدية للناشئة في ضوء القرآن الكريم

❐ تمهيد: القرآن وتربية الجسد:

إن المتأمل في كتاب الله ﷻ يجد الاهتمام الشامل بالفرد وإعداده إعداداً متكاملاً من جميع الجوانب التي اهتم بها، ومنها القوة في البدن، لأن القوة الجسمية مع وجود العلم والخشية من الله ﷻ أساس القيادة، وهذا ما أخبرنا به الله ﷻ عندما تحدث عن سبب اختيار طالوت للملك على قومه[١]، فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة].

ففي هذه الآية الكريمة أشار الله ﷻ إلى أن القوة في الجسد بالإضافة إلى العلم النافع المفيد من شروط القيادة. ولأن طاعة الله وعبادته والدعوة إلى العقيدة الإسلامية والقيام بالتكاليف الشرعية تحتاج إلى طاقات جسدية وبنية قوية تعينه على ذلك وتتيح له التصدي للأعداء، ولهذا فقد أمر الله ﷻ المؤمنين بالاستعداد الكامل بكل أنواع القوة

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٤١٩.

حسب المستطاع حيث قال مخاطباً إياهم: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فإعداد البدن يأتي في المقدمة وتأتي السُّنَّة المطهرة لتؤكد هذا المفهوم وتبين بأن المؤمن يجب أن يكون قوياً في جسمه؛ لأن الإسلام يحب منه ذلك، ولأن الرسول ﷺ امتدح من كان قوياً فقال عليه السلام: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير**»[(١)].

والجسد القوي يحتاج إلى مقومات ضرورية لبقائه وسلامته وحتى تتحقق الفائدة من العملية التربوية في نمو الجوانب الأخرى.

ولهذا فقد أرشد الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز إلى تلك المقومات الأساسية لحماية الناشئ جسدياً في مراحل حياته المختلفة منذ أن كان صغيراً إلى أن صار غلاماً يافعاً، وأرشدنا سبحانه إلى تحقيق تلك المقومات عبر وسائل مهمة وضرورية، **وهي كالتالي**:

❐ أولاً: المحافظة على حياة الناشئة في القرآن الكريم:

إن أول حق قرره الإسلام للطفل هو حقه في الحياة، «وذلك لأن الإسلام دين الحياة ودين السلام، فقتل النفس عنده كبيرة تلي الشرك بالله في فداحة الإثم. فالله واهب الحياة وليس لأحد غيره أن يسلبها إلا بإذنه وفي الحدود التي يرسمها»[(٢)] لحرمة هذه النفس عند الله تعالى لقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١، الإسراء: ٣٣].

ومن المقومات الكبرى للعقيدة والحياة الاجتماعية عدم قتل الأولاد[(٣)]، فقد بايع رسول الله ﷺ المؤمنات كما أمره الله تعالى في

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٢٤ بتصرف.
(٣) انظر: في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٤٧.

كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة].

وهذا النهي الرباني بعدم قتل الأولاد لا يعذر فيه الآباء باقترافه والإقدام عليه لأسباب باطله وواهية مثل خشية الفقر أو نقصان المال كما كان يفعل ذلك بعض أهل الجاهلية كما قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وذلك لأن الله تكفل برزق الجميع وقدَّره لكل صغير أو كبير، «ومتى انتفت العلاقة بين الفقر والنسل من تفكير الناس وصححت عقيدتهم من هذه الناحية فقد انتفى الدافع إلى تلك الفعلة الوحشية المنافية لفطرة الأحياء وسُنَّة الحياة»(١).

وقد يكون القتل مختصّاً بنوع الجنس الذي يرزق به الأب وما يحصل له من الغم والحزن والكآبة التي تعلو وجهه عندما يبشر بالأنثى كما وصفه تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل]، فهو بيَّن أمرين إما أن يتركها على هون وذل أو يدسها ويدفنها حية في التراب، وهو الوأد الذي ذم الله به المشركين ويحاسبهم الله عليه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير].

وقد أخبر الله ﷻ عن النتيجة الحتمية لهذا الفعل الشنيع من عاقبة

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٢٣.

الخسران بقتل الأولاد وبوأد البنات، «فخسران الأولاد يستلزم خسران كل ما يرجى من فوائدهم من العزة والنصرة والبر والصلة والفخر والزينة والسرور»[(١)]، كما قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

فقتل الأبناء من كبائر الذنوب لخلو القلب من الرحمة والعقوق العظيم والإقدام على قتل نفس لم يجر منها ذنب ولا معصية[(٢)].

❐ ثانياً: تأمين الغذاء للناشئة في القرآن الكريم:

ويتم ذلك عن طريق:

١ ـ الاهتمام بالرضاعة والحث على أن تكون طبيعية:

من أهم الحقوق وأولها للطفل على أمه هو حق الرضاعة، «وأهميتها تصل في بعض الأحيان إلى درجة الحياة أو الموت؛ لأن عملية الرضاعة هذه تعطي الطفل قوته وقوامه وتعمل على نموه الجسمي. . وتكفل له حسن الرعاية والاستقرار، لذا يلزم الأبوان والمجتمع أجمع الالتزام بإيصال هذا الحق للمولود»[(٣)] لا سيما الأم، وتأكيداً على هذا الحق الثابت للولد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ولا شك أن الوالدة هي الأحق في إرضاع ولدها، من سواها مطلقاً، وفي بيان هذا الأصل قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ﴾ [القصص: ٧].

وغذاء الطفل من حليب أمه الذي أجراه الله في صدرها غذاء لا

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٨/ ١١٣.
(٢) انظر: تفسير السعدي ص٤٥٧.
(٣) تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها وثمارها ص٨٠.

يعادله أي غذاء صناعي؛ لأنه يحتوي على جميع العناصر الغذائية التي يحتاجها الطفل كما يحتوي على مواد كثيرة تساعد في وقايته من الأمراض، وأيضاً لما له من أثر إيجابي في صحة الطفل النفسية وفي صحة الأم، ولما فيه من قيمة غذائية تؤدي غالباً إلى ارتفاع مستوى الذكاء لدى الطفل وتزيد من قوة الرابطة بين الأم والوليد، ونلاحظ أن جميع هذه المزايا التي اختص بها لبن الأم جاء التأكيد على أهميتها من قبل المنهج القرآني قبل أن يجري العلماء دراساتهم وبحوثهم عن أهمية الرضاعة الطبيعية بأكثر من **١٤٠٠** سنة(١).

٢ ـ الغذاء من الطيبات:

الغذاء ضروري لحياة الإنسان، فالجسم يحتاجه دائماً ليساعده على النمو بشكل طبيعي(٢)، ولا بد لقيام البدن من الطعام والشراب فهما قوامه مع الهواء، وقد أباح الله تعالى أن يأكل الإنسان ولكنه ﷻ جعل لهذا الأكل ضوابط وشروطاً حتى يحيا هذا الجسد حياة طيبة يسعد بها في الدنيا والآخرة، **ومن هذه الضوابط ما يلي:**

أ ـ الأكل من الطيب الحلال:

أباح الله تعالى أن يأكل الإنسان مما في الأرض حلالاً طيباً مستلذاً غير مستقذر ولا ضار، ولقد أرشدنا سبحانه وتعالى إلى ذلك في كتابه العزيز بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة: ١٦٨]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة].

«**والحلال**: المأذون فيه شرعاً. **أما الطيب**: فهو ما يطيب للناس

---

(١) انظر: الغذاء وصحة المجتمع، عبد الله البكيري ص٢٢ ـ ٢٨.
(٢) انظر: تربية الأطفال في ضوء القرآن والسُّنَّة، يوسف بديوي ١/ ٣٥٠.

طعمه وينفعهم قوته»[١].

فالطيب كل ما تستلذه الحواس أو النفس، ويقال: فلان طيب الإزار، وطيب القلب طاهر الباطن، وطعمه طيب: حلال[٢].

وعلى هذا فكلمة (طيّب) لها مدلولان: حسّي ومعنوي، **فالطيب الحسي**: ما وافق النفس ولذّ لها حسب الفطرة السليمة، **والطيب المعنوي**: ما كان حلالاً أبيح تناوله شرعاً، وهو في الوقت نفسه موافق للطيب الحسي[٣]، لأن الله أحلّ الطيبات وحرّم الخبائث.

والحلال الطيب من الرزق شرط لتمام تحقق الفائدة من المأكل والمشرب في الدنيا والآخرة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: « .. **إنه لا يربو لحم نبت من سُحت إلا كانت النار أولى به**»[٤]، فهذا واجب ومسؤولية عظيمة تقع على الأب، «بأن يتحرى الحلال في مأكل أولاده وأهله ومشربهم، فإن ذلك إنقاذ لهم من النار وحماية لهم من الضلال والهلاك، فإنّ ما يتغذى به الإنسان من الأطعمة والأشربة له تأثير على بدنه وروحه»[٥]، فعن أبي هريرة[٦] رضي الله عنه: أن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال له النبي: «**كخ كخ**[٧].. **أما تعرف أنّا لا نأكلُ الصدَقة**»[٨].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٠٢ ـ ٢١٠، وانظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٣/ ٣٠٩، وانظر: تفسير المنار ٢/ ٧٦.

(٢) انظر: المعجم الوسيط ٢/ ٢٥٧٣، مادة: (طيب).

(٣) انظر: المسؤولية الجسدية في الإسلام، عبد الله إبراهيم موسى ص٥٧.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الزكاة، باب ما ذكر في فضل الصلاة، رقم الحديث (٦١٤) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من هذا الوجه، وقال الألباني: صحيح في سنن الترمذي ص١٥٥.

(٥) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٣٦٥.

(٦) سبقت الترجمة له.

(٧) هي: كلمة تقال للصبي إذا زجر عن تناول شيء، وعند التقذر من الشيء أيضاً. انظر: الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣/ ٢٤٨.

(٨) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب من تكلم بالفارسية والرطانة، رقم الحديث (٣٠٧٢).

وهكذا فالرسول عليه السلام لا يعفو حتى عن تمرة واحدة تقع في جوف ابن ابنته، فكيف الطعام الكثير!! وفي ذلك تعليمٌ لهذا الصبي بعدم أكل الحرام وما ليس بحقه، وكما أنه لا بد من توخي الحلال في الغذاء وتجنب الحرام وتعويد الأبناء على ذلك، فكذلك لا بد من تحقيق التوازن في الغذاء، ولا بد أن يكون مفيداً ويحتوي على العناصر الغذائية التي يحتاجها الناشئ في جميع مراحل عمره.

ب ـ الاعتدال في الطعام والشراب:

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف].

ففي هذه الآية الكريمة «إرشاد رباني عالٍ فيه صلاح للبشر في دينهم ومعاشهم ومعادهم لا يستغنون عنه في وقت من الأوقات ولا عصرٍ من الأعصار، وكل ما بلغوه من سعة العلم في الطب وغيره لم يغنهم عنه، وهو إرشاد إلى الأكل والشرب من غير إسراف، والإسراف: هو تجاوز الحدّ المتعارف في الشيء»[(١)].

ومن المعلوم أن الغذاء طاقة الجسد، ومبعث حيويته ونشاطه «وحرمان الطفل من الطعام يعتبر عيباً لأن في ذلك إضراراً بصحة الطفل، وكبتاً لأقوى غريزة عند الإنسان، ويؤدي ذلك الأمر إلى أن نشأة الطفل على الشره في حياته المستقبلية، وقد تمتد يده إلى السرقة لإشباع حاجة نفسه مما يحرِّمه عليه أهله[(٢)]، إذن لا بد من إعطاء الطفل حاجته من الطعام وبما يحتاج إليه جسده من دون زيادة مرهقة أو نقصان مضعف؛ أي: باعتدال من غير إسراف، فقد قال النبي ﷺ: «**كلوا واشربوا**

---

(١) تفسير المنار ٨/ ٣٣٩، والتحرير والتنوير ٨/ ٩٥.

(٢) الطفل في ضوء القرآن والسُّنَّة والأدب ص١٠٨.

وتصدَّقوا من غير مخيلة ولا سرف»[(١)].

وقد حذر النبي ﷺ أيما تحذير من البِطنة، فقد روى المقداد ابن معد يكرب[(٢)] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أُكُلات يُقِمْنَ صلبه، فإذا كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه**»[(٣)]. وذلك لأن امتلاء البطن له أضرار كثيرة كما تحدث عن ذلك ابن القيم رحمه الله[(٤)]: «فإن البطن إذا امتلأ ضاق على الشراب، فإذا ورد عليه الشراب ضاق على النَّفَس، وعرض له الكرب والتعب، وكأنه يحمل حملاً ثقيلاً معه علاوة أنه يفسد القلب، ويقعد الجوارح عن الطاعات، ويخرجها نحو الشهوات التي يستلزمها الشبع»[(٥)].

وهذا ينطبق أيضاً على الأطفال فلا ينبغي لهم التعود على الإكثار من الطعام، فإن في ذلك إضراراً بسبب فضول الطعام في أبدانهم، والأصح أن يأكلوا دون الشبع[(٦)]، «فالأكل الكثير يثبط الهمة، ويسبب

---

(١) رواه أحمد، مسند عبد الله بن عمر، حديث رقم (٦٦٩٥)، وحسنه شعيب الأرناؤوط، والمخيلة: الخيلاء والإعجاب والكبر، انظر: لسان العرب ١١/٢٢٦.

(٢) هو: المقداد بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد بن معد يكرب بن بشار بن عبد الله بن وهب أبو كريمة، وقيل: أبو يزيد، ويقال: أبو يحيى، نزيل حمص، صاحب رسول الله ﷺ. روى عدة أحاديث، وهو أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من كندة، وابنه يحيى بن المقدام وحفيده صالح بن يحيى وآخرون، توفي سنة سبع وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة، وقيل: قبره بحمص، انظر: أسد الغابة ٥/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، رقم الحديث (٢٣٨٠)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في سنن الترمذي ص٥٣٥.

(٤) سبقت الترجمة له.

(٥) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية ٤/ ١٨.

(٦) انظر: تحفة المودود بأحكام المولود ص٣٩٥.

البلادة، ولا يساعد على التفكير الصحيح، ويجلب الخمول، ويحبب إلى صاحبه النوم والكسل»[١]، كما أن الإفراط في تناول الطعام والشره في الأكل يعد سبباً في الإضرار بالجهاز الهضمي؛ فهو من أسباب التخمة وعسر الهضم واحتقان الكبد وتوسع المعدة. ويؤدي إلى السِّمَن غير العادي وزيادة الوزن.

وإذا كان شغف الولد بالطعام بسبب الهوى والميل وحباً في الأكل والالتهام دونما مرض أو نحو ذلك، فإن علاجه أن يفهم الولد أن الطعام يؤكل لدفع الجوع وألمه لا للتلذذ، فهو كالدواء لدفع ألم الجوع[٢].

ويقول الإمام الغزالي[٣] معالجاً أيضاً هذه القضية: «يقبِّحُ عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم، وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي المتأدِّب القليل الأكل، وأن يحبب إليه الإيثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أيّ طعام كان»[٤]، وفي هذه التوجيهات علاج جديد يمكن للأب أن يستخدمه مع الولد الشره، ولا بأس بسرد بعض الروايات بأن الطفل النجيب الذكي لا يتبع شهوة بطنه، بل يقوم عن الطعام قبل أن يشبع، ويلام الولد كثير الأكل، ويخوف بالبدانة، وأنها سوف تعيقه عن الحركة واللعب، وتضرب له الأمثلة بأحد الأقارب أو الجيران أصيبوا بالبدانة ليعرف ضرر ذلك فيتجنبه[٥].

---

(١) الطفل في ضوء القرآن والسُّنَّة والأدب ص١٦٠.

(٢) انظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه ص٧١.

(٣) سبقت الترجمة له.

(٤) إحياء علوم الدين، للغزالي ١/ ٩٣٥ بتصرف.

(٥) كما يمكن للأب أن يحد من كثرة أكل الولد بأن يوضع لكل طفل طبقه المستقل فلا يأكل الجميع من الطبق الكبير، فيحدد مقدار الطعام المناسب لكل ولد، ومن أراد الزيادة عن الحد عرف بذلك. . انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٣٧٢.

يمكن علاج ذلك أيضاً عن طريق ذكر القصص الهادفة والوسائل المُعِينة، وقراءة بعض الآيات القرآنية التي تأمر بعدم الإسراف، وأن الله لا يحب المسرفين كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقد جاء في السُّنَّة الشريفة بعضاً من الهيئات والآداب الخاصة في الطعام والشراب، **ومنها**:

- عدم تناول الطعام متكئاً لقول الرسول ﷺ: «**لا آكل متكئاً**»[١]؛ أي: مستوي قاعداً على وطاء متمكناً، فإني إذا أكلت لم أقعد متمكناً فعل من يريد الاستكثار منه[٢].
- ويُحذر المربي الطفل من تناول الطعام قائماً أو منبطحاً على وجهه، فقد ورد النهي بشدة عن ذلك في الصحيح والسنن[٣]. وكان الرسول ﷺ يأكل أحياناً مقعياً[٤] كما روى أنس[٥] رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ مقعياً يأكل تمراً[٦].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل متكأ، رقم الحديث (٥٣٩٨).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ص١١٠.

(٣) انظر: صحيح مسلم كتاب الأشربة، باب في الشرب قائماً حديث رقم (٢٠٢٤)، ولسنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب في النهي عن الأكل منبطحاً، حديث رقم (٣٣٧٠).

(٤) هو: أن يجلس عند الأكل على وركيه مستوفزاً غير متمكن. انظر: النهاية في غريب الحديث ص٧٦٣.

(٥) هو: أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه بلغت روايته (٢٢٨٦) حديثاً، أسلم صغيراً، وخدم رسول الله ﷺ إلى أن قبض، دعا له الرسول ﷺ بالبركة في ماله وولده توفي بالبصرة سنة (٩٣هـ) وهو آخر من مات من الصحابة.
انظر: أسد الغابة ١/١٢٧، والإصابة ١/٧١.

(٦) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب تواضع الآكل وصفة قعوده، رقم الحديث (٢٠٤٤).

ومن الآداب في الشراب أن يربى الناشئ على عدم الشرب مرة واحدة لقوله عليه السلام: «**لا تشربوا واحداً كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسمّوا إذا أنتم شربتم، واحمدوا إذا أنتم رفعتم**»(١).

فهذا أسلوب بديع في تجنب الفعل يجمع بين الأدب والحرص على الجهاز الهضمي، «لأن الشرب دفعة واحدة يخشى منه الشَّرق بانسداد مجرى الشراب لكثرة الوارد عليه»(٢).

❐ ثالثاً: تحقيق النوم والراحة للناشئة في القرآن الكريم:

يعتبر النوم من مقومات السلامة الجسدية للناشئة، وله أهميته وضرورته، **وتتجلى هذه الأهمية من خلال العناصر الآتية:**

١ ـ أهميته وفوائده للناشئة:

يمثل النوم مظهراً مهماً من مظاهر الحياة اليومية وضرورة أساسية لا تستقيم حياة الإنسان بدونه، وقد جعل الله الليل للنوم والنهار لطلب العيش، وهو من آيات الله وفضله على الناس، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الروم].

«والنوم من أحسن أنواع الراحة وأنفعها للجسد، ففيه تسكن الأعضاء وتهدأ النفوس وتستعيد نشاطها وحيويتها، وسمَّى المولى عز وجل الليل الذي ينام فيه الإنسان سكناً لهذا المعنى»(٣)، فقد قال تعالى: ﴿فَالِقُ

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الأشربة، باب ما جاء في التنفس في الإناء، رقم الحديث (١٨٨٥)، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وضعفه الألباني في سنن الترمذي ص٤٣٢.

(٢) زاد المعاد ٤/ ٢٢٩.

(٣) المسؤولية الجسدية في الإسلام ص٢٧١.

ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام].

والهدوء والسكون بالليل مطلب ضروري لكل حي، «ولا بد من فترة من الظلام تسكن فيه الخلايا الحية وتستكن لتزاول نشاطها في النور، ولا يكفي مجرد النوم لتوفير هذا السكون، بل لا بد من ليل ولا بد من ظلام، فالخلية الحية التي تتعرض لضوء مستمر تصل إلى حد من الإجهاد تتلف معه أنسجتها؛ لأنها لم تتمتع بقسط ضروري لها من السكون»[1]، فالنوم إذا كان هادئاً له «أثر كبير على الجسم حيث تستريح كل أجهزة الجسم وتكون هناك فرصة في هذا الليل المظلم مع النوم الهادئ لإعادة بناء بعض الأنسجة التي تلفت أو استهلكت أثناء ساعات النشاط»[2].

ومن رحمة الله للبشر «أن جعل النوم سباتاً يدركهم فيقطعهم عن الإدراك والنشاط ويجعلهم في حالة تتكفل بإراحة أجسادهم وأعصابهم وتعويضها عن الجهد الذي بذلته في حالة الصحو والإجهاد»[3]، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبأ].

٢ ـ آدابه:

ـ تعويد الناشئة على النوم المبكر وتجنب السهر:

من أهم السنن التربوية في النوم وآدابه أن يدعو المربي الطفل إلى النوم المبكر وأن يترك السهر إلا لضرورة قصوى وأمر مهم، فلا يحسن السهر بعد العشاء أو النوم قبل العشاء لما ورد عن أبي برزة[4] رضي الله عنه أن

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٩٣.

(٢) انظر: النوم والأحلام في الطب والقرآن، د. محمد عبد الفتاح المهدي ص٣٥.

(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٨٠٥.

(٤) هو: نضلة بن عبيد بن الحارث بن حبال بن ربيعة بن أسلم بن أفصى الأسلمي، أسلم قديماً، وشهد فتح خيبر وفتح مكة وحنيناً وسكن البصرة، غزا مع الرسول ﷺ سبع =

رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها[١]، وقد ابتلي المسلمون في هذا العصر بتغيير نظام يومهم، فهم يسهرون إلى ساعة متأخرة من الليل، وربما لا يستيقظ منهم إلا القليل لصلاة الفجر[٢]، ثم ينامون إلى ما قبل العصر، وربما بعده وخاصة في أيام العطل والإجازات.

وقد ثبت علمياً أن النوم في الليل له فوائد كثيرة، والجسم يستفيد منه أكثر مما يستفيده من نوم النهار[٣]، وهذا يتطلب من الوالدين تعويد الولد النوم المبكر بأن يتم تناول طعام العشاء في الفترة من بعد المغرب إلى صلاة العشاء فلا يأتي وقت النوم إلا وقد انهضم أكثر الطعام فيسهل عليه النوم، وإلا فإن سوء الهضم وكثرة الطعام تذهب النوم في الليل وتؤرق الإنسان[٤].

ومما يساعد على نوم الطفل مبكراً محاولة منعهم من النوم بالكلية أو التقليل من وقت النوم في النهار، وذلك لأنه يعوِّد الولد الكسل والسهر في الليل كما نبَّه إلى ذلك الإمام الغزالي[٥] رحمه الله في كتابه إحياء علوم الدين[٦].

ـ تعويد الناشئة قراءة بعض الأدعية المأثورة قبل النوم:

ولتحقيق السلامة النفسية والجسدية في آن واحد لذلك الناشئ

= غزوات، شهد مع علي فقاتل الخوارج بالنهروان، مات بخراسان سنة خمس وستين. انظر: أسد الغابة ٥/ ٣٠٥، وتهذيب التهذيب ٦/ ٥٥٦.

(١) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب ما يكره من النوم قبل العشاء، رقم الحديث (٥٦٨)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب التبكير بالصبح في أول منها، حديث رقم (٦٤٧).

(٢) انظر: الوقت في حياة المسلم، يوسف القرضاوي ص٣٠.

(٣) انظر: مع الطب في القرآن الكريم، عبد الحميد دياب، وأحمد قرقوز ص١٠٥.

(٤) انظر: القانون في الطب، لابن سينا ٢/ ٥٨.

(٥) سبقت الترجمة له.

(٦) إحياء علوم الدين ١/ ٩٣٥.

أرشدنا نبي الرحمة ﷺ إلى بعض الأدعية المأثورة التي يذكرها المسلم عندما يأوي إلى مضجعه، ودور المربي في تعليمها لأولاده ومنها ما روي عن حذيفة[١] قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «**باسمك اللَّهُمَّ أموت وأحيا**»، وإذا استيقظ من منامه قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**»[٢].

ويفعل المربي هذا كل يوم حتى يحفظ الناشئ هذه الأذكار والدعوات، ويعوّد على قراءة بعض آيات من القرآن الكريم قبيل النوم مثل آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والمعوذتين لتحفظه من نزغات الشيطان حتى يصبح، ويكون هذا التلقين بما يناسب سن الولد وعقله، وأن يتجنب المربي القصص المؤذية أو المناظر المخيفة، وإذا كان الطفل صغيراً لا يقدر على ذلك ولا يستوعبه يحرص المربي على قراءة تلك الأدعية والآيات بنفسه ثم يمسح بيديه على جسد الطفل ليحقق له النوم المريح الآمن بإذن الله مما يحقق له النمو والتمتع بصحة جسدية سليمة[٣].

ـ تعويد الناشئة النوم على الشق الأيمن:

أكد النبي ﷺ على النوم على الشق الأيمن خاصة، فقد روى البراء بن عازب[٤] رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إذا أتيت**

---

(١) هو: أبو عبد الله حذيفة بن اليمان العبسي، من كبار الصحابة، صحابي جليل من السابقين حليف الأنصار، وأبوه صحابي استشهد بأُحد، صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين. روى عن النبي ﷺ الكثير، استعمله عمر على المدائن، وقد حدثه الرسول ﷺ بما كان وما يكون حتى تقوم الساعة، له في كتب الحديث (٢٢٥) حديثاً، مات في أول خلافة علي بعد بيعة علي بأربعين يوماً سنة ستة وثلاثين. انظر: الإصابة ١/ ٣٦٢، الأعلام ٢/ ١٧١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أصبح، رقم الحديث (٥٣٢٤)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم (٢٧١١).

(٣) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد.

(٤) هو: البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مالك بن الأوس الأنصاري =

مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقِّك الأيمن»[١].

أما النوم على البطن فهو إتعاب للمعدة والرئتين والأحشاء جميعاً وقد نهى عنه ﷺ، فلقد روى قيس بن طخفة الغفاري[٢] رضي الله عنهما عن أبيه قال: بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذ رجل يحركني برجله فقال: «**إن هذه ضجعة يبغضها الله**»، قال: فنظرت فإذا هو رسول الله ﷺ[٣].

ـ ويذكر الأطباء أن: «النوم على الجنب وخصوصاً الأيمن هو أصحُّ وضعٍ لنوم الإنسان، على أن يضع الساق العليا في مقدم الساق السفلى مع ثني الركبتين بالمقدار الذي يوافق كل شخص، وذلك لسند عظام حوضه ويضع مفصل الكوع للذراع الأعلى فوق المرتبة حتى تكون الفقرات الظهرية في وضع مستقيم ويملأ المسافة بين جانب الرأس والرقبة وبين المرتبة بوسادة، وذلك ليكون الرأس في استقامة العمود الفقري. أما النوم على الشق الأيسر فيشكل ثقلاً على المعدة والكبد فوق

= الأوسي استصغره الرسول ﷺ يوم بدر فرده، وأول مشاهده أُحد، وقيل: الخندق. وغزا مع الرسول ﷺ أربع عشرة غزوة، وقيل: خمسة عشرة غزوة، وشهد البراء مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان ونزل الكوفة، وابتنى بها داراً ومات بها زمن مصعب بن الزبير، مات سنة (٧٢هـ). انظر: أسد الغابة ١/ ٣٦٢، وتهذيب التهذيب ١/ ٣٩٩.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على وضوء، حديث رقم (٢٤٤)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم، حديث رقم (٢٧١٠).

(٢) هو: قيس بن طخفة، اختلف في اسمه، يقال: قيس بن طهفة، صحابي ذكره البغوي في الصحابة وقال: سكن المدينة، وقال ابن حبان: له صحبة روى عنه ابنه يعيش. انظر: الإصابة ٣/ ١٦٣٨، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ١٨١.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرجل ينبطح على بطنه، رقم الحديث (٥٠٤٠)، والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في كراهية الاضطجاع على البطن، حديث رقم (٢٧٦٨)، وقال الألباني في سنن أبي داود ص٧٥٤: ضعيف مضطرب غير أن الاضطجاع على البطن منه صحيح، وقال الألباني في سنن الترمذي ص٦٢١: هذا حديث حسن صحيح.

القلب وخصوصاً بعد الغداء»[١].

ـ الاستيقاظ المبكر:

إن في اليقظة باكراً لصلاة الفجر ثم الانتشار إلى العمل فائدة عظيمة، وقد أقسم الله تعالى بهذا الوقت في كتابه العظيم فقال: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ [الفجر]، «وهو ابتداء ظهور النور بعد ما تأخذ ظلمة الليل في الانصرام، وهو وقت مبارك للناس؛ إذ عنده تنتهي الحالة الداعية إلى النوم، ويأخذ الناس في ارتجاع شعورهم وإقبالهم على ما يألفونه من أعمالهم النافعة لهم»[٢].

وبعد أداء صلاة الفجر ينبغي على الوالدين تدريب أبنائهم على عدم النوم بعد صلاة الفجر مباشرة، فإن بعض السلف رضوان الله عليهم كانوا لا يتركون أحداً من أهلهم وأولادهم ينامون بعد الفجر حتى تطلع الشمس[٣]، وذلك لحصول بركة دعوة الرسول ﷺ التي قال فيها: «**اللَّهُمَّ بارك لأمتي في بكورها**»[٤].

▫ رابعاً: أهمية اللعب والرياضة للناشئة في القرآن الكريم:

تمهيد:

- **أهمية اللعب والرياضة للناشئة وفوائدهما:**

١ ـ إن الحركة لها أهميتها للبدن في الحفاظ على حياة الفرد،

---

(١) انظر: بين الطب والإسلام، د. حامد الغوابي ص٦٠ ـ ٦١.

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣١٣.

(٣) انظر: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، كتاب الأدب، من كان لا يدع أحداً من أهله ينام بعد الفجر حتى تطلع الشمس ٥/ ٣٠٩، رقم الحديث (٢٦٣٨١).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الابتكار في السفر، رقم الحديث (٢٦٠٦)، وصححه الألباني في سنن أبي داود ص٣٩٤.

وتعتبر الحركة أحد عناصر الحياة للأطفال الأصحاء، وكل طفل تعطى له إمكانية الحركة يصبح ذا خفة وحيوية ونشاط[١].

٢ ـ تعوّد البدنَ الخفة والنشاط، وتجعله قابلاً للغذاء وتجنبه تصلب المفاصل وتقوي الأوتار والرباطات، وتؤمن جميع الأمراض الماديه وأكثر الأمراض المزاجيه إذا استعمل القدر المعتدل من الرياضة في وقتها[٢].

٣ ـ وقد أشار إلى أهمية اللعب الإمام الغزالي[٣]، ونبَّه على ذلك من جهة حث الولد على طلب العلم، وعدم التنفير منه، فقال رحمه الله: «وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلّم[٤] دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً»[٥].

وقد أشار علماء المسلمين ومفكروهم منذ قديم الزمان إلى أهمية الحركة واللعب للطفل، وأن على المربي أن يهتم بهذا الأمر لكيلا يركن الطفل إلى الخمول والدعة المفرطة.

٤ ـ أن اللعب يسهم إسهاماً كبيراً مع الغذاء في نمو الأطفال وزيادة وزنهم زيادة طبيعية، وكذلك زيادة حجمهم، ويساعد على نمو أجهزتهم الجسمية المختلفة ويكسبهم بعض المهارات الحركية مثل القفز والجري والتسلق وغيرها من النشاطات الحركية[٦].

---

(١) انظر: الصلاة والرياضة والبدن، عدنان الطرشة ص١٧ ـ ١٨.
(٢) انظر: الطب النبوي، لابن قيم الجوزية ص١٩٢.
(٣) سبقت الترجمة له.
(٤) الإرهاق هنا: الإعجال والإلزام، وأن يحمل عليه ما لا يطيقه، ولذلك عدّاها بـ(إلى). انظر: اللسان (رهاق) ٦/ ٢٤٧.
(٥) إحياء علوم الدين ١/ ٩٣٥.
(٦) انظر: الطفل في ضوء القرآن والسُّنَّة والأدب ص٢١٠.

٥ ـ «إذا كان الطفل عليل الجسم واهن القوى فإن هذا كله يؤثر في مجاراة رفاقه وزملائه في المدرسة لأنه يشكو من مرضه فلا يلعب. فإذا تمتع الطفل بصحة البدن وقوة الأعضاء والنمو السليم فإن ذلك يجعل الطفل معجباً بنفسه فرحاً بلياقته العامة مما يسهم ويؤثر تأثيراً إيجابياً على شخصيته وتصرفاته وسلوكه»(١).

إقرار القرآن والسُّنَّة للعب والرياضة:

إن اللعب البري واللهو المباح من الأمور التي أقرها الإسلام إذا كان خالياً من الضرر ومشتملاً على مصلحة الإنسان ومحققاً رغباته من السرور والمرح، كما جاء على لسان إخوة يوسف في قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ [يوسف: ١٧].

والمراد باللعب في الآية السابقة «هو الفعل المقصود به التفرج والراحة من غير عاقبة له محمودة، ولا قصد فيه لفاعله إلا حصول اللهو والفرح وهو المباح من الإنبساط لا اللعب المحظور الذي هو ضد الحق، وفي الآية دلالة على أن اللعب الذي ذكروه كان مباحاً لولا ذلك لأنكره يعقوب عليه السلام عليهم»(٢).

وهناك بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد أهمية التربية الرياضية وممارستها، وكذلك بعض الألعاب التي أباحتها الشريعة الإسلامية. فعن عائشة(٣) رضي الله عنها قالت: «قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك

---

(١) تربية الأطفال في ضوء القرآن والسُّنَّة، يوسف بديوي، محمود قاروط ٢/ ٥٤٥ بتصرف.
(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٦٨، والجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٢١.
(٣) سبقت الترجمة لها.

أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لُعَب فقال: «**ما هذا الذي أرى وسطهن**؟ قالت: فرس.. قال: **وما هذا الذي عليه**؟ قلت: جناحان.. قال: **فرس له جناحان**. قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة. قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه»[١].

وكذلك ما ورد عن عبد الله بن عمر بن الخطاب[٢] رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ سابق بالخيل التي قد أُضمرت من الحيفاء، وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق وكان ابن عمر فيمن سابق بها»[٣].

وهذا دليل على أن الرسول ﷺ قد تسابق مع الأطفال وأيضاً تسابق مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما قالت وهي في سفر مع النبي ﷺ: فسابقته فسبقته على رجليَّ، فلما حملتُ اللحم سابقتهُ فسبقَني فقال: «**هذه بتلك السَّبْقَة**»[٤].

وهذا من أبلغ ما نقل عنه عليه الصلاة والسلام، وثبت في كتاب الله الكريم في الإقرار بالرياضة وممارسة النشاطات البدنية المختلفة مع الأولاد. وقد سبق عليه الصلاة والسلام بفعله هذا رجال التربية الحديثة الذين رأوا في اللعب ضرورة هامة لنمو الفرد الجسمي والعقلي.

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في اللعب بالبنات، رقم الحديث (٤٩٣٢)، وقال الألباني في سنن أبي داود: حديث صحيح ص٧٣٩.

(٢) سبقت الترجمة له.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب هل يقال مسجد بني فلان، رقم الحديث (٣٢٠)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب المسابقة بين الخيل وتضميرها، حديث رقم (١٨٧٠).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في السبق على الرجل، رقم الحديث (٢٥٨٧)، وقال الألباني في سنن أبي داود ص٣٩١: حديث صحيح.

شروط اللعب والرياضة وآدابهما:

إن للرياضة واللعب آداباً وشروطاً يتحقق من خلالها المصلحة المرجوة من القيام بها:

١ ـ يجب ألا تطغى أوقات الرياضة على مواقيت الصلاة وسائر العبادات، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ [المؤمنون].

٢ ـ اجتناب اللغو واللهو والمحرمات كالمراهنات، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون].

٣ ـ لبس الملابس التي تستر العورة عند اللعب وعدم التعري عند ممارسة أنواع من الرياضة كالسباحة[1].

٤ ـ المكان الآمن للعب، فقد ثبت في السُّنَّة المطهرة أن مكان اللعب للأولاد في عهد الرسول ﷺ وما بعده من الخلفاء كان في الطريق.

فعن عقبة بن الحارث[2] قال: «صلى أبو بكر رضي الله عنه[3] العصر ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال: بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي، وعلي يضحك[4]، وكان عمر الحسن إذ ذاك سبع سنوات»[5].

---

(١) انظر: أسس علمية في التربية البدنية ص٥٠.

(٢) هو: عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل.. القرشي النوفلي يكنى أبا سَرْوعَة وأمه بنت عياض بن رافع امرأة من خزاعة، سكن مكة أسلم يوم الفتح، روى عن النبي ﷺ مات في خلافة ابن الزبير. انظر: أسد الغابة ٤/٤٨، وتهذيب التهذيب ٤/٥٢٤.

(٣) هو: عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب القرشي التيمي أبو بكر الصديق بن أبي قحافة، صاحب رسول الله ﷺ في الغار والهجرة والخليفة بعده، كان أول من أسلم من الرجال، وأول من جمع القرآن، وله مناقب وفضائل كثيرة. توفي سنة (١٣هـ)، وهو ابن (٦٣) سنة، ودفن مع الرسول ﷺ.
انظر: أسد الغابة ٦/ ٣٤، وتهذيب التهذيب ٣/٥٦٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث (٣٥٤٢).

(٥) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤/ ٨١٤.

وروي أن عمر بن الخطاب[١] رضي الله عنه مر على عبد الله بن الزبير[٢] وهو صبي يلعب مع الصبيان ففروا ووقف هو، فقال له عمر: «ما لك لم تفر مع أصحابك؟»، قال: «يا أمير المؤمنين لم أجرم فأخاف، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك»[٣].

«ونلاحظ أن لعب الصبيان على عهد الرسول ﷺ وعهدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: كان في الطريق لأنه كان أنسب مكان للعب في ذلك الوقت. لأن وسائل النقل في ذلك الوقت كانت الدواب وخطرها كان قليل على المارة.

أما في وقتنا الحاضر فإن اللعب في الطريق يعد خطراً على حياة الناشئة لما يوجد فيه من السيارات والعربات والدراجات النارية، وقد أمرنا الله تعالى بالاتقاء وعدم الوقوع فيما يهلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وهذا يستلزم توفير أماكن آمنة للعب بعيدة عن الأخطار داخل الأحياء المزدحمة وتوفير أندية خاصة للأطفال لممارسة اللعب فيها[٤].

---

(١) هو: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله القرشي العدوي، ويسمى بالفاروق لأن الله فرق به بين الحق والباطل، شهد بدراً وأُحداً والخندق وغيرها من المشاهد، توفي مقتولاً على يد أبي لؤلؤة المجوسي سنة ٢٣، ودفن مع رسول الله في بيت عائشة رضي الله عنها. انظر: أسد الغابة ٤/ ١٣٧، والإصابة ٢/ ١٣٠٧.

(٢) هو: عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، ولد عام الهجرة، وحفظ عن النبي ﷺ وهو صغير وحدَّث عنه بجملة من الأحاديث، وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة، وبويع بالخلافة سنة أربع وستين عقب موت يزيد بن معاوية، توفي سنة ثلاث وسبعين للهجرة في جمادى الآخرة وعمره نيفاً وسبعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٣، الإصابة ٢/ ١٠٤٧.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن الشافعي ٢٨/ ١٦٥.

(٤) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٤٣٦ ـ ٤٣٧.

٥ ـ وينبغي الحذر من اللعب والرياضة عند امتلاء البطن، وقبل انهضام الطعام، فإن أفضل وقت لممارسة الرياضة عندما لا تكون المعدة ممتلئة ولا خاوية؛ وذلك لأن الغذاء يحتاج في انهضامه إلى السكون والنوم، والحركة لا تساعد على حسن الهضم(١).

٦ ـ يتوجب على الوالدين عند اختيار الألعاب للأطفال أن تكون مناسبة لأعمارهم ونافعة ومفيدة، وتكون لها أهداف تربوية وأن يتجنبوا الألعاب المؤذية للطفل عندما يكون صغيراً، وذلك بالاطلاع على كل ما هو مفيد في هذا الشأن من الكتب وغيرها(٢).

وهناك أنواع من الألعاب قد غزت أماكن بيع لعب الأطفال وهي الإلكترونية، ولهذه الألعاب جانبان أحدهما مسلٍّ يمكن شغل أوقات الفراغ به، والآخر سيّئ يكمن ضرره في إضاعة الوقت والإدمان عليها، أو ضرره الأكبر على عقيدة الناشئ لما تحتويه هذه الأجهزة من ألعاب تدعو إلى زعزعة العقيدة، والانسياق في تطبيق ما يشاهد قد يكون دعوة للسرقة أو العنف أو دعوة إلى الانحلال الخلقي بجميع مظاهره مما يتطلب المتابعة والتوجيه المناسب من الآباء للأبناء حتى يتحقق اللعب المباح الخالي من كل محظور.

• **رياضات دعا القرآن إلى تعليمها للناشئة:**

١ ـ الرماية وركوب الخيل:

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والنبي ﷺ عرّف أن القوة هي الرمي، فعن أبي علي ثمامة بن

(١) انظر: القانون في الطب ١/ ١٦٠، ٢/ ٣٢١.
(٢) انظر: مسئولية الأب المسلم في تربية الولد ص٤٤٠.

شفي[١] أنه سمع عقبة بن عامر[٢] يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إنّ القوةَ الرمي، ألا إنّ القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»[٣].

وقد فسَّر الرسول ﷺ القوة بالرمي وذلك: «لأن رمي العدو عن بعد بما يقتله أسلم من مصاولته على القرب بسيف أو رمح أو حربةٍ، وإطلاق الرمي في الحديث يشمل كل ما يُرمى به العدو من سهم أو رمح أو قذيفة منجنيق، أو طائرة أو بندقية، أو مدفع وغير ذلك، كل ذلك حسب الاستطاعة، في كل زمان ومكان بحسبه، وإن لم يكن ذلك معروفاً في عصره عليه الصلاة السلام ولكن اللفظ يشمله»[٤].

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الرمي منها: عن سلمة بن الأكوع[٥] رضي الله عنه قال: مرّ رسول الله ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون[٦]،

---

(١) هو: ثمامة بن شيفي الهمداني الأحروجي ويقال: الأصبحي، أبو علي المصري سكن الإسكندرية، توفي في خلافة هشام بن عبد الملك قبل العشرين ومائة. انظر: تهذيب التهذيب ١/ ٥٠٩.

(٢) هو: عقبة بن عامر بن عبس بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة . .بن قيس بن جهينة الجهني، كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، شاعراً، كاتباً، وكانت له السابقة والهجرة، وهو أحد من جمع القرآن، توفي في آخر خلافة معاوية ودفن بالمقطم، مات سنة ثمان وخمسين. انظر: أسد الغابة ٤/ ٥١ ـ ٥٢، وتهذيب التهذيب ٤/ ٥٢٧ ـ ٥٢٨.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، رقم الحديث (١٩١٧).

(٤) تفسير المنار ١٠/ ٥٢.

(٥) هو: سلمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع: سنان بن عبد الله هو أبو عامر، وأبو مسلم ويقال: أبو إياس، وكان ممن بايع تحت الشجرة مرتين، وسكن المدينة ثم انتقل فسكن الربذة، غزا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، روى عدة أحاديث، توفي سلمة سنة أربع وسبعين بالمدينة وهو ابن ثمانين سنة، وقيل: توفي سنة أربع وستين. انظر: أسد الغابة ٢/ ٥١٧ ـ ٥١٨، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٦٦ ـ ١٦٨.

(٦) ينتضلون: يترامون. انظر: فتح الباري / ٢٩٨.

فقال رسول الله ﷺ: «**ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً**»[(١)].

وفي هذا تحريض وحث على تعلم الرمي والتدرب عليه لما فيه من تعليم على قوة الإرادة.

«ويمكن للأب ممارسة هذه الرياضة البدنية مع أولاده عن طريق استخدام القوس والسهام كما كان الحال على عهد رسول الله ﷺ، فقد أصبح هذا النوع من الرياضة معروفاً»[(٢)].

وركوب الخيل من أنواع الرياضة الجميلة والمفيدة، وفيها تربية للجسد وتقويته، ويمكن تدريب الناشئة على ركوب الخيل عن طريق انضمامه في أحد نوادي الفروسية لممارسة هذه الهواية لما لها من تأثير في شخصية الناشئ كاتصافه بالشجاعة والإقدام والعزة.

وقد امتدحها رسول الله ﷺ، فعن أنس بن مالك[(٣)] قال: قال رسول الله ﷺ: «**البركة في نواصي الخيل**»[(٤)].

٢ ـ السباق على الأقدام:

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا﴾ [يوسف: ١٧]. والاستباق: افتعال من السبق، وهو هنا من التسابق، والمراد: الاستباق بالجري على الأرجل[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾، رقم الحديث (٣٣٧٣).

(٢) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٤٢٥.

(٣) سبقت الترجمة له.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، رقم الحديث (٢٨٥١)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الخيل وأن الخير معقودة بنواصيها، حديث رقم (١٨٧٤).

(٥) وقيل نستبق: أي في الرمي، أو على الفرس أو على الأقدام، والمسابقة تجمعهما، وقيل نستبق: أي: نشتد جرياً لنرى أينا يسبق. انظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٢٥، =

وقد مارس النبي ﷺ نفسه السباق شخصياً مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فعن عائشة أنها كانت مع النبي ﷺ في سفر قالت: فسابقته فسبقته على رجليَّ، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال: «**هذه بتلك السبقة**»[(١)]. وهذا فيه دليل على مشروعية المسابقة على الأرجل[(٢)].

«والغرض من المسابقة على الأقدام تدريب النفس على العدو»[(٣)]، وقد أجمع المتخصِّصون الرياضيون والأطباء على أن رياضة الجري من أهم الرياضات وأنفعها في تقوية الجسم، فهي تحدث أثراً إيجابياً على الجهاز التنفسي وعلى القلب، مما يساعد في تخفيض نسبة البروتينات الدهنية في الدم التي غالباً ما تكون سبباً للسكتات القلبية.

ويراعى في ذلك عمر الناشئ في المدة التي يستغرقها الجري، ويراعى كذلك الحالة الصحية ومدى قدرته على فعل ذلك، حتى تتحقق الفائدة من القيام بها. «ويستحسن للآباء اصطحاب أولادهم في نزهة من وقت لآخر ليمارسوا معهم هذا النشاط الترفيهي الخالي من التكلف؛ فإن ذلك يحقق لهم مزيداً من السعادة النفسية والفرح بالإضافة إلى فائدته لأجسامهم، ويكتمل ذلك بأن يعطى الفائز من الأولاد جائزة تشجيعية على ذلك»[(٤)].

٣ ـ السباحة:

وذلك تحقيقاً لقول الرسول ﷺ: «**كل شيء ليس من ذكر الله فهو**

= وابن كثير ٢/ ٤٠٧، وتفسير السعدي ص٣٩٥.

(١) سبق تخريجه.

(٢) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، شرح منتقى الأخبار، محمد الشوكاني ٨/ ٢٥٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٢٥.

(٤) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٤٢٥.

سهو، إلا أربع: مشي الرجل بين الغرضين، وتأديبه فرسه، وتعلمه السباحة، وملاعبته أهله»[١].

وقد كتب عمر بن الخطاب[٢] رضي الله عنه إلى أبي عبيدة[٣] أن علِّموا صبيانكم العوم ومقاتلتكم الرمي[٤]. وذهب بعض الشافعية إلى أن من قصّر في تعلم السباحة ومات غريقاً مات عاصياً لا شهيداً[٥].

ومن حق الولد أن يتدرب عليها ليتعلمها ويكون ذلك من خلال اصطحابه إلى أحد الشواطئ النقية الآمنة، أو من خلال الأندية الرياضية المحافظة. أو من خلال حوض السباحة الموجود في فناء المنزل مع وجود المتابعة والإشراف من قبل الوالدين.

٤ ـ اللعب بالعرائس والدمى المصنَّعة:

وذلك خصيصاً للأطفال الصغار، فقد كان للسيدة عائشة[٦] رضي الله عنها في صغرها لعب من بينها فرس له جناحان تلهو به، وقد أقرها الرسول عليه السلام ولم ينكر عليها[٧]، فاستعمال الدمى المجسمه كلعب للأطفال لا بأس به إذا لم يكن فيها مخالفة للشريعة الإسلامية أو تأثيرٌ على العقيدة الإسلامية للناشئة.

---

(١) السنن الكبرى، للبيهقي، كتاب السبق والرمي، باب التحريض على الرمي ١٠/ ١٥، حديث رقم (١٩٥٢٥).

(٢) سبقت الترجمة له.

(٣) هو: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة القرشي الفهري، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، هاجر الهجرتين وشهد بدراً وأُحد وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ. قال فيه النبي ﷺ: «**لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**» مات في طاعون عمواس بالشام سنة (١٨هـ).
انظر: أسد الغابة ٦/ ٢٠٢، والإصابة ٢/ ٩٧٧.

(٤) صحيح ابن حبان ١٣/ ٤٠١.

(٥) انظر: روح المعاني ٧/ ٢٧٢.

(٦) سبق الترجمة لها.

(٧) سبق تخريجه.

ويبقى أن نقول: أن للعب مجالات وأنواع متعددة ممكن للناشئة ممارستها ضمن الضوابط التي ذكرت وعدم تعارضها مع التشريع الإسلامي.

□ خامساً: ستر البدن ونظافته للناشئة:

١ ـ ستر البدن بالملابس:

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

إن اللباس نعمة من نعم الله ﷻ على بني آدم امتنّ الله عليهم بها يستتر به الإنسان ويتزين وحافظاً لهم من انكشاف عوراتهم وهو نعمة ووسيلة وقائية لحفظ البدن وسلامته[١]. «والتعري ونبذ الستر ليس من الفطرة البشرية في شيء.. ولا يميل الإنسان إليه إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان.. والفطرة السليمة تنفر من انكشاف العورات الجسدية، وتحرص على سترها»[٢].

بل إن اللباس وستر العورة يعد من أعظم خصائص الإنسان الظاهرة التي يتميز بها عن الحيوان، وقد جاءت أوامر الرسول ﷺ موافقة للكتاب العزيز في الأمر بستر العورة وتغطيتها، فعن المسور بن مخرمة[٣]: أقبلت بحجر حمله ثقيل، وعليَّ إزار خفيف، قال: فانحلّ إزاري ومعي الحجر

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٤١٣.

(٢) انظر: في ظلال القرآن ٣/ ١٢٧٥ بتصرف.

(٣) هو: المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري يكنى أبا عبد الرحمٰن وأمه عاتكة بنت عوف ممن أسلمت وهاجرت، كان مولده بعد الهجرة بسنتين، وقدم المدينة في ذي الحجة بعد الفتح سنة ثمان، كان من أهل الفضل والدين، حفظ من النبي ﷺ أحاديث، توفي بمكة سنة أربع وستين، وقيل: خمس وستين وكان عمره اثنين وستين سنة. انظر: أسد الغابة ٥/ ١٧٠، وسير أعلام النبلاء ٤/ ١٩٩، والإصابة ٣/ ١٨٣٨.

فلم أستطع أن أضعه حتى بلغت به إلى موضعه، فقال رسول الله ﷺ: «**ارجع إلى ثوبك فخذه ولا تمشوا عراة**»[١].

فاللباس كما أنه وقاية ونعمة فهو كذلك زينة أمر الله تعالى بها: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف].

قال ابن عباس[٢] في قوله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ قال: «كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس، وهو كذلك ما يواري السوأة وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع، فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد»[٣].

ومما تقدم من الآيات السابقة نجد أن الله ﷻ أمر باللباس لأنه تتطلبه الفطرة السليمة وهو حاجة وضرورة مهمة لحماية جسد الإنسان ووقايته حتى لا يتعرض للأمراض أوقات مختلفة في البرد أو في الحر، وقد بيَّن الله ﷻ هذه الأهمية وهذه النعمة بقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥﴾ [النحل].

«الدفء: اسم لما يتدفأ به، والثياب المنسوجة من أوبار الأنعام وأصوافها وأشعارها تتخذ منها الخيام والملابس»[٤].

وإذا كان ذلك وقاية من البرد، فهناك اللباس الذي يقي من الحر.. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ [النحل: ٨١].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة، حديث رقم (٣٤١).
(٢) سبقت الترجمة له.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٣.
(٤) التحرير والتنوير ١٤/ ١٠٤.

«والسرابيل: جمع سربال وهو القميص يقي الجسد حر الشمس كما يقيه البرد»[١]، «وفي ذلك دليل على اتخاذ أسباب الوقاية والمحافظة على الصحة والسلامة من الأمراض التي تلحق بالجسم مرضاً أو ضرراً أو أذى كالحر والبرد وغيرها مما يودي بحياة الإنسان أو يوقعه في شيء من العلل»[٢].

واللباس له آداب ينبغي على الناشئة تعلمها والتعود عليها، فعند لبس الثوب الجديد يعلّمه الوالدين قول الرسول ﷺ: «**الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة**»[٣]، وعندما ينزع ثيابه يقول: «**بسم الله**» وذلك لستر عورته عن أعين الجن[٤].

وكذلك ينبغي تعويد الناشئ على اللباس الساتر والبعد عن الملابس الشفافة التي لا تستر العورة، لما في ذلك من الميوعة وقلة الحياء، والبعد عن الملابس الضيقة التي تظهر المفاتن ولا تحقق الغرض من الستر، ويراعى في اللباس أن يتجنب الثياب التي فيها تصاوير أو صلبان، وغيرها من الأمور التي يجب مراعاتها في لباس الناشئة التي لا بد من الأخذ بها في جميع المراحل العمرية على مستوى الجنسين الذكر والأنثى.

٢ ـ تعويد النشء على النظافة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٤٠.

(٢) أصول التربية الإسلامية، سعد بن جنيدل ص١١١.

(٣) سنن الدارمي، كتاب الاستئذان، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً ٢/ ٣٧٨، رقم الحديث (٢٦٩٠).

(٤) انظر: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أراد أن يضع ثيابه ٦/ ٩٣، رقم الحديث (٢٩٧٣٥).

وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

لقد اهتم الإسلام بالإنسان وصحته، ودعا القرآن الكريم إلى الأخذ بالتدابير العملية للوقاية من المرض، ومن هذه التدابير دعوته إلى النظافة بشكل عام والنظافة الجسمية التي أولاها عناية خاصة، ومن خلال الآية الكريمة السابقة نجد أن الله ﷻ قرن النظافة بالعبادة وعلى رأسها الصلاة، حيث جعل الوضوء مدخلاً إلى الصلاة، ولا تقبل صلاة من مسلم حتى يكون نظيفاً طاهراً، فالصلاة تعتمد على القواعد الصحية في أدائها وفي مقدمتها النظافة. فالله ﷻ عندما شرع الوضوء في الصلاة جعله يمر بمراحل في أثناء أدائه هي عين النظافة، فالوضوء يزيل كل ما يلتصق بالجلد من أتربة وعرق ومواد غريبة، فغسل اليدين وتخليل الأصابع له أهمية كبيرة، فقد «اكتشف الطب الحديث أن الفطريات تنمو بين الأصابع وقد أكدت الإحصائيات العالمية أن مرضى سرطان الجلد أقل بكثير في البلاد الإسلامية منهم في البلاد غير الإسلامية، وليس لذلك من تعليل إلا بأن المسلم يتوضأ خمس مرات في اليوم فيظل جلده نظيفاً من الغبار وإفرازات العرق»(١).

وفي غسل الفم والأنف بالمضمضة والاستنشاق، تنظيف لمسالك الدورة الهوائية وإزالة للميكروبات والفيروسات والطفيليات. . التي في بقائها ضرر بالصحة، لأن ذلك يسبب حدوث تخمرات وتعفنات تنشأ عنها رائحة كريهة، وإهمال هذه الفضلات قد يضر الجهاز الهضمي وقد تسبب هذه الجراثيم المرضية نوعاً من التسمم الذاتي إذا وجدت طريقها إلى الدورة الدموية في بعض الأحيان(٢).

---

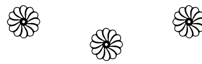
(١) التداوي بالقرآن، عبد المنعم قنديل ص١٨.
(٢) انظر: إعداد الطبيب للرعاية الصحية الشاملة، حسني الرودي ص١٦٦ ـ ١٦٧ بتصرف.

وهناك فوائد صحية أيضاً في الوضوء منها تزداد حركة القلب والمبادلات الجسمية، وتقوي الحركات التنفسية، وفي الوضوء حماية من رمد العين عند غسلها بالماء النظيف، وكل حركة في الوضوء تعود بفائدة على المتوضئ.. وفوائد أخرى كثيرة(١).

وفي هذا الكلام تصديق لبيان الرسول ﷺ في تنقية جسم المؤمن الذي يهيئ نفسه لأداء الصلاة وهو طاهر ونظيف من أدران الجسم.

وقد رغّب الإسلام في الوضوء وبيّن الله سبحانه وتعالى أن محبته متوجهة إلى من فعل ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

والطفل الصغير لا يمكن أن يعي هذه القضايا وهذه المعاني الكريمة في النظافة والطهارة، ولهذا فمربيه هو المسؤول عن رعايته وعن نظافته وتعليمه وتوجيهه حتى ينشأ على ما تعود ويتكلف ذلك بنفسه، وهذه التوجيهات والإرشادات تتضمن الجسد والملابس واليدين والفم وسائر أعضاء الجسد..(٢).



---

(١) انظر: روح الصلاة في الإسلام، عفيف طبارة ص٨٢ ـ ٨٣.

(٢) للتعرف على المزيد من هذه التوجيهات انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٣٨٢ ـ ٣٨٦.

المبحث الخامس المنهج القرآني الشامل للناشئة وأثره في استقامة السلوك في كلّ مراحل الحياة

إن القرآن الكريم كتاب شامل في التربية، ومنهج متكامل لجميع نواحي التربية للناشئة، من تربية عقائدية أو تربية جسمية أو نفسية، فالتربية في القرآن الكريم تقوم على التوازن والاعتدال، فالإنسان مكوّن من جسم وعقل وروح لا انفصال بينها ولا يطغى جانب على جانب، وقد اهتم القرآن الكريم بجميع هذه الجوانب للناشئة في جميع مراحل حياتهم منذ الولادة، والمنهج القرآني في شموله تعامل مع هذه الجوانب في سبيل بناء إنسان منسجم مع نواميس الكون وغير متناقض معها في سبيل إنشاء نفوس سليمة وعقيدة قوية وأجسامٍ سليمة.

وعندما نتحدث عن المنهج القرآني الشامل في التربية، فإننا نرمي ألا يكون هذا المبحث تكراراً للمباحث السابقة التي تناولت التوجيهات القرآنية بالتفصيل، وإنما المراد أن نقف على تضافر هذه التوجيهات وتكاملها في صياغة منهج متكامل تتداخل فيه التوجيهات لتكون غذاء تربوياً يومياً للناشئة مشتملاً على وجبة مشتملة على نسج من العناصر (التوجيهات القرآنية)؛ لأن الناشئ مركب من مجموعة مكونات متآلفة قوامها الروح والنفس والجسد.

ولهذا فسنقوم باستعراض يلخص التوجيهات القرآنية التي عرضنا لها سابقاً في هذا الفصل في استجلاء كيف تتآزر هذه التوجيهات لتقدم لنا بناءً عقدياً ونفسياً وجسدياً للناشئ، ليكون قادراً ـ بإذن الله ـ على القيام بواجب العبودية لله، وليقف ثابتاً شامخاً في وجه العواصف ورياح

السَّموم التي قد يتعرض لها عبر وسائل الشيطان ومريديه، تلك الوسائل التي ستكون موضوع الفصل الثالث من هذا البحث إن شاء الله. وقد تميز هذا المنهج القرآني بالعديد من المزايا في تربيته الشاملة للناشئة، **ومن أهمها ما يلي**:

❑ أولاً: المحافظة على فطرة الناشئ وعقيدته:

فالطفل يولد على فطرة التوحيد وعلى عقيدة الإيمان، فعن أبي هريرة[(١)] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**»[(٢)].

والعقيدة الصحيحة تستمد أهميتها من أنها أصل الإسلام، فالأعمال والأقوال إنما تصح وتقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة، يتبعها السلوك الصحيح، وإن كانت العقيدة غير صحيحة بطل ما يتفرع منها من أعمال وأقوال[(٣)] كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

«والعقيدة الصحيحة لها أهمية خاصة في تربية شخصية الناشئ المسلم وبنائها؛ لأنه الأساس في بناء المجتمع المسلم، فإذا صلح الأساس صلح بناء الأمة الإسلامية، وهو رجل المستقبل الذي تقوم على أكتافه نهضة المجتمع الإسلامي وتقدمه»[(٤)].

❑ ثانياً: الاهتمام بغرس أصول العقيدة وأركانها في نفس الناشئ:

فالعقيدة الإسلامية لها أركان يتطلب الإيمان بها وغرسها في نفوس الناشئة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر

---

(١) سبقت الترجمة له.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) انظر: أساليب التربية الإيمانية ص٢٠.
(٤) أساليب التربية الإيمانية ص٢٠.

خيره وشره. فهذه هي أصول العقيدة التي نزل بها كتاب الله العزيز وبعث بها رسوله محمد ﷺ».

وقد سبق أن تناولنا بالبحث هذه الأصول الإيمانية تفصيلاً بما يغني عن إعادة ذكرها ههنا[١].

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح].

وعلم التوحيد هو أول علم ينبغي أن نعلِّمه للناشئة لقوله ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

ولهذا وجَّه المربُّون عند ولادة الطفل مباشرة بقرع مسامعه بكلمة التوحيد عن طريق التأذين في الأذن اليمنى والإقامة في إذنه اليسرى، حتى «يكون أول ما يقرع سمعه كلمات مباركة تدل على كبرياء الله وعظمته»[٢]، وفيها صدّ للشيطان عن أن يعوّل على هذا الإنسان القادم أن يكون من أنصاره وأعوانه، ويحصل الاطمئنان القلبي للمولود كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

- **الإيمان بالله تعالى عند الناشئة:**

ومن التوجيهات: تنمية الإيمان بالله تعالى عند الناشئة وذلك عن طريق:

١ ـ التأمل والتفكّر في مخلوقات الله:

ويكون ذلك بالتدرج من المحسوس إلى المجرد، ومن السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المركب[٣]، والآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات].

---

(١) انظر: ص٣٤ من هذا البحث.

(٢) منهج النبي ﷺ في التعامل مع الناشئة، سلمان خلف الله ص٥٠.

(٣) انظر: منهج النبي ﷺ في التعامل مع الناشئة ص٤٩.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ [الطارق].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠].

ونتيجة هذا التفكر يتم التوصل إلى عظمة الخالق، وبالتالي الاعتقاد بأنه مستحق للعبادة والطاعة.

٢ ـ الاعتقاد بأن الله تعالى يراقب العبد:

فهو يراه ويعلم سرَّه ونجواه، وهو معه في كل مكان وأينما كان: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وإذا كان الإنسان في عصرنا الحاضر وما فيه من وسائل تنقل الصوت والصورة للإنسان قد يعلم بها أحياناً أو لا يعلم بأن يكون تحت المراقبة بأن تكون كل لفظه وكل حركة مسجلة مصورة متحركة، فإذا كان المخلوق العاجز الضعيف قد تمكَّن من ذلك، فكيف بالخالق الذي لا يذر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها. وغرسُ ذلك في نفس الناشئ فإنه يعيش في حذر دائم وخشية دائمة، واضعاً بين نصب عينيه ﷻ ومجازاته على كل عمل يقوم به فيخشى الله تعالى.

فخشية الله تعالى وسيلة من وسائل تنمية الإيمان بالله تعالى، فالخشية رهبة تحول بين الإنسان وبين الميل إلى الشر والفساد، فالله تعالى أحق بالخشية، قال تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

ومن خشي الله فهو الفائز في الآخرة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾ [النور].

٣ ـ تبصير الناشئ بنعم الله تعالى وشكره عليها:

فالله ﷻ أسبغ على عباده نعماً ظاهرة وباطنة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

والطريق إلى تبصير الناشئ بنعمه ﷻ هو تعداد النعم المحسوسة التي يتمتع بها الإنسان، وإثارة عقله ووجدانه للتفكير فيها، فأنعم الله عليه بلسان ينطق به فيعبر عما في ضميره، وبعينين يبصر بهما وشفتين يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام، وجمالاً لوجهه[1] وفمه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد].

وتبصُّره كذلك «بأن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان ثم يميته ثم يحييه يوم البعث، وهو الذي يطعمه ويسقيه، وهو الذي منحه الصحة والعافية، وهو الذي يمرضه وهو القادر على أن يشفيه»[2] كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾﴾ [الشعراء]، وقد جاء ذكر هذه النعم على لسان نبي الله إبراهيم ﵇. وبناء على ذلك لا بد من الشكر لله تعالى لأن ذلك سببٌ في دوامها واستمرارها وزيادتها، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. ومن شكر النعم أن يحدّث بها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى].

فآيات النعمة التي ذكرها الله تعالى دالة على وحدانية المنعم مما يُشعر الناشئة بالمسؤولية تجاه هذه النعم التي سيسأل عنها، قال تعالى:

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/٤٤٨.

(٢) أساليب التربية الإيمانية للطفل ص٣١.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء]، وقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر].

- **غرس الإيمان بالملائكة في نفوس الناشئة:**

ويتم ذلك عن طريق التأكيد على أن الإيمان بالملائكة متمِّم للإيمان بالله، فمن تمام عظمة الله أن له جنداً وموظفين يعملون بأمره، علاقتهم بالله علاقة العبودية الخالصة والطاعة والامتثال، فهم عباد مكرمون كما وصفهم ﷻ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء].

«وهم مطيعون لله تعالى لا يعصونه بحال من الأحوال»[1]، وذلك لقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وقد خلق الله تعالى هؤلاء الملائكة لخدمة الإنسان ووكَّلهم بأعمال يقومون بها، ومن تلك الأعمال يمكن أن يتبين أثر ذلك في تربية الناشئة:

١ ـ حفظ أعمال الإنسان وكتابه وأحداث حياته:

ودور المربين هنا أن يجعلوا الناشئ يعيش في ظل هذه الحقيقة المصورة، وهي أن يستشعر هذه المراقبة الغيبية المحكمة عند ما يهم بأي حركة وبأي كلمة، فعن يمينه وعن شماله من يسجل عليه الكلمة والحركة لتكون في سجل حسابه بين يدي الله، وقد حوى كل شيء صدر عنه، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، قال تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

---

(١) عقيدة المؤمن ص٢٠٦.

«وهذا الاستشعار بهذه المراقبة الغيبية تدفع الناشئ إلى ضبط سلوكه بما يوافق النهج، ولا سيما إذا أدرك الإنسان أن الملائكة تبغض وتلعن العصاة والكفرة، فهو يتجنب سلوكهم، ويسعى إلى النمط الصحيح والسلوك السوي، وهكذا فيكون إيمانه بالملائكة المراقبين له دافعاً له للاستقامة والانضباط، ومثيراً للحياء من الوقوع في الخطأ»(١).

٢ ـ تبشير المؤمنين بالجنة والاستغفار لهم:

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت].

فتسخير الملائكة للإنسان يزيد من عزة الإنسان وكرامته ومعرفة منزلته عند الله وعظمته سبحانه حتى سخر له الملائكة يحفظونه ويستغفرون له ويطلبون من الله أن يحفظه من العذاب، وبناء على ذلك يطلب من الناشئة محبتهم للملائكة وموالاتهم لهذه الكائنات المباركة الصالحة والتأدب معهم، بتجنب كل ما عُلم أنه مكروه لهم ابتداء بالمعاصي والمنكرات وانتهاء بالروائح الكريهة التي تؤذيهم، والاهتمام بأن يكون المرء دائماً طيب الرائحة نظيفاً في ملبسه ومسكنه ونابذاً الصور المجسمة والحيوانات المستقذرة التي ثبت بالسُّنَّة نفور الملائكة منها: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»(٢).

---

(١) أسس التربية الإيمانية للفتاة المسلمة ص٨٢ ـ ٨٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان...، رقم الحديث (٢١٠٦).

- **غرس الإيمان بكتب الله المنزلة في نفوس الناشئة:**

هو أمر واجب وركن من أركان العقيدة ومطلب من مطالب الإسلام، إلا أن الله لم يكلفنا أن يكفنا الإيمان، بل ذكر الإيمان بها جملة، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وهذا مطلب هام يطلب من المربين والآباء القيام به تجاه أبنائهم مع بيان أن كتب الله تعالى التي يحبب الإيمان بها: «هي الصحف التي حوت كلام الله ﷻ الذي أوحاه إلى رسله عليهم السلام فكونت كتباً، أو بقيت صحفاً لم تجمع، ولم يتكون منها كتاب خاص، فالصحف كصحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، والكتب كالتوراة والزبور والإنجيل والقرآن العظيم»[١].

«أما القرآن الكريم فالبشرية مكلفة أن تعمل بكل ما ورد فيه تفصيلاً مع الإيمان بأنه منزل من عند الله»[٢].

فالقرآن الكريم أساس الإسلام، فهو كلام الله المهيمن على كلام البشر، ومسؤولية الآباء تعليم الناشئة قراءة القرآن وحفظه إن أمكن ذلك، وربطهم به منذ نعومة أظفارهم.

وهناك عدة فوائد عظيمة لتلاوة الناشئ للقرآن الكريم وحفظه والعمل به منذ صغره، **على سبيل المثال:**

١ ـ «تعويد لسان الناشئ على الفصاحة والبيان، وذلك من خلال تقويم لسان الناشئ بقراءة القرآن وتجويده على الأسس المعروفة والمتفق عليها عند العلماء»[٣].

---

(١) عقيدة المؤمن ص٢٣٤.
(٢) أصول التربية الإسلامية، النحلاوي ص٩٠.
(٣) أصول التربية الإسلامية ص٩٢.

٢ ـ تربية القيم الإسلامية من خوف وخشوع ورغبة ورهبة وترقيق القلب والمشاعر، قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣].

٣ ـ تربية العقل على التأمل في مظاهر عظمة الله في الكون وفي نفسه: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران].

٤ ـ «تعويد الناشئ على العمل بتعاليم القرآن الكريم وآدابه في كل مجال من مجالات حياته اليومية، في مأكله ومشربه وعلاقاته بأهله، فينشأ على الحياة المستقيمة والأخلاق الفاضلة»(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩﴾ [الإسراء].

• **غرس عقيدة الإيمان بالرسل لدى الناشئة:**

والإيمان بهم معناه: «الإيمان بمن سمَّى الله تعالى في كتابه من رسله وأنبيائه والإيمان بأن الله ﷻ أرسل رسلاً سواهم وأنبياء لا يعلم عددهم وأسماءهم إلا الله الذي أرسلهم»(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾ [غافر: ٧٨].

ومن حكمته سبحانه في إرسال الرسل إقامة الحجة على عباده، فمن عدله سبحانه وتعالى «ألا يعذب أحداً من الخلق إلا بعد أن تقوم عليه الحجة»(٣): ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾» [الإسراء: ١٥].

---

(١) التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات ص٧٦.

(٢) الإيمان أركانه حقيقته نواقضه ص٤٨. (٣) الرسل والرسالات ص١٧.

وهؤلاء الرسل عليهم السلام بعثهم الله إلى الخلق لغرض أساسي ووظائف معينه، فأساس هذه الوظائف هو عبادة الله عز وجل وإقامة دينه وتوحيده في ربوبيته وألوهيته كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ومن وظائفهم تبليغ أوامر الله عز وجل ونواهيه إلى البشر، وفيهم يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

ومن وظائفهم هداية الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم وتحديد قواعد السلوك المؤدية إلى القسط والحق في الحياة كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

ومن وظائفهم إصلاح النفوس وتزكيتها وإخراج الناس من الظلمات إلى النور كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

وبناء على هذا يتوجب على الوالدين والمربين ترسيخ طاعة الرسل والتزام أوامرهم في تربيتهم للناشئة؛ لأن ذلك من طاعة الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء]. وحتى يكون ذلك نواة للانقياد التام بعد البلوغ. فحب الله تعالى يتحقق بالاتباع لخاتم الرسل سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والسير على هداه وتحقيق منهجه كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فمن الآثار الجليلة للإيمان بالرسول الكريم طاعته والاقتداء به، فهو كما أخبرنا عز وجل أسوة حسنة يُقتدى به في أقواله وأفعاله، قال تعالى:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

ويترتب على هذا اتباع ما أمر به الرسول ﷺ وترك ما نهى عنه كما أمر بذلك ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾ [الحشر: ٧].

- **غرس الإيمان باليوم الآخر لدى الناشئة:**

حفل القرآن الكريم بذكر اليوم الآخر واهتم بتقريره في كل موقع، ونبه إليه في كل مناسبة، ومن مظاهر هذا الاهتمام باليوم العظيم في كتاب الله كثير: ومنهما ما ربط الإيمان به بالإيمان بالله ﷻ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

ومن مظاهره أيضاً: «إكثار القرآن من ذكر اليوم الآخر، حتى إنه لا نكاد نمر على صحيفة من صحائف القرآن إلا ونقرأ فيها حديثاً عن اليوم الآخر، وما سيكون فيه من الأحداث والأهوال بأساليب كثيرة ومتنوعة، وما ذلك إلا لحكمة جليلة وهي أن الإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم في حياة الإنسان؛ لأن الإيمان به وبما فيه من جنة ونار وحساب وعقاب، وثواب وفوز وخسران، له أشد الأثر في توجيه الإنسان وانضباطه والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله ﷻ»[١].

ومن فضل الله على عباده أن جعل لهذا اليوم قبل وقوعه أمارات وعلامات يعرف بها قرب ذلك اليوم، ومنها: خروج الدخان، ونزول

(١) الإيمان أركانه حقيقته نواقضه ص٧٣ ـ ٧٤.

عيسى ابن مريم، وظهور الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وغيرها من المظاهر.

وينبغي على الوالدين استعراض ما يشتمل عليه اليوم الآخر مع أبنائهم بشكل يناسب إدراكهم، ومن الأمور التي يشتمل عليها:

فتنه القبر، وسؤال الملَكين، وعذاب القبر ونعيمه، والبعث، والحشر، والعرض، والحساب، والحوض، والصراط.

❐ ثالثاً: ثمرات الإيمان باليوم الآخر لدى الناشئة:

١ ـ إدراك الناشئة حقيقة الحياة الدنيا، فلقد وصف الله تعالى الحياة الدنيا بأوصاف متواضعة وحذر من الركون إليها والانشغال بها عن الآخرة، فقال ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾ [هود].

ووصفها سبحانه وتعالى بأنها لا تَعْدُ وأن تكون متاعاً زائلاً، فقال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر].

وذلك يساعد الناشئ على «قوة الإرادة وإيثار الآخرة على الدنيا؛ لأن مغريات الحياة الدنيا وما يقابلها من المصائب والشدائد التي تصيب المؤمنين بالله واليوم الآخر ومكائد الشيطان وأتباعه من الإنس، لا علاج لها إلا ما يربِّيه القرآن في النفوس من إيثار الآخرة»[(١)]، قال ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات].

«فيقلل في النفس الركون إلى الدنيا ويخفف من أحزانها وآلامها

---

(١) التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات ص٨٠.

ومصائبها، ويفتح للنفس البشرية المؤمنة باباً واسعاً من الأمل»[١]، «وتسلية للمؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها».

٢ ـ «الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها، رجاء لثواب ذلك اليوم، والرهبة من فعل المعصية، والرضى بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم»[٢]، وبالتالي فإن شعور الناشئ «بالخوف ممزوجاً برجاء الله والرغبة في ثوابه تدفعه إلى اتقاء عذاب الله في الحياة الآخرة بتجنب الوقوع في المعاصي والتمسُّك بالتقوى، والانتظام في عبادة الله وعمل كل ما يرضيه»[٣]: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة].

• **غرس عقيدة القضاء والقدر لدى الناشئة:**

إن الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان العقيدة الإسلامية، ويجب على كل ناشئ أن يؤمن به، خيره وشره، حلوه ومُرِّه، «وأنه تعالى عدلٌ في قضائه وقدره، حكيمٌ في تصرفه وتدبيره، وأن حكمته تابعه لمشيئته. ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٤].

«فيجب على الوالدين العمل على زرع عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في نفس الناشئة منذ نعومة أظفارهم، فيعرف أن العمر محدود، وأن الرزق مقدر من الله، فلا يسأل ولا يتجه إلا لله، ولا يستعين إلا به، وأن الإنسان لا يستطيع أن يغير ما قدره الله ﷻ ضراً ولا نفعاً»[٥]. قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١].

وهذه الرعاية الجليلة من الوالدين في زرع عقيدة الإيمان بالقضاء

(١) أسس التربية الإيمانية ص١٣٦.
(٢) رسائل في العقيدة ص٣٢.
(٣) القرآن وعلم النفس ص٧٢.
(٤) منهاج المسلم ص٣٧.
(٥) التربية المتكاملة للطفل المسلم ص١٨١.

والقدر في نفس الناشئة لها فوائد وآثار تنعكس على سلوك الناشئة، **ومنها**:

١ ـ إظهار العبودية لله وتحقيقها:

«فالإيمان بالقضاء والقدر مظهر لتأكيد عبودية الإنسان لخالقه ويتطلب هذا تربية المسلم على الامتثال والطاعة وتدريبه على ذلك من خلال استثمار مواقف الأزمات والأحداث المفجعة التي يتعرض لها هو والآخرين من حوله»(١).

٢ ـ الصبر وقوة الاحتمال:

فالإيمان بالقدر يثمر عند الناشئة عبودية الصبر على الأقدار المؤلمة، والصبر من محمود الخصال، له فوائده الجمَّة، وعوائده الكريمة، والجزاء العظيم من الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان].

٣ ـ الشكر:

فإذا نزل به ما يكرهه شكر الله على ما قدَّره عليه، وإذا نزل به ما يحبه شكر الله، لأن الأدب مع الله يستوجب شكر الله على المحبوب والمكروه، والإنسان إذا لزم الشكر زادت نعمته ونمت، وقد أخبرنا الله تعالى بذلك: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

٤ ـ العلم بحكمة الله ﷻ في قضائه وقدره:

لمّا كان الله تعالى أعلم بمصلحة عبده وعاقبة أمره قال: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وبالتالي ينبغي التفويض في الأمر إلى الله تعالى العالم بعواقب الأمور، والرضا بما يقضيه على عبده.

(١) التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات ص٨٣.

٥ ـ الاعتماد على الله والتوكل عليه:

إن تحقيق التوكل الناتج عن إيمان الناشئ بقضاء الله وقدره يترك في نفسه الطمأنينة، وفي قلبه الراحة؛ لأنه يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة].

وقد غرس نبينا محمد عليه السلام هذه الحقيقة وعلَّمها أصحابه رضي الله عنهم، ففي حديثه المشهور لابن عباس[1] رضي الله عنهما الذي مر بنا سابقاً: «**يا غلام إني أعلمك كلمات...**»[2].

٦ ـ العزم والقضاء على التردد:

إن الإيمان بقدر الله يجعل المرء يمضي فيما عزم عليه دون تردّد واثقاً بالله راضياً بقضائه على كل حال. وهذا عنصر إيجابي في حياة الناشئ تجعله إنساناً إيجابياً. قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٧ ـ عدم الندم أو الحسرة على ما فات:

لقوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣﴾ [الحديد].

فالرضا بالقدر هو خيار المؤمن، وهو مانع من الحسرة وغلق الباب أمام الشيطان للدخول منه.

٨ ـ الجرأة أمام الموت:

فلا يمكن أن تموت نفس إلا بإذن الله بعد أن تستوفي أجلها الذي كتبه الله لها: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وإذا تربّى الناشئ «على الجرأة أمام الموت فقد أصبح

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبقت الترجمه له.

جريئاً أمام كل شيء، أمام فقد المال أو الولد أو الجاه، أو أمام المرض أو أي مصاب آخر، ما دام يؤمن بأنه مقدر من الله»[(١)].

❐ رابعاً: تحقيق السلامة الجسدية للناشئ:

«إن التربية في القرآن توازن بين مظهر الإنسان ومخبره، وبين النظرية في الإيمان والتطبيق في الواقع، فتكون المحصّلة لذلك إيجاد النفس المؤمنة المطمئنة التي تجمع بين القوة والعزة، وتمكن هذا الإنسان من القيام بأعباء الخلافة في الأرض وتحقيق العبودية لله الواحد القهار، الأمر الذي خلق الكون لأجله وكُلّف الإنسان بحمله»[(٢)]، وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص].

وقد حضَّ الله ﷻ في كتابه الكريم المسلمين على «الاعتناء بأجسادهم لتنمو نمواً صحيحاً سليماً قوياً؛ لأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، فالإنسان القوي المتمتع بجسم صحيح وعقل مفكر وأخلاق حميدة، ونفس راضية، أقدر على الدفاع عن دينه والذود عن وطنه ومجتمعه وأمته من الإنسان الضعيف»[(٣)]، فعن أبي هريرة[(٤)] قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير**»[(٥)].

والصحة من أجلِّ نعم الله على عباده، ولهذا كان لا بد من حفظها ومراعاتها وحمايتها بالعمل على اتباع النصائح الطبية والوقاية من الأمراض

---

(١) أصول التربية الإسلامية ص١٠٢.
(٢) تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها ص١٢٨.
(٣) التربية المتكاملة للطفل المسلم ص١١٧.
(٤) سبقت الترجمه له.
(٥) سبق تخريجه.

وعدم التعرض للعدوى وعدم الإضرار بالنفس التي هي أمانة بين أيدينا.

والناشئ «إذا كان ضعيف الجسم فإنه لا يستفيد من العملية التربوية في تنمية جوانبه الأخرى كما لو كان صحيح الجسم لديه الطاقة اللازمة»[١] لتحقيق مرامي الأهداف التربوية وأبعادها، فإذا كان ضعيف الجسم فلا يمكن استعمال عقله استعمالاً صحيحاً، وبالتالي فإن مستوى الاستجابة للعملية التربوية سيكون ضعيفاً.

وحتى تتحقق السلامة الجسدية للناشئة بيَّن القرآن الكريم وأرشد إلى تلك المقومات الضرورية لسلامة الجسد بما أوجبه من حق الرعاية والعناية بهذا الناشئ في جميع مراحل حياته، وذلك من خلال وسائل مهمة وضرورية دعا إلى تحقيقها، وهي:

• **المحافظة على الحياة:**

وهو أول حق قرره الإسلام للطفل، «وذلك لأن الإسلام دين الحياة ودين السلام، فقتل النفس عنده كبيرة تلي الشرك بالله، فالله واهب الحياة ولا تُسلب هذه الحياة إلا بإذن الله»[٢] لحرمتها عند الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وعدم قتل الأولاد أساس من الأسس والمقومات الكبرى للعقيدة التي بايع عليها رسول الله ﷺ المؤمنات[٣] كما أمره الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة].

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، د. أحمد الحمد ص١١٥.
(٢) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٢٤ بتصرف.
(٣) انظر: في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٤٧ بتصرف.

«وأهل الجاهلية في الماضي والحاضر يظنون أن الأولاد سبب في الفقر والعوز مما جعل بعضهم يقبل على قتل أولاده خشية الفقر بطرق مباشرة أو غير مباشرة، ولقد شنّع القرآن العظيم على أمثال هؤلاء أعمالهم تلك وبدّد أفكارهم وأوهامهم حول ذلك بل بيَّن الإسلام لهم ومن خلال كتاب رب العزة جل وعلا أن الأولاد سبب لجلب الرزق وحصول الغنى»[١]. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۢ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ لأن الله تعالى تكفل برزق الجميع وقدره لكل فرد صغيراً كان أو كبيراً.

فإن كانت الخشية من الفقر في الحاضر أو المستقبل هي التي تؤدي إلى القتل، فإن الله تعالى قادرٌ على الرزق، وإن كان نوع الجنس الذي يرزق به الأب هو سبب الغم والحزن والكآبة التي تعلو وجهه، فيكفي أن يقال فيه ما قاله ربّه فيه، وذلك قوله تعالى عندما يبشر بالأنثى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل].

أما الحساب فعسير يوم القيامة، يوم تسأل الموؤودة عن سبب وأدها: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير].

فالله سبحانه وتعالى حضَّ على حياة الأولاد لأنّهم زينه الحياة الدنيا: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [الكهف: ٤٦]. وبهم تحصل العزة والنصرة والبر والصلة والسرور، وإن قتلهم من أعظم كبائر الذنوب لأنه دليل على خلو القلب من الرحمة[٢]، فضلاً عما فيه من جحود النعم التي أنعمها الله على عبده وأمره بالمحافظة عليها.

---

(١) تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها ص٤٧.
(٢) انظر: تفسير السعدي ص٤٥٧.

- **تأمين الغذاء للناشئة:**

اهتم القرآن الكريم بتحقيق السلامة الجسدية للناشئة في بداية حياتهم وبعد ولادتهم وشرع لهم حق الرضاعة لأن عملية الرضاعة تعطي الطفل قوته وقوامه وتعمل على نموه الجسمي وتكفل له حسن الرعاية والاستقرار، لذا يلزم الأم الالتزام بإيصال هذا الحق للمولود وتأكيداً على هذا الحق الثابت للولد، قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ﴾ [القصص: ٧].

ولبن الأم هو الغذاء الإلـٰهي الذي أعده الله تعالى وأجراه حقاً للطفل، وهو أنسب وأصح غذاء له لما يتميزه من مميزات منها: احتوائه على مقادير العناصر الغذائية المطلوب لنمو الطفل نمو صحياً، واحتوائه على أجسام ضدية تحمي الوليد من العديد من الأمراض مثل الحصبة ـ الدفتريا وغيرها، وأن حليب الأم كذلك معقم من كل أنواع الجراثيم والبكتريا ويصل إلى معدة الطفل في درجة حرارة مناسبة لعملية الهضم. بالإضافة إلى فوائد أخرى مثل ارتفاع مستوى الذكاء في الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية لفترات طويلة، وذلك مقارنة بالأطفال الذين يتغذون على الألبان الصناعية أو الذين يرضعون لبن الأم لفترات قصيرة، وما يحصل أيضاً من تقوية للرابطة العاطفية بين الأم والمولود ويكون أكثر سكوناً وطمأنينة، وشعوراً بالأمان، وأقل عصبية وخوفاً، وفيه تحقيق للراحة النفسية للأم.

- **النوم ضرورة أساسية:**

فالنوم مظهراً مهماً من مظاهر الحياة اليومية، وضرورة أساسية لا تستقيم حياة الناشئة بدونه، وهو من آيات الله وفضله على الناس، قال

تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الروم].

وهو من أحسن أنواع الراحة وأنفعها للجسد، ففيه تسكن الأعضاء وتهدأ النفوس كما قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام].

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن جعل النوم سباتاً يدركهم فيقطعهم عن الإدراك والنشاط ويجعلهم في حالة تتكفل بإراحة أجسادهم وأعصابهم، وتعويضها عن الجهد الذي بذلته في حالة الصحو والإجهاد، «وإعادة بناء بعض الأنسجة التي تلفت أو استهلكت أثناء ساعات النشاط»[(١)]. وقد وصفه الله تعالى بالسبات: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ [النبأ][(٢)].

وإذا كان من آيات الله تعالى النوم بالليل لأن له فوائد كثيرة والجسم يستفيد منه أكثر مما يستفيده من نوم النهار، فينبغي على الوالدين أن يدعوا الطفل إلى النوم المبكر، وأن يترك السهر إلا لضرورة قصوى، حتى يستطيع الاستيقاظ مبكراً، لأن في اليقظة باكراً لصلاة الفجر ثم الانتشار إلى العمل فائدة عظيمة، وقد أقسم الله تعالى (بالفجر) في كتابه العظيم قال تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾﴾ [الفجر].

• **اللعب والرياضة:**

لقد أقر الإسلام اللعب البريء واللهو المباح ما دام في مصلحة الإسلام وخدمة المسلمين، وهما من الأمور التي تتطلبها الفطرة البشرية كما جاء على لسان إخوة يوسف، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا

(١) النوم والأحلام في الطب والقرآن ص٣٥.
(٢) السُّبات: الراحة. المعجم الوسيط (س ب ت) ١/ ٤١٢.

لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف]. وأيضاً قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ [يوسف: ١٧]. فاللعب في الآيتين السابقتين هو اللعب المباح (من الانبساط)، لا اللعب المحظور الذي يترتب عليه الآثار كالقمار، والمسابقات التي تجري مجراه وتجمع جوائزها من مساهمات اتصال المشاركين. فيبوء البعض بالغنيمة لعامل الحظّ ويخسر الباقون وهذا أصل القمار.

والرياضة: هي حركة إرادية تضطر إلى التنفس العظيم المتواتر والموافق لاستعمالها على جهة اعتدالها في وقتها، وفيها غناء عن كل علاج تقتضيه الأمراض الماديَّة والأمراض المزاجية»[(١)].

وللرياضة أهمية من وجوه عديدة:

١ ـ أنها تعوِّد البدن النشاط وتجعله قابلاً لتمثُّل للغذاء، وتجنبه تصلب المفاصل، وذلك لأن الحركة لها أهميتها للبدن والحفاظ على حياة الفرد، وتعتبر الحركة أحد عناصر الحياة للأطفال الأصحاء لأنه يزود الجسم بالخفة والحيوية والنشاط[(٢)].

٢ ـ أن تنمية القوى الجسمية وتنشيطها عند الأطفال تحتاج إلى لعب يكسبهم بعض المهارات الحركية مثل القفز، والجري، والتسلق، والتسابق وغيرها من النشاطات الحركية الجسمية التي يكتسب منها الأطفال قدرات حركية، كما أن اللعب مع الغذاء يساهم في نمو الأطفال وزيادة وزنهم زيادة طبيعية وزيادة حجمهم ويساعد على نمو أجهزتهم الجسمية المختلفة[(٣)].

---

(١) انظر: القانون في الطب، لابن سينا ١/٢٥٨.
(٢) انظر: الطب النبوي، لابن قيم الجوزية ص١٩٢.
(٣) الطفل في ضوء القرآن والسُّنَّة والأدب ٢١٠.

٣ ـ إذا كان الطفل عليل الجسم واهن القوى فإن هذا كله يؤثر في مجاراته لرفاقه وزملائه في المدرسة؛ لأنه يشكو من مرضه فلا يلعب، وتكون حركته بطيئة، وقد يكون منعزلاً عن رفاقه، ففي الرياضة محافظة على لياقه جسمه، وتجعله أكثر مرحاً وابتهاجاً، مما له الأثر الكبير والإيجابي على شخصيته وتصرفاته وسلوكه[١].

وقد دعا الإسلام إلى رياضات بأعيانها هي الرماية وركوب الخيل والسباحة وسباق المشي دون إغلاق الباب أمام رياضات أخرى شريفة وتدخل في المباحات إن لم يصاحبها الإثم ككشف العورات والمشاجرات والإيذاء، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والنبي ﷺ عرَّف أن القوة الرمي، فعن أبي علي ثمامة بن شفي[٢] أنه سمع عقبة بن عامر[٣] يقول: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»[٤].

وركوب الخيل من أنواع الرياضة الجميلة والمفيدة، وفيها تربية للجسد وتقويته كما جاء في كتابه العزيز: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقد مدحها رسول الله ﷺ، فعن أنس بن مالك[٥] قال: قال رسول الله ﷺ: «**البركة في نواصي الخيل**»[٦].

والسباق على الأقدام نوع من أنواع الرياضة حثَّ عليها الإسلام في

---

(١) انظر: تربية الأطفال في ضوء القرآن والسُّنَّة ٢/ ٥٤٥.
(٢) سبقت الترجمة له.
(٣) سبقت الترجمة له.
(٤) سبق تخريج الحديث.
(٥) سبقت الترجمة له.
(٦) سبق تخريجه.

كتابه الكريم: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا﴾ [يوسف: ١٧].

• **اتباع الوقاية والتداوي:**

أرشد القرآن الكريم إلى اتباع سبل الوقاية والتداوي بما يحقق سلامة الناشئة من كل ما يسبب لها الضرر أو يكون عائقاً لنموها الجسمي.

ومن هذه الإرشادات الوقائية: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١].

قال ابن كثير[١]: «قال بعض السلف: جمع الله الطب كله في نصف آية»[٢].

وهذه الآية اشتملت على نظام تربوي من وجهين، **أحدهما**: إباحة الطعام والشراب: إذ بتناولهما يتغذى جسم الإنسان ويكتمل نموه وتناولهما أمر ضروري لحياة الإنسان. **والوجه الثاني**: النهي عن الإسراف في الطعام والشراب[٣].

وهذه الآية الكريمة تشتمل على قاعدة صحية بتحقيق التوازن في المأكل والمشرب؛ لأن عدم التغذية أو الإسراف فيه مانع من الصحة جالب للمرض، فكلاهما سوء تغذية التي تضر بالناشئ، ولها آثارها عليه، فالغذاء لا بد أن يكون شاملاً للعناصر الضرورية من بروتينات ـ

---

(١) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي أبو الفداء عماد الدين حافظ مؤرخ، فقيه ومفسر، رحل في طلب العلم، ولد سنة (٧٠١هـ) كان قدوة للعلماء والحفاظ له تصانيف كثيرة فيها: «البداية والنهاية»، و«تفسير القرآن العظيم» و«الباعث الحثيث» وغيرها كثير، توفي بدمشق سنة (٧٧٤هـ). انظر: طبقات المفسرين ص٨٠، والأعلام ١/ ٣٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ١٨٣.

(٣) انظر: تفسير المنار ٨/ ٣٤٢.

وكربوهيدرات ودهون وفيتامينات وأملاح معدنية والماء، وكلها ضرورية من أجل استمرار الحياة والحصول على الطاقة اللازمة والوقاية من الأمراض، وذلك تأكيداً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ [الأعراف: ٣١].

ومن الإرشادات الوقائية القرآنية:

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

إن اللباس نعمة من نعم الله ﷻ على بني آدم امتن الله عليهم بها يستتر به الإنسان ويتزين به، وحافظاً لهم من كشف عوراتهم، فهو نعمة ووسيلة وقائية لحفظ البدن وسلامته»[1].

والله تعالى أمر باللباس لأن الفطرة السليمة تتطلبه، وهو حاجة وضرورة مهمة لحماية جسد الإنسان ووقايته حتى لا يتعرض للأمراض في أوقات مختلفة في البرد أو الحر، وقد بيَّن الله ﷻ هذه الأهمية وهذه النعمة بقوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥﴾ [النحل].

وأشار ﷻ إلى اللباس الذي يقي من الحر: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ [النحل: ٨١].

وينبغي على الوالدين تعميق مفهوم أهمية اللباس في نفس الناشئة وتعويدهم على آداب لبس الثوب ونزعه، وتعويدهم على اللباس الساتر والبعد عن الملابس الشفافة التي لا تستر العورة والثياب القصيرة، لما في ذلك من قله الحياء وغيرها من الأمور التي يجب مراعاتها في لباس الناشئة التي لا بد من الأخذ بها في جميع المراحل العمرية وما تحتاجه على مستوى الجنسين الذكر والأنثى.

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٤١٣.

وتأكيداً لحماية الجسد من الجراثيم والأوساخ شرع الإسلام الوضوء والغسل كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة: ٦].

فالوضوء يزيل كل ما يلتصق بالجلد من أتربة وعرق سواء من غسل اليدين أو إزالة للميكروبات والفيروسات عن طريق غسل الفم والأنف بالمضمضة والاستنشاق، وغسل الوجه ثلاث مرات يجعله نظيفاً من الغبار والأقذار، وفي غسل الرجلين إلى الكعبين نظافة أيضاً لما قد يتعرضان له من ملامستهما للتراب والغبار والأذى والرائحة التي قد تعلق بهما ولا تزول إلا بالغسل والنظافة[١].

وقد رغب الإسلام في الوضوء وبيَّن الله ﷻ محبته سبحانه لمن يفعل ذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والناشئ الصغير لا يمكن أن يعي هذه القضايا وهذه المعاني الكريمة في النظافة والطهارة، ومربيّه هو المسؤول عن رعايته ونظافته وتوجيهه إلى ذلك فيعوِّده على كثرة الاغتسال وحب التطهر والنظافة من غير إسراف أو وسوسة، وتعويده على نظافة ثوبه وملبسه، وقد حث عليها سبحانه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾ [المدثر].

فيكون في البيت وعند الأقارب وفي الأماكن العامة حسن المنظر، نظيف الثياب، ويعوَّد كذلك الاهتمام بنظافة أسنانه وتنظيفها قبل النوم وبعده.

ومما أرشدنا إليه ﷻ وجعله سبباً للتداوي من كثير من الأمراض

---

(١) انظر: إعداد الطبيب المسلم للرعاية الصحية الشاملة، حسني الرودي ص١٦٦ - ١٦٧، والطفل في ضوء القرآن والأدب ص١٦٣.

وجعل فيه شفاء للناس العسل، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ﴾ [النحل].

والمتأمل لقوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ﴾ يدرك أن العسل فيه شفاء لأكثر من مرض وله فائدة عظيمة ومهمة في جميع مراحل الناشئة:

وقد قيل في العسل وخواصه ومنافعه الشيء الكثير، وأفردت له المؤلفات، وهذا يجعلنا نقف عند ما ذكرناه عن العسل فنذكر بعده كذلك الرطب.

فللرطب أهمية كبيرة وفوائد عظيمة أشار القرآن الكريم إليها في قوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم].

وللرطب فوائده بالنسبة للمولود فمن الأحكام التي شرعها الإسلام للمولود استحباب تحنيكه عقب الولادة.

والحكمة في ذلك: «تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتلمظ حتى يتهيأ المولود للقم الثدي وامتصاص اللبن بشكل قوي وحاله طبيعية»[١].

ومن الأدلة على استحباب تحنيك المولود بعد ولادته ما ورد عن أسماء[٢] أنها حملت بعبد الله بن الزبير[٣] قالت: فخرجت وأنا متم

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام ١/ ٦٠، ٦١.

(٢) هي: أسماء بنت أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة، أم عبد الله القرشية، زوج الزبير بن العوام، ووالده عبد الله بن الزبير وأخت أم المؤمنين عائشة، وآخر المهاجرات وفاة. روت عدة أحاديث شهدت اليرموك مع زوجها الزبير عاشت مائة سنة، وماتت (٧٣)، وقيل: (٧٤هـ).
انظر: أسد الغابة ٧/ ٧، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٧٤.

(٣) سبقت الترجمة له.

فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق النبي ﷺ، ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبرَّك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام»(١).

ويضاف إلى الرطب زيت الزيتون الذي وصفه الله ﷻ في كتابه العزيز بالشجرة المباركة: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥].

وقد حدد الله سبحانه هذه البركة بقوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون]. كما أنه تعالى أقسم بثمرته فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾﴾ [التين]. وفيه إعلاء لقدر هذه الثمرة.

وقد حث النبي ﷺ على تناول زيت الزيتون واستعماله كدهان كما قال ﷺ: «**كلوا الزيت وادَّهنوا به فإنه من شجرة مباركة**»(٢).

ولسهولة هضم زيت الزيتون ينصح الأطباء بإعطائه للأطفال مع الخبز في بداية عهدهم بالغذاء لبناء أجسامهم ووقايتهم من الإصابة بالكساح وتقوس الساقين لاحتوائه على فيتامين «د»، وهو مفيد في تطرية الجلد ولمعالجة القشور الناجمة عن الأكزما وغيرها من الفوائد التي لا حصر لها(٣).

❐ خامساً: دور الأسرة في التربية النفسية للناشئ:

تعتبر الأسرة العامل الأساسي في صنع سلوك الطفل منذ نشأته

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب العقيقة، باب تسمية المولود غداة يولد، رقم الحديث (٥٤٦٩).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في أكل الزيت، رقم الحديث (١٨٥١)، وقال الألباني: حديث صحيح في سنن الترمذي ص٤٢٦.

(٣) انظر: التداوي بالقرآن، عبد المنعم قنديل ص١٢٠، وروائع الطب الإسلامي ١/ ١٠٣ ـ ١٥٨.

الأولى وخلال مراحل نموه المختلفة التي تتولاها الأسرة بالعناية والرعاية وتأثيرها على توافقه النفسي أو سوء التوافق وكل ما يكتسبه الطفل من الأسرة من خبرات مؤلمة والناتجة عن اتباع أساليب خاطئة في التنشئة وتظل راسخة في حياته حتى يكبر وتؤدي به إلى اضطرابات نفسية وانفعالية في شخصيته مما يعرضه لبعض العلل والانحرافات النفسية حذر منها القرآن الكريم، **ومنها ما يلي**:

- **الخوف عند الناشئة:**

ينشأ الخوف عند الناشئة لأسباب تكونت لديه منذ صغره منها: «المشاجرات بين الوالدين، وقد أبرز القرآن الكريم العلاج المناسب والوقائي لهذا السبب عندما دعا ﷻ في كتابه الكريم إلى أن تكون العلاقة بين الوالدين على أساس المودة والرحمة والألفة»، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

وأيضاً عندما نظم الإسلام الأسرة وما قد يثور بين الزوجين من الخلاف فلم يدع الأمر مطلقاً من غير اهتمام أو ضوابط، بل حثّ على العشرة بالمعروف ولطف المعاملة والإغضاء عن الهفوات، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وإذا اشتد النزاع واستمر الخلاف جاء قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥].

وفي حاله استمرار الخلاف بين الزوجين واستعصى الوفاق على الحكمين عمد الإسلام إلى التفريق بين الزوجين على أسس تضمن لكلٍّ

حقوقه، وتضمن للأولاد أنسب مستوى من العيش الطيب بعد ما استحال عيشهم في كنف الأسرة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء]، وقوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [الطلاق].

إن القسوة في التعامل مع الناشئة سبب من أسباب الخوف لديهم؛ لأن هذه القسوة تخلِّف في نفسه هزات عنيفة يكون لها أثر سيئ في سلوكه، وخُلقه.

ولا شك أن القسوة من الوالدين تجاه أبنائهم يولِّد بداخلهم تدريجياً هذا العنف وهذه القسوة، فينشأ الولد قاسي القلب منزوع الرحمة، ويصير ميالاً إلى الخضوع إلى السلطة والخنوع والطاعة في غير موضعها، غير قادر على المناقشة وإبداء الرأي، ويصير معتمداً على الآخرين وخاصة على الوالدين، فلا يستطيع الولد التصرف في أمر من الأمور دون أخذ رأي الوالدين، ومن آثارها أيضاً فقدان الثقة بالنفس والعجز والقصور عند مواجهة المواقف فينتج عن ذلك ظهور التردد، والانكماش والخجل وعدم القدرة على التفكير المستمر وغيرها من الآثار.

ولهذا فإن القرآن الكريم أرشد الوالدين والمربين إلى أن يستخدموا الملاطفة والمعاملة الرحيمة، بدافع الرحمة بهم، فقد اتصف نبي الرحمة ﷺ بالرحمة فتأثر به الناس وأقبلوا عليه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والعفو عن الناس من الخصال التي دعا إليها الشارع: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

ومن الرحمة بالأولاد القول الحسن اللطيف عند مخاطبتهم: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

ومع أنه ﷻ قد حث في كتابه الكريم على الرحمة والرفق بالأطفال فإنه وجه إلى استخدام العقوبة في حالات وضمن قواعد وخطوات تبدأ من الأخف إلى الأشد، فتبدأ بالتوجيه إلى الخطأ والتنبيه عليه، فبالموعظة والنصيحة والتوجيه والقول الحسن، قال تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣].

ثم يأتي بعد ذلك اللوم والتأنيب والتوبيخ، وقد روي عن أبي ذر[(١)] قال: «كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه فشكاني إلى النبي ﷺ، فلقيتُ النبي ﷺ فقال: «**يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية**»[(٢)].

ثم بعد ذلك تأتي المقاطعة والهجر، وهذا ما جرى مع النفر الذين تخلفوا عن الجهاد مع الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٨].

وآخر مرحلة من مراحل العقوبة يجيء «الضرب» فقد أقره الإسلام، وهو يأتي في المرحلة الأخيرة وفق شروط حتى لا يخرج الضرب من الزجر والإصلاح إلى التشفي والانتقام، وقد أقر الله ﷻ الضرب وسيلةً أخيرة عندما لا تجدي بقية الوسائل، وقد ورد ذكر الضرب في العقوبة،

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) سبق تخريج الحديث.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ [النساء: ٣٤].

والتدليل المفرط سبب أيضاً من أسباب خوف الناشئة وضعف شخصيتها وهو نوع من المبالغة في التساهل مع الطفل بحيث يستجيب الوالدان أو أحدهما لمطالب الطفل مهما كانت هذه المطالب، ويغضان الطرف عن كل ما يرتكب من أفعال تقتضي التأديب والعقاب.

ولهذا النوع من المعاملة والتربية آثاره على الناشئة حيث ينتج عنه عدم القدرة على تحمل المسؤولية.

وسبب ذلك اعتياد الطفل على أن يأخذ دون أن يعطي، وعلى عدم التحرر من الوالدين. ومن آثاره الخجل وفقدان الرجولة والشجاعة والتدرج نحو الميوعة.

وعلاج هذه الظاهرة في ضوء القرآن الكريم: هو الاعتدال والتوسط في معاملة الأبناء.

فكم من الأبناء يضيع بين تقتير الآباء أو إسرافهم، ويكون ذلك إما بحرمان الولد من ضروريات الحياة ضنّاً بالمال ورغبة في جمعه، فيبتعد الابن عن فضيلة التوسط، ويصبح نهماً جشعاً لانتهاب الأموال والسرقة، وتضيع ثروة والده، أو يكون شحيحاً كما ألف من والده.

وتلبية رغبات الأبناء ليس مقصداً شرعياً، وإنما التوازن والتوسط[1] هو المقصد الشرعي استجابة لأمره تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ٦٧﴾ [الفرقان].

ومن وسائل العلاج أن يحرص الوالدان على عدم تضارب آرائهما

(١) تربية الأطفال في رحاب الإسلام ص٢٧٤.

فيما يخص الأولاد، فلا يأمر الوالد بأمر وتأمر الأم بخلافه، فذلك يشتت الأولاد ويحيرهم فلا يعرف الصواب من الخطأ، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر].

ومن التعارض بين الوالدين في معاملة أبنائهم أن يظهر الأب بمظهر القسوة والأم بمظهر الرأفة، فهذا من شأنه أن يولد نفور الابن من والده وارتمائه في حضن أمه، ويؤدي هذا المسلك للاستهانة بالأوامر التي توجه إليه، فلا بد من إشعار الصبي بمحبة والده وشفقته عليه ومحبته له، ومحبة والدته لأدبه وتحليه بالفضائل وترك الرذائل.

ومن واجبات الأسرة كذلك تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفس الناشئة حتى يعلموا أنه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد].

- **الغيرة عند الناشئة:**

الغيرة ليست سلوكاً ظاهرياً، وإنما هي حالة انفعالية يشعر بها الفرد ولها مظاهر خارجية يمكن الاستدلال منها أحياناً على الشعور الداخلي، وتظهر الغيرة في حياة الأطفال في السنوات الخمس الأولى عن طريق المصادفة أو عن طريق التحفيز غير المقصود من الكبار[١].

وقد صوَّر القرآن الكريم انفعال الغيرة تصويراً رائعاً في قصة يوسف عليه السلام وشدة غيرة إخوته منه إلى الحد الذي جعلهم يريدون قتله،

(١) انظر: أسس الصحة النفسية ص٤٠١ ـ ٤٠٤.

وذلك عندما تناجوا بينهم قائلين: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [يوسف].

فمن أسباب الغيرة المقارنة بين الإخوة وتفضيل الأم أو الأب لأحدهم دون الآخر ومن الأسباب أيضاً القسوة والشدة في العقاب الذي يتبعه بعض الآباء في التفرقة بين الأبناء أو كثرة المديح والإطراء، وكذلك التعلق الشديد من قبل الطفل بوالديه وغيرها من الأسباب السابقة الذكر.

ولعلاج أسباب الغيرة في ضوء القرآن الكريم ينبغي المساواة بينهم، وحسن المعاملة حتى لا ينشأ الطفل وقد توغّر صدره على أشقائه وأقرانه بدافع الغيرة بما لا تحمد عقباه، نظراً لعدم المعاملة الرحيمة أو العادلة كما أخبر ﷻ عن غيرة إخوة يوسف في كتابه كما مر من قريب.

فالعدل مطلوب في كل الأمور حتى في معاملة الوالد لأولاده في المحبة والإيثار وغيره؛ لأن الله ﷻ أمر بالعدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

وبيَّن ﷻ أن القيام بالعدل واتخاذه منهجاً وسلوكاً لتربية الأبناء أقرب للتقوى: ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وقد تكون المفاضلة على أساس نوع الجنس بمعنى أن يفرق في المعاملة بين البنت والولد ويفضل الذكور على الإناث، فالرسول ﷺ حث على إكرام البنت والإحسان إليها، ومن ذلك إعطاؤها حقها من الحب والحنان، وبين الأجر الكبير لمن يفعل ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**»[(١)].

فالعدل بين الأبناء كفيل بسلامة الأبناء من الغيرة وآفات القلوب من

---

(١) سبق تخريج الحديث.

حقد وحسد والشعور بالنقص تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ: «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**»[(١)].

والتدليل الزائد والتسلط من قبل الوالدين، وكذلك المشاجرات وكثرة النزاعات بينهما جميعها أسباب حتمية مؤدية لغيرة الطفل وآثارها واحدة على شخصية ونفسية الناشئ، وذلك من خلال فقد الناشئ الأمن وفقدان ثقة الطفل بنفسه غير قادر على الاعتماد على نفسه أو مواجهة الحياة ميالاً للخنوع لا يستطيع اتخاذ القرارات لوحده بل لا بد من الاستعانة بوالديه، فينبغي على الوالدين التربية التي تتخللها القسوة المغلفة بالرحمة والغلظة الممزوجة بالحنان.

إن التدليل المفرط وتلبية جميع متطلبات الطفل دون أي رفض أو اعتراض يولد عند الطفل الشعور بالأنانية والتطلع دائماً إلى الاستحواذ على ما عند الآخرين، وعندما لا يستطيع الوصول إلى ما عند الآخرين تظهر لديه الغيرة ووسائل التعبير عنها من التجسس والوشاية والسخرية، وعند ملاحظة ذلك على الناشئ ينبغي إرشاده إلى تجنب ذلك بحجة أن القرآن الكريم قد نهى عن هذه الأمور، قال تعالى في كتابه الكريم ناهياً عن السخرية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات].

ويذكر أيضاً بقوله تعالى في النهي عن التجسس والغيبة: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١٢].

(١) سبق تخريج الحديث.

ولا بد أن يتجنب الوالدان السخرية من أبنائهم عندما يخطئون، ووصفهم بأوصاف جارحة، وألا يتعمدوا سبهم وشتمهم، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**»[(١)].

وعندما يرى الوالدان خطأ ابنهم فعليهما أن يسارعا في توجيهه ونصحه أو تصحيح خطأه، وإعطاء الطفل فرصة للتصحيح إذا أخطأ حتى ينهضوا للأمثل، ويتجنبا نصحه وعتابه أمام العامة والآخرين لئلا يسبب ذلك انكساراً للابن وانهزاماً له.

والطفل لن يتعرض إلى الشعور بالغيرة طالما كان محل عناية الآباء واهتمامهم، وطالما ظل واثقاً أنه غير منبوذ.

«ولعل الاختلاف في مستوى المعيشة بين الأسر له أثر في نشوء الغيرة، فلكل أسرة مستوى اقتصادي محدد، وقد قدر الله لها ذلك المستوى أو ذاك، وربما تميزت أسرة داخل نفس العائلة على أسرة منخفضة المستوى الاقتصادي أو شديدة البخل على أبنائها مما يجعل هؤلاء الأبناء ينظرون إلى أبناء الأسرة الأخرى المتميزة وممتلكاتهم وألعابهم بعين كلها تمنٍّ في الحصول مثلهم على هذه الألعاب والمميزات، ومن هنا تتفتح بذور الغيرة على عوامل تكافؤ الأسر في الإغداق على الأطفال»[(٢)].

ومن واجبات الوالدين تأمين حاجات أبنائهم ومتطلباتهم على حسب مقدرتهم وعدم التقتير والبخل على أبنائهم، فالتربية تكون وسطية

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، رقم (١٩٧٧)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني في سنن الترمذي ص٤٤٩: حديث صحيح.

(٢) المشكلات النفسية عند الأطفال ص٣٣، ٣٤.

فلا بذخ فيتعودوا على الإسراف والتبذير، ولا شح فتمنع عنهم العطاء فيشعروا بالتقتير عليهم فيدفعهم ذلك إلى السرقة والفساد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء].

ثم إن تربية الأبناء وتنشئتهم على القناعة والرضا من الأساليب الهامة التي تعالج الاضطرابات النفسية الناجمة عن الغيرة وكراهية الآخر، وأن يؤمن بأن الله ﷻ قسم الأرزاق وجعلها متفاوتة بين الناس لحكمة أرادها سبحانه، ومنها الابتلاء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

❐ ومن العلل والانحرافات التي تظهر على الناشئة:

ظاهرة الحسد:

إن وجود هذه الظاهرة وتفشِّيها بين الصغار يستلزم الاهتمام الكلي من الآباء والمربين لاستئصالها من تلك النفوس الغضة حتى لا تتراكم على إثرها ظواهر اجتماعية وسلبية أخرى.

ويتم ذلك بتوفير عناصر معينة لعل أهمها:

١ ـ حب الآباء لأبنائهم.

٢ ـ تحقيق مبدأ العدالة.

٣ ـ تربية الناشئة على التخفيف من الشعور بالأنانية المفرطة.

٤ ـ غرس الاعتقاد بأن الله قد فاوت بين الناس في الرزق.

٥ ـ تعويد الناشئة على حب الخير للآخرين.

وقد تناولت هذه الأمور بإسهاب فيما تقدم من هذا البحث[1]،

(١) انظر: ١٣٦ من هذا البحث.

وربما يضاف إلى ذلك هنا أن نُشعِر الأبناء أن ما حصل من نعمة ونجاح للآخرين يمكن أن يحصل مثله لنا بإذن الله لو أننا عملنا بجدّ واستثمرنا أوقاتنا.

❐ جوانب نفسية أخرى للناشئة اهتم بها القرآن الكريم:

١ ـ اختيار الاسم الحسن.

٢ ـ تقديم الرحمة والحب للناشئ.

٣ ـ الرحمة باليتيم والعطف عليه.

٤ ـ إيلاء البنات رعاية خاصة.

وقد سبق أن عرضنا في هذا البحث إلى هذه الجوانب تفصيلاً[1].

• النظرة الشمولية في التربية القرآنية:

مما تقدم رأينا أن القرآن الكريم قد أوجد أدوية محدّدة لمواجهة الانحرافات النفسية لدى الناشئة وتربية الناشئة على الخير. **ومن هذه العقاقير الناجعة:**

١ ـ **الحب والرحمة**: فهي أساس التربية ـ كما بيَّن لنا في مواجهة كثير من الانحرافات كالغيرة والحسد.

٢ ـ **العدل**: وهو عقار نفسي ناجح في نفي الإحساس بالظلم لدى الناشئ، ومنع ما ينتج عنه من انحرافات.

٣ ـ **تأمين حاجات الطفل**.

فالحاجة مزلق خطير وسبب لكثير من الأمراض النفسية لعل أهمها بروز الحسد والغيرة لدى الناشئ، ولكن بيَّن لنا أن تقدير حاجة الطفل ينبغي أن تكون بميزان دقيق، فلا هي مسرفة تؤدي إلى التبذير ونشوء

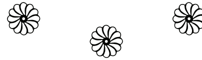
---

(١) انظر: ٦١ من هذا البحث.

الطفل على مرض استحواذ لما لدى الآخرين، ولا هي مقترة تبقي على جرح نفسي لدى الناشئ.

والإسلام قد وضع الحلول لهذه الظاهرة، فحله العام كان بتحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع المسلم وفرض الزكاة والدعوة إلى الصدقات، والأمر بأن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه.

وحله الخاص بغرس القرآن لعقيدة الإيمان بالقدر والحظوظ التي قسمها الله للناس في الرزق، فترضى بذلك نفس المؤمن وتستقر، مع أن الإسلام قد دعا ـ من جهة أخرى ـ إلى العمل وحث عليه.



الفصل الثاني

عناصر العناية بالناشئة ومجالاتها وأساليبها في ضوء القرآن الكريم

وفيه ثمان مباحث:

المبحث الأول: عناصر وأساليب قرآنية شاملة عظيمة النفع للناشئة في ضوء سورة لقمان.

المبحث الثاني: عناصر تأهيل المربي وأساليبه وبيان خصائصه وصفاته في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الثالث: كمال الإحاطة الربانية للأنبياء في طفولتهم وفوائده العظيمة للناشئة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الرابع: منهج الأنبياء في تنشئة ذرياتهم وما فيه من فوائد جليلة للناشئة في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الخامس: عناصر الآداب القرآنية للناشئة وأساليبها في مجال معاملة الوالدين والإخوة.

المبحث السادس: عناصر وأساليب الآداب القرآنية للناشئة في مجال التعليم واختيار القرناء.

المبحث السابع: عناصر وآداب وأساليب قرآنية في توجيه الناشئة في مجال الأخلاق.

المبحث الثامن: عناصر تأهيل النشء في مجال الآداب الاجتماعية العامة وأساليبه في ضوء القرآن الكريم.

المبحث الأول عناصر وأساليب قرآنية شاملة عظيمة النفع للناشئة في ضوء سورة لقمان

◻ أولاً: العناصر القرآنية:

إن سورة لقمان تعد نموذج من النماذج التي ترتقي بالتربية إلى قمة عالية خالدة، فهي ترسم الطريق الواضح في إصلاح النفس والمحافظة على الفطرة السليمة، وقد تجلى هذا النموذج في مواضع قيمة عرضها لقمان[١] على ابنه.

ولقمان رجل آتاه الله الحكمة وهي الفقه في الدين والعقل والإصابة في القول[٢]، فهو يعد نموذجاً ورمزاً من رموز الفضيلة والحكمة التي تسعى البشرية إليها. وقد خصَّه ربُّ العزة في حديثه مع ابنه بآيات بينات فيها من قواعد التربية وأسس البناء الإنساني فرداً وجماعة ما ليس في حديث غيره[٣]، تم ذلك في لقاء أبوي مليء بالحنان والعطف مشتملاً على كافة الجوانب التي تحقق الخير لابنه في الدنيا والآخرة من عقيدة، وعبادة، وأخلاق، وسلوك، مما يشعر بأهمية مجالسة الابن ومناصحته

---

(١) اسم لقمان اسم أعجمي مشتق من اللقم، واختلفت الروايات في حقيقته، فمن قائل أنه كان نبياً، وقيل: إنه كان عبداً صالحاً من غير نبوة، والأكثرون على هذا القول الثاني، وقيل: إنه كان عبداً حبشياً، وقيل: إنه كان نوبياً، كما قيل: إنه كان في بني إسرائيل قاضياً من قضاتهم. انظر: روح المعاني ١٢/ ١٢٥، والطبري ١٨/ ٥٤٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٧، والجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٥٦، والظلال ٥/ ٢٧٨٧.

(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٥٤٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٣٤٧، والجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٥٦، وفتح القدير ٤/ ٢٩٧.

(٣) انظر: آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم، فاروق حمادة ص١٦٣.

حتى تستقيم حياته، وإعداده ليكون عضواً صالحاً ونافعاً في جميع علاقاته وتعاملاته.

وقد صاغ القرآن الكريم هذه الجوانب في خمس مواعظ، اشتمل عليها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٣ ـ ١٩].

وقد اشتملت هذه المواعظ على العديد من العناصر هي كالتالي:

الموعظة الأولى: توحيد الله تعالى ونبذ الشرك:

لقد بدأ لقمان هذه الموعظة بتذكير ابنه بالخير بما يرق له قلبه(١) عن طريق وعظه وتربيته، وهذه من المهمات الأساسية التي ينبغي على الآباء القيام بها، وقد جاء هذا الوعظ بخطاب هو أحب ما يخاطب به الابن لما فيه من إظهار الترحُّم والتحنُّن والشفقة بقوله: (يا بني)(٢)،

(١) روح المعاني ١٢/١٢٨.

(٢) وأصله (يا بُنَيْيي) بثلاث ياءات، إذ أصله الأصيل (يا بُنَيْوي) لأن كلمة (ابن) واوية اللام، الملتزمة حذفها، فلما صُغّر رُدّ إلى أصله، ثم التقت ياء التصغير الساكنة قبل واو الكلمة المتحركة بحركة الإعراب فقلبت الواو ياءً لتقاربهما وأدغمتا، ولما نودي وهو مضاف إلى ياء المتكلم حُذفت ياء المتكلم لجواز حذفها في النداء، وكراهية تكرار الأمثال. =

والتصغير فيه لتنزيل المخاطب الكبير منزلة الصغير، وهذا أدعى لقَبول النصح[(١)]، وإنها لعظة غير متهمة فما يريد الوالد لولده إلا الخير وما يكون لولده إلا ناصحاً، فقد بدأ لقمان برأس الأمر وهو العقيدة وسلامتها من الشرك وتوحيد الله وهو أول واجبات المخلوق تجاه الخالق، وقد علل هذا النهي بأن الشرك ظلم عظيم، وقد أكد هذه الحقيقة مرتين: مرة بتقديم النهي، وفصَّل علته، ومرة بإن واللام[(٢)] لأنه ظلم لحقوق الخالق التي أمر بتأديتها، قال رسول الله ﷺ: «**حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**»[(٣)].

والشرك ظلم عظيم «لما فيه من وضع الشيء في غير موضعه، والتسوية بين من لا نعمة إلا منه سبحانه، وبين من لا نعمة له»[(٤)].

ويلاحظ أن لقمان قد ركّز في أوائل مواعظه على التأسيس المتين القائم على العقيدة الراسخة الصحيحة.

الموعظة الثانية: بر الوالدين والإحسان إليهما:

وتستمر موعظة الأب لابنه في أسلوب رقيق مصوراً هذه العلاقة بصورة فيها عطف ورقة يعرض من خلالها العلاقة بين الوالدين والأولاد[(٥)]، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ

= انظر: تفسير التحرير والتنوير ١٠/ ١٥٤، والجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٥٩، ولسان العرب ٢/ ١٥٨، ١٥٩.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي ٦/ ١٣، والتحرير والتنوير ١٠/ ١٥٥.

(٢) انظر: في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٨٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب اسم الفرس، حديث رقم (٢٨٥٦)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، حديث رقم (٣٠).

(٤) روح المعاني ١٢/ ١٢٨، وتفسير المراغي ٢١/ ٨١ بتصرف.

(٥) انظر: في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٨٨.

وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان]، ونلاحظ أن توصية الولد بالوالدين يتكرر في القرآن الكريم، فقد جاء قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، وقال في موضع آخر: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وأيضاً من وصايا رسول الله ﷺ كما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[1] قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟، قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم بر الوالدين**»، قلت: ثم أي؟، قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[2].

ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلاً وذلك؛ «لأن الحب الفطري في الوالدين تجاه أبنائهم يدفعهم إلى رعاية الجيل الناشئ، لضمان امتداد الحياة كما يريدها الله؛ لأن الوالدين يبذلان لوليدهما من أجسامهما وأعصابهما وأعمارهما من كل ما يملكان من عزيز وغال في غير تأفف ولا شكوى، وإنما في نشاط وفرح وسرور، فالحب الفطري كفيل بتوصية الوالدين دون وصاة!.

أما الوليد فهو في حاجة إلى الوصية المكررة ليلتفت إلى الجيل المضحِّي بعد ما سكب عصارة عمره وروحه وأعصابه للجيل المتجه إلى مستقبل الحياة، وما يملك الوليد أن يعوّض الوالدين بعض ما بذلاه ولو وقف عمره عليهما، وهذه الصورة الموحية: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، ترسم ظلال هذا البذل النبيل، والأم

---

(١) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أبو عبد الرحمن الهذلي، حليف بني زهرة وأول من جهر بالقرآن بمكة المكرمة، هاجر الهجرتين وصلى القبلتين وشهد بدراً وأُحد وما بعدها توفي سنة (٣٢هـ).
انظر: أسد الغابة ٣/ ٣٨١، وتهذيب التهذيب ٣/ ٦٥٩.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، حديث رقم (٥٢٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، حديث رقم (٨٥).

بطبيعة الحال تحتمل النصيب الأوفر من العطف والرفق لأنه قد يقع التفريط في الوفاء بالواجب للأم من الابن اعتماداً على ما يلاقيه من اللين منها بخلاف الأب، فإنه قوي ولأبنائه توقٍّ من شدته عليهم»[(١)].

فهذه نعم عظيمة تفضَّل الله بها على هذه الابن تعني الاعتراف بفضل صاحبها ومنعمها الأول وشكره وهو سبحانه جل في علاه، وأول مراحل الشكر الاعتراف باللسان بفضل الله بعبارات الشكر والحمد (الحمد لله)، وهي أول عبارة نطق بها آدم عليه السلام بعد أن نفخت فيه الروح[(٢)]، وهنالك شكر الجوارح وهو تسخير الجارحة في طاعة الخالق لا في معصيته: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

ومن شكر النعمة التحدث بها[(٣)]، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى]، وفي النهاية يصبح الشكر هو العبادة الحقة، ثم شكر الوالدين المنعمين التاليين، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، وشكرهما «باجتناب الإساءة إليهما من كل وجه بالقول والفعل»[(٤)(٥)]، ولو بأدنى كلمة أو فعل، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء]، غير أن طاعة الوالدين إذا تعارضت مع إيمان الولد بربه وتوحيده لخالقه تنتقض في الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٨٨ بتصرف، والتحرير والتنوير ١٠/ ١٥٨.
(٢) انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم، رقم الحديث ٢/ ٢٨٧.
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٦٨، ولسان العرب ٨/ ١١٥.
(٤) تفسير السعدي ص٦٤٨.
(٥) لمعرفة المزيد من جوانب بر الوالدين الرجوع إلى ص٢٥٦ من هذا البحث.

لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان].

وقد نزلت هذه الآية الكريمة في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[1]، فقد كان رجلاً باراً بأمه فأسلم، فطلبت منه أمه أن يدع دينه وإلا لن تأكل ولن تشرب حتى تموت فيعيّر بها، فيقال له: يا قاتل أمه، وقد بقيت يوماً ويوماً وهي على تلك الحالة، فقال لها: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا، فإن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت[2]، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ [لقمان: ١٥]، «هنا يسقط واجب الطاعة، وتعلو وشيجة العقيدة على كل وشيجة، فمهما بذل الوالدان من جهد ليغريا وليدهما بأن يشرك بالله ما لا علم له بألوهيته، وكل ما عدا الله لا ألوهية له، فالولد مأمور من الله سبحانه بعدم طاعة الوالدين في ذلك، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد نعى الله سبحانه وتعالى وأنكر على من يتبع والديه في دينهما وإن كانا مشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان].

ولكن الاختلاف في العقيدة لا يسقط حق الوالدين في المعاملة

---

(١) هو: سعد ابن أبي وقاص واسم أبيه مالك بن أهيب بن عبد مناف بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد السابقين الأولين، وأحد الستة أهل الشورى. روى الكثير من الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم توفي بالعقيق سنة (٥١هـ) وقيل غير ذلك.
انظر: الإصابة ١/٧١٢، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٨/٥٥٢، وأسباب النزول للواحدي ص٢٣٠، وأخرجها مسلم بلفظ آخر في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، رقم الحديث (١٧٤٨).

الطيبة والصحبة الكريمة[(١)]: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥][(٢)]، فالإحسان إلى الوالدين في أمور الدنيا يبقى ويظل مستمراً، فعن أسماء بنت أبي بكر قالت: قدمت أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله قدمت أمي وهي راغبة[(٣)]، أفأصل أمي؟ قال: **نعم، صلي أمك**»[(٤)].

الموعظة الثالثة: الإيمان بسعة علم الله وإحاطته بكل شيء:

ويتم لقمان حديثه عن عظمة الله الذي لا تخفى عليه خافيه فيقول: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان].

وأن هذه الحبة في حقارتها لو كانت داخل صخرة فإن الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه»[(٥)] كما قال الرسول ﷺ: «**لو أن أحدكم يعمل في**

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٨٩.

(٢) قد اختلف المفسرون في الآيتين (١٤) و(١٥) هل من كلام لقمان أم من الله ﷻ، فذكر الألوسي رحمه الله بأنه كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان تأكيداً لما في النهي عن الإشراك، فهو من كلام الله ﷻ ولم يقله سبحانه للقمان، وقال: أبو حيان: «لما بيّن لقمان لابنه أن الشرك ظلم، ونهاه عنه كان ذلك حثاً على طاعة الله تعالى، ثم بيّن أن الطاعة أيضاً تكون للأبوين وبين السبب في ذلك فهو من كلام لقمان مما وصى به ابنه، أخبر الله تعالى عنه بذلك، وإلى ذلك ذهب الطبري في تفسيره. انظر: روح المعاني ١٢/ ١٢٩، وتفسير الطبري ١٨/ ٥٥٤، والبحر المحيط لأبي حيان.

(٣) راغبة: أي: طائعة. انظر: لسان العرب ١/ ٤٢٢.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد.. حديث رقم (١٠٠٣).

(٥) والمتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أن الله ﷻ في قوله: (إن تك) أسقط النون في موضع وأثبته في موضع آخر، وذلك لحكمة عظيمة، ففي الموضع الأول أسقط النون لغرض الإيجاز في الإيصاء، بما ينيل المفاز، وفي الموضع الآخر (فتكن) إشارة إلى إثباتها في مكانها وليزدد تشوق النفس إلى محط الفائدة ويذهب الوهم كل مذهب لمَّا =

صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائناً ما كان»[(١)].

إن إحاطة علم الله بكل ما في الكون دقيقه وعظيمه في صفاته ﷻ، وهذه الإحاطة تقتضي علماً واسعاً لا حدود له، وهذا ما يفيده قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ...﴾ [لقمان: ٢٧].

«وفي هذه الموعظة الجليلة أراد لقمان أن يرسم في خيال ولده معنى الخوف من الله لأنه محيط بكل شيء، فعلى كل مربٍّ وعلى كل أب وأم أن يغرس هذا المعنى في نفس الناشئ في حالة ما بين ترغيب وترهيب لينمي في الناشئ الرغبة والحب لله من جهة والخشية والخوف من جهة أخرى، فيعيش الناشئ بين الخوف والرجاء عن طريق عرض الآيات والأحاديث التي تؤكد ذلك وتصف الجنة والنار ففيها العبرة كلها والموعظة التي تنمي في النفس الخشية من الله ﷻ»[(٢)] والرغبة فيما عنده.

الموعظة الرابعة: الحض على الأعمال الصالحة:

ثم انتقل لقمان الحكيم إلى تعليم ابنه قواعد الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان].

١ ـ الصلاة:

وهي أجل الأعمال الصالحة، وهي: «رأس ما يصلح به العمل ويصحح التوحيد ويصدقه»، «ومن أهم وسائل ترسيخ الإيمان بالله

= عُلِم من أن المقصد عظيم بحذف تلك النون وإثبات هذه» نظم الدرر ٦/١٨.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (١١٢٤٨)، وضعفه شعيب الأرناؤوط.

(٢) نظم الدرر ٦/١٩، ومسؤولية الأب المسلم ص١١٢ ـ ١١٣ بتصرف.

ومراقبته واستحضار وجوده، وهي الوسيلة الصحيحة لتزكية النفس وتهذيبها وتعويدها على طيب الأخلاق وأنفعها»[(١)].

وإقامة الصلاة من صفات المحسنين الذين ورد ذكرهم في أول السورة قوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [لقمان]. والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام التي يقوم عليها بناؤه وهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به.

وفي الحديث الذي رواه معاذ بن جبل[(٢)] رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وسنامه؟**»، قلت: بلى يا رسول الله، قال: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد...**»»[(٣)].

«فأول ما يتوجب على الآباء أن يعلموه أولادهم بعد الإيمان بالله شرائع الإسلام وأولها الصلاة، وأن يتفقدوهم فيها حالاً بعد حال بما تستوجبه من طهارة واستعداد»[(٤)]، ومن إتقان الوضوء بتطبيق عملي أمامهم، فإذا أخطاؤا وجّهوهم دون تعنيف أو قسوة، وإذا أصابوا وأحسنوا الوضوء جرى إشعارهم بالرضا عنهم. وينبغي أن يعلّم الولد أن للوضوء طهارة للبدن وطهارة للنفس، وأن هناك جانباً معنوياً في الوضوء ذكره الرسول ﷺ: «**إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره**

---

(١) مسؤولية الأب المسلم ص١١٨.

(٢) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ أبو عبد الرحمٰن الأنصاري الخزرجي أسلم وهو ابن ثمانية عشر سنة وشهد بدراً والمشاهد له ١٥٧ حديثاً، وكان ممن جمع القرآن قال النبي ﷺ: «**بأن معاذ يوم القيامة إمام العلماء**» توفي في طاعون عمواس سنة (١٨هـ)، وعمره (٣٣) سنة، وقيل غير ذلك.

انظر: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ١/ ٣٧٩، والتاريخ الكبير ٧/ ٣٥٩.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم الحديث (٢٦١٦)، وصححه الألباني في سنن الترمذي ص٥٩٠.

(٤) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم ص١٧٣.

ويديه ورجليه، فإن قعد قعد مغفوراً له»[١]، وأن الله تعالى يحب التوابين والمتطهرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والتدريب على أداء الصلاة قبل سن السابعة وأمره على إقامتها في سن السابعة لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وقد كان الرسول ﷺ يحث الآباء على تعويد أولادهم الصلاة ويطلب منهم أن يرقوا بأولادهم فيها درجة إثر درجة، فقد جاء في الحديث الشريف قول رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[٢]. «وإذا بدأ الولد بعد السابعة الصلاة بانتظام وجب على الوالدين متابعته وتذكيره بها من وقت لآخر، فلا يغفلا عنه بل يكررا عليه الأمر مراراً دون ملل من ذلك، فإذا انشغل أحد الوالدين وكَّل الآخر ليقوم بالتذكير والمتابعة لئلا يتجرأ الولد على تركها بعد أن بدأ في أدائها، فيسوقه ذلك إلى التهاون بها بعد العاشرة»[٣].

وللصلاة فوائد وآثار على الناشئة هي:

١ ـ تنهى عن الفحشاء والمنكر:

قال تعالى عن ذلك: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

«فالأب الذي يثبت في أبنائه حب الصلاة بحق يجعل بينهم وبين الشر حاجزاً، ويمدهم بسلاح ماض لمقاومة الفتن والانحراف»[٤]،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، باب حديث أبي أمامة الباهلي، حديث رقم (٢٢٢٢٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.
(٢) سبق تخريج الحديث.
(٣) مسؤولية الأب المسلم ص١٢٣ بتصرف.
(٤) ملامح تربوية في القرآن الكريم ص١٧٣ ـ ١٧٤ بتصرف.

فالصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر هي التي تصدر من قلب خاشع.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

٢ ـ تحقيق الطمأنينة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج].

فالآيات الكريمة تكشف عن أثر الصلاة الإيجابي بما تمنحه من طمأنينة تتوازن بها الشخصية، فالصلاة ضرورة نفسية للأفراد تجنِّبها العديد من عوارض القلق والاكتئاب وغيرها من الآلام النفسية.

ولهذا كان النبي ﷺ إذا جاء وقت الصلاة يقول: «**يا بلال! أقم الصلاة أرحنا بها**»[١].

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومن الأعمال الصالحة أيضاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على أذى الآخرين:

إن أمر لقمان لابنه بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصيبة، إن هذا التخصيص بهذه الطاعات «لأنها أمهات العبادات وعماد الخير كله»[٢].

وأيضاً لأنه: «لما أمر تكميله نفسه توفية لحق الخلق عطف على ذلك تكميله لنفسه بتكميل غيره توفية لحق الخلق»[٣].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم الحديث (٤٩٨٥) وصححه الألباني في سنن أبي داود ص٤٤٧.

(٢) تفسير فتح القدير ٤/ ٢٩٩.

(٣) نظم الدرر ٦/ ١٩.

ومن شروط المربي الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر:

١ ـ «أن يكون عالماً بحقيقة ما يأمر به وأنه معروف في الشرع وأنه قد ترك بالفعل كما يكون عالماً بحقيقة المنكر الذي ينهى عنه ويريد تغييره، وأن يكون قد ارتُكِب حقيقة وأنه مما يُنكره الشرع من المعاصي والمحرمات»[1].

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ [النساء].

٢ ـ أن يكون عاملاً بما يأمر منتهياً عما ينهى عنه في ذاته ونفسه.

لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف]، وقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة].

٣ ـ التحلي بالحكمة والموعظة الحسنة في دعوته لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل]. ويتطلب هذا الأمر الرفق في الأمر والنهي ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

٤ ـ لا بد «أن يعلم الولد ما إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سوف يؤدي إلى منكر أعظم من المنكر القائم أو لا؟ فإن كان هناك منكر أعظم سيحدث فحينئذ لا بد من أن يؤجل الأمر والنهي إلى

---

(١) منهاج المسلم ص٥١.

وقت تتحقق فيه المصلحة مع انعدام الضرر»[(١)].

٥ ـ من واجب الوالدين تعليم الناشئة وسائل الدعوة، فمن حق الناشئ أن يتعلم من القائمين على التربية وسائل الدعوة إلى الله ويُعلّم أن الدعوة إلى الله لا تقتصر على الخطب والمواعظ فقط، هناك وسائل أخرى للدعوة مثل المحاضرات الدينية والمقالات وشرائط الكاسيت، وبرامج الحاسوب ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة، ولا بد أن يرى والده منفذاً لذلك أمامه عملياً، ولذا ينبغي أن يكون الوالد مستعداً للدعوة في كل ميدان وبكل الطرق.

٦ ـ يحسن بالناشئ أن يتعلم طرق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بأن يغير المنكر بيده، وإلا فبلسانه، وإلا فبقلبه، وهو أضعف الإيمان. قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(٢)].

٣ ـ الصبر:

ومن الأعمال الصالحة التي ذكرها لقمان إلى جانب الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخلاق الداعية الصبر ـ كما جاء في وصية لقمان لابنه ـ وقد قرن الصبر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، «لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يجرَّان للقائم بهما معاداة من بعض الناس أو أذى من بعض»[(٣)]، فهو عندما يقوم بهذا الواجب سيلاقي مشقة وعناء وصعاباً وإعراضاً، فلا بد له من الصبر وتحمل ما يؤلمه ويحزنه من أذى اللسان واليد، ومن الابتلاء ما كان في المال أو في النفس. والصلاة كذلك تحتاج لصبر لأنها تشق على كثير من النفوس

---

(١) فقه تربية الأبناء، مصطفى العدوي ص٢٠٤.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم (٤٩).

(٣) التحرير والتنوير ١/ ١٦٥.

ولهذا وصفها الحق تعالى[١] بقوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]. وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. «وإن هذا الصبر من لوازم الأمور الواجبة على المرء المسلم والأمة المسلمة صبراً لا يقعده عن العمل والجهاد بل هو صبر يمدّه بالعزيمة والقوة»[٢] ويمنع من التردد والانكفاء إلى الوراء.

الموعظة الخامسة: عدم التكبّر على الناس:

انتقل لقمان في تربية ابنه إلى الآداب العامة التي تكون بينه وبين الناس، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان].

والصِّعر: داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها[٣]، «والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر حركة الكبر والازورار وإمالة الخد للناس في تعال واستكبار»[٤].

وقد يكون التكبر بمظاهر شتى وأعمال متعددة، منها السب والشتم والتحقير باللسان، ويدخل في هذا المعنى حديث الرسول ﷺ المروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه[٥]: «**ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا،**

---

(١) انظر: في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٩٠، وملامح تربوية في القرآن الكريم ص١٧٤.

(٢) دراسات قرآنية ص٢٠٣ بتصرف.

(٣) وقد اختلفت القراءة في قراءة قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ فقرأه بعض قراء الكوفة والمدنيين والكوفيين، «ولا تُصَعِّر» على مثال: «تفعّل» وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قراء المدينة والكوفة والبصرة (ولا تُصاعِرْ) على مثال: (تفاعل) والصواب من القول إنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب. انظر: تفسير الطبري ١٨/ ٥٥٩، والجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٦٤.

(٤) انظر: الطبري ١٨/ ٥٥٩، والجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٦٤، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٨٢، وفي ظلال القرآن ٥/ ٢٧٩٠.

(٥) سبقت الترجمة له.

وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»[١].

ومن كنايات التكبر الواردة في آية لقمان: المشي في الأرض مرحاً، وهو المشي في تخايل وتكبُّر وقلة مبالاة بالناس، وهي حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق. وهو تعبير عن شعور مريض بالذات وهو معجب في نفسه فخوراً على غيره[٢].

وقد كان النبي ﷺ يؤدب أصحابه بهذه الآداب القرآنية فدعا إلى التواضع والتخلق به في غير مذلة ولا مهانة فقال: «**إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**»[٣]، «. . . ، وبيَّن الرسول الكريم النهاية الحتمية لمن يمشي مختالاً في قوله ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجَّل رأسه يختال في مشيه، إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل**[٤] **في الأرض إلى يوم القيامة**»[٥].

«وفي مرحلة ما قبل البلوغ يشتد اعتزاز الناشئ برأيه وبكل ما ملكت يداه، وقد يسوِّل ذلك له أن يتكبر على غيره مفتخراً بنفسه، ولا شك أن هذا مظهر خطر يوشك أن يقطع صلة الإنسان بربه وبالناس»[٦].

ولا شك أن علاج هذا الأمر يحتاج إلى فطنة وأناة، لأن المربي

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، رقم الحديث (٦٠٦٤)، ومسلم، كتاب البر، باب تحريم التحاسد والتباغض، حديث رقم (٢٥٥٩).

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٤/ ٤١٢.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، رقم الحديث (٢٨٦٥).

(٤) التجلجل: هو الصوت في حركة. انظر: المعجم الوسيط (ج ل ج ل) ١/ ١٢٨ فالمختال في حركة مستمرة نحو الأسفل مع ارتطام مستمرّ له صوت، وهذا أبلغ في التعذيب.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه خيلاء ١٠/ ٢٥٨.

(٦) كيف نربي أولادنا في ضوء الإسلام ص٢٧٥.

يكون في صراع مع جانب يمسّ كبرياء الناشئ واعتداده بنفسه.

وتستمر الآيات في تعميق معنى التواضع لدى الناشئ. قال الله تعالى على لسان لقمان: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان].

والقصد في المشي سمة من سمات عباد الله، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان]، فهم يمشون على الأرض مشية سهلة هينة ليس فيها تكلف، وفيها قصد الإسراع والبطء فلا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثب الشطار، وتتم بسكينة ووقار من غير كبر ولا تصعير خدّ ولا تخلع أو ترهل، وليس فيها ضرب بالأقدام وخفق بالنعال، فهو مخالف لمشي المتجبرين المعجبين بنفوسهم وقوتهم، وهذا الهون ناشئ عن التواضع لله تعالى والتخلق بآداب النفس العالية[(١)].

وفي الحديث أن أبا هريرة[(٢)]: «... ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث»[(٣)].

وقد يظن ظانٌّ أن هذا مناقض للقصد في المشي والمشي الهَون، ويتضح عدم التناقض إذا عرفنا أن المقصود بالقصد والهون عدم ضرب الأرض تجبّراً وبطراً، لا الإسراع في المشي؛ لأن الإسراع في المشي

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٣/٦٦، في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٩٠، والتحرير والتنوير ٩/ ٦٨.
(٢) سبقت الترجمة له.
(٣) مسند أحمد، سند أبي هريرة برقم حديث (٨٢٤٩). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

أبعد عن الخيلاء وأقضى لحاجة الإنسان من الطريق، وأغض بالبصر وأبعد عن التسكُّع. «والحكمة في غض الصوت أنه أوقر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه»، فالفائدة تعود على المحدِّث والمستمِع معاً، وفيه أيضاً أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته»[1].

ففي هذه الموعظة «أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاوناً بهم» أو إخفاء لأمر سيئ بالحدة والغلظة والصياح، والأسلوب القرآني قبّح الصياح في صورة منفرة محتقرة بشعة حين عقب بقوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]، فلو كان الصوت يعطي هيبة لصاحبه لكان الحمار أولى بذلك، فهذا التشبيه تنفير من هذا العمل لأنه يتنافى والمروءة الاجتماعية والآداب الإنسانية.

ونلحظ هنا الأسلوب القرآني في التربية، فعن طريق هذا التمثيل يصير آخر ما يفكر فيه السامع هو رفع الصوت.

وكثير من الآباء يجهدون أنفسهم في أخذ أولادهم بأدب الحديث وذلك أمر يدعو إليه الإسلام، ولكنهم في الوقت ذاته لا يعلمون أولادهم أن ذلك اقتداء برسول الله ﷺ، وأن ذلك من تعاليم الدين الإسلامي، ولهذا لا بد على الآباء والمربين ربط هذه الآداب بالدين لأنها تحوّل هذا التصرف إلى عبادة يثاب عليها الناشئ ويجعل الناشئ يزداد إكباراً لدينه القويم.

❑ ثانياً: أساليب قرآنية عظيمة النفع للناشئة في ضوء سورة لقمان:

إن المتأمل في سورة لقمان يجد العديد من الأساليب التعليمية المفيدة في تربية الناشئة. وهي بمثابة الإشارات الضرورية التي لا بد

(١) روح المعاني ١٣٨/٢١، الجامع لأحكام القرآن ٦٧/١٤، وفي ظلال القرآن ٥/ ٢٧٩٠.

للمربي من الوقوف عندها حتى يستفيد منها في بناء جيل ونشء صالح، **ومن هذه الأساليب ما يلي:**

١ ـ التربية بالقدوة الصالحة:

تعتبر القدوة في التربية من الأساليب الناجحة في إعداد الناشئ خلقياً وتكوينه نفسياً واجتماعياً؛ فهي ترجمة حية للمبادئ والأفكار والأخلاق التي تربى عليها الناشئ ويطالب بها فيما بعد، فتكون هذه المفاهيم والتعاليم موجودة أمامه وليست مجرد خيال»[(١)]، وتركز التربية بالقدوة الصالحة على محورين[(٢)]:

المحور الأول: كيفية الاقتداء:

والمتأمل في مواعظ لقمان يجد أن الله تعالى أشار إلى هذه الكيفية في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، فالاقتداء يكون باتباع سبيل المنيبين إلى الله تعالى في أعمالهم الصالحة فهو اتباع لا تبعية، اتباع لقدوة صالحة رجعت إلى الله وأنابت إليه وتحررت من كل تبعية وخضوع، وفيه توجيه للابن إلى الاقتداء بالصالحين واتباع سبيلهم في الخير والحق، اتباعاً مبنياً على العقل والفهم باختيار صاحب الخير الذي يحضه ويدفعه إلى كل ما هو طيب وصالح، بعيداً عن كل تبعية تلغي عقله وشخصيته وتبعده عن دينه القويم.

المحور الثاني: الأب المربي باعتباره قدوة:

إن المربي هو القدوة والمثل الأعلى في نظر ابنه يقلده سلوكياً ويحاكيه خلقياً من حيث يشعر أو لا يشعر، فالابن مهما كان استعداده

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان، ٢/٤٧٦، وتربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها ص٢١٠.

(٢) انظر: تفسير سورة لقمان والجوانب التربوية فيها، د. عبد الله سلقيني ص١٣١.

للخير عظيماً ومهما كانت فطرته نقية سليمة فإنه لن يستجيب لمبادئ الخير ما لم ير المربي في ذروة الأخلاق وقمة المثل العليا(١).

وقد عرض القرآن الكريم نموذجاً لهذا الأسلوب تمثَّل في لقمان الذي آتاه الله الحكمة التي مضمونها ومقتضاها الشكر لله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان]، ففي الآية الكريمة: «توجيه قرآني ضمني إلى شكر الله اقتداء بذلك الرجل الحكيم المختار الذي يعرض قصته وقوله»(٢)، فهو قدوة في القيام بحقوق الله وترغب الابن القيام بذلك وهذا أدعى للتطبيق وقبول الأمر، ولكن الرغبة إن لم تكن مقرونة بعمل سوي واستقامة واضحة وإنابة إلى الله فلن تتحقق ولن تقر العين برؤيتها، وقد صدق الشاعر الذي قال:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلَّا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبل ما تقول ويهتدى ... بالقول منك وينفع التعليم(٣)

وقد قال أحد أنبياء الله المكرمين وهو يربي قومه وأمته: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ﴾ [هود: ٨٨]، وبالتالي لن يكون لنصح المربي وكلامه أثراً، وربما كان من الذين يقولون ما لا يفعلون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف].

والمدرسة من مصادر القدوة الحسنة للناشئ بمن فيها «من أساتذة

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام ٢/ ٤٧٦.
(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٨٧.
(٣) المستطرف في كل فن مستظرف، محمد بن أحمد الإبشيهي ١/ ٤٨.

ومشرفين، فإلى جانب وظيفة هؤلاء الأساسية وهي تعليم الأبناء يجب أن تقوِّم المدرسة النفوس وتهذب السلوك وتهيء الفرد المسلم ليكون عضواً صالحاً في أمته، والمعلم في المدرسة هو المثل الأعلى والأسوة الحسنة في نظر الناشئ يحاكيه سلوكياً ويقتدي به خُلقياً، ومن السهل على المعلم أن يلقن المتعلمين مقرراً دراسياً، ولكن من الصعب أن يستجيب هؤلاء المتعلمون هذا المقرر من مبادئ وقيم حين يرون من يشرف على تربيتهم ويقوم على توجيههم غير ملتزم بها»[١].

فالمعلم لا بد أن تكون حياته حياة الداعية إلى الله، فسلوكه تجسيد حي لدعوته، فيكون هادياً لا مضلّاً، يأمر بالخير ويترك الشر ويدعو الآخرين إلى مثل ذلك[٢] تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت]، وقوله ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من ذلك من آثامهم شيئاً**»[٣].

٢ ـ التربية بالوعظ:

الوعظ هو «زجر مقترن بتخويف ومذكر بالعواقب، وقيل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب. والموعظة ما يوعظ به من قول أو فعل[٤]، فالوعظ من الوسائل التي تصل إلى النفس الإنسانية بسرعة؛ لأن النفس الإنسانية تتأثر بما يلقى إليها من كلام وخاصة إذا كان الكلام يتميز بالحسن واللين والرفق والسهولة إذا كان صادراً من محبّ تركن إليه نفس

---

(١) القدوة ودورها في تربية النشء ص٢٤ بتصرف.
(٢) انظر: القرآن الكريم منهجه ووسائله في التربية الأخلاقية ص٦٣.
(٣) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب «**من سن سُنَّة حسنة أو سيئة...**»، رقم الحديث (٢٦٧٤).
(٤) المفردات في غريب القرآن ص٥٤٢.

المخاطب وتثق به»[١].

فالموعظة الحسنة تدخل إلى القلوب برفق وتأخذ طريقها بالتأثير في المشاعر والأحاسيس فيشعر صاحبها بلذة الأمن والراحة والاستقرار بالرجوع إلى الله تعالى والالتجاء إليه.

وتتضح هذه الوسيلة وتتجسد معالمها أمام المربي في حوار لقمان مع ابنه وهو يعظه.

فعلى الآباء والمربين الذين يريدون الحصول على أفضل النتائج في تربية أولادهم أن ينهجوا منهج القرآن الكريم في مواعظه وإرشاداته كما ورد في سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

ولكي يتحقق الوعظ ويؤتي ثماره يتعين أن يراعي المربي عدة أمور:

١ ـ أن يكون الوعظ متكرراً، والتكرار يثبِّت المعلومة في الذهن.

٢ ـ أن يكون الوعظ بأسلوب سهل يناسب سن المتلقي وثقافته وعقله.

٣ ـ أن يكون صاحب الوعظ حكيماً، وعنده الخبرة الكافية في التربية كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ﴾ [النحل: ١٢٥].

٤ ـ أن يكون الواعظ أفعاله مصدقة لأقواله ولا تتعارض، فالقدوة الحسنة نجاح للموعظة.

٥ ـ أن يتابع المربي أثر الموعظة على الأولاد ويعدِّل ما يراه لصالح الأبناء.

(١) كيف تربي ولداً صالحاً ص٣٢٢.

فالتربية كالزراعة لا يكفي فيها أن توضع البذرة في التراب بل لا بد فيها من الرعاية الدائمة والتعهد بالسقيا حتى تكبر وتنمو شيئاً فشيئاً، وتصدّ عنها الرياح الشديدة العاتية والحشرات المؤذية الضارّة.

٦ ـ أن يعزز السلوك الصحيح بالتشجيع ويعطي عليه الحوافز المعنوية والمادية[١].

وقد جاءت موعظة لقمان لابنه بأسلوب حسن النداء مع التحبب باستخدام أسلوب التصغير، واستخدام لفظ (بني) المشعر بالتحبب. وفيه كناية عن إمحاض النصح وحب الخير، وفيه حث على الامتثال للموعظة[٢].

وكان ﷺ يخاطب الناس بأحب الأسماء إليها، وكان يكني الأولاد وذلك لإشعارهم بندّية التعامل وبالرجولة والكنى لهم، ومن ذلك تكنيته مخاطبته ﷺ لبعض صغار الصحابة بكنية محببة لهم كقوله ﷺ لأحدهم: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**»[٣]. والنصيحة المتوددة بعد إشعار الفرد بشخصيته المستقلة وبالأخص إن كان صغيراً هي من أعظم وسائل التربية تأثيراً في النفس البشرية[٤]، فعن أنس بن مالك[٥] رضي الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعله[٦].

٣ ـ التربية بالمثل:

لا شك أننا نعلم أن الله واسع عليم، ولكن لا طاقة لمخلوق أن يحيط بمدى علم الله ومدى قدرته على معرفة دقائق الأمور؛ ولذلك

---

(١) انظر: كيف تربي ولداً صالحاً ص٣٢٣، ٣٢٤.
(٢) التحرير والتنوير ١٠/ ١٥٥.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، رقم الحديث (٦١٢٩). والنُّغير: طير صغير واحده نُغْرَة.
(٤) انظر: تفسير سورة لقمان والجوانب التربوية فيها ص١٣٠.
(٥) سبقت الترجمة له.
(٦) سبق تخريجه.

يجيء القرآن الكريم في سورة لقمان ليعرض أمام العباد شريطاً مصوراً.

إن الإنسان إذا أراد أن يخفي شيئاً عن الأعين يجعله صغيراً ما أمكن ويودعه في مكان له باب في موضع يمكن إغلاقه في علبة محكمة الإغلاق... وكل ذلك لتصيير نسبة الكشف عن ذلك الشيء صغيرة جدّاً.

وقد مثّل الله لمدى اطلاعه على أحداث الكون وقدرته على الوصول بعلمه إلى أي شيء مهما صغر، فقال على لسان لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾ [لقمان].

فقد مثّل للذنب ومدى صغره بحبة الخردل، أما المكان الموصد المحكم الإغلاق فهو صخرة!! ومن يستطيع الوصول إلى شيء كحبة الخردل موضوعة في صخرة؟ إنه وحده الله عز وجل.

وهكذا استطاع القرآن الكريم عن طريق التمثيل تجسيد المعنى المجرد (خفاء الأعمال والذنوب) بهذا التمثيل الرائع الذي يجسّد الفكرة الذهنية ويقرِّ بها من الأفهام، فيزداد المعنى وضوحاً ويزداد عمقاً.

وعلى المربي أن يستفيد من تربيته بإغنائها بمثل هذه الأساليب التي تجعل من المعاني المجردة الذهنية أكثر وضوحاً للناشئ وأكثر أثراً وعمقاً في نفسه.

٤ ـ التربية عن طريق ترتيب الأوليات:

فالملاحظ في مواعظ لقمان لابنه أنه بدء بعلاقة الابن مع ربه، ثم علاقته بوالديه، ثم انتقل إلى تحديد دوره في المجتمع، فكان إعداده شاملاً لكافة جوانب الحياة من عقيدة وعبادة وأخلاق وسلوك، وارتقى به إلى درجة إعداد الداعية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



المبحث الثاني: عناصر تأهيل المربي وأساليبه وبيان خصائصه وصفاته في ضوء القرآن الكريم

▫ أولاً: عناصر تأهيل المربي في ضوء القرآن الكريم:

العنصر الأول: تأهيل المربي من الناحية العقدية:

إن تأهيل المربي وإعداده يشمل عدداً من العناصر الهامة في المربي ينبغي أخذها بعين الاعتبار عند إعداده وهي المتمثلة بالنواحي العقدية والعقلية والجسمية لدى المربي.

والقرآن الكريم عرض لنا كيف كان منهج بناء الجانب العقدي لدى أنبياء الله ورسله.

ويستند هذا البناء العقدي عند جميع من عني القرآن بتربيتهم من المربين وعلى رأسهم الرسل والأنبياء إلى الاعتقاد بأن الله مستحق للعبادة، وأنه المالك المتصرف في هذا الكون وخالقه، والأمر الثالث أنه حاضر حي يسمع ويرى ويجزي ويحاسب الإنسان على فعله.

ولا شك أن ركيزة الركائز هي الإيمان بوجود الله الواحد، **فكيف غرس القرآن هذه الركيزة العقدية لدى أنبياء الله ورسله؟**

سنتناول للإجابة عن هذا التساؤل ما جرى لبعض رسل الله وأنبيائه عليهم السلام، فإبراهيم عليه السلام شاء الله له أن يبحث عن ربه في رحلة الشك والإيمان، قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا

رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام].

وهكذا تدرج إبراهيم عليه السلام في بحثه عن ربه حتى وصل إلى قناعة أن ربه لا يعتريه نقص، فتوجَّه إليه توجهاً مستقيماً «مائلاً عن الشرك إلى التوحيد»[١].

إن مهمة الإعداد العقدي التي تولاها عز وجل لرسله وأنبيائه كان لا بدّ منها ليكونوا بعد ذلك حملة دعوة ورسالة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنعام].

أما أول ما على المربي أن يبلغه فهو جانب التوحيد ونبذ الشرك: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج]؛ لأنه الدرس الأول الذي تعلمه الرسول أو النبي المربي من ربِّ العالمين.

وهذا نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين يذكر امتنان الله تعالى عليه بالهداية إلى الصراط المستقيم والدين القيم: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام]؛ أي: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام.. قل لهم: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم هو دين الله الذي ابتعثه به، وذلك الحنيفية المسلمة فوفقني له[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير ١٣/٢، وانظر: المفردات في غريب القرآن ص١٤٠، والمحرر الوجيز ٥٠٨/٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٤٤ ـ ٤٦.

وهو يعد نبيه ويؤهله أيضاً لعقيدة راسخة بعرض أدلة تدل على توحيده منها أنه تعالى المنفرد بكشف الضراء، وجلب الخير والسرَّاء: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام]، فإذا كان وحده النافع الضار فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية، لأنه لن يصيب الإنسان إلا ما قدر الله وكتبه في لوحه المحفوظ، ولهذا ينبغي الاعتماد عليه في جلب المنافع ورفع المضار والثقة به في تحصيل المطلوب[١]: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ [الشعراء]، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

ومن يقرأ سورة الشعراء من أولها يلحظ أنها بدأت بمواساة النبي ﷺ والتخفيف عنه لما أصابه من أسًى على المشركين لعدم إيمانهم: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء].

ويلحظ الناظر كذلك أن الآيات السابقة ختمت بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾، ومما يلفت النظر أن عبارة (العزيز الرحيم) وردت في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة منها تسع مرات وردت في سورة الشعراء وحدها، والعزة التي تعني الأنفة والقوة والكبرياء فسَّرها السيوطي[٢]

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص٣٣٩.

(٢) هو: جلال الدين، عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري =

في سورة الشعراء بالانتقام من الكافرين[١]، ويقابل ذلك الرحمة بالمؤمنين في هذه العبارة القرآنية. وفي هذين العنصرين إشعار بعزّة مولاه القادر على الانتقام من الكافرين نصراً لرسوله والراحم للمؤمنين الذين آمنوا به واتبعوه، وفي هذا تسلية وعزاء أيما عزاء.

ثم يلفت النظر كذلك أنه بعد إيراد آية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦٨﴾ [الشعراء] ثماني مرات جاءت التاسعة بصيغة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧﴾ [الشعراء].

فبعد تأكيد العزة والرحمة ثماني مرات تأتي النتيجة الطبيعية وهي التوكل على العزيز الرحيم، فهذه إضاءة من الرعاية العقدية الربانية لخاتم أنبيائه وسيد المربين الأولين منهم والآخرين.

وفي حياة الأنبياء عليهم السلام وقفات تربوية ربانية تتعهدهم بالنصح والإرشاد إلى السلوك القويم مع الله تعالى وتشد من أزرهم، ومن هذه الوقفات:

ما ذكره سبحانه وتعالى من أمر يوسف عليه السلام وقت سجنه وما طلبه منه ساقي الملك حين علم أنه سيعود إلى حالته الأولى مع الملك فقال له: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢]؛ أي: عند الملك، فيحتمل أنه يريد أن يذكره بعلمه ومكانته، ويحتمل أن يذكره بمظلمته وما امتحن به بغير حق، أو يذكرهما له، ولكن النتيجة كانت: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

قال تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ قيل: «الضمير عائد على يوسف عليه السلام؛

= السيوطي إمام حافظ، مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مصنف منها: «الإتقان في علوم القرآن»، و«تاريخ الخلفاء»، توفي سنة (٩١١هـ).
انظر: شذرات الذهب، لابن العماد ٨/ ٥١، والأعلام ٣/ ٣٠١.

(١) انظر: تفسير الجلالين ص٣٠٦.

أي: نسي في ذلك الوقت أن يشتكي إلى الله وجنح إلى الاعتصام بمخلوق، فرُوي أن جبريل عليه السلام جاءه فعاتبه عن الله عز وجل في ذلك، وذكر له أنه طول سجنه كان عقوبة على ذلك»[1]. فهذا اللبث والمكث في السجن بضع سنين «كان ذلك عتاباً إلٰهياً ليوسف عليه السلام على اشتغاله بعون العباد دون الاستعانة بربه على خلاصه»[2].

وفي ذلك إعداد رباني عقدي لهذا النبي الكريم بالتوجه دائماً إلى الله تعالى والاعتماد عليه في قضاء الحوائج وتفريج الكربات، فلا خاب من توكل عليه. وفي موقف آخر بيّن الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام بأن العبرة بقرابة العقيدة لا بقرابة النسب: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود].

فقرابة النسب هنا حاصلة من أقوى الوجوه، ولكن لما انتفت العقيدة نفى الله قرابة النسب، وذلك مع أن الإسلام أعطى لصلة النسب حظاً كبيراً من الرعاية والعناية، والإنسان أيضاً بطبعه مجبول على مراعاتها والقيام بواجباتها، ولكنها مشروطة بقرابة العقيدة[3]، وحول هذا المعنى يقول سيد قطب[4] رحمه الله فيما خلاصته: «إن هذه الوشيجة التي يتجمع عليها الناس في هذا الدين وشيجة فريدة تتميز بها طبيعة هذا

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/ ٢٧٩.

(٢) المحرر الوجيز، ٣/٢٤٧، والتحرير والتنوير ١٢/ ٢٧٩.

(٣) انظر: مع الأنبياء في القرآن الكريم ص٨١ بتصرف.

(٤) هو: سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري من مواليد قرية «موشا» في أسيوط له كتب كثيرة مطبوعة ومتداولة منها: «التصوير الفني في القرآن»، و«مشاهد القيامة في القرآن»، و«المستقبل لهذا الدين» توفي سنة (١٣٨٧هـ).
انظر: الأعلام ٣/ ١٤٧.

الدين، وتتعلق بآفاق وآماد وأبعاد وأهداف يختص بها ذلك المنهج الرباني الكريم»[١].

وضرب الله أمثلة كثيرة في كتابه العزيز تبين هذا التصور القويم: (إبراهيم مع أبيه، زوجتا نوح ولوط، أصحاب الكهف، امرأة فرعون..) إلخ. ويقول الله تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]؛ وقال: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾ [الممتحنة]، وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة].

فالعقيدة «تمثل أعلى خصائص الإنسان التي تميزه عن عالم البهيمة لأنها تتعلق بالعنصر الزائد في تركيبه وكينونته عن تركيب البهيمة وكينونتها، وهو العنصر الروحي الذي به صار به هذا المخلوق إنساناً في هذه الصورة»[٢].

العنصر الثاني: تأهيل المربي من الناحية العقلية:

هيأ ﷻ للإنسان قدرات عقلية تمكنه من القيام بوظيفة الاستخلاف التي كلفه الله بها، ومن هذه القدرات العلم والحكمة والفهم، وغيرها من القدرات.

١ ـ **العلم وهو**: «إدراك الشيء بحقيقته، والعلم ضربان: نظري وعملي، **فالنظري**: ما إذا عُلم فقد كمل، نحو العلم بموجودات العالم، **والعملي**: ما لا يتم إلا بأن يُعمل كالعلم بالعبادات»، وقيل العلم: هو

(١) في ظلال القرآن ٤/ ١٨٨٦.

(٢) انظر: في ظلال القرآن ٤/ ١٨٨٨.

الاعتقاد الجازم المطابق للواقع»[١].

وقد اهتم القرآن بالعلم اهتماماً كبيراً بالغاً، فقد بدأ الوحي بالأمر بالقراءة والاستنارة بالعلم كما قال سبحانه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق] وقوله: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [القلم].

«وقد عدّ القرآن العلم عنصراً من عناصر تكوين الإنسان وسراً من أسرار تكريمه، فالنفخة العلوية أسجد الله لآدم ملائكته رفعة وتكريماً»[٢]: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة][٣].

وذلك أن الله ﷻ أراد استخلاف آدم في الأرض ومنحها له، وقد هيأه لها بالعقل والعلم الذي تفوق به على الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

والله ﷻ بعث رسول الله ﷺ وسلّحه بالعلم ليكون أهلاً للقيادة الحكيمة والأسوة الحسنة التي يقتدى بها على طول الزمان[٤]: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. وقد آتى الله ﷻ يوسف عليه السلام العلم فكان عالماً

(١) المفردات في غريب القرآن ص٣٤٧، ٤٤٨ بتصرف، والتعريفات ص١٥٥.
(٢) منهج القرآن في التربية، محمد شديد ص١٣٥.
(٣) في قوله: ﴿عَرَضَهُمْ﴾؛ أي: المسميات، وفيه تغليب العقلاء. انظر: تفسير الجلالين ص٧.
(٤) انظر: منهج القرآن في التربية ص١٣٦.

ربانياً»[(١)]: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف]. وهذا العلم هو علم تعبير الرؤى، وهو من علم الله علمه إياه وأحسن إليه به[(٢)]: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓۚ﴾ [يوسف: ٣٧]. وكذلك يعقوب عليه السلام أعطاه الله علم عظيم عمل به[(٣)] كما قال عز وجل في كتابه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٦٨].

وقد ذكر سبحانه وتعالى «منّته على داود وسليمان عليهما السلام بالعلم الواسع الكثير»[(٤)] بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل].

٢ ـ **الحكمة وهي** «إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات وفعل الخيرات»[(٥)]، وهذا هو الذي وُصف به لقمان في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

فالحكمة تعاضد العلم وتقويه وتنيره وتؤهل صاحب العلم ليعرف أين يضع علمه، قال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة].

فالحكمة إذاً مقوِّم أساسي في بناء شخصية المربي وإعداده لدوره العظيم والدقيق بآن واحد، وقد أعد الله تعالى أنبياءه عليها ومنهم إبراهيم عليه السلام وآل بيته: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]، وقد فسرت الحكمة في هذه الآية بأنها: «إتقان العلم والعمل أو الأسرار المودعة في الكتاب، وقيل: هي الفهم في

(١) انظر: تفسير السعدي ص٣٩٥.
(٢) انظر: تفسير السعدي ص٣٥٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري ١٣/ ٢٤٠.
(٤) تفسير السعدي ص٦٠٢.
(٥) المفردات في غريب القرآن ص١٣٤.

الدين وما يكون من الهدى مما لم ينصّ عليه الكتاب، وقيل: هي معرفة أسرار الشرع وفوائده وحكمته»[١]، وهي من النعم التي أنعم الله بها على نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران].

ويستمر امتنان الله تعالى على أنبيائه ومنهم نبي الله داود عليه السلام بما آتاه الله من الحكمة: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص].

وكذلك «امتنانه سبحانه على عبده الفاضل لقمان بالحكمة وهي العلم بالحق على وجهه وحكمته»[٢]، إذ قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان].

٣ ـ وأما الفهم:

هو تصور المعنى من لفظ المخاطب، وهي هيئةٌ للإنسان بها يتحقق معاني ما يحسن[٣] كما في قوله سبحانه في قصة داود وسليمان عليهما السلام: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقيل: إن الفهم «هو العلم بمعاني الكلام عند سماعه، ولذلك يقال: فلان بطيء الفهم»[٤]، في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) روح المعاني ٥/ ٨٥، والمحرر الوجيز ٢/ ٦٨، وتفسير السعدي ٢٤٨.
(٢) تفسير السعدي ص٦٤٨.
(٣) المفردات في غريب القرآن ص٣٨٧، والتعريفات ص١٦٩.
(٤) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ص٦٩.

وخلاصة هذه القضية أن داود وسليمان عليهما السلام تحاكم إليهما صاحب حرث نفشت فيه غنم القوم الآخرين؛ أي: رعت ليلاً فأكلت ما في أشجاره ورعت زرعه فقضى فيه داود عليه السلام بأن الغنم تكون لصاحب الحرث نظراً إلى تفريط أصحابها، فعاقبهم بهذه العقوبة. وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب بان أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بدرِّها وصوفها ويقومون على بستان صاحب الحرث حتى يعود الحرث إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حاله ترادّا ورجع كل منهما بماله، وهذا من كمال فهمه وفطنته»[١]، وقوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] «بأن جعل الله له من فضل قوة الفهم ما أدرك به ذلك، إما بأن ألقى ذلك في روعه أو بأن أوحى الله إليه وخصَّه به»[٢] بأن ألهمه وجهاً آخر في القضاء»[٣]، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

وقد ظهر لنا أن جوانب تأهيل المربي من الناحية العقلية هي العلم والحكمة والفهم وهي كلها ضرورية للمربي ليقوم بدوره على الوجه الأكمل اقتداء بأنبياء الله ورسله عليهم السلام.

□ ثانياً: أساليب تأهيل المربي في ضوء القرآن الكريم:

١ ـ أسلوب الحض والأمر:

«والحض: الحمل على الشيء والإغراء به والحث عليه»[٤]، وذلك بأن يؤمر المربي بأن يؤمن أو يتوكّل أو غير ذلك، ومن ذلك الحض من الله على الإيمان بما أوجبه سبحانه وتعالى على عبده من الإيمان بأركانه الستة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ

(١) تفسير السعدي ص٥٢٨.
(٢) المفردات في غريب القرآن ص٣٨٨.
(٣) التحرير والتنوير ١٧/ ١١٨.
(٤) من أساليب التربية في القرآن الكريم ص٨٩.

وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة].

والحض كذلك على آثار هذا الإيمان ومستلزماته: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان].

وعلى هذا الأساس نرى الله ﷻ يحض نبيه الكريم على التوكل على الله والاكتفاء به: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾ [الشعراء]، وعلى ذكر الله ﷻ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. والاستغفار: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾﴾ [النساء].

والحض على التزود بالتقوى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقد يجيء الأمر للمربي بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

٢ ـ أسلوب المديح:

وهو تعبير عن الرضا بما يصدر من أعمال أو أقوال عن المربّي لتطمئن نفسه ويستمر في منهجه، وقد يكون ذلك بذكر صفاته المحمودة ليتمثلها وهو يقوم في مهمته التربوية أو يحفزه على الاستمرار فيها، وقد يتجاوز المدح المربي إلى من يتوجه إليهم من الآخرين ليزداد المربي علوّاً في نظرهم، وهذا يعدّ تقوية لدور المربي ومؤازرة معنوية له في مهمته.

وقد مدح القرآن أنبياء الله وأغدق عليهم صفات حميدة يستحقونها.

فقال في إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة: ١١٤]. والأوّاه كثير التضرع والدعاء، والحليم الصابر على الأذى والواسع

الصدر، وهاتان صفتان عظيمتان في المربي إذا أراد النجاح في مهمته.

ومدح الله يعقوب عليه السلام، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ [يوسف: ٦٨]، ومدح جملة من الأنبياء بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص]، فهم ذوو قوة في العبادة وبصائر في الدين. ومدح سبحانه داود وسليمان فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا...﴾ [النمل: ١٥].

ثم مدح رسول الله ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم].

ومدح سبحانه نوحاً عليه السلام فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الصافات].

٣ ـ الأسوة الحسنة:

المقصود بالأسوة: «هي الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره»[1]، وقد ضرب لنا سبحانه وتعالى الأمثلة وأعظم النماذج لأنبيائه وما وهبه لهم من أخلاق وعلوم وصفات ودعا إلى الاقتداء بهم.

وقد قدمنا في الفقرة السابقة بعضاً من الصفات التي أغدقها الله على أنبيائه ليكونوا في نظر الناس قدوة يسير المربُّون على هديهم ويترسَّمون خطاهم.

وكذلك يقتدي المربي بالرسول ﷺ، فهو الأسوة الحسنة كما ذكر ذلك سبحانه في كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]، فهو قدوة فعلية فيما يكون عليه المربي في عقيدته وفي سلوكه وفي علاقته مع الله تعالى وعلاقته بالآخرين.

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص٢٦.

٤ ـ أسلوب الدعاء:

إن التوجه إلى الله بالدعاء يُشعر الإنسان بالأمن والهدوء والاطمئنان وعندما يدعو لذريته وأهله تنزل البركات عليهم ويشملهم الله برعايته.

فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يدعو ربه بأن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم].

ويدعو ربه بأن يجعله مقيم الصلاة وذريته: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم].

وأولوا الألباب هم الذين يسألون الله العفو والمغفرة والنجاة من النار: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران].

وكان الجواب على الفور نازلاً من السماء بالإيجاب قائلاً[1]: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

والسيرة النبوية حافلة بأنماط الأدعية التي يجدر بالإنسان الأخذ بها في ساعات اليوم والليلة.

أما مغزى الدعاء للمربي فهو أن يكون دائماً في حال تعلق بالله عز وجل لأن الخير بيديه كما أن قلوب العباد بين يديه يقلبها كيف يشاء، ومن هنا كان الدعاء طاقة أساسية يحتاجها المربي لتكون ملازمة له في أحواله كلّها.

(١) انظر: من أساليب التربية في القرآن الكريم ص٣٥٧ ـ ٣٦٠.

❐ ثالثاً: خصائص المربي في ضوء القرآن الكريم:

للمربي خصائص عديدة وسمات متنوعة تسهم إسهاماً مباشراً في نجاحه تربوياً وسوف أتعرض لبعض منها:

١ ـ الرحمة والرفق:

وهي من الخصائص الواجب توافرها في المربي، فالتربية لا تؤتي ثمارها الطيبة ما لم تقترن بخلق الرفق حتى تمتلك القلوب بالرحمة. والناس عادة يحبون ويتأثرون بمن يعطف عليهم ويقبلون على من يشاركهم وجدانياً، ويشعر بمشاعرهم ويحس بأحاسيسهم، ويتمثل مشكلاتهم ويشاركهم في مسراتهم وأحزانهم، ويظهر لهم الرحمة والحنان والشفقة والحب ولين الجانب وحسن المعاملة. والقلوب الأبية الكريمة قلما تستجيب إلى مظاهر القسوة[(١)].

وهي كمال في الطبيعة تجعل المرء يشعر بآلام الآخرين ويسعى للتخفيف منها أو إزالتها، فيقف عند أخطائهم ويدعو لهم بالهدى والصلاح، وهي صفة من صفات المولى ﷻ، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شيء أشرف معه شعاع للرحمة الغامرة[(٢)]، فقال سبحانه في مستهل سورة الفاتحة: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة]، وقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣﴾ [البقرة]، وفي الحديث عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لما خلق الله الخلق كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي**»[(٣)].

---

(١) انظر: من أسس التربية، عمر محمد التومي الشيباني ص١٤٥ بتصرف.
(٢) انظر: خلق المسلم، محمد الغزالي ص١٨٧.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده، برقم حديث (٧٤٧٦).

وقد نوه الله تعالى بهذه الخاصية في رسوله حيث جعله من أنفُسِ المؤمنين يرحمهم ويبتئس لما يقعون فيه من المعاصي والمشاقّ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

وورد في القرآن تفصيل لمبعث هذه الخاصيّة وأسباب حدوثها.. إنها رقة في القلب تجعله محبوباً مقبولاً: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وتظهر هذه الخاصية في الرسول ﷺ وتتأكد عند تعامله مع الصغار والجهّال والمبتدئين والأيتام والنساء والشيوخ ونحوهم، وذلك لشدة حاجتهم إلى الرحمة والشفقة وأيضاً تقديراً لحالهم، ومن أمثلة ذلك رحمة الرسول ﷺ بالصبيان، فقد كان يعطف عليهم ويداعبهم وربما تجوَّز في الصلاة وهو يريد الإطالة مراعاة لحالهم وحال أمهاتهم[١].

ومن التوجيهات المباشرة والعملية ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «أبصر الأقرع بن حابس[٢] النبي ﷺ وهو يقبِّل الحسن[٣] والحسين[٤] فقال: «إن لي من الولد عشرة ما قبّلت أحداً منهم، فقال رسول الله ﷺ: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»[٥]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**الراحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم مَن في السماء**»[٦].

«وعندما يكون المربي قاسي القلب مسلوب الشفقة على الخلق تفسد حاله ولا يستقيم له أمر، بل يكون شقياً كما قال ﷺ: «**لا تنزع**

(١) انظر: علم النفس الدعوي ص٢٩٩.
(٢) سبقت الترجمة له.
(٣) سبقت الترجمة له.
(٤) سبقت الترجمة له.
(٥) سبق تخريج الحديث.
(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم الحديث (٤٩٤١). وقال الألباني: حديث صحيح في سنن أبي داود ص٧٤٠.

الرحمة إلا من شقيّ»[١]. فيا له من تحذير لأولئك النفر من أصحاب القلوب القاسية.

وبهذا يتبين ما لخاصية الرحمة من أهمية كبرى في إحداث التفاعل التربوي فهي أساس لا بد منه لبناء العلاقات مع الآخرين وإعطاء الانطباع الصادق عن المربي وحرصه ومتابعته وعنايته لشأن المربّى ومن ثم إحداث الأثر التربوي المناسب»[٢].

ومن مظاهر الرحمة في المربي:

١ ـ التلطف بالابتسامة والانبساط في الحديث في حدود المعقول والمقبول.

٢ ـ عدم استخدام الضرب والقسوة في كل الأحوال حتى لا يتعود الناشئ على ذلك فيكون تأثير العقاب غير مجد مستقبلاً.

٣ ـ قبول العذر والعفو عن المسيء ممن يقدمه، حتى لا يؤدّي عدم قبوله إلى استخدام أساليب غير مرغوب فيها من تصادم أو تمرّد.

٤ ـ الرحمة عند استخدام العقوبات وذلك باختيار أرفق العقوبات مما يفي بالغرض ولا يترك ردود أفعال غير مستحبّة[٣]، وباختصار أقول ينبغي استخدام الرحمة بالناشئ، فإن أحس بها الناشئ أطاع، وإن شعر بخلافها عصى.

٢ ـ الحلم:

يقول صاحب القاموس المحيط: «الحِلم ـ بالكسر ـ الأناة والعقل ـ

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم الحديث (٤٩٤٢). وقال الألباني في سنن أبي داود ص٧٤٠: حديث صحيح.

(٢) علم النفس الدعوي ص٢٩٩ ـ ٣٠١ بتصرف.

(٣) انظر: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، بدر الدين بن جماعة ص٤٩ ـ ٥٢.

جمعه أحلام وحلوم، ومنه: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَآ﴾ [الطور: ٣٢]، وهو حليم، جمعه: حلماءُ وأحلام، وقد حلُم ـ بالضم ـ حِلْماً وتحلَّم: تكلّفه»[١]؛ أي: تكلّف الحِلْم.

والحلم ـ كما يذكر الأصفهاني[٢] ـ هو: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب[٣]، وقيل: «هو الطمأنينة عند سَورة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم»[٤]. وعلى هذا التفسير الأخير جاء في الجلالين الحلم بالصبر على الأذى[٥].

وقد ضرب الله ﷻ أروع الأمثلة فيمن خصه بهذه الخاصية من أنبيائه الكرام، ومنهم سيدنا إبراهيم ﵇، فقد وصفه بالحِلم «فهو صبور على الأذى صفوح عن الجناية وعن الذنوب»[٦].

فقال عنه ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، وقوله في موضع آخر: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود].

فهو ذو رحمة بالخلق وصفوح عما يصدر منهم إليه من الزلّات، لا يستفزه جهل الجاهلين ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبوه يقول له: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾، وهو يقول له: ﴿...سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم: ٤٦، ٤٧].

وقد رجع إبراهيم ﵇ عن مسألة الاستغفار هذه لكفر أبيه، ولكن تبقى هذه الصورة الرائعة عند مقابلة المربي لمن يربيه بالوداعة والمعروف

---

(١) انظر: القاموس المحيط، مادة: (ح ل م) ٤/ ١٠٠.
(٢) سبقت الترجمة له.
(٣) المفردات في غريب القرآن ص١٣٦، والتعريفات ص٩٢.
(٤) روح المعاني ١١/ ٥١، والجامع لأحكام القرآن ٨/ ٢٥٢.
(٥) انظر: تفسير الجلالين ص١٦٧.
(٦) روح المعاني ١١/ ٥١، والجامع لأحكام القرآن ٨/ ٢٥٢، وتفسير الجلالين ص١٦٧.

ورحابة الصدر والصبر على الأذى حتى وإن كانت كلمة واحدة فقابلها بالحلم.

وجاء وصف سيدنا إسماعيل في القرآن الكريم بالحلم، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات]، وقد بلغ سيدنا محمد ﷺ قمة هذا الخلق وذروة هذا الأدب الرفيع، ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك[(١)] قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذه شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء»[(٢)]، إنه حلم عظيم وأدب جم، فليتعظ به المتجرؤون عليه ﷺ بالقول ومستنكر الأفعال.

ومن الأمور المرتبطة بالحلم أيضاً العفو، قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف].

وثواب العفو والصفح جاء في قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، وقوله في موضع آخر: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

وحتى يتحقق الحلم حث الرسول ﷺ على عدم الغضب ونهى عنه فقيل: إن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني! قال: «**لا تغضب**»، فردد مراراً فقال له: «**لا تغضب**»[(٣)].

---

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب البرود والحبر والشَّملة، رقم الحديث (٥٨٠٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث (٦١١٦).

فالحلم والرفق في تربية الأبناء مطلب ضروري لا بد أن يسلكه المربي في تعامله معهم، ولكن إذا اقتضت مصلحة معينة معاقبة الأبناء فعليه ألا يتأخر حتى يصلح حالهم وتستقيم أخلاقهم.

٣ ـ الصبر:

أصل الصبر في اللغة: المنع والحبس[١].

وهو في الاصطلاح: «هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله»[٢].

والصبر سمة من سمات الأقوياء، لأن أعباء الحياة ومتاعبها ومشكلاتها التي لا تحصى لا يطيق حملها الضعفاء، وأصحاب البنية الهزيلة، فالحياة لا ينهض برسالتها الكبرى ولا ينقلها من طور إلى طور إلا رجال أقوياء وأبطال صابرون، لذا كان نصيب القادة والعلماء والدعاة من العناء والبلاء بقدر ما تحملوا من أعباء ومسؤوليات[٣]. «وتحلي المربي بالصبر يعطيه قدرة على تحمل المشاق البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية ويمنحه جَلَداً على معايشة المكاره والمشاكل ومكابدتها، وثقةً في النفس وقوة في الإدارة، واطمئناناً في القلب وراحة في البال، وأملاً في الانتصار على المشاكل والعقبات»[٤].

ويجب أن يتحلى المربي بالصبر وعدم الاستعجال في أثناء تربيته أو تعليمه لأبنائه، وفي إصلاحهم وتقويم ما يحصل لهم من اعوجاج، مع الاستمرار في نصحهم، ولا يستعجل المربي ظهور النتائج وتحقيق المراد؛ فيتسرب إلى نفسه اليأس والشعور بالفشل، وذلك لأن الصبر

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية ص٢٨ بتصرف.
(٢) التعريفات، للجرجاني ص١٣١.
(٣) انظر: خلق المسلم للغزالي ص١١٩.
(٤) من أسس التربية، عمر التومي الشيباني ص١٣٨ ـ ١٣٩.

خلق من شأنه أن لمرتبه القيادة العامة والإمامة الدينية كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة]، فدل هذا النص القرآني على أن الصبر قد أهَّل أصحابه لمرتبة الإمامة الدينية؛ لأنهم كانوا مهتدين بكتاب الله وهديه، ولأنه جعل الله فيهم أئمة يهدون بأمره.

وقوله تعالى في قصة يوسف وإخوته: ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف].

وهكذا نجد أن يوسف عليه السلام بلغ هذه المرتبة من القيادة العامة وذلك لما كان عليه من التقوى والصبر، فكافأه الله ببلوغ هذه المرتبة[1].

ومن روائع الأمثلة على الصبر:

- صبر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كما حكى ذلك سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات].

- وكذلك صبر أيوب عليه السلام، فقد قدم مثالاً يقتدى به من أمثلة الصبر على المصائب فحاز المكانة التي أعدها الله لعباده الصالحين: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

وتعظم هذه الخاصية وتشحذ همم المربين للوصول إليها عند معرفة الجزاء الرباني لهؤلاء الصابرين يوم القيامة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥]، وقوله ﷻ: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان].

٤ ـ العدل:

العدل هو: «ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور، والعدل أيضاً هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر»(١).

وفي الاصطلاح: «هو عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط»(٢).

وفي كثير من الأحيان يمارس المربي التربية في جو جماعي ويتعامل مع أفراد في مستوى واحد أو بيت واحد فيكون سلوك المربي تحت نظر المتربين، فإذا ميز بين فرد وفرد دون سبب واضح، قلّ التفاعل وفُقد الانسجام من المتربين، ومعلوم أن العدل هو الحد الأدنى الذي يطلبه المتربي في التعامل مع حقوقه(٣).

وهو الحق الذي أمر الله به عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل].

وقال سبحانه: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال أيضاً: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨].

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص٣٢٩، ولسان العرب ١٠/٦١.
(٢) التعريفات ص١٤٧.
(٣) انظر: علم النفس الدعوي ص٢٩٣، ٢٩٤.

فالعدل واجب ومشروع وهو الحد الأدنى الذي يتم به صفاء النفوس وإحقاق الحق، والإحسان فوق ذلك وهو مندوب مطلوب[(١)].

٥ ـ الأمانة:

والمراد بها هنا «أن يكون المربي صادقاً وأميناً في تعامله مع تلاميذه وأن يبني الثقة في نفوسهم، فالأمانة ضرورية لبناء العلاقات، ولإحداث التفاعل المطلوب وذلك لأسباب عديدة:

منها: أن سلوكيات التفاعل تشمل تبادل الأسرار والاطلاع على أحوال المتربي الشخصية والاجتماعية والنفسية، مما لا يتاح إلا لصفوة من المقربين، وليحقق المربي ذلك المستوى من العلاقة لا بد أن يكون موثوقاً أميناً، وأن يظهر ذلك في سلوكه وتعامله.

أما إذا كان المربي متقلباً لا يوثق به ناقلاً للأخبار، لا يحفظ سراً ولا يرعى عهداً، فإنه لا يمكن أن يستأمن، ولا أن يفضى إليه بالدقائق، ولا أن يطلع على القضايا الخطرة والخاصة، ومن ثم فإنه لا يمكن أن يكون متفاعلاً مندمجاً حق الاندماج مع المتربي، بل ربما كان أقرب إلى السطحية والكذب في معاملته وإلى تعدد الوجوه في مسالكه بحيث لا يعتمد عليه ولا تؤمن بوائقه.

ومنها: أن إبداء المشورة والنصح للمتربي يعتمد اعتماداً كبيراً على أمانة المربي وصدقة وعلى مدى الثقة به»[(٢)].

والأمانة من صفات الرسل المبلغين، فلولا أنهم كانوا أمناء لما استأمنهم على خلقه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/٥٠٣، ٥٠٤.
(٢) علم النفس الدعوي ص٢٩٤ ـ ٢٩٥.

وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف].

وفي سورة الشعراء يقص الله على نبيه أحوال بعض رسله ﷻ وما حصل لهم من قومهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، وكل منهم يقول لقومه: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

والأمانة ليست مقتصرة على حفظ الأموال والودائع، وإنما تشمل أمانة نقل الأخبار والأحاديث، ولهذا نجد أن الأنبياء عليهم السلام يشيرون إلى ذلك حتى يكون ذلك دافعاً لتصديقهم والإيمان بما يدعون إليه[(١)].

«والرسول ﷺ أيضاً اشتهر بخُلق الأمانة من قبل بعثته، فكان يدعى الأمين، وكأنه لأهمية هذا الخلق في الدعوة والتربية عُرف به مبكراً ليكون أساساً وممهداً للدخول مع الناس والتأثير فيهم. وقد أحب الناس الرسول ﷺ لذلك فأقبلوا عليه وتأثروا به، وبهذه الصفة والصفات الأخرى ملك قلوب الناس وصار مرجعاً لاستشاراتهم ومستودعاً لأسرارهم وأماناتهم»[(٢)].

ويبقى أن نقول: إذا لم يكن المربي أميناً صادقاً في تعامله فكيف يأمنه المتربي على التأثير في بناء شخصيته وعقيدته وترتيب حياته... إننا عند ذلك كطالب الماء في الصحراء المجدبة!!

❐ رابعاً: صفات المربي في ضوء القرآن:

للمربي الناجح صفات كلما تلبّس فيها زاد نجاحه في تربية ولده بعد توفيق الله، وقد يكون المربي أباً أو أماً أو أخاً أو أختاً أو عماً أو جداً أو خالاً أو معلماً أو غير ذلك، وصفات المربي عديدة **منها**:

---

(١) انظر: إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية ص٢١٥.

(٢) علم النفس الدعوي ص٢٩٥.

الصفات الروحية:

١ ـ التقوى:

من الصفات التي يجب أن يتصف بها المربي المسلم في علاقته مع ربه وخالقه هي تقوى الله وما يرتبط بها من طهارة القلب وصفاء الضمير وإخلاص الطاعة وثبات العبادة.

وقد أمر الله عباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلى الممات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]. وتقوى الله حق تقواه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه[(١)]: «وهو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر»[(٢)]، فهذه الآية بيان لما يستحقه تعالى من التقوى، وأما ما يجب على العبد منها فكما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، وتفاصيل التقوى المتعلقة بالقلب والجوارح كثيرة جداً يجمعها فعل ما أمر الله به وترك كل ما نهى الله عنه»[(٣)].

ويقول سيد قطب[(٤)] رحمه الله في تفسير هذه الآية: «اتقوا الله ـ كما يحق له أن يتقى وهي هكذا بدون تحديد تدع القلب مجتهداً في بلوغها كما يتصورها وكما يطيقها، وكلما أوغل القلب في هذا الطريق تكشفت له آفاق وجدّت له أشواق، وكلما اقترب بتقواه من الله تيقظ شوقه إلى مقام أرفع مما بلغ، وإلى مرتبة وراء ما ارتقى، وتطلع إلى المقام الذي يستيقظ فيه قلبه فلا ينام»[(٥)].

وقد وصف الله تعالى المتقين بخمسة أوصاف بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ

---

(١) سبقت الترجمة له.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٧/١٠٦، رقم (٣٤٥٥٣).
(٣) تفسير السعدي ص١٤١ ـ ١٤٢.
(٤) سبقت الترجمة له.
(٥) في ظلال القرآن ١/٤٣٦.

يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة]. وقد جعل الله تعالى لمن يتقيه الجزاء له في الدنيا والآخرة: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

وقد سئل الرسول ﷺ: ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»[(١)].

ومما لا شك فيه أن المربي إذا لم يكن متمسكاً بالتقوى ومطبقاً لها في سلوكه وتعامله، فإن الولد ينشأ على الانحراف فلا يقف عند زاجر ولا يخشى من مراقبة الله به، لأنه فقد الإشراف والتوجيه من القدوة والمسؤول الأول عن التربية وهو المربي[(٢)].

٢ ـ الإخلاص:

وقد عرّف الإمام ابن القيم[(٣)] الإخلاص بأنه «إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة، وقيل: هو استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، وقيل: هو تصفية العمل من كل شوب»[(٤)].

«فالإخلاص في القول والعمل هو من أسس الإيمان ومن مقتضيات الإسلام، لا يقبل الله العمل إلا بما جاء الأمر به جزماً وتأكيداً في كتاب الله ﷻ وعلى لسان نبينا عليه الصلاة والسلام»[(٥)]، قال تعالى:

---

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم الحديث (٢٠٠٤)، وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب، وقال الألباني: حديث صحيح الإسناد في سنن الترمذي ص٤٥٤.
(٢) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان ٢/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠.
(٣) سبقت الترجمة له.
(٤) مدارج السالكين بين منازل «إياك نعبد وإياك نستعين» ٢/ ٩١ بتصرف.
(٥) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان ٢/ ٥٧٨.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة].

وقوله سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

«فالمخلص هو من قصد جميع عباداته الظاهرة والباطنة وجه الله وطلب الزلفى لديه»(١)، والعمل لا يقبل إلا إذا كان خالصاً وكان لوجه الله تعالى كما قال ﷺ: «**إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجه الله**»(٢).

فالإخلاص مطلوب من الإنسان المسلم في كل عمل يقوم به، ويروى عن بعض العلماء قولهم: «طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى»(٣).

فالمربي بإخلاصه يتحقق له القَبول عند الله وبين أولاده وتلامذته.

الصفات العقلية للمربي في ضوء القرآن الكريم:

ومن هذه الصفات ما يلي:

١ ـ العلم:

«عدة المربي في عملية التربية فينبغي أن يكون المربي عالماً في أصول التربية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية وأن يكون محيطاً بأمور الحلال والحرام، وأن يكون على دراية تامة بمبادئ الأخلاق..؛ لأن العلم بهذا كله يجعل من المربي عالماً حكيماً يضع الأشياء في موضعها

---

(١) تفسير السعدي ص٩٣٢ بتصرف.

(٢) السنن الكبرى، للنسائي، كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر ٣/ ١٨، رقم الحديث (٤٣٤٨).

(٣) إحياء علوم الدين ٢/ ١٧٤٣.

ويربي الولد على أصولها ومقتضاها ويسير به في طريق الإصلاح والتربية على أسس متينة من تعاليم القرآن وهدى الرسول الكريم ﷺ.

أما إذا كان المربي جاهلاً. . . بالشرع فإن الولد يتعقد نفسياً وينحرف عقلياً ويضعف اجتماعياً»[١]، «وينشأ أولاده على البدع والخرافات وقد يصل الأمر إلى الشرك الأكبر عياذاً بالله.

والمتأمل في أحوال الناس يجد أن جلّ الأخطاء العقدية والتعبدية إنما ورثوها عن آبائهم وأمهاتهم.

والمربي الجاهل بالشرع يحول بين أبنائه وبين الحق بجهله، وقد يعاديه لمخالفته إياه كمن يكره لولده كثرة النوافل أو ترك المعاصي، أو الأمر بالمعروف، أو طلب العلم أو غير ذلك[٢].

من أجل ذلك هذا كان اهتمام الشريعة الإسلامية بالحض على العلم عظيماً، والآيات التي تحض على العلم كثيرة في كتابه الكريم، فهي أكبر من أن تستقصى وأعظم من أن تحصى، فمن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر]، فقد فضَّلهم سبحانه على غيرهم من العالمين، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

«وحسب المربي تشجيعاً على طلب العلم أن الله تبارك وتعالى رفع من شأن العلماء فخصَّهم بخشيته وتقواه، وجعل ذلك الشرف مقصوراً عليهم ومن سائر الناس»[٣] فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان ٢/ ٥٨٠ بتصرف.
(٢) انظر: كيف تربي ولدك ص١٢.
(٣) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسُّنَّة ص٤٤.

[فاطر: ٢٨]، فما يخشى الله حق خشيته إلا الذين استنار فكرهم وتجلت لهم قدرة الله وعظمته.

وطلب العلم مستمر ولا بد للمربي أن يزداد كل يوم علماً، عملاً بقول تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ويجدر بالمربي أن يكون دائم الاطلاع لديه قدر من الثقافة الواسعة فمن الآيات التي تحث على الطلب المستمر للعلم والثقافة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

لأنه بقدر ثقافته وعلمه يكون له النجاح في التوجيه والإرشاد لأبنائه أو طلابه، وبقدر علمه يستطيع التعرف على ما في عصره مثلاً من مذاهب هدامة وتيارات فكرية منحرفة، فيعرف ما يستتر بين الشباب والمراهقين من المخالفات الشرعية التي تفد إلينا فيكون أقدر على مواجهتها[1].

٢ ـ الرُّشْد:

قيل: الرُّشْد والرَّشَد والرشاد: نقيض الغي. رشَدَ الإنسان، بالفتح، يرشد رُشداً بالضم، وهو نقيض الضلال، إذا أصاب وجه الأمر والطريق[2].

وهو من صفات خليل الرحمٰن إبراهيم عليه السلام وصفه تعالى به: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنبياء].

أي: الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبار، وهو الرشد الكامل؛ أي: الاهتداء إلى وجوه الصلاح في الدين والدنيا والإرشاد بالنواميس الإلـٰهية، وقيل: الحكمة، وقيل: التوفيق للخير صغيراً بأن وفقّ للنظر والاستدلال[3].

---

(١) انظر: كيف تربي ولداً صالحاً ص٤٤.
(٢) لسان العرب (ر ش د) ٦/ ١٥٧، وانظر: المفردات في غريب القرآن ص٢٠٢.
(٣) روح المعاني ١٧/ ٨٦ ـ ٨٧، والجامع لأحكام القرآن ١١/ ٢٥٩.

وقال ابن عاشور[١] في تفسيره: «هو الهدى وسداد الرأي والرأي الحق»[٢].

ولعل هذا أوضح تفسير للرشد، ومن اتصف به من المربين فقد تحقق له الفلاح في الدنيا والآخرة، كيف لا وقد وصف ﷻ به أحد أنبيائه.

٣ ـ الحكمة:

صفة من الصفات العقلية للمربي وقد تناولناها من قبل في هذا المبحث بوصفها عنصراً من عناصر تأهيل المربي على نحو يغني عن إعادة ذكره هنا، ويكفي هنا القول إن الحكمة إذا كانت في المربي عرف كيف يستفيد من علمه في تربية النشء بأن يضع كل معلومة في مكانها الصحيح وفي الوقت المناسب مستفيداً من كل فرصة للولوج إلى نفس الناشئ، شادّاً في وقت الشدّ ومرخياً في وقت الإرخاء، وبذلك تُجنى ثمرات التربية الكاملة واليانعة بإذن الله.

وبقي أمامنا سؤال يقول: كيف يتصف المربي بالحكمة؟

إنه سؤال كبير، لأن الحكمة ليست في دكان لتشترى منه، ولكنها هبة من الله تعالى لبعض عباده، وهذا ما يجعلنا نرى داعية يصل إلى قمة النجاح وآخر لا يكاد يغادر علمه موضعه الذي هو فيه، ولكن ينصح المربي أن يستمر في الطلب من ربّه أن يؤتيه الحكمة وأن يكثر من مراقبة الله ولزوم طاعته، فإن من ينابيع الحكمة تقوى الله والإخلاص له في العبادة.

---

(١) هو: محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكيين وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد بتونس وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة من أشهرها: «مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، والتحرير والتنوير» مختصر القرآن، توفي بتونس سنة (١٣٩٣هـ).
انظر: الأعلام ٦/ ١٧٤.

(٢) التحرير والتنوير ٣/ ٢٨.

المبحث الثالث
كمال الإحاطة الربانية للأنبياء في طفولتهم وفوائده العظيمة للناشئة في ضوء القرآن الكريم

❐ **تمهيد:**

«إن في رحاب القرآن الكريم وقفات جميلة مع الأنبياء الكرام في مرحلة من مراحل حياتهم هي مرحلة الطفولة.

والحديث عن طفولة الأنبياء حديث يرتبط به الإحاطة الربانية ارتباطاً مباشراً، فنجد في كل موقف حكم وأحكام وتعليم وإفهام، عرضها ﷻ في قصص فيها العبرة لأولي الألباب» ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]، قصص كشفت عن قدرة إلٰهية أحاطت بهؤلاء الأنبياء في طفولتهم وكانت سياجاً حصيناً من كل ردي ومن كل خطب قد يصيبهم.

وفي كل قصة وكل وقفة ابتلاء من الله لهذا النبي، فيكشف عن مدى إيمانه وتعلقه بالله تعالى إما: في ولد يطمح له ويحن إليه ويوحى إليه ذبحه بيده، أو بإلقائه في اليّم وعزوفه عن المراضع حتى عاد إلى الحضن الحاني، أو نبي غاب سنين وتقلَّبت به الأحوال حتى وصل إلى غاية عزه ومجده، أو نبي يتيم في صغره سخَّر الله له من يعوضه عن يتمه ويقيه الشعور بالحرمان وفقد الأحبة، قصص ووقفات هي الزاد للآباء وفيها العبرة للأبناء.

والذي يهمنا من هذه القصص الجانب المتعلق بالرعاية الإلٰهية للنبي في مرحلة طفولته ونشأته لعلنا نقف على خطوط بارزة لمعالم التربية

الإلـٰهية للناشئة. وقد تمّت من الرب الحكيم الخبير ـ جلا وعلا ـ لنماذج بشرية فريدة هم أنبياء الله تعالى ورسوله.

□ أولاً: الإحاطة الربانية لنبي الله إسماعيل عليه السلام في طفولته:

نحاول في هذا الجانب أن نتمثل الإحاطة الربانية التي أحاط الله بها إسماعيل عليه السلام بينما كان أبو إبراهيم عليه السلام في موقف المربي لنكشف عن طبيعة العلاقة بين المربى والمتربي على مستوى نماذج رائعة في تاريخ البشرية وهي النماذج النبوية التي حظيت بعناية ورعاية خاصة. ثم نحاول أن نستخلص الفوائد التربوية من قصة إسماعيل مع أبيه إبراهيم عليهما السلام.

وقد كان هنالك موقفان ينبغي النظر العميق فيهما، أولهما بدأ حين ترك إبراهيم عليه السلام زوجه هاجر وولدها إسماعيل وهو طفل رضيع بواد غير ذي زرع امتثالاً لأمر الله، والقصة معروفة لا حاجة لسردها تفصيلاً[(١)].

لكننا نقف عند الآيات التي تحدثت عن ذلك بشيء من التحليل والكشف، فقد أودع إبراهيم زوجه وولده ببطن مكة وهو يقول داعياً: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم].

وقد سبق لإبراهيم أن دعا ربه بذرية صالحة فقال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ [الصافات].

وقد يتبادر إلى المرء أن يقول:

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿يَزِفُّونَ﴾ [الصافات: ٩٤]: النَّسلان في المشي، رقم الحديث (٣٣٦٤).

أي: صلاح هذا أن يترك المرء زوجه وولده في أرض لا ماء فيها ولا شجر؟ لكنه الابتلاء الأول لإبراهيم عليه السلام في ولده، وهو ابتلاء عظيم، ابتلاء الأنبياء عليهم السلام بعد أن تتفجّر ماء زمزم وتتدفق إلى هذه اللحظة.

ومن الامتحان الرباني الأول وما صاحبه من النص القرآني **يمكن أن نستخلص ما يلي:**

١ ـ أن المربي لا ينبغي أن يتوقف عن الدعاء للولد، ومن هنا جاء ما حكاه القرآن الكريم من قوله تعالى على لسان إبراهيم الأب: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم].

٢ ـ أن يرتبط دعاء المربي للمتربي بنوعين من المصالح... مصالح عليا ومصالح دنيا ولا يحسن التوقف عند المصلحة الدنيوية القريبة عند الدعاء، فجاء قوله عز وجل: ﴿لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ لتؤكد هذه الحقيقة، مع أن الدعاء اشتمل على مصالح قريبة كالاستئناس بالناس ومحبتهم والأكل من الثمرات... ولهذا لم يجئ قول إبراهيم عليه السلام فارزقهم من الثمرات لعلهم يأكلون!! بل جاء: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾.

وإن هذا الربط في الدعاء أدعى إلى الاستجابة الربانية بدليل أن الله استجاب دعوة إبراهيم. وهذا درس عظيم لكل مربّ إذا دعا لولده فليذكر في دعائه ما يحقق عبودية المتربّي، فهذا أحرى باستجابة الدعاء، لأن الغاية من تحقق حاجات المتربي الدنيوية تحقيق الهدف الأسمى وهو العبودية الصحيحة.

٣ ـ أن يبذل المربي (الأب) ما وسعه الجهد لتقديم المعونة للزوج والولد في حدود الاستطاعة ثم التوكّل. فقد ورد في نص حديث البخاري ما يفيد أن إبراهيم عليه السلام متوكلاً على الله[1] هذا مع الاعتقاد بأن الله لن يضيع أهله فهو الذي أمر بتركهم في مكة.

٤ ـ أن تسعى الأم المربية إلى ما فيه مصلحة ولدها، وهذا ما جعلها تهرول بين الصفا والمروة لعلها تنظر فتجد من يغيثها على إطعام ولدها ومدهما بالماء مع علمها بأن الله هو الذي أمر بهذه السكنى.

وهذا مفهوم من قولها لإبراهيم عليه السلام: «آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم فقالت: إذن لا يضيعنا»[2].

أما الامتحان الرباني الثاني لإبراهيم فهو أمره بذبح ولده إسماعيل حتى إذا قال إسماعيل: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات: ١٠٢] تلّه للجبين... ثم جاء الملك يحمل الكبش ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ [الصافات]، وفي هذا ابتلاء عظيم لإبراهيم ولولده إسماعيل ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾ [الصافات].

ونخلصُ من هذا الامتحان **بنتائج ذات دلالات منها**:

١ ـ إن من يطَّلع على قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل يشعر أن علاقة ما كانت تربط الأب بابنه، هي فوق الحياة اليومية للأب والابن، إنها علاقة مسلَّم بها، وهي أنهما كانا يشعران باطمئنان دون أي شك أنهما عبدان مطيعان لله، وأن طاعته هي فوق كل اعتبار، ولهذا لم نلحظ جدلاً قام بين الأب وابنه في مسألة التنفيذ للأمر الرباني... كما لم تعترض الأم على ذلك، وهذا ما ينبغي أن يكون بين كل مربٍّ ومن يربّيه ألا وهو

(١) سبق تخريج الحديث من قريب وهو في صحيح البخاري برقم (٣٣٦٤).
(٢) الحديث نفسه.

التسليم بأن الأمر الإلـٰهي فوق كل الاعتبارات، وأنه لا ينبغي التضحية بأسس العبودية لله من أجل أغراض دنيوية مهما كانت المبررات إلّا أن تكون مما يجيزه الشرع في ظرف من ظروف الحياة كقصر الصلاة والإفطار للمسافر. ومما يثلج الصدر أن كثيراً من المربين ومن يربونهم في عصرنا يشيع فيهم مقولة (هذا حرام وهذا حلال) إن شيوع هذا المفهوم في بيئاتنا مؤشر طيب، وهو جعل المقياس في كل جزئيات حياتنا موافقته أو مخالفته لرأي الشارع ﷻ فيه تحليلاً وتحريماً.

٢ ـ أن على المربّي متابعة من يربّي وإن شبّ وكبر وتزوّج، وهذا ما عرفناه من حديث البخاري حين أمر إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل بتطليق زوجه التي لاحظ إبراهيم عليه السلام فيها كفران النعمة[(١)]، لكن ينبغي أن نذكر هنا أن هذا لا يكون مفتاحاً صالحاً لكل أب يأمر ولده بتطليق زوجه في أيامنا لأنه ليس جميع الآباء على مستوى واحد من الورع والتقوى وتبصُّر المصلحة.

٣ ـ ينبغي أن يتعاون المربي والمُربّى على طاعة الله في مشروعات إيمانية مشتركة، الغرض منها طاعة الله وخدمة الدين، وهذه نقطة لا علاقة لها بمحض بر الوالدين فهو أمر ثابت في الشريعة، ولكن المقصود به أن يطرح المربي مشروعاً على المربّى فيه خدمة للدين، وأن يتعاون الطرفان لتحقيقه، وهذا ما رأيناه في حديث البخاري[(٢)] أيضاً من تعاون إبراهيم مع إسماعيل عليهما السلام في رفع قواعد البيت، فقد كانا يتعاونان ويرددان معاً الدعاء: «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

---

(١) حديث البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿يَزِفُّونَ﴾، برقم (٣٣٦٤).
(٢) حديث البخاري سبق تخريجه برقم (٣٣٦٤).

إن مجرّد التفكير بالوالد والولد يقولان بصوت واحد: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] وهما يقومان بعمل عظيم يباركه الرحمٰن في خدمة الإسلام، يجعلنا نمتلئ إحساساً بالروعة والخشوع في آن واحد.

وباختصار نقول: إن تربية الناشئة على صنع المعروف هو الذي ينبغي أن يكون في مدارسنا وبيوتنا، وهو الذي ينبغي أن تربى عليه الناشئة المسلمة، فإذا كانت التربية قد أقرت مبدأ التعلم التعاوني فلنقر كذلك مبدأ البرّ التعاوني، والله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

٤ ـ مع أن أمر ذبح الوالد للولد ليس بالسهل ولا باليسير، فقد سمعنا من إسماعيل عليه السلام عبارات فيها كمال الأدب مع الأب فقد قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ﴾ [الصافات: ١٠٢]، ولفظ (يا أبت) عبارة فيها تحبّب وأدب مع الأب كما أن (افعل ما تؤمر) فيها تقدير عالٍ من الابن لمحنة الأب في هذا الابتلاء الصعب، فلم يكن الابن مهوّلاً للأمر بأن لم يتلفظ لسانه بعبارة اذبحني[1]، لأنه يعلم أن هذا سيكون ثقيلاً جداً على الأب، بل قال ما يخفف على الأب المهمة وهو إشعاره أنه يعلم أن هذا بأمر من الله وأنه لا شأن لأبيه في المسألة.

ثم إن قوله: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢][2].

«فيه رحمة بذلك الأب وتهدأة له بألا يجزع ولا يهلع. بل يكون مثابراً، وفي ذلك تخفيف من عبء ما عسى أن يعرض لأبيه من الحزن لكونه يعامل ولده بما يكره»[3].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ٢٣/ ١٥٢.
(٢) الآية في الحاشية السابقة، وانظر: في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٩٥.
(٣) التحرير والتنوير ٢٣/ ١٥٢.

❐ ثانياً: الإحاطة الربانية لنبي الله يوسف عليه السلام في طفولته:

وردت قصة يوسف عليه السلام في سورة سُميت باسمه وجاء فيها: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ [يوسف].

وقد وجهت العناية الإلـٰهية ليوسف عليه السلام إحاطة ورعاية عن طريقين: الأولى عن طريق تهيئة البيئة التربوية الأبوية الفاعلة، والثانية: عن طريق الرعاية السماوية.

١ ـ البيئة التربوية الأبوية ليوسف عليه السلام:

ونلمح هذا من قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: ٦]، فيوسف عليه السلام كان يتنفس بيئة التوحيد والطاعة من قبل أن يبشر بالنبوة.

كما نلمح حرص يعقوب عليه السلام على منع السبب المؤدي إلى الحسد وهو النصيحة بعدم قصّ الرؤيا على إخوة يوسف، وقد تكون فائدة من ذلك للمربين بألا يوجدوا بيئة الحسد بمنع أسباب الغيرة، وباتباع العدل في المعاملة وعدم التمييز بين الناشئة.

ومما يستفاد من الآيات كذلك ربط الكثير من الشرور المتوقعة بالشيطان لأنه عدو لابن آدم وسبب لكثير من مصائب البشر وانحرافهم.

٢ ـ الرعاية الربانية:

وبدأت بالمنام الذي رآه يوسف عليه السلام وفيه دلالات تمهّد له أن يتوقع أموراً عظيمة في مستقبل أيامه، وقوى هذه الفكرة تفسير يعقوب عليه السلام لمنامه.

ثم استمرت تلك الرعاية بأن هدى الله أحد الإخوة لاختيار رمي يوسف في البئر بعد أن أزمع الإخوة على قتله، ثم بأن يوحي الله إلى يوسف وهو في البئر وحياً يقول: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، كانت الرعاية الإلٰهية مع يوسف غير منقطعة، فبعد أن شعر يوسف بالاطمئنان في البئر وعدم الخوف سخر له من يلتقطه وشراء عزيز مصر له فأكرم مثواه. ثم رؤية يوسف لبرهان ربّه عندما دفع الشيطان بامرأة العزيز نحوه قائلة (هيت لك)، ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف].

أما ابتلاء يوسف بالسجن فهو من السنن الكونية أيضاً لأن الإنسان معرَّض للامتحان والابتلاء ليصبر فينال درجات عالية. ثم ليكون ما كان من أمر الوزارة التي تولاها يوسف وتتمة القصة المعروفة التي لا يتسع المجال لذكرها.

ولعلّ مما يستفاد من هذه الأحداث تربوياً أن المربي ينبغي أن يكون ما أمكن قريباً من ظروف من يربي، فإن أصابته ضراء وقف إلى جانبه ونفَّس عنه، ولكن بالطريقة البشرية ـ بطبيعة الحال ـ وأن يعلم الناشئ شكر المعروف بالعمل لا باللسان وحده كما كان من يوسف عليه السلام حينما أبى أن يخون مولاه عزيز مصر في أهله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف: ٢٣]، وأن يتعود الناشئ الصبر على الابتلاء حتى يأتي اليسر والخير: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح].

❏ ثالثاً: الإحاطة الربانية لنبي الله موسى عليه السلام في طفولته:

موسى بن عمران أحد أنبياء الله عز وجل الذين صوَّر القرآن الكريم طفولتهم بشكل واضح، وذكر كثيراً من جوانب حياته الطفوليه وما

خالطها من ألطاف وعنايات ودروس وفوائد وعبر(١).

❑ أولاً: الآيات:

وقصة موسى عليه السلام مليئة بالأحداث، ويكفي هنا أن نشير أنه إلى أن أكثر آيات الذكر الحكيم استيفاء لقصة موسى هي من أول سورة القصص وحتى الآية الأربعين، وسنسرد بعضها هنا لتكون دليلاً لأحداث تهمنا في قصة موسى عليه السلام.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص].

وقد بدأت الرعاية الإلـٰهية بأن أوحى الله إلى أم موسى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص]، ويتابع السياق القرآني موسى عليه السلام: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ﴾ [القصص: ٨]، وتستمر العناية الإلـٰهية بأن ليَّن الله قلب امرأة فرعون إذ

(١) تربية الطفل في ضوء القرآن والسُّنَّة والأدب ص٧٥.

أشارت بعدم قتله وتركه يتربى بينهم، ثم بطلب مرضعة له، وتدخلت العناية الإلـٰهية هنا بأن حرم الله المراضع على موسى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ...﴾ [القصص: ١٢] فلم يصلح له سوى أمّه!! ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ...﴾ [القصص: ١٣]، ثم شبّ الفتى وجاءت الرسالة وكان منه ما كان بعد ذلك.

وحسبنا أن نتعلم من خالق الإنسان **أساسيات في تربية الطفل**:

الأولى: الحرص على حسن الإرضاع والتغذية، وقد أوكل الله هذا الأمر إلى أمه.

الثانية: توفير الحماية للناشئ، وقد كانت حماية أغرب من الخيال جعلت من المطلوب قتله سيداً في دار القاتل.

الثالثة: أن على المربي أن يفي بوعده للمتربي وأهله ليكون موضع ثقتهم، فإن كان المعلم يريد ـ مثلاً ـ أن يخرج بطلابه في رحلة لتحقيق أهداف تربوية متعددة، فليحرص أن يعود طلابه إلى بيوتهم في الوقت الذي حدده لأهله للعودة.

الرابعة: مؤازرة الناشئ وحل مشكلاته ليشعر أنه يتعامل مع محبّ له ساعٍ إلى خيره، وطبعاً لا نطلب من المربي هنا أن يعطي الناشئ عصا موسى وإنما أن يقدم له ما يستطيع لحل مشكلاته، وأن يحتسب الأجر في ذلك على الله.

الخامسة: إنشاء شيء من علاقة بين المربي (المتعلم) وأهل الناشئ حتى يصير المربي كواحد من أسرة الناشئ يطمئنون إليه ويثقون به، وهذا يقطع أشواطاً في طريق استجابة الناشئ وإقباله.

❑ رابعاً: الإحاطة الربانية لنبي الله محمد ﷺ في طفولته:

١ ـ ولادته ﷺ ومظهر الإحاطة الربانية فيها:

إن الإحاطة الربانية لهذا النبي الأمين بدأت منذ ولادته، فقد

وضعته أمه آمنة بنت وهب يتيماً، «فقد توفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب وهو جنين في بطن أمه.. وهذا أبلغ اليتم وأعلى مراتبه، وكان ذلك أول بلاء يواجه الطفل الوليد.. وإن كان لا يدري شيئاً عن تلك المعاني إلا أن الله علم ذلك وأراد، وكان يؤهله لأمر عظيم»[١].

ولما وضعته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بالمولود، فأقبل مسروراً وسمَّاه بإلهام من الله: محمداً، ولم يكن هذا الاسم شائعاً من قبل عند العرب ولم يحمل هذا الاسم إلا أفراد قلائل[٢].

٢ ـ الإحاطة الربانية للرسول ﷺ وقت رضاعه:

إن أول مرضع تشرفت برضاعه ﷺ والدته الشريفة آمنة بنت وهب، ثم ثويبة مولاة[٣] أبي لهب، ثم أرضعته حليمة السعدية[٤] بنت أبي ذؤيب السعدية، وقد رأت في إرضاعه آيات وبركات أحاطت به وبمن حوله.

توجهت حليمة بنت الحارث إلى مكة في نسوة من بني سعد يبحثن عمن يرضع طفله عندهن كسباً للرزق، فعادت كل واحدة من مكة برضيع غير محمد ﷺ فلم يصل به مرضعة، لأنه يتيم، ثم قالت حليمة: قلت لزوجي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلق إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. فقال: لا عليك أن تفعلي، فعسى أن يجعل الله لنا فيه خيراً فذهبت فأخذته، فوالله ما أخذته إلا أني لم أجد

(١) حياة محمد ﷺ، محمود شلبي ص١٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ص١٧.

(٣) هي: ثويبة مولاة أبي لهب، أرضعت النبي ﷺ واختلف في إسلامها، ماتت سنة (٧هـ). انظر: أسد الغابة ٧/ ٤٧، والإصابة ٤/ ٢٤٥١.

(٤) هي: حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب، واسمه: عبد الله بن الحارث بن شجنة هي التي أرضعت رسول الله ﷺ حتى أكملت رضاعه، ورأت له برهاناً وعلماً جليلاً.
انظر: الاستيعاب ٤/ ١٨١٣، والإصابة ٤/ ٢٤٧١.

غيره، فما هو إلا أن أخذته، فجئت به رحلي، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى! وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لَحافلٌ، فحلب ما شرب، وشربت حتى روينا. فبتنا بخير ليلة، فقال صاحبي حين أصبحنا: يا حليمة.. والله إني لأراك قد أخذت نَسَمة مباركة، ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه؟ فلم يزل الله ﷻ يزيدنا خيراً، ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا، فوالله لقطعت أتاني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار، حتى أن صواحبي ليقلن: ويلك يا بنت أبي ذؤيب، هذه أتانك التي خرجت عليها معنا؟ فأقول: نعم والله إنها لهي. فقلت: والله إن لها لشأناً. حتى قدمت أرض بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فإن كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً لبناً، فنحلب ما شئنا وما حوالينا أو حولنا أحد تبض[١] له شاة بقطرة لبن، وإن أغنامهم لتروح جياعاً حتى إنهم ليقولون لرعاتهم: ويحكم، انظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب فاسرحوا معهم. فيسرحون مع غنمي حيث تشرح، فتروح أغنامهم جياعاً ما فيها قطرة لبن، وتروح أغنامي شباعاً لبناً، نحلب ما شئنا، فلم نزل نتعرَّف في الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان، وفصلته وكان يشب شباباً لا يشِبُّهُ الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً غليظاً شديداً فقدمنا به على أمه، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه وقلت لها: لو تركت بنيَّ عندي حتى يغلظ فإني أخشى عليه وباء مكة، فلم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به»[٢].

---

(١) تبض الشاة: ترشح بالحليب.

(٢) انظر: الرواية بتفاصيلها في: السيرة النبوية، لابن هشام ١/ ١٨٣، والبداية والنهاية، لابن كثير ٢/ ٢٧٤، ودلائل النبوة للأصبهاني ١/ ١٥٤، وغيرها كثير من المصادر المتنوعة.

٣ ـ شق الصدر والحكمة الإلـهية في ذلك:

بعد رجوع الرسول ﷺ إلى بني سعد بأشهر وقع حادث شق صدره، فعن أنس: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لَأَمه ـ أي: جمعه وضم بعضه إلى بعض ـ ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ـ يعني: ظئره[1] ـ فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون ـ أي: متغير اللون ـ قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره[2].

ومما سبق نستطيع أن نعرض أهم الفوائد الجليلة لما مر في طفولة نبي الله محمد ﷺ:

١ ـ أن الإحاطة الربانية لهذا النبي تمثلت في حمايته الجسدية وتحقيق الصحة الجسمية له بما هيئ له من مرضعات أدخل سبحانه في قلوبهن الحنان والعطف على ذلك الطفل اليتيم مع أن اليتيم لا يحظى بإقبال المرضعات عليه.

٢ ـ في قصته ﷺ بيان لمدة الرضاعة وأنها حولان كاملان في الأعم الأشهر: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وفيه اختيار الجو المناسب في مرحلة الطفولة كما كان من عادة العرب أن يتخذوا المراضع لمواليدهم من أهل البوادي لينشأ أولادهم أصح أجساماً وأصفى ذكاء، وكانوا يقولون: إن المربى في المدن يكون

---

(١) الظئر: مرضعة ولد غيرها، وتطلق على زوج المرضعة أيضاً.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء ١٦٢.

كليل الذهن، فاتر العزيمة[١].

٣ ـ أن الإحاطة الربانية لهذا النبي تجلَّت أيضاً فيما نزل من بركات على مرضعته حليمة السعدية، وذلك للترغيب في حضانته والاستمرار في رضاعته والتعلق به ومحبته، «وبهذا فازت حليمة السعدية بشرف لا يقدر قدره بإرضاعها رسول الله ﷺ وحبها له»[٢].

٤ ـ وقد تجسدت الإحاطة الربانية بهذا النبي ﷺ بتحقيق الحماية النفسية له عن طريق شق الصدر؛ فهو سبحانه «يعدُّه لتلقي الوحي عنه بهذه الحادثة، ونزع مغمز الشيطان منه، حتى لا يبقى محل ينزل به ليوسوس»[٣].

وقد امتن الله تعالى على نبيه بأن شرح صدره ونوَّره وجعله فسيحاً رحيباً واسعاً لشرائع الدين والدعوة إلى الله والاتصاف بمكارم الأخلاق، وتسهيل الخيرات والإقبال على الآخرة[٤]. في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح]، وقد كانت هذه الحادثة سبباً لهذه السلامة النفسية والخلقية وتهيئة لما هيأه الله وأعده لهذا النبي الكريم.

٤ ـ الإحاطة الربانية لنبي الله محمد ﷺ بتأمين من يكفله:

«عادت حليمة السعدية بالحبيب ﷺ لتكفله أمه آمنة ويرعاه جده عبد المطلب، وبهذا كانت آمنة الوالدة أول كافل للنبي ﷺ في صباه، وشاء الله تعالى أن تخرج آمنة بغلامها الزكي النقي الطاهر إلى يثرب «المدينة المنورة» ليزور أخواله من بني النجار، ولما وصلت الأبواء عائدة

(١) مع الأنبياء في القرآن الكريم ص٣٣٨.
(٢) هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب، أبو بكر الجزائري ص٥٧.
(٣) المرجع السابق ص٥٧.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير ٤/٤٥٨، وتفسير السعدي ص٩٢٩.

من المدينة إلى مكة أدركتها المنية فماتت بها، وحضن الحبيب محمداً الغلام اليافع مولاة أبيه أم أيمن بركة باركها الله ورضي عنها فوصلت به إلى مكة المكرمة، فسلمته إلى جده عبد المطلب فكفله فكان ثاني الكفلاء لرسول الله ﷺ.

ـ كفالة جده له:

«لقي محمد الغلام الطاهر من الحفاوة والتكريم، والإجلال والتقدير من جده الكفيل ما لا يقدر قدره ولا يعرف مداه»[(١)]، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له. فكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخِّروه عنه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله إن له لشأناً، ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع[(٢)]، ولما بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين مات عبد المطلب، الجد الرحيم والكافل الكريم.

ـ كفالة عمه له:

نهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه، وضمَّه إلى ولده وقدمه عليهم واختصه بفضل واحترام وتقدير، وظل فوق أربعين سنة يعز جانبه ويبسط عليه حمايته، ويصادق ويخاصم من أجله ولم يتركه ولم يسلمه لقريب ولا لبعيد. حتى قبضه الله في السنة الحادية عشرة من البعثة النبوية العظيمة[(٣)].

---

(١) هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب ص٥٧.

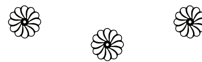
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام ١/١٨٨.

(٣) انظر: الرحيق المختوم، صفي الرحمٰن المباركفوري ص٧٥، وانظر: هذا الحبيب محمد ﷺ ص٥٧، ٥٨.

ومن خلال ما سبق يتبين أن الإحاطة الربانية لهذا النبي الكريم إنما كانت في تأمين مأوى يأوي إليه في حالة اليتم التي مر بها، إذ مات والده وهو حمل لم يولد بعد وماتت والدته وهو في السادسة من عمره، وقد امتن الله عليه بهذه النعمة التي أحاطت به.. قال ﷻ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [الضحى].

وفي ذلك إشارة إلى أهمية كفالة اليتيم وعظم أجر من يقوم بذلك من رعاية أبويه..، وقد ذكر هذا المعنى العظيم الرسول ﷺ في حديثه: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**.. وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج بينهما»(١).

والرسول ﷺ عاش يتيماً وعرف ما يقهر اليتيم وما يدخل الفرح والسرور على نفسه، وعرف ما يعوضه عن فقد أبويه، وإذا كان كذلك فقد أمره الله تعالى بعدم قهر اليتيم(٢).. قال تعالى له: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ [الضحى].. «أي: كما كنت يتيماً فآواك الله فلا تقهر اليتيم فلا تذله وتنهره، ولا تُسِئ معاملة اليتيم ولا تهنه، ولكن أحسن إليه وتلطف به وأكرمه»(٣)، «لأن مشاعر اليتيم ربما تبلغ من الرقة والحساسية أن تقهره الكلمات العابرة التي لا تثير أي إنسان آخر ولا تحرك فيه شيئاً، لذلك كان على كافل اليتيم أن يكون حريصاً على مشاعر الأيتام فلا يتسبب في إيذائها ويوصي أسرته بمثل ذلك»(٤).



(١) سبق تخريجه.
(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢/ ٤٥.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٧، وتفسير السعدي ص٩٢٨.
(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢/ ٤٥، ٤٦.

المبحث الرابع منهج الأنبياء في تنشئة ذرياتهم وما فيه من فوائد جليلة للناشئة في ضوء القرآن الكريم

❏ تمهيد:

قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

إن الأبناء زينة الحياة الدنيا، ومصدر الفرحة لآبائهم، فهم قرة العين ونورها، وبهجة النفس وسعادتها، وهم قبل ذلك نعمة عظيمة من نعم الله تعالى، ومع ذلك فليست الغاية فقط من الولد مجرد السعادة بهم وتلبية رغبات النفس برؤيتهم، بل إن هناك غاية سامية لا بد أن يتطلع إليها الآباء ويعملوا على تحقيقها هو العمل على إيجاد ولد صالح يحمل أسماءهم وأنسابهم ويدعو لهم في حياتهم وبعد مماتهم، وإعداده وفق مرضاة الله تعالى، وتهيئته لعبادة الله ﷻ ثم خدمة أمته الإسلامية وإعمار الأرض بالإيمان والدين الإسلامي، وبناءً على ذلك فقد أوجب الإسلام على الوالدين والمربين تنشئة الأبناء، التنشئة الصحيحة وتربيتهم التربية السوية القويمة وذلك عن طريق غرس معاني التقوى والفضيلة في نفوسهم وأرواحهم حتى تصبح تلك المعاني سجية لهم ومعلماً أصيلاً لشخصيتهم[1]، وذلك باتباع منهج تربوي سليم في هذه التربية، حتى تتحقق الثمرة المرجوة، قدوتهم في ذلك الأنبياء عليهم السلام، فقد كان لهم المنهج القويم في تنشئة ذرياتهم منهج ينير للآباء طريقهم في إعداد الناشئة

(١) انظر: تربية الطفل في الإسلام، أطوارها وآثارها ص٧ ـ ٣٧.

بمسلكهم، وقد اشتمل على عدة أساليب تربوية تعليمية كان لها السبق في إعداد ذرياتهم وإصلاحهم وتقويمهم عليهم السلام. **ومن هذه الأساليب**:

❐ أولاً: الدعاء:

إن للدعاء واللجوء إلى الله عز وجل مفعول عظيم في إصلاح الناشئة وفلاحهم واستقامتهم على الدين، ونهج التربية القرآنية المباركة، ودرب الهداية النبوية[1].

والله سبحانه وتعالى هو مالك الملك، وأمور الخلق وأقدارهم بين يديه يصرفها كيف يشاء، فإذا كان هو سبحانه وتعالى صاحب الشأن كان من الضروري، بل ومن اللازم الطلب منه ودعاؤه والابتهال والالتجاء إليه رجاء صلاح الذرية واستقامتها، فإنه «ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل»[2].

وقد كانت ألسنة المؤمنين تلهج إلى الله بالدعاء: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. وقوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥]، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا «أكثر الناس دعاء والتجاء إلى الله، وطلباً منه إصلاح أولادهم، فقد سجل القرآن الكريم لبعضهم دعوات وتضرعات عظيمة»[3] تبدأ قبل رزق الأهل بهم، فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يطلب من ربه عز وجل عند هجرته من وطنه وقومه أولاداً صالحين يعينونه على الدعوة والطاعة ويؤنسونه في الغربة: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات].

وفي طلب نبي الله إبراهيم عليه السلام ولداً صالحاً حكمة هي أن يعينه

---

(١) انظر: الطفل في ضوء القرآن والسُّنَّة والأدب ص٥٥.
(٢) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي ٣/ ٣٧٩.
(٣) مسؤولية الأب المسلم ص٧٧.

على الدعوة والطاعة ويؤنسه في الغربة ينفع الله به في حياته وبعد مماته وليكون مطيعاً عوضاً عن قومه وعشيرته[(١)]. وقال الشيخ ابن عاشور[(٢)]: «ووصفه بأنه من الصالحين لأن نعمة الولد تكون أكمل إذا كان صالحاً، فإن صلاح الأبناء قرة عين للآباء ومن صلاحهم برهم لوالديهم»[(٣)].

وهكذا كان نبي الله تعالى زكريا عليه السلام قد سأل الله تعالى الذرية الطيبة على كبر سنه ووجود الزوج العاقر.

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران].

إنها دعوة لغرض واحد ومبتغى واحد هو الفلاح والصلاح لهذا الابن، ولم يقتصر الدعاء للأبناء قبل وجودهم بل امتد ذلك إلى ما بعد ولادتهم ومجيئهم لهذه الحياة الدنيا.

وإذا كان قد حصل دعاء الأنبياء عليهم السلام ربهم برزقهم ذرية صالحة سواء قبل أو بعد مجيئهم، فإن دعاءهم مستمر لتحقيق سلامة العقيدة والقيام بركائزها وغرسها في نفوس أبنائهم وذرياتهم، فهذا إبراهيم عليه السلام قد دعا ربه عز وجل أن يجعل من ذريته أمة مسلمة مستسلمة منقادة مطيعة له سبحانه وتعالى، وقد جاء ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

قال الشيخ السعدي[(٤)] رحمه الله تعالى في تفسيره: «ودعوا

(١) انظر: تفسير البيضاوي، ناصر الدين البيضاوي ٢/ ٢٩٦، وروح المعاني ٢٣/ ١٨٦، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٥، وانظر: فتح القدير ٤/ ٥٠٥، وتفسير السعدي ص٧٠٦.

(٢) سبقت الترجمة له.

(٣) التحرير والتنوير ٢٣/ ١٤٨.

(٤) هو: عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ولد عام (١٣٠٧هـ)، نشأ يتيماً فحفظ القرآن وطلب العلم، كان عالماً جليلاً وقاضياً مسدداً، له مؤلفات كثيرة من أشهرها: «تيسير الكريم الرحمٰن»، توفي سنة (١٣٧٦هـ). انظر: علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله البسَّام ٢/ ٤٢٢.

لأنفسهما وذريتهما بالإسلام الذي حقيقته خضوع القلب، وانقياده لربه المتضمن لانقياد الجوارح»(١).

وقال الشيخ ابن عاشور(٢) رحمه الله تعالى في تفسيره: «وهذا دعاء ببقاء دينهما في ذريتهما»(٣).

وأما عن تخصيص إبراهيم عليه السلام ذريته بهذا الدعاء فتحدث عنه العلامة الخازن(٤) رحمه الله تعالى بقوله: «قلت: «لأنهم أحق بالشفقة والنصيحة»(٥). قال الله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

ومن هنا يتوجب على كل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه، وخاصة إذا كان هذا الدعاء مصدراً لثبات الإنسان على إسلامه وخروجاً من الشرك والظلام إلى نور الإيمان بالله وتوحيده، وتحقيقاً للطمأنينة والاستقرار في ظل هذا الدين(٦)، وتتأكد هذه الدعوات في وقتنا الحاضر لا سيما وقد غزت ساحته الفتن وأحاطت بالناشئة. وهنا يقع العبء الأكبر على الوالدين في الوقاية منها بشتى الأساليب، أولها التضرع لله تعالى في أن يجنب بيتهم وأن يقيهم شرها والانسياق وراءها والانغماس فيها.

ولتحقيق الإسلام لا بد من تحقيق أركانه ومنها إقامة الصلاة، فقد كان إبراهيم عليه السلام شديد الاهتمام بأن تكون ذريته من مقيمي الصلاة،

---

(١) تفسير السعدي ص٦٦. (٢) سبقت الترجمة له.

(٣) التحرير والتنوير ١/ ٧٢٠.

(٤) هو: علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن خليل البغدادي عالم بالتفسير، والحديث، من فقهاء الشافعية، سكن دمشق وكان خازن الكتب بالمدرسة السماطية فيها، واشتهر بالخازن بسبب ذلك، له مؤلفات عديدة منها: «لباب التأويل في معاني التنزيل» في التفسير المعروف بتفسير الخازن، و«عدة الإفهام في شرح عمدة الأحكام»، توفي في آخر شهر رجب سنة (٧٤١هـ) بحلب.
انظر: طبقات المفسرين للداودي ص٢٩٢، والأعلام ٥/ ٥.

(٥) تفسير الخازن ١/ ٩١.

(٦) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٦٧، وفي ظلال القرآن ٤/ ٢١٠.

ولهذا اختار البيئة الصالحة للتنشئة السليمة: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. ودعاء إبراهيم عليه السلام أيضاً: قال الرازي[١] رحمه الله في تفسيره: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، واللام متعلقة بـ(أسكنت)؛ أي: أسكنت قوماً من ذريتي وهم إسماعيل عليه السلام وأولاده بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا الصلاة»[٢].

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝٤٠﴾ [إبراهيم].

وقال ابن كثير[٣] رحمه الله تعالى في تفسيره: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: محافظاً عليها مقيماً لحدودها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾؛ أي: واجعلهم كذلك مقيمين لها[٤].

أو لم يتذكر أولئك أن نبيهم الكريم أمر المسلمين بأمر أولادهم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، وضربهم عليها وهم أبناء عشر سنين، كما ذكر ذلك الرسول ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين**»[٥].

وعلى ما سبق فالدعاء:

● يغير ـ بفضل الله ـ سلوك الأولاد وتصرفاتهم غير المرغوب فيها إلى ما هو أحسن وأفضل.

---

(١) هو: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل، الملقب بفخر الدين أبو عبد الله المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، كان سلطان المتكلمين في زمانه وأحد الأئمة في العلوم الشرعية. له مصنفات مشهورة منها: كتابه في التفسير «مفاتيح الغيب»، و«المحصول» في أصول الفقه، كانت مدة حياته بين سنة ٤٤، وقيل: ٤٣ وخمسمائة، وسنة ست وستمائة. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٤/٢٤٨، وطبقات المفسرين، للداودي ص٤٤٤.

(٢) التفسير الكبير ١٩/١٠٨.

(٣) سبقت الترجمة له.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٤٦٨.

(٥) سبق تخريجه.

• يرتبط به اتخاذ الأساليب المتممة له لتحقيق صلاح الأبناء واستقامتهم.

فعلى المربي أن يتعوَّد الدعاء لابنه، «وأن يكون الدعاء له بالخير والصلاح، فإن كان صالحاً دعا له بالثبات والمزيد، وإن كان غير ذلك لا قدر الله دعا له بالهداية والتسديد، وقد جاء النهي عن الدعاء على الأبناء في كثير من الأحاديث منها[١] قوله ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**»[٢]، وقوله عليه السلام: «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده**»[٣].

ولكن يدعو له بالهداية ويتذكر دائماً أن الأنبياء دعوا لذريتهم بخير وهم قدوة للبشرية فليقتد بهم، وأن يكون على يقين بأن دعاءه إما أن يكون سبباً في إصلاح ابنه أو سبباً لفساده.

❐ ثانياً: المشورة:

سلك الأنبياء عليهم السلام في تعليمهم ذرياتهم العديد من الأساليب للوصول بهم إلى مدارج الكمال الخلقي والديني، **ومن هذه الأساليب ما يلي:**

- المشورة:

إن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره:

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، أطوارها وآثارها ص٢١٧.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزهد، باب حديث جابر الطويل، رقم الحديث (٣٠٠٩).

(٣) أخرجه الترمذي كتاب البر والصلة، باب ما جاء في دعوة الوالدين، رقم الحديث (١٩٠٥). قال الألباني: حديث حسن في سنن الترمذي ص٤٣٦.

منها: أن المشاورة من العبادات التي يتقرب بها إلى الله.

ومنها: أن فيها تسميحاً للخواطر وإزالة ما يصير في القلوب عند الحوادث، فالمربي إذا جمع أهله وأبناءه وشاورهم في حادثة من الحوادث فإن نفوسهم تطمئن إليه وتحبه لأنهم علموا بأنه ليس مستبداً منفرداً برأيه وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية فيبذلون جهدهم في تبع أمره وطاعته.

ومنها: أن في الاستشارة إنارة للفكر وإعمالاً للعقل للوصول إلى الوجه المطلوب والأكثر كمالاً.

ومنها: ما تنتجه الاستشارة من الوصول إلى الرأي الصواب لأن المشاور لا يكاد يخطئ في فعله وإن أخطأ لم يتم له مطلوب فليس بملوم فإذا كان الله يقول لرسوله ﷺ وهو أكمل الناس عقلاً وأعزهم علماً وأفضلهم رأياً: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فكيف بغيره[١].

والمتأمل في سيرة خليل الرحمٰن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يجد ذلك الأسلوب في تربيته لابنه إسماعيل عليه السلام، ويدل على ذلك أنه لما أمر بذبح ابنه بدأ بمشاورته بدل المبادرة إلى إصدار الأمر إليه، قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢].

والمشورة هنا لغرض آخر أراد سيدنا إبراهيم عليه السلام الوصول إليه وتحقيقه وهو أنه كما قال الزمخشري[٢] رحمه الله: «لم يشاوره ليرجع إلى

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص١٥٤.

(٢) هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد، العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، النحوي اللغوي، المعتزلي ـ المفسر، يلقب جار الله؛ لأنه جاور بمكة زماناً، ولد في رجب سنة (٤٦٧هـ)، وللزمخشري مصنفات عديدة منها: «الكشاف» في التفسير، و«الفائق» في غريب الحديث، و«أساس البلاغة» مات سنة (٥٣٨هـ).
انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي ص١٢٠ وطبقات المفسرين، للداودي ص٥١٠.

رأيه ومشورته، ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره إن جزع، ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلَّم، وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به، ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله تعالى قبل نزوله.. وليكون سنة في المشاورة»[١].

وقال ابن الجوزي[٢] رحمه الله: «لم يقل له ذلك على وجه المؤامرة في أمر الله عز وجل، ولكن أراد أن ينظر ما عنده من الرأي»[٣].

إذن فالمشورة ومشاورة الأبناء فيما يتعلق بهم أمر ضروري لسلامة الناشئة نفسياً وخلقياً، هي الطريق الصحيح لتكوين شخصية تتميز بالثقة بالنفس وإبداء الرأي لمعرفة ما يدور بداخلهم من أفكار، ولتثبيت ما هم عليه من أفكار وآراء صحيحة والقدوة في ذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام.

❑ ثالثاً: الحوار:

الحوار أسلوب راق في التربية له فوائد كثيرة منها:

١ ـ الاستفادة من سماع أحاديث فيها آراء وحجج يحاول أصحابها إثبات صوابها.

---

(١) الكشاف، للزمخشري ٣/٣٤٨، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١٥/٩٢، وتفسير ابن كثير ٤/١٦، والتحرير والتنوير ١١/١٦١، والدر المنثور، للسيوطي ٥/٢٨٢.

(٢) هو: الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد البكري البغدادي عُرف جدهم بالجوزي لجوزة كانت في دارهم لم يكن بواسط سواها. كان واعظاً، عالماً في التفسير والحديث والسير، من مؤلفاته: «زاد المسير في علم التفسير»، و«المغني»، في علوم القرآن، وغيرهما. توفي في رمضان سنة (٥٩٧هـ).
انظر: البداية والنهاية ١٣/٢٨، وسير أعلام النبلاء ١٤/٦٠.

(٣) زاد المسير ٧/٧٥.

٢ ـ اعتياد السامع التفكير السليم. والأسلوب القويم.

٣ ـ ثبات الحوار في النفس لتشغيل أكثر من حاسة في تفهُّم أبعاد الحوار.

٤ ـ يُعلِم الدقة في الاستنتاج والطرح[(١)].

والقرآن الكريم يستعمل أسلوب الحوار بكثرة، فما تكاد تقرأ سورة إلا والحوار عماد فيها وأساس من أسسها.

ومن أمثلة الحوار ما كان من سيدنا نوح عليه السلام مع ابنه «في مشهد رهيب لا يوجد مثله إلا في النص القرآني العظيم تتجلى فيه صلة الأبوة بالبنوة، في لحظات حاسمة وموقف خطير»[(٢)]، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ۝٤٠ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٤١ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ۝٤٣﴾ [هود].

ومن خلال هذا الحوار الأبوي يتضح الحرص ومدى الشفقة والاهتمام بمصلحة هذا الابن بضمه إلى طائفة المؤمنين وعدم الانسياق وراء قادة الضلال وأتباع الهوى والشياطين.

ومن أمثلة الحوار أيضاً ما كان من حوار يعقوب عليه السلام مع ابنه يوسف عليه السلام وباقي إخوته، وقد تجلت في هذا الحوار أسس تربوية وقواعد منهجية لتربية الناشئة والسير بهم في طريق واضح يجنبهم

---

(١) انظر: من أساليب التربية في القرآن ص٣٧٧.

(٢) آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن ص١٧.

ـ بعد رعاية الله تعالى ـ الوقوع في الخطأ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥﴾ [يوسف].

وكان هذا جواباً حوارياً لإخبار يوسف لأبيه برؤيته للحلم: ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾ [يوسف].

❐ رابعاً: النصيحة:

وقد ينص عليها بالوصية في القرآن الكريم: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة].

ويقول ابن كثير[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره موضحاً هذه الوصية: «أي: أحسنوا في حال الحياة والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه، فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه، وقد أجرى الله الكريم عادته بأن من قصد الخير وفق له ويُسر له ومن نوى صالحاً ثبت عليه»[(٢)].

ويستنبط من وصية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «أن الوصية بعقيدة التوحيد وما تشتمل عليه من سلوك ومكارم أخلاق هي أهم ما يوصي به الأب أبناءه في كل أطوار حياتهم حتى يلقوا ربهم وهم عليه.

(١) سبقت ترجمته.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٦٣.

فينبغي على الآباء أن يكونوا في غاية الحرص على أبنائهم بتوجيههم وإرشادهم إلى اتباع دين الله والتمسك به، فإن هذا خير ما يقدمه الوالد لولده، إذ به ينقذه من سخط الله وعذابه، ويضعه في محل رضوانه ومحبته عز وجل، كما أن من فوائد الاهتمام بصلاح الأولاد الإبقاء على صلاح الذرية التي تتلوهم من بعدهم في الأغلب لأنهم هم ـ كذلك ـ سيهتمون بأبنائهم هذا الاهتمام لكونهم على طريقة آبائهم من الصلاح والدعوة إليه»[١].

ومما يذكره الفخر الرازي[٢] رحمه الله حول ما يستفاد من هذه الوصية قوله: «اعلم أن هذه الحكاية اشتملت على دقائق مرغبة في قَبول الدين:

أحدها: أنه تعالى لم يقل: وأمر إبراهيم، بل قال: ووصى.. ولفظ الوصية أوكد من الأمر، لأن الوصية عند الخوف من الموت، وفي ذلك الوقت يكون احتياط الإنسان لديه أشد وأتمَّ، فإذا عرف أنه عليه السلام في ذلك الوقت كان مهتماً بهذا الأمر فشدد فيه كان القول إلى قبوله أقرب.

وثانيهما: أنه عليه السلام خصَّص بنيه بذلك، وذلك لأن شفقة الرجل على أبنائه أكثر من شفقته على غيرهم، فلما خصَّصهم بذلك في آخر عمره علمنا أن اهتمامه بذلك كان أشد من اهتمامه بغيره.

وثالثهما: أنه عمَّم بهذه الوصية جميع بنيه ولم يخص أحداً منهم، وذلك يدل على شدة الاهتمام.

ورابعهما: أنه عليه السلام أطلق هذه الوصية غير مقيدة بزمان معين ومكان

---

(١) القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء، عماد زهير حافظ ص١٥٨. رسالة ماجستير.

(٢) سبقت الترجمة له.

معين، ثم زجرهم أبلغ الزجر عن أن يموتوا غير مسلمين، وذلك يدل أيضاً على شدة الاهتمام بهذا الأمر.

وخامسهما: أنه عليه السلام ما مزج بهذه الوصية وصية غيرها، وهذا يدل على شدة الاهتمام بالأمر.

ولما كان إبراهيم عليه السلام هو الرجل المشهود له بالفضل وحسن الطريقة وكمال السيرة ثم عرف أنه كان في نهاية الاهتمام بهذا الأمر، عرف حينئذ أن هذا الأمر أولى الأمور بالاهتمام وأحراها بالرعاية والقبول»[(١)].

ويستفاد من قوله: ﴿وَوَصَّىٰ﴾ بأن وصية إبراهيم عليه السلام لأبنائه ليست مرة واحدة بل كانت مرات لأن وصى يقتضي التكثير»[(٢)].

وبناء عليه ينبغي على الآباء أن لا ينتابهم ملل في إلحاحهم على أبنائهم بالوصايا المتكررة بل لا بد من الاستمرار ما دام الآباء على قيد الحياة من وعظ ونصح ودعوتهم إلى ما فيه صلاحهم.

وأيضاً وصى يعقوب عليه السلام بنيه عند احتضاره في قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة].

جاءت هذه الوصية عند احتضاره، وهذا يدل على أهميتها لأن ذلك وقت الحرص بتعجيل إبلاغ أهم النصائح إلى الموصين إذ أنها آخر كلام الذي يُحتَضَر، وفي المقابل تكون هذه الكلمات لها أكبر الأثر في نفوس من يوصيهم، إذ الموصي يكون أشد اهتماماً وانتباهاً وحرصاً على تلبية ما يطلبه ويوصيه به موصيه، خصوصاً إن كان الموصي أحد الوالدين

(١) التفسير الكبير ٤/٦٦.
(٢) المحرر الوجيز ١/٢١٣.

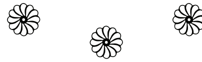
فذلك من برهما والوفاء بحقهما[١].

ووصية يعقوب ـ كما نلاحظ ـ جاءت بطريقة غير مباشرة، إذ كانت بأسلوب الاستفهام، وذلك لينظر عليه السلام مقدار ثباتهم على الدين، ثم يجيب الأبناء على هذا السؤال فيقولون وملء قلوبهم الإيمان: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وجوابهم هذا يطمئن قلب يعقوب ويقرّ عينه بأبنائه وهو في هذه اللحظة الخاتمة الأخيرة.

كما أن جوابهم عما أتوا به معرفاً بالإضافة إذ قالوا: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ ولم يذكروا الاسم العلم بأن يقولوا: نعبد الله، لأن إضافة لفظة (إلـٰه) إلى ضمير يعقوب وإلى آبائه تفيد جميع الصفات التي كان يعقوب وآباءه يصفون الله بها، ففيه إيماء إذاً إلى أنهم مقتدون بسلفهم، ليزيد اطمئنانه عليه السلام ويتيقن أنهم على الصراط المستقيم في دين الله، ولن يبتدعوا شيئاً في هذا الدين بل هم متبعون لا مبتدعون[٢].

«وبتلك الإجابة الممتازة الوافية تمت وصيته عليه السلام بهذا الأسلوب، وتحقق له ما كان يريد الإيصاء به، وهو الالتزام بتوحيد الله ودينه والخضوع له سبحانه»[٣].



---

(١) انظر: القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء ص٢٥٣.
(٢) انظر: التحرير والتنوير ١/ ٧٣٣.
(٣) القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء ص٢٥٤.

المبحث الخامس عناصر الآداب القرآنية للناشئة وأساليبها في مجال معاملة الوالدين والإخوة

□ أولاً: عناصر الآداب القرآنية للناشئة وأساليبها في مجال معاملة الوالدين:

إن الإنسان في حياته يحتاج إلى منهج واضح يسير عليه في تعامله مع الآخرين وخاصة مع والديه اللذين هما سبب وجوده واستمد منهما كل معونة ومساعدة حتى صار إنساناً واعياً يفرق بين الغث والسمين، وبين الخير والشر(١).

وقد جاء المنهج القرآني موضحاً سبل الإحسان والشكر للوالدين والبر بهما سواء كان براً بالأقوال أو بالأفعال.

وبرُّ الوالدين هو: التوسع في الإحسان إليهما، فالبِرُّ ضد العقوق(٢) قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة].

ومن معاني البِرُّ «الصلة والجنة والخير والطاعة والحج والاتساع في الإحسان وحسن الخلق»(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٧، وتربية الأطفال في ضوء القرآن والسُّنَّة ٢/ ٥٩٥، ٥٩٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٥١، ومختار الصحاح ص٤١، وبصائر ذوي التمييز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ٢/ ٢١٣.

(٣) انظر: مادة: (ب ر ر) في مختار الصحاح ص٤١، ومقاييس اللغة ص١٠٧ ـ ١٧٨، ولسان العرب ٢/ ٥٨، والقاموس المحيط ١/ ٤٤٤، والنهاية في غريب الحديث ص٧٢.

ويقال: بَرَّ أباه فهو بارٌّ وبَرٌّ... وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ [مريم: ١٤].

وقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾ [مريم: ٣٢]، فالبَرُّ بمعنى البارّ، وهو الكثير البِرّ[١].

«وجمع البارَّ أبرار وَبَرَرة»[٢]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار].

وقال في صفة الملائكة: ﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾﴾ [عبس][٣].

ومن أبرز الآداب القرآنية في معاملة الوالدين:

١ - بِرُّ الوالدين بالأقوال في القرآن الكريم:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء].

وقد خصَّ سبحانه مرحلة كِبَرَ الوالدين «لأنها مظنة تحقق الإحسان، بما يلقى الولد من أبيه وأمه من مشقة القيام بشؤونهما، ومن سوء الخلق منهما، فطول المكث للمرء يوجب الملل ويكثر الضجر فيظهر غضبه على أبويه، وتنتفخ أوداجه»[٤]. وقد أشارت الآية الكريمة السابقة إلى مواضع برِّهما ومراتب الرعاية والأدب عند مخاطبتهما والحديث معهما.

فأول مراتب الرعاية والأدب ألا يصدر من الولد ما يدل على الضجر والضيق، وما يوحي بالإهانة وسوء الأدب مع الوالدين: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾، فلا يُسمعهما القول السيئ حتى وإن كان التأفيف الذي هو أدنى المراتب من القول السيء.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٤.
(٢) المفردات في غريب القرآن ص٥١.
(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٥١.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٠/ ٢١٢، والتحرير والتنوير ١٥/ ٦٩.

ومن أدب الحديث مع الوالدين أيضاً عدم الحديث معهما والابن يصيح في وجوههم كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾؛ أي: يبتعد عن كل حديث وخطاب فيه زجر وغلظة[(١)]، وإذا كان الكلام طيباً وحسناً وفيه توقير وتعظيم فهو القول الكريم: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ «أي: ليناً لطيفاً مثل: يا أبتاه ويا أمّاه من غير أن يسميهما ويكنيهما»[(٢)].

ومناداة الأبناء للوالدين باسمهما مجانب لبرهما الذي يستوجب مناداتهما بما يشعر التحنن والترقق وإثارة مشاعر الأبوة والأمومة بقوله: «يا أبي أو يا أمي أو والدي أو والدتي» اقتداء بالأنبياء عليهم السلام في مناداتهم لآبائهم، فهذا إبراهيم عليه السلام ينادي والده في حوار مفعم بالأدب في حديثه مع والده وهو يريد نصحه وإنقاذه من الكفر، كما حكى ذلك ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم].

ومن خلال هذه الآيات الكريمة يتبين لنا نموذج الابن البار بأبيه في تعامله مع والده إذا أراد نصحه عندما يجانب الحق والصواب، «فإذا رأى الولد أن ينصح لأحد أبويه أو أن يحذره مما قد يضرَّ به أدى ذلك بقول ليّن حسن الوقع والتأثير عليه»[(٣)]. فيخاطبه بقول كريم، وقد سئل سعيد بن المسيب رضي الله عنه[(٤)] عن هذا القول الكريم فقال: «قول العبد المذنب للسيد الفظّ الغليظ»[(٥)].

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٣٢، وفي ظلال القرآن ٤/ ٢٢٢١.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢١٤.
(٣) التحرير والتنوير ١٥/ ٧٠.
(٤) سبقت الترجمة له.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢١٤.

إن سب الآباء أو شتمهما أو حتى التسبب في سبِّهما من قبل الآخرين يجانب القول الكريم الذي أمر الله به، وعدَّ الرسول ﷺ ذلك من الكبائر: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: **يسب الرجل أبا الرجل فيسبّ أباه ويسبّ أمه**»(١).

ومن البر القولي بالوالدين الدعاء لهما، فهو من أعظم الطاعات وأجل القربات، والوالدان يستحقان من دعاء ولدهما النصيب الأوفى في حياتهما بأن يدعو لهما بالثبات على الإيمان والعفو والعافية وحسن الخاتمة، وأن يشرح صدورهما وأن يكفيهما الهم والحزن، وغير ذلك من الدعوات الصالحة.

ويدعو لهما بعد مماتهما، ويستغفر ويترحم عليهما، ويطلب العفو والغفران لهما لما كان منهما من تربيته وهو صغير على تربيتهما عندما كان صغيراً ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]. «وفي الآية الكريمة إيماء إلى أن الدعاء للوالدين مستجاب، لأن الله أذن فيه»(٢)، ولقول الرسول ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**»(٣).

والمتأمل في هذه الآية الكريمة يرى أن الله تعالى خصَّ التربية بالذكر «ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية فيزيد ذلك إشفاقاً

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه، رقم الحديث (٥٩٧٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها رقم الحديث (٩٠).

(٢) التحرير والتنوير ١٥/ ٧٢.

(٣) سنن الترمذي، باب الأحكام، كتاب الوقف برقم حديث (١٣٧٦). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قال الشيخ الألباني: صحيح في سنن الترمذي ص٣٢٥.

وحناناً عليهما»[(١)].

وكان الأنبياء عليهم السلام يبرُّون آباءهم حتى في الدعاء، فهذا سيدنا نوح عليه السلام يدعو دائماً لنفسه ولوالديه وللمؤمنين بقوله: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨].

وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام يدعو لوالديه قائلاً: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم].

وذكر ابن كثير[(٢)] رحمه الله في تفسيره أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يستغفر لأبيه مدة حياته، فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له وتبرأ منه[(٣)]، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

وسيدنا سليمان عليه السلام دعا إلى ربه شكراً له سبحانه تعالى على نعمه التي أنعمها عليه وعلى والديه قائلاً: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

٢ ـ بر الوالدين بالأفعال في القرآن الكريم:

١ ـ بالتواضع وخفض الجناح لهما:

وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

فهذا الذل ناشئ عن الرحمة «لا عن الخوف منهما، أو الرجاء لمالهما ونحو ذلك من المقاصد التي لا يؤجر عليها العبد، بل يجعل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢١٥.
(٢) سبقت الترجمة له.
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣٤١.

الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة في أقواله وسكناته ونظره، ولا يحد إليهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب»(١).

٢ ـ الشكر لهما:

وشكر الله تعالى قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل: «والمؤمن البار بوالديه يتوجه إلى الله عز وجل دائماً يشكره سبحانه وتعالى على نعمه التي أنعم بها عليه وعلى والديه، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف].

فقد أمر الله سبحانه وتعالى الأبناء بتوجيه الشكر إلى الله عز وجل المنعم الأول على الإنسان، فقد أمرهم توجيه الشكر للوالدين المنعمين التاليين، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان].

والشكر لهما بالإحسان إليهما «بالقول اللين والكلام اللطيف والفعل الجميل وإكرامهما واجتناب الإساءة إليهما، وقد بيَّن سبحانه السبب الموجب لبر الوالدين في الأم فقد حملت به مشقة على مشقة فلا تزال تلاقي المشاق من حين يكون نطفة من الوحم، والمرض، والضعف، والثقل، وتغير الحال، ثم وجع الولادة ثم حضانته وكفالته ورضاعته»(٢).

ومما ينبغي التأكيد عليه أن القرآن حينما يأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما فإن ذلك الأمر واجب في كل وقت وفي كل لحظة،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢١٤، وانظر: تفسير السعدي ص٤٥٦.
(٢) تفسير السعدي ص٦٨٤ بتصرف.

وشتان ما بين من يجعل للأم يوماً واحداً في العام ويتخذه عيداً لها يكرمها فيه، وبين من يجعل كل أيام العام وساعاته، بل كل أيام العمر عيداً للأم تجد فيه الحنان والسعادة من قبل أبنائها من حولها ولا تجد إلا كل التقدير والحب والاحترام[١].

٣ ـ النفقة عليهما:

إن النفقة على الوالدين من أعظم البر بهما[٢]، فالنفقة عليهما واجبة، وقد أمر الله تعالى بها وبيَّن أنه من خير ما ينفقه الإنسان قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥].

يقول ابن تيمية[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ: «على الولد الموسر أن ينفق على أبيه وزوجة أبيه وعلى إخوته الصغار، وإن لم يفعل ذلك كان عاقاً لأبيه قاطعاً لرحمه مستحقاً لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة»[٤]، فيلزم الابن على قدر حاله القيام على خدمتهما وإكرامهما بتقديم الطعام والشراب والكسوة والعلاج ودفع الأذى وغير ذلك. لأن الابن وما يملك ملك لأبيه كما جاء في الحديث عن الرجل الذي قال: يا رسول الله إن لي مالاً وولداً وإن والدي يجتاح مالي، فقال: «**أنت ومالك لوالدك**»[٥].

٤ ـ الرفق بالوالدين وتخليصهما من الهموم والأحزان:

ومن أمثلة ذلك ما فعله إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حين رأوا أباهم في غاية الحزن: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ

(١) انظر: في ظلال بر الوالدين، عبد الله إبراهيم أبو بكر ص٦١.
(٢) انظر: تفسير السعدي ص٩٦.
(٣) سبقت الترجمة له.
(٤) مجموع الفتاوى ٣٤/ ١٠١.
(٥) أخرجه أبو داود، كتاب البيوع، باب الرجل يأكل من مال ولده، برقم حديث (٣٥٣٠). قال الشيخ الألباني: حسن صحيح في سنن أبي داود ص٥٣٥.

ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ [يوسف][١].

وفي هذه الآية الكريمة لفتة كريمة تدعو الأبناء إلى الرفق بالآباء وتهوين ما يحل بهم من مصائب وابتلاءات، وأن يبذلوا وسعهم في تخليصهم من الهموم والأحزان على قدر استطاعتهم؛ لأن هذا من البر وحسن الصحبة بهم، فالأبناء هم أفضل من يهوِّن على الآباء ويزيل عنهم الأحزان[٢].

٥ ـ إدخال السرور عليهما:

إن إدخال السرور على الوالدين مطلباً عظيماً يدعو القرآن الكريم الأبناء للقيام به، وقد ضرب نبي الله يوسف عليه السلام أعظم مثلاً في ذلك «فهو لم ينتظر أباه حتى يأتيه، بل ساق إليه البشرى بإرسال قميصه إليه مع إخوته تعجيلاً لمسرته وإنهاء لمحنته، وذلك لأنه حين يلقى على وجهه القميص يرتد بصره، فهذه مسرة بذاتها، ثم يثق بأن يوسف حيّ وهذه مسرة أعظم من الأولى. وبذلك أدخل عليه السرور قبل أن يصل إليه: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف]، فليبادر الأبناء إلى إدخال السرور على والديهم خصوصاً في المواطن التي يغلب عليهما حال الحزن، فإن ذلك من البر وحسن الصلة»[٣].

٦ ـ طاعتهما في غير معصية:

من بر الوالدين تلبية ندائهما والمسارعة لقضاء حوائجهما وطاعة أمرهما دون مقاطعة في كلامهما أو مجادلتهما أو معاندتهما أو لومهما، أو السخرية منهما، وتجنب الضحك بحضرتهما، وتجنب الاعتراض على

---

(١) والحَرَض: المتهالك الضعيف المشرف على الهلاك. انظر: المفردات في غريب القرآن ص١٢١.

(٢) انظر: القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء ص٢٣٨.

(٣) القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء ص٢٤٣ بتصرف.

قولهما، إلا إذا كان أمراً بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥].

❐ ثانياً: الأساليب القرآنية في آداب معاملة الوالدين:

١ ـ التوصية ببر الوالدين:

«إن من لطف الله تعالى بعباده وشكره للوالدين أن وصى بهما الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم»[١]، قال ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان].

وقال في موضعين آخرين: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ [العنكبوت: ٨، الأحقاف: ١٥].

فالملاحظ في هذه الآيات الكريمة أن الله تعالى ابتدأ في كل آية من الآيات بقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ وهي بمعنى أمرنا الإنسان وألزمناه ببرهما والإحسان إليهما[٢].

ونلاحظ أن الوصية جاءت بعبارات مختلفة إما غير مقيدة كما في الآية الأولى وإما مقيدة بقوله: ﴿حُسْنًا ۖ﴾ و﴿إِحْسَٰنًا﴾ كي لا تكون وصية بالوالدين فحسب بل بيَّن سبحانه ما يرتبط بهذه الوصية وما تحمله بين جنباتها من كيفية تحقيقها.

فهذه الوصية موجهه للإنسان «وقائمة على أساس إنسانيته دون النظر إلى أية صفة أخرى وراء كونه إنساناً، وهي وصية بالإحسان مطلقة من

(١) تفسير السعدي ص٧٨١.
(٢) انظر: روح المعاني ١١/ ٢٠٥، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٤٧، وتفسير السعدي ص٦٢٧.

كل شرط ومن كل قيد فصفة الوالدية تقتضي هذا الإحسان بذاتها بدون حاجة إلى أية صفة أخرى كذلك وهي وصية صادرة من خالق الإنسان»[١]. وإذا كان سبحانه وتعالى يوصي بالوالدين والإحسان إليهما فما ذلك إلا لعظم حقهما ومكانتهما المستوجب للالتزام ببرهما والإحسان إليهما.

٢ ـ القدوة:

لقد عرض القرآن الكريم نماذج فريدة يقتدى بها ويسير المسلم على هداها، وكانت صوراً رائعة للبر بالوالدين إما بالحكمة وإما بالطاعة وغيرها من الصور المختلفة في البر، فأول هذه النماذج سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما خاطب أباه يدعوه إلى الإيمان وكان ذلك بأسلوب الحكمة والأدب العالي قال فيه عز وجل: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [مريم]. وقد سبق استخلاص البحث لفحوى البر بالوالدين في هذه الآيات.

وإذا كان سيدنا إبراهيم عليه السلام قدوة في التعامل مع والده بحكمة فإن ولده إسماعيل عليه السلام قدوة لمن جاء بعده في الطاعة لوالده إبراهيم عليه السلام في أمر يصعب على النفس قَبوله والإقدام على تنفيذه؛ فالنفس بطبعها تتشوق للبقاء والاستقرار في الحياة: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ [الصافات: ١٠٢]، «طلبٌ يدُكُّ الجبال وينزع القلوب من الصدور»[٢].

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٦١.
(٢) قصص القرآن، محمد جاد المولى ص٦٠.

لم يتلق الابن البار «الأمر في طاعة واستسلام فحسب، ولكن في رضى كذلك وفي يقين ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ وفي مودة وقربى، فشبح الذبح لا يزعجه ولا يفزعه، ولا يفقده رشده بل لا يفقده مودته وأدبه»(١).

﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾: امض في تحقيق ما أمرت به من غير احتجاج ولا مناقشة فيه، وهنا يكمن البر الحقيقي للوالدين ليتمثل فيما لا يوافق رغبة الابن. فالبر له مراتب لكل مرتبة طبيعتها من حيث السهولة والصعوبة، فكلما ازدادت الصعوبة واحتاجت إلى قدر من التحمل تضاعف الأجر من الله تعالى وعلت مكانة البار بوالديه لأن البر بالوالدين يتحقق في أن يؤثر الولد رضا والديه على رضا نفسه وأن يطيعهما في كل ما يأمرانه به وينهيانه عنه سواء وافق رغباته أم لم يوافقها ما لم يأمراه بمعصية الله.

وقد تمثل ذلك في شخص إسماعيل عليه السلام من برّ عظيم وتوفيق من الله وإيمان وثيق ونفس راضية بما أراد الله، وكانت العاقبة له النجاة من هذا الكرب العظيم جزاء على طاعته وامتثالاً له لأمر الله تعالى.

وشتان ما بينه وبين ابن نوح عليه السلام الذي أبى أن يركب السفينة لما دعاه والده فاعتزل أباه ورغب عن دينه فناداه لعل نداءه يصل إلى مكان الإيمان من قلبه فيؤمن نداء الأب الحريص على هداية ابنه ورجوعه إلى طريق الحق والإيمان: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، ولكنه رفض هذه الدعوة الحانية وهذه الرغبة الصادقة ظناً منه أنه قادر على أن يحذر المكروه ويفر من قضاء الله وقدره.

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا القرار وعدم الاتباع والطاعة لهذا الأب الحاني العطوف الذي بذل جهده لهدايته أن حال بينهما الموج

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٩٥.

وتعالت المياه فكان من المغرقين: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

ومن النماذج التي عرضها القرآن في برّ الوالدين ما كان من سيدنا يوسف عليه السلام.

«فمن إكرامه وتقديره واحترامه لأبويه أن أجلسهما على سريره المخصص له ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: ١٠٠] إذ لا يفوق الأبوين شيء من أمور الدنيا، فهما أغلى ما لدى الإنسان في هذه الحياة، ولا يعلو على حقهما سوى حق الله عز وجل»(١).

٣ ـ ضرب الأمثلة:

ساق القرآن الكريم نماذج أيضاً من الأنبياء عليهم السلام امتدحهم ببر والديهم.

ومن الأمثلة على ذلك يحيى عليه السلام، فقد كان باراً «لطيفاً بوالديه محسناً إليهما»(٢)، قال عز وجل: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم].

فقد كان يسعى دائماً لمرضاتهما ويبذل كل جهده في الإحسان إليهما، ويقوم بكل ما يسعدهما من شؤون الدين وأمور الدنيا(٣)، «ولم يكن متكبراً ولا عاصياً لوالديه أو لربه»(٤).

وكذلك سيدنا عيسى عليه السلام فمن فضل الله تعالى عليه أن جعله بارّاً

---

(١) القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء ص٢٤٥.
(٢) فتح القدير ٣/ ٤٠٩.
(٣) انظر: آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن ص١٥٢.
(٤) فتح القدير ٣/ ٤٠٩.

بوالدته، «وقد خصه الله تعالى بذلك بين قومه لأن برّ الوالدين كان ضعيفاً في بني إسرائيل يومئذ، وبخاصة الوالدة، لأنها تُستضعف لأن فرط حنانها ومشقتها قد يجرِّئان الولد على التساهل في البر بها»[(١)]، ولهذا خاطب قومه وهو صبي في المهد بأنه سيكون باراً بوالدته قائماً بحقها عاملاً لرضاها: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم].

وفي السُّنَّة الشريفة أمثلة على بر الوالدين ذكر منها الرسول ﷺ قصة النفر الثلاثة الذين انحدرت عليهم الصخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار فدعوا بصالح أعمالهم فأتاهم الفرج الرباني لقاء تلك الأعمال الصالحة، وكان بداية الفرج وتزحزح الصخرة عن باب الغار أن دعا أحدهم ربه جل وعلا ببره لوالديه وتقديمه حبهما على حب أولاده[(٢)].

وقد كان بر ذلك الرجل عظيماً؛ لأنه كان بدأ بوالديه قبل ولده مع أنه يستطيع أن يعطي كل منهم نصيبه، والثانية أن أولاده كانوا في جوع، ومع هذا لم يقدمهم على والديه ثم إن بكاء أولاده كان مستمراً حتى طلع الفجر، وفوق هذا كله فإن عمله ذلك كان لله خالصاً لوجهه تعالى.

٤ ـ الترغيب والترهيب:

وذلك ببيان جزاء البار بوالديه وعقاب العاق لهما بوالديه، وقد جاء في بعض الآيات والأحاديث منها: الثواب الجزيل الذي يصيبه البار بوالديه، **ومن ذلك:**

١ ـ أن البار بوالديه يقبل عمله ويغفر له ذنبه لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥] إلى أن قال في آخر الآية الثانية:

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ١٠٠.

(٢) انظر: الحديث مفصلاً بنصه الكامل في مسلم، كتاب التوبة، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال برقم حديث (٢٧٤٣).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحقاف].

٢ ـ البار ينجيه الله من المهالك وتستجاب دعوته، وقد ظهر لنا ذلك من حديث النفر الثلاثة.

٣ ـ خصَّ الله أمر البر بالوالدين بعبارة (وصّى) والتوصية والوصية إنما يكون لمن يلتمس عنده التنفيذ للوصية، ولذلك لم تجر العادة أن يوصى الخائن أو المجرم وإنما يخصّ بها من يتوقع منه الوفاء بالوصية.

وهذه منزلة للموصى أعطاها الله للإنسان مرغباً له في إنفاذها.

أما الترهيب فذلك عن طريق بيان عقوبة العاق لوالديه، والأصل في العقوق الشقّ والقطع، قال ابن منظور[(١)]: وعقّ والده عقّاً وعقوقاً ومعقة: شقَّ عصا طاعته، وعق والديه قطعهما، ولم يصل رحمه فيهما[(٢)].

أما العقوبات والمحاذير التي يقع فيها العاق بوالديه **نذكر منها**:

١ ـ العقوق من أكبر الكبائر:

لقول الرسول ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً**». قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...**»[(٣)].

٢ ـ العاق ملعون:

لقول الرسول ﷺ: «**لعن الله سبعة من فوق سبع سماوات**»، وردد اللعنة على كل واحد من السبعة ثلاثاً، ولعن كل واحد منهم لعنة

(١) سبقت الترجمة له.
(٢) لسان العرب (ع ق ق) ١٠/ ٢٣٠.
(٣) سبق تخريجه

تكفيه... وذكر منهم: «**ملعون من عق والديه**»[١]، وغيرها من العقوبات التي وردت في السُّنَّة الشريفة.

❐ ثالثاً: عناصر الآداب القرآنية للناشئة في مجال الأخوَّة:

إن المحبة هي القاعدة المتينة للتعامل بين الإخوة ومن خلالها تقوى روابط الألفة فيما بينهم وتتهذب أخلاقهم وتستمر سعادتهم، وتحقيق المحبة يتم عن طريق عنصريين مهمين **هما**:

أولاً: برَّ الإخوة بالأقوال في القرآن الكريم:

ويتم بعدة جوانب أهمها:

أ ـ المخاطبة بالقول اللين بين الإخوة:

ويتضح هذا في مخاطبة (هابيل) ابن آدم لأخيه (قابيل) الذي عزم على قتله فهو يدعوه إلى التقوى والخوف من الله من خلال حديثه معه. ﴿... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].

والمتأمل في هذه الإجابات وفي هذه الردود من ذلك الأخ الصالح يجدها ملئت بالسلام والهدوء والاطمئنان. «لقد كان في هذا القول اللين ما يُفثئ الحقد ويهدئ الحسد ويسكن الشر ويمسح على الأعصاب المهتاجة، ويرد صاحبها إلى حنان الأخوة وبشاشة الإيمان وحساسية التقوى»[٢]. فهذا الأخ الصالح لم يستثر أخاه بتعديد محاسن عمله وقربانه، حتى لا يزيد من غضبه، ولم يقابل قوله الخاطئ بقول مثله، وإنما بإجابات ملئت حكمة وعقلاً، وهذه طريقة عباد الرحمٰن عندما يخاطبهم الجاهلون: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان].

---

(١) رواه الإمام أحمد ١/ ٢١٧، ٣١٧، والهيثمي في مجمع الزوائد ٦/ ٢٧٢. قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

(٢) في ظلال القرآن ٢/ ٨٧٦.

وقد تمثل القول الحسن بين الإخوة أيضاً في حوار يوسف عليه السلام مع إخوته بعد لقائهم: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يوسف] حيث حرص يوسف عليه السلام على إلقاء روح الأخوة قائمة بينه وبينهم، فقد أراد باستفهامه هذا التذكير والتوبيخ ولم يستخدم أية ألفاظ نابية جارحة رغم ما فعلوه به، وفي قوله: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف: ٩٠] نجد فناً «من أفانين الخطابة، وهو أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة وهي فرصة تأثر السامع وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته»(١)، ويسمِّي المربون هذا النمط من التربية (التربية بالأحداث) أو (بالحدث).

ب ـ دعاء الأخ لأخيه:

أن الأخ إذا سخر أو اغتاب أخاه فعليه أن يدعو له لعله يكفِّر عن الجرم الذي اقترفه في حقه، وعندما عاتب موسى عليه السلام أخاه هارون على عبادة القوم العجل ندم موسى عليه السلام على ما استعجل من صنعه بأخيه قبل أن يعلم براءته مما ظنه فيه من التقصير، فتوجه إلى الله بالدعاء والابتهال إليه بأن يغفر الله له ما يفعله بأخيه من الغلط في القول والفعل، وكذلك تأدباً مع الله فيما ظهر عليه من الغضب وأن يغفر لأخيه ما عساه قصر فيه، وقد عرض القرآن الكريم هذا الأدب الرفيع من موسى عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف].

فقد دعا موسى عليه السلام بالمغفرة، وأن تحيط بهما رحمة الله من كل جانب لأنها الحصن الحصين من جميع الشرور وثَمَّ كل خير وسرور.

وكذلك فعل يوسف عليه السلام بإخوته فقد دعا لهم بالمغفرة والرحمة

(١) التحرير والتنوير ١٣/ ٤٩.

على ما صدر منهم من إيذاء كما جاء على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف].

فالدعاء بالرحمة والمغفرة بين الإخوة موجب للمحبة وعلاج مفيد لما قد يقع بين الإخوة من نزاع وخلافات، وسلاح قوي في دفع الشرور، والعيش في أمن وسرور.

ج ـ التذكير بالخشية من الله والتخويف من عقابه:

أن الخوف من الله يمثل أعظم رادع عن الإجرام على هذه الأرض، فمن يخاف الله لا يعتدي(١)، وقد تمثل الخوف من الله في جواب هابيل لأخيه قابيل الذي يريد قتله: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة]، «فأن يراني باسطاً يدي إلى الإجرام وسفك الدم بغير حق فإن ذلك يسخطه ويكون سبب عقابه»(٢).

ولا يزال الأخ الصالح يضيف إليه النذير والتحذير: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المائدة].

«إذ أنت مددت يدك إليَّ لتقتلني فليس من شأني ولا من طبعي أن أفعل هذه الفعلة ـ بالنسبة له ـ فهذا الخاطر خاطر القتل لا يدور بنفسي أصلاً ولا يتجه إليه فكري إطلاقاً خوفاً من الله رب العالمين لا عجزاً عن إتيانه، وأنا تاركك تحمل إثم قتلي وتضيفه إلى إثمك فيكون إثمك مضاعفاً وعذابك مضاعفاً»(٣).

وقد عرض القرآن الكريم قصة أصحاب الجنة وكانوا إخوة وما كان

(١) انظر: مع الأنبياء في القرآن الكريم ص٥٤.
(٢) تفسير المنار ٦/ ٢٨٤.
(٣) في ظلال القرآن ٢/ ٨٧٦.

من فعلهم، بأن بخلوا أن يعطوا الفقراء نصيبهم واتفقوا على قطف ثمارها وبيعها قبل مجيئهم، فأحرق الله زرعها نكاية بهم وجزاء لهم على شُحِّهم وبخلهم، وفي هذه الأثناء برز الأخ الأعدل والأحسن طريقة يذكرهم: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [القلم].

وتشتمل هذه الآيات على التذكير بضرورة تسبيح الله، وقد نجح التذكير هنا فكان الاعتراف بالتقصير والندم والذنب ثم الأمل بعطاء مبارك من ربهم يعوِّض لهم خسارتهم(١).

ومن هنا على الإخوة أن يتخوَّلوا بعضهم بالتذكير وبالموعظة إذا رؤي من أحدهم تقصير أو انحراف عن جادة الحق، فالتذكير ينفع المؤمنين: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات]، فهو سمة المؤمنين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وقد تحدثنا عن هذه الفضيلة وشروطها وضوابطها في المبحث الأول من هذا الفصل بما يحقق الفائدة بإذن الله.

د ـ تقديم العذر عند الاتهام:

قد يؤنب الأخ على سلوك أو تصرف معين صدر عنه، ولكي يصبح موقفه واضحاً أمام أخيه أو إخوته ينبغي أن يقدم لهم ما يرفع اللوم والعتاب عنه، ويرجع الود والوئام، فهو يقدم العذر ليرفع عنه الاتهام كما حدث مع هارون عليه السلام عندما أخذ موسى عليه السلام «يؤنبه على ترك القوم يعبدون العجل دون أن يبطل عبادته، اتباعاً لأمر موسى عليه السلام بألا يحدث

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص٨٨٠.

أمراً بعده. ولكن هارون عليه السلام كان له موقف تجاه هذا اللوم وهذا العتاب، فهو يُطلع أخاه عليه محاولاً أن يهدئ من غضبه، ويعرض له وجهة نظره في صورة الطاعة لأمره حسب تقديره»(١).

فاعتذر هارون عليه السلام عن بقائه بين القوم بقوله: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه].

فقد كان توقع هارون إن منع الناس عن فعل فعلوه أن تتبعه «طائفة من الثابتين على الإيمان ويخالفهم الجمهور فيقع انشقاق بين القوم، وربما اقتتلوا فرأى من المصلحة أن يظهر الرضا عن فعلهم ليهدأ الجمهور»(٢)، وما كان هذا في ظنه إلا اتباعاً لقول موسى: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وقد اعتذر هارون عن موقفه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠].

أما نتيجة الاعتذار فقد كانت تقديم موسى للمعذرة للملوم والدعاء له بالمغفرة والرحمة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف].

ومما سبق رأينا أن الاعتذار لا يأتي إلا بخير، فإما أن يوضح موقفاً كان ملتبساً أو يقنع الآخرين بصحة سلوك معين.

و ـ الاعتراف بالخطأ بين الإخوة:

قال عز وجل: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف].

هؤلاء هم إخوة يوسف الذين خططوا ودبَّروا للتخلص من يوسف

(١) في ظلال القرآن ٤/٢٣٤٨ بتصرف. (٢) التحرير والتنوير ١٦/٢٩٣.

وأخيه، ها هم يقفون أمام يوسف عليه السلام الذي قد مَنَّ الله عليه بهذه النعم وقد وصل إليها بصبره وتقوى الله تعالى، يقفون أمامه وقد تمثل لعيونهم وقلوبهم صورة ما فعلوا بيوسف يجللهم الخزي والخجل، فما كان منهم إلا الاعتراف بالخطأ والإقرار بالذنب وتقرير ما يرونه من إيثار الله له عليهم بالمكانة والعلم والحلم والتقوى والحكم والعمل والملك، ولكنهم أساؤوا إليه غاية الإساءة في التفريق بينه وبين أخيه فقولهم: ﴿وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ﴾ هذا غاية الاعتراف منهم بالجرم الحاصل منهم على يوسف وفي قولهم هذا من الاستنزال لإحسانه عليه السلام والاعتراف بما صدر منهم في حقه مع الإشعار بالتوبة ما لا يخفى[1].

فالاعتراف بالخطأ فضيلة لا يرتقي إليها إلا من تسلح بالشجاعة وبالتالي يصبح جديراً بالاحترام قادراً على إصلاح ما يفسده، أما الذي يخطئ ولا يُقِر بما اقترف فهو سيئ الطبع ينفر منه الآخرون.

ثانياً: بر الإخوة بالأفعال في القرآن الكريم:

ومن أهم جوانب تطبيقه ما يلي:

أ ـ عدم الشماتة بين الإخوة:

والشماتة: هي السرور بما يصيب الآخر من المصائب في الدين والدنيا، وقيل: هي الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك، يقال: شمت به فهو شامت، وأشمت الله به العدو، وقيل: الشماتة: سرور العدو بما يصيب المرء من مكروه، وقيل: أشمت فلان فلاناً بفلان إذا أسرَّ فيه بما يكرهه المشمت به[2]، فمن الآداب القرآنية مع الإخوة عدم الشماتة، فهذا

---

(١) انظر: روح المعاني ١٣/ ٧٢، والجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢١٨، وتفسير السعدي ص٤٠٤، وفي ظلال القرآن ٤/ ٢٠٢٧.

(٢) انظر: روح المعاني ٩/ ١٠١، وجامع البيان ١٠/ ٤٦٠، والمفردات في غريب القرآن ص٢٧٠، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٥٧.

«هارون عليه السلام يستجيش وجدان الأخوّة الناصرة المعينة حين يكون هناك الأعداء الذين يشمتون»[(١)]: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف].

أي: فلا تفعل ما يشمتون بي لأجله فإنهم لا يعلمون سر فعلك[(٢)]، فموسى عليه السلام أخذ برأس أخيه يجره إليه معاتباً له، إن المعاتبة بين الإخوة أمر قد يقع ولكن لا يكون ذلك على مرأى من الآخرين، وهذا ما أشار إليه هارون عليه السلام: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾، وذلك لأن الأعداء حريصون على أن يجدوا عثرة أو يطلعوا لي على ذلّة.

فالأدب المختار في هذا الموقف الابتعاد عن الشماتة وخاصة أنها منهي عنها، وكان الرسول ﷺ يتعوذ ويقول: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء**»[(٣)]، ولا شك في أن الشماتة بالآخرين تؤدي إلى الكراهية وانتفاء المحبة؛ لأن الشماتة تحقير والتحقير لا يرضى به أحد.

ب ـ أن يكون الأخ عوناً لأخيه:

ومن صور ذلك:

١ ـ **المعاونة على الحق** والخير كما طلب موسى عليه السلام من ربه بأن يجعل من أهله «معيناً يعاونه ويؤازره ويساعده: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾﴾ [طه]، فسأل الله تعالى أن يساعده أخيه هارون لأنه من باب البر،

---

(١) في ظلال القرآن ٩/ ١٣٧٥.
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٥٧.
(٣) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (٢٧٠٧).

وأحق ببر الإنسان قرابته، وقد خصه لفرط ثقته به وكونه من أهله مظنة النصح وكونه أخاه أقوى في المناصحة»[١].

والوزير: مشتق من الأزر وهو المعونة والمؤازرة، يقال: وازرت فلاناً موازرة أعنته على أمره[٢].

وقد تقدم في هذا البحث الحديث عن معاونة إسماعيل لأبيه إبراهيم عليه السلام في رفع قواعد البيت الحرام[٣].

٢ ـ **المشاركة في الأمور**: كما قال الله تعالى على لسان موسى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾﴾ [طه].

«أي: واجعله شريكي في أمر الرسالة حتى نتعاون على أدائها كما ينبغي»[٤]، فهذا أمر ضروري لمن كلف بهذه المسؤولية فهو يحتاج لمن يشركه في أمره ويتشاور معه في اتخاذ قراراته وتوجيه آرائه، ولهذ طلب موسى عليه السلام من ربه أن يكون هذا الأخ شريكاً له في مشاورته[٥].

وللمشورة فوائد عظيمة وأهمية كبيرة، فقد جاء عن الماوردي[٦] في فضل المشورة «اعلم أن من الحزم لكل ذي لب ألا يبرم أمراً ولا يمضي عزماً إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الراجح، فإن الله

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٨، وتفسير السعدي ص٥٠٤، ٥٠٥، والتحرير والتنوير ١٦/ ٢١٢، ٢١٣.

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ص٥٣٦، والتحرير والتنوير ١٦/ ٢١٢.

(٣) انظر: ص٢٣١ هذا البحث.

(٤) روح المعاني ١٦/ ٢٧١.

(٥) فقد جاء معنى أشركه في أمري؛ أي: في مشاورتي، تفسير ابن كثير ٣/ ١٢٩.

(٦) هو: علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري، كان ثقة، من وجوه الفقهاء الشافعيين، ولي القضاء ببلدان شتى، ثم سكن بغداد، له مصنفات كثيرة في الفقه وأصوله، والتفسير والأدب، من تصانيفه الحاوي وتفسير القرآن سمَّاه: «النكت». و«أدب الدنيا والدين»، مات سنة خمسين وأربعمائة، وعمره ست وثمانين سنة.
انظر: طبقات المفسرين الداوودي ص٢٩٣.

تعالى أمر بالمشورة نبيه ﷺ مع تكفل به من إرشاده ووعد به من تأييده فقال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد قال بعض الحكماء: نصف رأيك مع أخيك فشاوره ليكمل لك الرأي»[١]، فلا يتردد الأخ باستشارة أخيه وخاصة إذا كان عاقلاً ذا دين وتقياً ناصحاً ودوداً، ليتحقق له السلامة في أمره ويتجنب الندامة في الاختيار والإقدام.

ج ـ العفو والتسامح عند الإساءة:

إن المتأمل في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته «يجد الدرس البليغ في التسامح والعفو عن المسيء ومقابلته بالإحسان، فيوسف عليه السلام كان باستطاعته عندما تعرف على إخوته أن ينتحل أي تهمة ضدهم ليزج بهم في السجن ويذيقهم ألواناً من العذاب جزاء كيدهم له، ولكن سمو عنصره وترفعه عن الانتقام جعله يأبى أن ينزلق إلى هذا المنزلق الذي ينغمس فيه الأشخاص العاديون. لقد كانت السلطة والحكم بيد يوسف وكانت حياة الذين أساؤوا إليه رهن كلمة منه، ولكنه قابل الإساءة بالإحسان فأجاب عليهم بعد اعترافهم بخطئهم جواباً مفعماً بالعطف الأخوي والمسامحة عما أجرموا»[٢] قائلاً: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢][٣].

أي: لا لوم عليكم ولا توبيخ ولا تأنيب ولا إفساد لما بيني وبينكم

(١) أدب الدنيا والدين ص٣٦٩.

(٢) انظر: مع الأنبياء في القرآن الكريم ص١٩٤، ١٩٥ بتصرف يسير.

(٣) وفي قوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾ أصله من الثرب وهو الشحم الرقيق في الوجه وعلى الكرش، وصيغة التفعيل للسلب؛ أي: إزالة الثرب، كالتجليد والتقريع بمعنى إزالة الجلد والقرع، واستعيد للوم الذي يمزق الأعراض ويذهب بهاء الوجه؛ لأنه بإزالة الشحم يبدو الهزال وما لا يرضى، كما أنه باللوم تظهر العيوب، فالجامع بينهما طَرَيان النقص بعد الكمال، روح المعاني ١٣/ ٧٢، وانظر: جامع البيان ١٣/ ٣٣٠، ٣٣١، وانظر: المحرر الوجيز ٣/ ٢٧٨.

من الحرمة وحق الأخوة، ولا أذكر لكم ذنبكم ولكم عندي الصفح والعفو[(١)].

ومن عفوه عليه السلام عدم لوم إخوته على ما مضى والتذكير به بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾؛ أي: أن الأمر انتهى من نفسي ولم تعد له جذور وعند قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

إن المتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أن يوسف عليه السلام ذكر إخراجه من السجن وترك إخراجه من الجب حكمة لطيفة وهي:

«أن في ذكر إخراجه من الجب تجديد فعل إخوته وخزيهم بذلك وتقليع نفوسهم وتحريك الغوائل وتخبيت النفوس»[(٢)].

إذن عدم اللوم على ما مضى أمر ضروري لبداية علاقة أخوية نقية تتطلبه المصلحة والقضاء على شوائب الخلافات والنزاعات التي قد تحدث بين الإخوة.

وتتركز أهمية العفو والتسامح والعمل به كونه سبحانه وتعالى امتدح العافين عن الناس كما قال سبحانه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقد أمر الله بالعفو والصفح: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

فعفو يوسف عليه السلام دل على أن قلبه لم يتغير تجاههم بل هم في قلبه إخوة وأحباب. «وإن هذا لخُلق عظيم تحلى به يوسف عليه السلام، خُلق العفو والتسامح، الخُلق الذي جعل إخوته يحبونه ويجلُّونه ويحترمونه. وما

---

(١) انظر: روح المعاني ١٣/ ٧٢، والطبري ١٣/ ٣٣٠، وزاد المسير ٤/ ٢٨٢، والجامع لأحكام القرآن ٩/ ٢١٩، وابن كثير ٢/ ٤٢٣.

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٨٢.

أجمل أن يقتدي الإخوة في كل آن بيوسف عليه السلام في تسامحهم وعفوهم عن إخوانهم إن أساءوا إليهم، حتى تتآلف القلوب وتخيم السعادة على الجميع، وبذلك تحفظ القرابات وتبقى الوشائج الأخوية كما أرادها الإسلام قوية متينة»(١).

□ رابعاً: الأساليب القرآنية في مجال آداب معاملة الأخوة:

١ ـ أسلوب القصة:

عرض القرآن الكريم في قصة قابيل وهابيل «نموذجاً لطبيعة البشر والعدوان، ونموذجاً كذلك من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له، ونموذجاً لطبيعة الخير والسماحة، ونموذجاً كذلك من الطبيعة والوداعة وتقفهما وجهاً لوجه كل يتصرف وفق طبيعته»(٢)، كان لكل نموذج صفاته الخيرة أو الشريرة. وسوف نتعرف من خلال الحوار الذي دار بينهما على الآداب الطيبة التي ينبغي على الإخوة الالتزام بها وتطبيقها عملياً، وفي المقابل بعض الأخلاق السيئة التي صدرت من ذلك النموذج الذي امتلأ قلبه ظلماً وعدواناً، والتحذير من التخلق بها والعمل بها. كانت قصة فيها العبرة والعظة تؤكد على تجنب العداوة بين الإخوة معنوياً أو جسدياً.

قال عز وجل: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ

(١) القصص القرآني الكريم بين الآباء والأبناء، عماد زهير حافظ ص٢٤٢.
(٢) في ظلال القرآن ٢/ ٨٧٤.

أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة].

وكما عرض القرآن قصة قابيل وهابيل أيضاً بيَّن القرآن الكريم نموذجاً آخر لإخوة لم يوفقوا إلى حسن التعامل مع أخيهم فكانت لقصة يوسف عليه السلام فيها العبر والحكم وهي من أحسن القصص.

٢ ـ أسلوب الحوار:

والحوار من الأساليب الحية النابضة التي تجعل من يقرأ آيات الكتاب العزيز يدخل وكأنه واحد من المتحاورين، وهو بصفة عامة وسيلة تخدم الفن القصصي القرآني الذي قدمنا له من قريب هذا فضلاً عن أن الحوار من الأساليب التي تشد القارئ وتعطي الحيوية والحرارة المطلوبة لتصوير الأحداث بدقة وأمانة وصدق.

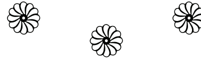
فالحوار الذي كان بين موسى عليه السلام وهارون عليه السلام قد بدأ بانفعال موسى عليه السلام عندما وجد قومه عاكفين على عبادة العجل فما كان منه إلا أن غضب عليهم وعلى أخيه هارون عليه السلام.

ويستمر الحوار ويتحول من غضب إلى هدوء أمام هذا البيان والتوضيح من هارون عليه السلام، فتهدأ ثائرة موسى عليه السلام ليختتم هذا الحوار بدعاء يتوجه به موسى عليه السلام يطلب المغفرة له ولأخيه: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف].

وقال في سورة طه: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا

تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ [طه].

فهذا الحوار مليء بالآداب الحميدة التي يجدر بالإخوة تطبيقها وممارستها بما يحقق علاقة أخوية قائمة على الرحمة والوضوح والبيان في معاملة بعضهم بعضاً.



المبحث السادس
عناصر وأساليب الآداب القرآنية للناشئة في مجال التعليم واختيار القرناء

□ أولاً: عناصر الآداب القرآنية للناشئة في مجال التعليم:

تمهيد:

ـ أهمية العلم ومكانة العلماء في القرآن الكريم:

اهتم القرآن الكريم بالتعليم اهتماماً كبيراً، وقد أمر الله تعالى رسوله الكريم ﷺ منذ بدء الوحي بالقراءة وطلب العلم، قال سبحانه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق].

ويبرز في قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾ [القلم] حقيقة التعليم، تعليم الرب للإنسان بالقلم، «لأن القلم كان وما زال أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان، ولم تكن هذه الحقيقة إذ ذاك بهذا الوضوح الذي نلمسه الآن ونعرفه في حياة البشرية، ولكن الله سبحانه كان يعلم قيمة القلم، فيشير إليه هذه الإشارة في أول لحظة من لحظات الرسالة الأخيرة للبشرية، وفي أول سورة من سور القرآن الكريم.

إذن هي دعوة للتعليم بالقراءة والكتابة، وما هذا إلا حلقة من المنهج الإلـٰهي لتربية هذه الأمة وإعدادها للقيام بالدور الكوني الضخم الذي قدره لها في علمه المكنون»[١].

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٥٥ ـ ٣٩٣٩.

بالعلم يستطيع الإنسان الوصول إلى طريق الحق والهداية فيعبد الله حق عبادته، يخرج من ظلم الجهل إلى نور الهدى باتباع معلم الأمة وقائدها إلى الصراط المستقيم الرسول ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].

وتعْظُم أهمية العلم بعلو شأن أهله ومكانتهم الرفيعة عند الله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. ولا يأتي علم الإنسان إلا عن طريق التعليم.

والقرآن الكريم مصدر التعليم، فهو دستور واضح للجوانب الدينية والأخلاقية وغيرها من الجوانب التي تساعد الإنسان على العيش عالماً بأمور دينه ومعاشه وسائر أحواله كما يأتي مفصلاً إن شاء الله في هذا المبحث.

أبرز الجوانب التعليمية للناشئة في القرآن الكريم:

أ ـ تعليم الناشئة الأدب مع المعلم:

للتعامل مع المعلم آداباً ينبغي للناشئة تعلُّمها، ولقد وردت هذه الآداب في موقف تعليمي حدث بين موسى ﵇ والعبد الصالح الخضر، موقفٍ تجلت فيه آداب متنوعة أجدر بالمتعلم التحلي بها وتطبيقها، فلنقف مع هذه الآداب بين ثنايا هذه الآيات الكريمة.

١ ـ التلطف في سؤال المعلم:

قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ [الكهف].

إن المتأمل في سؤال موسى عليه السلام لهذا الرجل الصالح وطلبه في تعليمه يلاحظ أنه سؤال في غاية التلطف، ولم يكن على وجه الإلزام والإجبار، فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، والاستئذان، ثم إقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر الذين لا يظهر للمعلم افتقادهم إلى عمله، بل يدعون أنهم يتعاونون وإياه، فالتواضع للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه يترك أثراً عظيماً لدى المعلم، وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلمين من العالم(١).

والمقصود بالاتباع هنا في هذه الآية «الطواعية والاستعداد لتقديم الخدمات والائتمار بأوامر المعلم»(٢).

٢ ـ طلب العلم النافع:

«والعلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير وتحذير من طريق الشر أو وسيلة لذلك فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك فإما أن يكون ضاراً وليس منه فائدة»(٣).

ولهذا حرص موسى عليه السلام على «أن يتعلم شيئاً من العلم الذي خصَّ الله به الخضر لأن الاستزادة من العلوم النافعة هو من الخير كما قال تعالى تعليماً لنبيه»(٤): ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

٣ ـ العبرة في الخواتيم:

فمن خطأ الطالب أن يستعجل في نسبة الخطأ إلى المعلم، ونلاحظ في إجابة الخضر لموسى عليه السلام ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] أن الخضر علم مسبقاً أنه لن يستطيع معه صبراً على ما سيراه من «أفعال تصدر

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ٣/ ٨٥، وتفسير السعدي ص٤٨٢ ـ ٤٨٤.
(٢) التعليم والتعلم في القرآن، حامد عبده ص٦٢.
(٣) تفسير السعدي ص٤٨٤.
(٤) تفسير السعدي ص٤٨٤؛ التحرير والتنوير ١٥/ ٣٧١.

منه ظاهرها المنكر وباطنها المعروف»[١]، «فكأن المعلم قد أحس بصعوبة الطلب على المتعلم وصعوبة الأمر على الطالب لما فيها من أحداث يصعب على العاقل قبولها قبل معرفة وجه الحكمة منها، وفي هذه الإجابة بيان «لأصل من أصول التعليم أن ينبه المعلم المتعلم بعوارض موضوعات العلوم الملقنة لا سيما إذا كانت في معالجتها مشقة»[٢].

وقد بيّن الخضر السبب في عدم الاستطاعة وهو عدم الصبر حتى لا يُرجع ذلك إلى عجز في نفسه[٣] فقال له: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف]، «فكيف يصبر على ما يراه خطأ ولم يخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب»[٤].

٤ ـ الصبر والطاعة والثقة بالمعلم:

فالصبر والطاعة ظاهران من قول موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، وهو تصميم صادر عن أدب رفيع، وحين تبدَّت أشياء لموسى عليه السلام خرج عن صبره فأفادنا درساً آخر وهو عدم الاستعجال على المعلم حتى تظهر الحقيقة كاملة، وهذا ما لم يستطع موسى عليه السلام فعله، ولكنه علَّمنا درساً في التربية على كل حال.

٥ ـ الاعتذار عند الخطأ والنسيان:

قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الكهف].

وهنا يظهر اعتذار موسى بنسيانه ويطلب إلى الرجل أن يقبل عذره

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٧١ بتصرف يسير.
(٢) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٧٢.
(٣) انظر: التعليم والتعلم في القرآن ص٦٢.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٨ بتصرف يسير.

ولا يرهقه بالمراجعة والتذكير، فالناسي غير مؤاخذ بنسيانه لا في حق الله ولا في حق العباد[(١)].

ب ـ تعليم الناشئة آداب تلاوة القرآن الكريم وحفظه:

إن القرآن الكريم نفسه يعدّ من أقوى الأسباب التي ترسخ العقيدة في نفس الناشئة، وتعليمه لهم حقٌّ ضروري من حقوقهم؛ فهو يساعد على انشراح الصدر وتنوير القلب وعلى النمو العقلي والفكري بما يحويه من عظات وعبر وأحكام وقصص، وغير ذلك مما يفجّر طاقات التأمل والاستنتاج لدى الناشئة.

لذا يتوجب على الوالدين تعليم أولادهم قراءة القرآن وحفظه إن أمكن ذلك، وقد جاء في فضل قراءة القرآن وتعلمه أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[(٢)].

ولحفظ القرآن طرق عديدة منها:

١ ـ «قراءة القرآن على طهارة وبنية خالصة لوجه الله تعالى سواء كانت نية عبادة أو تعلم.

٢ ـ معرفة أسباب النزول للآيات الكريمة وفهم معاني كلماته وموضوعاته.

٣ ـ التكرار الدائم والمراجعة المستمدة لما حفظ وتعهده على الدوام.

٤ ـ قيام الليل به والإكثار من تلاوته في الصلوات وسماعه من الآخرين»[(٣)].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن ١٤/ ٢٢٨٠، وتفسير السعدي ص٤٨٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم الحديث (٥٠٢٧).

(٣) تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها ص١٠٩.

وحتى تتم عملية الحفظ للناشئة بطريقة سليمة وصحيحة فالأفضل أن يلتحق الناشئ بحلقة تحفيظ القرآن بإشراف شيخ قارئ ماهر يتابعه ويصوبه ويشرف على حفظه باستمرار.

وقد كان من الصحابة رضوان الله عليهم من حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، فعن ابن عباس[(١)] ﵄ أنه قال: «توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين، وقد قرأت المحكم»[(٢)]؛ أي: القرآن العظيم وليس هذا فحسب بل تفقه به وتعلم أحكامه وكان مرجعاً للصحابة والتابعين في تفسير آياته. وقد تقدم الحديث عن هذا الجانب التعليمي فليرجع إليه في موضعه[(٣)].

والقرآن الكريم له آداب يتوجب على الناشئة معرفتها عند تلاوة القرآن الكريم وهي:

١ ـ الاستماع والإنصات عندما يتلى كتاب الله:

لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف].

«والفرق بين الاستماع والإنصات أن الإنصات في الظاهر ترك التحدث عند تلاوة القرآن مع آخرين والاشتغال عن ذلك، وأما الاستماع فهو السماع الواعي للذكر الحكيم.

وأن يلقي سمعه، ويحضر القلب ويتدبر ما يستمع فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله نيل خيراً كثيراً وعلماً غزيراً وإيماناً مستمراً متجدداً وهدى متزايداً وبصيرة في دينه ونزول الرحمة

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن باب تعليم الصبيان القرآن، حديث رقم (٥٠٣٥).

(٣) انظر: الفصل الأول ص٣٣.

عليه، ومن لم يفعل ذلك فإنه حرم الرحمة وفاته خير كثير»[(١)].

٢ ـ الاستعاذة من الشيطان الرجيم عند قراءته:

لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل].

٣ ـ الترتيل عند قراءته:

قال تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل]؛ «أي: اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره»[(٢)].

٤ ـ التدبر عند قراءته:

لقوله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد].

٥ ـ الخشوع عند قراءته:

لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

ج ـ تعليم الناشئة آداب الاستعاذة والذكر:

ـ آداب الاستعاذة:

ذكر الله سبحانه وتعالى ما يدفع به العدو من الشياطين وهو الاستعاذة بالله والاحتماء من شره فقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت]. «فإذا أحس الإنسان في أي وقت من الأوقات بشيء من نزغات الشيطان؛ أي: من وساوسه وتزيينه للشر، وتكسيله عن الخير وإصابته ببعض الذنوب، وإطاعة له ببعض ما يأمر به، أن يسأل الله مفتقراً إليه أن يعيذه ويعصمه من الشيطان»[(٣)]. فهو القادر سبحانه على العصمة والحماية.

---

(١) تفسير السعدي ص٣١٤ بتصرف يسير.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٧٩.

(٣) تفسير السعدي ص٧٥٠.

وقد كان الرسول ﷺ يستعيذ بالله «من همزات الشياطين ودفعاتهم، وهو معصوم منها، زيادة في التوقي وزيادة في الالتجاء إلى الله وتعليماً لأمته وهو قدوتها وأسوتها، أن يتحصنوا بالله من همزات الشياطين في كل حين، بل إن الرسول موجَّهٌ إلى الاستعاذة بالله من مجرد قرب الشياطين»[(١)]، ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون].

ـ آداب الذكر:

«الذكر لله تعالى يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بهما، وهو أكمل أنواع الذكر وأحواله، وقد أمر الله عبده ورسوله محمداً أصلاً وغيره تبعاً بذكر ربه في نفسه»[(٢)]، فقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف].

ففي هذه الآية الكريمة بيَّن سبحانه وتعالى صفة الذكر وكيفيته بأن يكون باللسان وأن يكون ضراعة وخيفة، والضراعة هي الذلة والضعف والخضوع، والخيفة حالة الخوف والخشية؛ أي: واذكر ربك الذي خلقك وربَّاك بنعمه في نفسك بأن تستحضر معنى أسمائه وصفاته وآياته وآلائه، وفضله عليك وحاجتك إليه متضرعاً له خائفاً منه، راجياً نعمه، واذكره بلسانك مع ذكره في نفسك ذكراً دون الجهر برفع الصوت من القول، وفوق التخافت والسرّ كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء].

ومن افتتح نهاره بذكر الله واختتمه به كان جديراً بأن يراقبه تعالى

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٧٩.
(٢) تفسير السعدي ص٣١٤.

ولا ينساه فيما بينهما، وكان منفذاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب]، فلا يغفل عن ذكر الله في سائر الأوقات... لأن من غفل عن ذكره مرض قلبه وضعف إيمانه واستحوذ عليه الشيطان فأنساه نفسه»[(١)].

ومما سبق يتبين ضرورة تعليم الناشئة ذكر الله بالأذكار المخصوصة في أوقات الصباح والمساء؛ فإنها فضلاً عن أنها ذكر لله تعالى فهي كذلك تدريب للناشئة على مراقبة الله تعالى وذكره، فيجتمع بهذا العنصر مع ما سبق (الصلاة، والوضوء) ولا يخفى ما لذلك من أثر على الناشئة ليس في مراحلهم المبكرة فحسب بل إلى نهاية أعمارهم كما ذهب إليه الثقات من علماء التربية.

د ـ تعليم الناشئة القراءة والكتابة:

إن تعليم الناشئة القراءة والكتابة حق ضروري حتى يستطيعوا الاطلاع على كل ما هو نافع في الدين والدنيا، ومعلوم أن القراءة أعظم وسائل المعرفة، وبها جاء الوحي أول ما جاء بعد انقطاع طويل، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ [العلق]. ففي هذه الآيات الكريمة إشارة إلى فضل العلم والتعلم «وفيها دعوة إلى التعلم».

وفيها بيان لأساسيات التعلم أولها: «القراءة بوصفها وسيلة أساسية للتعلم، والقلم ويعني الكتابة وهي الأساس الثاني»[(٢)].

والأب مسؤول عن تعليم طفله القراءة والكتابة، فلقد كان النبي ﷺ حريصاً على أن تكون براعم الإسلام الصغيرة متعلمة ومثقفة وواعية،

---

(١) تفسير المنار ٩/ ٤٦١.
(٢) التعليم والتعلم في القرآن الكريم، حامد عبده الهوال ص٥٠، ٥١ بتصرف يسير.

فأقدم بعد غزوة بدر على مبادلة الأسير من المشركين إذا قام بتعليم عشرة صبيان من المسلمين القراءة والكتابة. والمدرسة تؤثر على الطفل وتنعكس على سلوكياته وتصرفاته، وقد حرص أهل العلم قديماً وحديثاً على اختيار المدرس الصالح والمدرسة الصالحة لأولادهم لتنطبع في شخصية كل منهم الفضائل المحمودة والأخلاق الحميدة التي يقتبسوها من المعلم أو المربي ذي الخلق الكريم والصفات الفاضلة»[١].

ـ ويتبع هذه المسؤولية مسؤولية أخرى للوالدين:

تتمثل في توفير مكتبة منزلية للناشئة، وهذا الأمر من الوسائل الثقافية النافعة المتنوعة التي تساعد بشكل كبير في نضوج الولد عقلياً وتكوينه في الحياة فكرياً وعلمياً.

وقد اهتم السلف الصالح والمربون الأوائل باقتناء الكتب الدينية والمراجع النفيسة في بيوتهم لينهل منها أبناؤهم ويشبوا على حبها وما جاء فيها من قيم وفوائد وعلوم شرعية وعلمية وثقافية واسعة، كما نبه العلماء في العصر الحديث إلى ضرورة المكتبة المنزلية وتوفر الكتب الدينية والأدبية والتاريخية، وكتب السيرة والمغازي والقصص، فالمكتبة ضرورة لإصلاح العقول[٢].

ولا بأس أن يجعل الأب في حاسوب ولده برنامجاً للقرآن الكريم وآخر للحديث الشريف، وبرامج أخرى فيها ثقافة إسلامية، وأن يسأله أن يستخرج له آية أو حديثاً، فهذا الاهتمام يجعل عند الولد اهتماماً مماثلاً بحافز القدوة.

ومن ذلك الاهتمام بتوفير «المجلات الأسبوعية والشهرية ذات

---

(١) تربية الطفل في الإسلام، أطوارها وآثارها ص١٦١.

(٢) انظر: منهج التربية النبوية للطفل ص٢٣٣، ٢٣٤، تربية الطفل في الإسلام لأحمد عطا عمر ص١١٨.

الطابع الديني والموضوعات التي تثري الفكر الإسلامي وتعمل على تحليل الكثير من أحداث الواقع، وربما تقدم العلاج المناسب لمشكلات المجتمع وأحوال الناس وأخطاءهم الشائعة في مسائل متعددة»[(١)]، كلٌّ في إطار القيم والمفاهيم الإسلامية.

وهكذا فالواجب على الوالدين أن ينشِّئوا أولادهم على حب القراءة والمطالعة، فينبت الناشئ وما يتولد عن ذلك من حب العلم والتعلق في طلب المزيد منه مما له أكبر الأثر في نموه الفكري والخلقي وغير ذلك من الجوانب الأخرى.

هـ ـ تعليم الناشئة أحكام الدين:

١ ـ تعليم الناشئة أحكام الطهارة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٦﴾ [المائدة].

اشتملت هذه الآية الكريمة على عدة أحكام أمر الله تعالى اتباعها وتطبيقها، ومنها اشتراطه سبحانه «الطهارة، لصحة الصلاة، وهذه الطهارة لا تجب بدخول الوقت وإنما تجب عند إرادة الصلاة. ولا تتم الطهارة إلا بالوضوء، وقد أخبر الله تعالى كيفية الوضوء في الآية نفسها وذكر فروضه المعروفة»[(٢)].

---

(١) تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها ص١٦٣.

(٢) تفسير السعدي ص٢٢٢.

كما تعرضت الآية إلى مشروعية التيمم بكيفيته الخاصة وأبانت أسبابه كالمرض والسفر وفقدان الماء.

و ـ تعليم الناشئة الآداب العامة:

القرآن الكريم منهج تعليمي لكافة جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والأخلاقية، وهو منهج متكامل يبدأ مبكراً مع الإنسان من البداية ويأخذ بيده إلى النهاية في جميع أطوار حياته وسائر مراحلها، وكل علاقاتها وحركاتها وسكناتها، **ومن هذه الآداب التي دعا القرآن إلى اتباعها ما يلي:**

١ ـ تعليم الناشئة أدب السلام والاستئذان:

السلام والاستئذان يدعوان إلى المحبة والوئام، وهما من الآداب الإسلامية الرفيعة والتحية الإسلامية التي يتعارف بها المسلمون بعضهم على بعض، وقد أشار الله ﷻ إلى أهمية القيام بهما بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ [النور: ٢٧].

«وحين يدركُ الصغار سن البلوغ فإنهم يدخلون في حكم الأجانب الذين يجب أن يستأذنوا في كل وقت حسب النص العام الذي مضت به آية الاستئذان»[(١)].

وفي هذه الأحكام القرآنية دليل تيسير في شريعة الإسلام حيث راعى الشارع ظروف الخدم والمقربين الذين يعسر عليهم الاستئذان في كل ساعة.

٢ ـ تعليم الناشئة آداب المجلس:

من الآداب التي دعا القرآن الكريم إلى تعليمها للناشئة آداب

---

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٥٣٢ بتصرف. ولمزيد من معرفة هذا الأدب. انظر: ص٣٤٩ من هذا البحث.

المجلس ومن آدابه التفسُّح في المجالس لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة].

«فهذا تأديب من الله لعباده المؤمنين إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم لفسح المجال له في المجلس، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلاً لهذا المقصود، وليس ذلك بضار للجالس شيئاً، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو، فإن من فسح، فسح الله له، ومن وسَّع لأخيه وسَّع الله عليه»[1].

٣ ـ تعليم الناشئة آداب التعامل مع الوالدين:

جاء بيان هذه الآداب في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾ [الإسراء].

وقد تقدم الكلام عن هذه الآداب تفصيلاً في موضعه[2]، وإنما ذكرناه هنا لارتباطه الوثيق بسياسة تعليم الناشئة؛ إذ لا غنى عن تعليمهم آداب معاملة الوالدين نظراً لكثرة مخالطتهم وعمق الصلة بينهم.

٤ ـ تعليم الناشئة آداب التعامل مع الآخرين:

وقد كانت هذه الآداب مجتمعة في الموعظة العظيمة التي وعظ بها لقمان ابنه في قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ

(١) تفسير السعدي ص٨٤٦.

(٢) انظر: ص٢٥٦ من هذا البحث.

وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان][(١)].

وفيها جماع أمور كلها عظيمة النفع في تعليم الناشئة أصول الاختلاط بمن حولهم **وهي كثيرة جداً**:

أولها: الحضّ على إقامة الصلاة وهي فريضة واجبة على المسلمين بها تستقيم حياة الإنسان، ويصلح شأنه.

وثانيها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيه ضرورة تعليم الناشئة ما هو معروف حتى يأمروا به، وما هو منكر حتى ينتهوا عنه، ونظراً لوقوع المشقة في ذلك أدَّب لقمان ولده بلزوم الصبر على ما أصابه لأن ذلك من عزم الأمور.

وثالثها: ما ينبغي أن يكون عليه الداعية وكل من يتعامل مع الآخرين بأن يكون متمثلاً لصفات عديدة تجعله إنساناً محبوباً مألوفاً عند الناس، فيكون ذلك مدعاة لاستجابتهم للخير الذي يدعوهم إليه، ومن واجب الآباء تربية أبنائهم على التخلق بهذه الصفات حتى يشبوا عليها وتصبح من طبيعتهم وكأنهم جبلوا على التواضع والحلم ولين الجانب.

❏ ثانياً: أساليب الآداب القرآنية للناشئة في مجال التعليم:

١ ـ التعليم الحسي المباشر:

يميل الطفل في طفولته المتأخرة إلى تقبل الآراء والحقائق عن الكبار، وتكون لديه قابلية كبيرة للاستهواء والانقياد، كما أن قدرته على التفكير المجرد تكون جيدة فيميل إلى الاحتكاك وأخذ القيم والمعايير عنهم، كما أنه في هذه السن يصبح قادراً على إدراك الخطأ

---

(١) تحدثنا عن هذه الآداب في المبحث الأول من هذا الفصل ص١٧٥.

والصواب(١). «لهذا كان منهج التلقين المباشر لأساسيات الدين في هذه الفترة هاماً للغاية إذ إن الولد لا يفهم معظم تصرفات الكبار، فيكون تلقينه المفاهيم الصحيحة وسيلة سهلة جيدة في هذه الفترة خاصة وأن الولد مستعد للتقبل والاقتناع»(٢). ونستلهم ذلك من تعليم الله تبارك وتعالى لآدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة].

فالله سبحانه وتعالى خلق (آدم) ولم يتركه دون مساعدة بل علَّمه الأسماء كلها بصفاتها، وفي هذه الآيات الكريمة يوجهنا سبحانه وتعالى إلى أهمية معرفة أسماء الأشياء وصفاتها بطريقة مباشرة، وذلك هو البداية الرئيسة لتعليم الناشئة. وقد كان السلف رضوان الله عليهم يبدأون في تلقين أولادهم أساسيات الدين منذ الطفولة المبكرة عند ابتداء نطقهم، «وكان الغلام إذا أفصح من بني عبد المطلب علَّمه النبي ﷺ هذه الآية سبع مرات» ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١](٣)، «وكان علي بن الحسين يعلم ولده يقول: «قل آمنت بالله وكفرت بالطاغوت»(٤)، وفي هذا العمل من رسول الله ﷺ ومن السلف الصالح دليل على أن الطفل يختزن هذه المعلومات في حافظته وتشرب بها نفسه بالتكرار.

ومن هنا تتضح أهمية تلقين الولد الصغير هذه الشهادة العظيمة، إذ

---

(١) انظر: النمو النفسي، عبد المنعم وحلمي المليحي ص٢٦٣، وعلم النفس التكويني عبد الحميد محمد الهاشمي ص١٦١، وعلم نفس النمو، حامد عبد السلام زهران ص٤٦.

(٢) مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٣٣٩.

(٣) المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، كتاب الصلوات، باب ما يستحب أن يعلمه الصبي أول ما يتعلم ١/ ٣٠٦.

(٤) المرجع السابق ١/ ٣٠٦.

يبدأ الأب بتلقينه «لا إلـه إلا الله» اقتداء بالسلف رضوان الله عليهم ويلقنه معناها إذ كبر قليلاً.

وإذا عقل الولد.. على الأب أن يعلِّمه الحلال والحرام ويربطه بأحكام الدين والشريعة في كل قضية من القضايا التي تعرض له، ليستشعر الناشئ أنه محاط بشريعة وأحكام تنظم كل شؤون حياته.

فينبغي على المربي من آباء وأمهات ومعلمين أن يهتموا بتلقين الناشئ الخير وتعويده إياه منذ أن يعقل ويفهم حقائق الحياة حتى يكون من جنود الإسلام ومن رجال العقيدة والدعوة تفتخر الأمة بوجوده ويسعد المجتمع باتزانه وأخلاقه[(١)].

٢ ـ التعليم والتعلم من خلال الحواس:

لقد اهتم التعليم في القرآن الكريم بتربية الحواس وتدريبها والإفادة منها في التعليم[(٢)]، ولأهمية هذا الأسلوب في تربية الناشئة نبه ﷻ إلى أثر الحواس وأهميتها في تربية الإنسان وتعليمه؛ فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل].

والتعليم والتعلم من خلال الحواس والعمل على تدريب تلك الحواس، «من أهم الأساليب التعليمية المؤثرة في عقل الناشئة وتنميته، فالمشاهدات الواقعية والتجارب العملية المحسوسة أو الملموسة تساعد هذا الناشئ على اكتساب العلوم والمعارف على اختلافها وتعدادها، فإذا ما قام الناشئ بلمس الأشياء ومعالجة بعضها بيده ورؤية ما يرى منها وسماع ما يُسمع، فإن حواسه ستنمو وتقوى وعقله يُثرى، ومهاراته

---

(١) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان ص٥٠٧ ـ ٥٠٩.
(٢) أسس التعليم ومناهجه في ضوء القرآن والسُّنَّة، صالح الصوافي ٢/ ٢٩١.

ستزداد وتتطور»(١).

٣ ـ الوعظ والنصح:

«من أهم أساليب التربية المؤثرة في تكوين الناشئة إيمانياً، وإعداده خُلقياً ونفسياً واجتماعياً.. تربيته بالموعظة وتذكيره بالنصيحة لما للوعظ والنصح من أثر كبير في تبصير الناشئ بحقائق الأشياء، ودفعه إلى معالي الأمور، وتحلِّيه بمكارم الأخلاق وتوعيته بمبادئ الإسلام»(٢).

وقد وجّه ﷻ في كثير من الآيات مواعظ كثيرة وخاطب النفوس بها، ومنها على سبيل المثال ما جاء من مواعظ لقمان لابنه في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ...﴾ [لقمان: ١٣ ـ ١٩](٣).

وفي هذه الآيات الكريمة صور جميلة في تأديب الناشئة سيقت في مواعظ حكيمة تساعد الناشئ على أن يكون سوياً في كل شيء في دينه وأفعاله وأقواله، وفيها ضمان لسعادة الناشئة وسعادة الكبار معهم.

«فعلى المربين أن ينهجوا منهج القرآن الكريم في مواعظه وإرشاداته في إعداد أولادهم الصغار قبل سن التمييز وبعده ـ إيمانياً وخلقياً وتكوينهم نفسياً واجتماعياً»(٤)، ولا بد أن يكون الآباء قدوة لأبنائهم حتى تجد هذه الموعظة والنصيحة طريقها وأثرها في قلوب الناشئة وتكون أدعى للاستجابة وأبلغ في التأثير.

---

(١) تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها ص٢٢٧ بتصرف.
(٢) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان ٢/ ٥١١ بتصرف يسير.
(٣) لم ترد جميعها لتقدم ذكرها مراراً في هذا البحث.
(٤) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان، ٢/ ٥١٣.

٤ ـ القدوة:

مما لا شك فيه أن القدوة لها أثرها في التعلم وهي تؤثر تأثيراً بالغاً في تربية الطفل وفي تكوين قيمته وصورته عن ذاته المثالية والطفل يقتدي بوالديه وبمربيه.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية القدوة الحسنة، وضرورة التعلم من خلال أعمالها وأفعالها وأقوالها، ولا شك أن القدوة الأولى للمسلم هو رسول ﷺ في سلوكه وسيرته وأقواله وسائر أحواله(١). ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وكان ﷺ إذا جاء مجلس أصحابه جلس منهم حيث انتهى به المجلس، وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم، ويداعب صبيانهم، ويجيب دعوة الحر والعبد، ويعود المرضى ويقبل عذر المعتذر، وبدأ من لقيه بالسلام، بالمصافحة، وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة مصرِّحة بهذا الأسلوب والتوجيه المباشر لاتخاذ القدوة مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة].

وقد سبق أن ناقشنا مسألة القدوة الصالحة في هذا البحث مراراً

(١) انظر: أسس التعليم ومناهجه في ضوء القرآن والسُّنَّة، صالح الصوافي ٢/٢٩٦، ٢٩٧.

وكان لا بد من ذكرها هنا بوصفها أسلوباً من أساليب التعليم القرآني للناشئة[(١)].

٥ ـ أسلوب التفصيل والبيان:

إن التفصيل والبيان أسلوبان مهمان من الناحية التربوية والتعليمية للناشئة، وتنبع أهميتهما من حيث أن أي توجيه أو إرشاد أو أمر سيكون مبهماً لولا البيان والتوضيح، فالأمر إن لم يكن واضحاً مفهوماً لم ينفذ وإن نفذ دون تفصيل وتوضيح فإنه لا يصل إلى الغاية المنشودة والهدف المقصود.

وكلما كان الأمر واضحاً مفصلاً، دقيقاً منظماً، كان التعامل معه مريحاً بيّناً[(٢)]، وهذا أدعى إلى سرعة التطبيق والتنفيذ والاستمرار في القيام به.

والتفصيل والبيان أسلوبان تضمَّنتهما كثير من الآيات الكريمة التي جاءت في تفصيل بعض الواجبات وطرق تأديتها وبيان تطبيقها، ومنها كما ذكرنا سابقاً في تعليم الوضوء وذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة].

وقوله تعالى في تعليم آداب الذكر والاستعاذة: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل].

---

(١) انظر: ص١٩٢ من هذا البحث.

(٢) انظر: من أساليب التربية في القرآن الكريم ص٤٧٨.

وقوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف].

وكثير من آيات الأحكام في الكتاب العزيز جاءت حافلة بالتوضيح والتفصيل والبيان، فإذا كان القرآن الكريم مثلنا الأعلى في التوجيه التربوي الناجح فلا يبخل المربي على الولد بتعيين المطلوب منه بوضوح قبل محاسبته على التقصير.

٦ ـ أسلوب القصة:

برز هذا الأسلوب الفني في كثير من المواضع في الكتاب العزيز ومن ذلك قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وقد قدمنا قبل صفحات ما فيه غنى عن إعادة ذكره من تلك القصة التي أعطتنا من خلال أحداثها دروساً في التربية والتعليم تعجز عنه الأساليب الأخرى.

ففي القصة تحصل القدوة، وتحصل العبرة، وتحصل الموعظة وكل ذلك من خلال أسلوب القصة الفني الآسر، وما قصة يوسف ببعيدة عنا وكذلك قصة إبراهيم، وأصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود، وكلها قصص رائعة خالدة في ذهن المسلم والمربي يستطيع أن يستفيد من الكثير منها في تنشئة الأجيال أباً كان أو معلماً.

ذلك أن القصة من الأساليب التربوية والفكرية والنفسية المؤثرة في عقلية الناشئة ووجدانها، **وذلك لأنها**:

١ ـ تشد انتباه القارئ وتوقظه للتأمل في معانيها ومواقفها.

٢ ـ تتعامل مع النفس البشرية بصدق وواقعية.

٣ ـ تربي العواطف الدينية بإثارتها للانفعالات كالخوف والرضا والارتياح.

٤ ـ تمتاز بإقناعها للفكر عن طريق التفكير والتأمل في أحداث القصة.

٥ ـ تتسم بالتشويق والدقة في التصوير والتجسيم الحسي لشخصيات القصة[1].

وينبغي التنبيه إلى ضرورة أن تكون القصة مناسبة لمستوى الناشئة واستيعابهم وأن تكون بأسلوب ميسّر وبطريقة حكيمة تؤثر فيهم وتثمر في تربيتهم وإفادتهم.

وقد ظهر مما تقدم من الأساليب القرآنية الرشيدة أنها لوازم لا غنى عنها لمن يقوم بتربية الناشئة؛ فللمربي له أن يستخدم واحداً من هذه الأساليب أو مجموعة منها ليصل إلى مبتغاه. ولكن المربي الحكيم هو الذي يستخدم الأسلوب المناسب في الوقت المناسب وللشخص المناسب ولا ينسى المربي أنه لا بدّ من اللجوء إلى الله والتوكل عليه وأن يصحح نيته دائماً ليكون له الأجر والمثوبة ولتؤتي التربية أينع ثمراتها كما كان في التربية القرآنية العالية.

❐ ثالثاً: عناصر الآداب القرآنية في مجال اختيار القرناء:

من المعروف أن الدين هو الذي ينبغي أن يكون الشغل الشاغل للبشر لأنه السلوك والمصير، فإذا كان الرجل كما ذكر الرسول ﷺ: «**على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[2]، كان لا بد أن ننظر إلى هذه المسألة بجدية حقيقية.

ذلك أن القرين والخليل والصاحب يجر قرينه وخليله وصاحبه إلى

(١) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، النحلاوي ص٢٣٤ ـ ٢٣٨.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، في كتاب الزهد، باب الرجل على دين خليله، برقم (٢٣٧٨). قال الترمذي: حسن غريب، قال الشيخ الألباني: حسن.

مواقع الخير أو الشر حتى يكونا على فكر وسلوك واحد، ومن هنا كان لا بد من حسن انتقاء القرين والخليل والصاحب، فإن له أكبر الأثر في سلوك الناشئ[(١)].

لكنَّ هناك شروطاً لاختيار القرناء بها يتحقق المطلوب وتثمر الصحبة بإذن الله:

ـ شروط اختيار القرناء في القرآن الكريم:

١ ـ الدِّين:

يشترط عند اختيار القرين أن يكون صالحاً تقياً مطيعاً لله تعالى يحث على فعل الطاعات وترك المعاصي والمنكرات، وقد جاء الإرشاد الرباني إلى الاختيار الصالح للقرين بقوله ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

وقال ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[(٢)].

وفي هذا الحديث النبوي التوجيه الصريح لمصاحبة الصالحين والابتعاد عن مصاحبة أهل السوء ودعاة الشر والفساد.

«والرسول ﷺ إنما حذر من صحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته؛ لأن المطاعم توقع الألفة والمودة في القلوب»[(٣)].

«فإذا كان القرناء يعينون قرينهم على أداء الواجب وحفظ الحقوق

---

(١) انظر: أدب الدنيا والدين ص٢٠٤، الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢/١٩٧، ١٩٨.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم الحديث (٤٨٣٢). قال الشيخ الألباني: حسن. ورواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، رقم الحديث (٢٣٩٥). وقال الألباني في سنن الترمذي ص٥٤٠: حديث حسن.

(٣) معالم السنن، للخطابي ٤/١١٥.

ويحجزونه عن السوء واقتراف الحرام فهم قرناء الخير الذين يجب أن يستمسك بهم ويحرص على مودتهم، وإلا فليحذر المرء الانخداع بمن يزينون له طريق الغواية أو يسترسلون معه في أسباب اللغو واللهو»(١).

ومن هنا كان التأكيد على صحبة المستقيم في دينه الملتزم بتعاليمه لأن تارك الدين عدو لنفسه فكيف يرجى منه مودة غيره؛ وقد قال بعض الحكماء: اصْطَفِ من الإخوان ذا الدين والحسب والرأي والأدب؛ فإنه درء لك عند حاجتك، ويدٌ عند نائبتك، وأنس عند وحشتك، وزين عند عافيتك(٢).

ويشترط في هذه الصحبة أن تتبرأ من الأغراض، وأن تخلص لوجه الحق، وأن تولد وتكبر في طريق الإيمان والإحسان، وهذا هو معنى الحب في الله، فالحب في الله يجد فيه المسلم الصادق حلاوة الإيمان كما قال ﷺ: «**ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله...**»(٣).

«ولذلك احتفى الإسلام بمشاعر الصداقة النقية، ورغب المؤمنين في إخلاصها لله وإبقائها لوجهه، وجعل لها من جميل المثوبة ما هي له أهل»(٤)، «وفي السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله... ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه...»(٥).

---

(١) خلق المسلم، للغزالي ص١٧٤.

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي ص٢١٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، رقم الحديث (٦٩٤١).

(٤) خلق المسلم ص١٧٢.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم الحديث (٦٦٠).

وحسب المتحابين في الله، شرفاً أن رب العزة يحفل بهم في ساحة الحشر يوم القيامة فيقول: «أين المتحابّون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»[(١)].

فما أرفعه من شرف أو ما أوفاه من جزاء يلقاه المتحابون الصادقون في الله يوم الشدة والهول والكرب الشديد[(٢)].

وكلا الأخوين المتحابين في حماية الله وكنفه، روى رسول الله ﷺ عن الله ﷻ قال: «**قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتصافّون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي**»[(٣)].

أما من كانت محبته في الدنيا لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا المتقين، فإن محبتهم تدوم وتتصل بدوام من كانت المحبة لأجله»[(٤)].

وذلك لأن ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف].

وبالإضافة إلى انقلاب هذه المحبة التي قامت على مصلحة أو لغرض دنيوي ليست خالصة لوجه الله، فإن صاحبها يندم، لأنها لا تفده إلا الضلال والخسارة والشقاوة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب فضل الحب في الله تعالى، حديث رقم (٢٥٦٦).

(٢) انظر: شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسُّنَّة، محمد الهاشمي ص١٣٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (١٨٩٤٥). قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «**يتناصرون من أجلي**» حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وإلى نهاية الحديث: سمعته من رسول الله ﷺ: حديث صحيح دون قوله: «**من ولد إسماعيل**» وهذا إسناد ضعيف.

(٤) تفسير السعدي ص٧٦٩.

قال تعالى واصفاً تلك الحالة: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان].

٢ ـ العقل:

لا بد عند اختيار القرناء أن يكون من ذوي العقل فلا يتصف بالجهل ولا بالحمق لأن المرء إنما يقاس بقرينه:

«فالعقل الموفور يهدي إلى مراشد الأمور، فإن الحمق لا تثبت معه مودة، ولا تدوم لصاحبه استقامة، وقال بعض الحكماء: عداوة العاقل أقل ضرراً من مودة الأحمق؛ لأن الأحمق ربما ضر وهو يقدر أن ينفع، والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرته فمضرته لها حد يقف عليه العاقل ومضرة الجاهل ليست بذات حد، والمحدود أقل ضرراً ممّا هو غير محدود»[(١)]، ومن الجهل صحبة ذوي الجهل؛ لأن الجاهل ليست لديه القدرة على أن ينفع نفسه فكيف ينفع صاحبه ويقوده إلى الخير، «فالعقل هو الذي ينفع صاحبه ويوقفه على حقائق الأشياء وإيثار الخير والانزجار عن كل ما عاقبته ذميمه»[(٢)]، فهو يقي صاحبه من أن يكون من أصحاب السعير.

وقد وصف سبحانه حال من لم ينتفع بسمعه وعقله بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك]، فإذا كان ضياع العقل سبيلاً إلى الضلال، فإن الحرص على مصاحبة العاقل واجبة. وبطبيعة الحال ليس العاقل الذي نذكره في هذا المقام هو المنافي للمجنون، ولكنه الذي يحسن استخدام عقله فيما فيه المصلحة الحقيقية.

(١) أدب الدنيا والدين ص٢٠٩، ٢١٠.
(٢) تفسير السعدي ص٨٧٦.

٣ ـ حسن الخُلق:

يعد حسن الخلق دليلاً على كمال الإيمان، فقد قال رسول الله ﷺ: «**أكمل المؤمنين أحسنهم خلقاً**»[(١)]. «فلا بد أن يكون القرين محمود الأخلاق، مرضي الأفعال، مؤثراً للخير آمراً به، كارهاً للشر ناهياً عنه، فإن مودة الشرير تكسب العداء وتفسد الأخلاق، ولا خير في مودة تجلب عداوة وتورث مذمة»[(٢)].

فمن حسُنَ خُلقه عاش سعيداً سالماً محبوباً من الناس، ومن ساء خُلقه تكدرت عيشته وبغضه الناس ونفروا منه، فكيف يصاحب؟ ومن صاحب ذا الخلق الحسن أمنَ من الندامة وكان له صاحبه معيناً ونصيراً.

وقد جمعت الآيات التالية جملة من الأخلاق الحميدة، قال ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ [الفرقان].

وجمع الإمام الغزالي[(٣)] بعض علامات حسن الخُلق فقال: «هو أن يكون المرء كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صادق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، بَراً وصولاً، وقوراً صبوراً، شكوراً راضياً، حليماً عفيفاً شفيقاً، لا لعاناً ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً ولا حقوداً، ولا بخيلاً ولا حسوداً،

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص١٠٣.
(٢) أدب الدنيا والدين ص١٦٩.
(٣) سبقت الترجمة له.

بشَّاشاً هشَّاشاً، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله، فهذا هو حسن الخلق»[١].

وقد جمع أحد العلماء حسن الخلق في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال: «يا بني إذا عَرَضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك، اِصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن رأى منك سيئة سدها. إصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكتَّ ابتداك، وإن نزلت بك نازلة واساك. اِصحب من إذا قلت صدّق قولك، وإن حاولت أمراً أمرك، وإن تنازعتما آثرك»[٢]، وبهذه الصفات يستطيع الناشئ معرفة من حسن خلقه له.

٤ ـ ألّا يكون حريصاً على الدنيا:

«فالحريص على الدنيا صحبته سم قاتل؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه، فمجالسة الحريص على الدنيا تُحرك الحرص، ومجالسة الزاهد تُزِهد في الدنيا»[٣]. وقد نهى الله تعالى وأمر بالإعراض عن الذي ليس همه إلا الحياة الدنيا بقوله: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾﴾ [النجم].

فالحريص على الدنيا يعتقد بأن وجوده في الأرض هي الغاية الأولى والأخيرة لا غاية بعدها، ويعيش في هذه الحياة على هذا الاعتبار، والمؤمن بالله وبالآخرة لا يستطيع أن يقترن بمن يعرض عن ذكر الله وينفي الآخرة من حسابه؛ لأن لكل واحد منهما منهجه الخاص

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٩٣٢.
(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٦٠٥.
(٣) إحياء علوم الدين ١/ ٦٠٦.

به الذي لا يمكن أن يلتقي بالآخر لا في خطوة من خطواته أو في نقطة من نقاطه، فمقياس الحياة وقيمها وأهدافها تختلف في تصور كل منهما، وبالتالي لا يمكن أن يتعاونا في الحياة ولا يشتركا في أي نشاط على هذه الأرض، وبالتالي لا تنفع صحبته ولا تتحقق منه الفائدة الحقيقية التي تنفعه في الحياة الدنيا والآخرة[١].

قال النبي ﷺ: «**يهرم ابن آدم وتَشِبُّ منه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر**»[٢].

قال ابن القيم[٣]: «الاجتماع بالإخوان قسمان، **أحدهما**: اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت، فهذا مضرته أرجح من منفعته، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت. **والثاني**: الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها»[٤].

وبناء على ما سبق يبقى أيضاً للمربين دور كبير في ترشيد الناشئة عند اختيار أصدقائهم، **وذلك عن طريق**:

١ ـ إعطائه معلومات مبسطة عن حقيقة الحياة وحقيقة المجتمع، وإفهامهم بأن في المجتمع الطيب والخبيث، وأن المسلم ينبغي عليه التقرب إلى الأخيار وصحبتهم، وقد وصفهم ﷻ في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف]، وأن يبتعد عن قرناء السوء الذين يضرُّونه ويؤذونه.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن ٦/ ٣٤١٠.
(٢) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة الحرص على الدنيا، رقم الحديث (١٠٤٧).
وتَشِبُّ: تكبرُ معه.
(٣) سبقت الترجمة له.
(٤) الفوائد، لابن القيم ص٩٣.

٢ ـ عدم عزل الناشئة عن القرناء والحَجُر عليهم بحجة الحفاظ على أخلاقهم وسلوكهم، وأن يسعى المربون إلى تكوين مجتمع صالح خيِّر يحيط بالناشئة، إذ يمكن للوالدين أن يصطحبا أطفالهما إلى الأسر المعروفة بالتقوى وتعريفهم بأطفال تلك الأسر، وأيضاً تشجيع الأبناء على استضافة أصدقائهم في المنزل على أن يقوم الأب بالترحيب بأصدقاء الأبناء والتحدث إليهم والتعرف على أفكارهم وتصحيح ما لديهم من أخطاء تلاحظ عليهم مع التودد إليهم وإكرامهم وتطييب خواطرهم، وكذلك تفعل الأم مع صديقات بناتها أو عن طريق الاتصال بأسر أولئك الأصدقاء والتعرف عليهم والتعاون معهم على الخير بالإضافة إلى مناقشة الأبناء في الكيفية التي يقضون بها الوقت مع أصدقائهم وفي النشاطات التي يقومون بها وعن الأماكن التي يقصدونها، وذلك بأسلوب حكيم يدفع الطفل من حيث لا يشعر إلى إعطاء الإجابة الصادقة دون خوف أو اضطراب(١).

□ رابعاً: أساليب الآداب القرآنية للناشئة في مجال اختيار القرناء:

تمهيد:

إن أعظم طريق لتربية الناشئة هو حسن اختيار الأصدقاء والقرناء لهم، وهو واجب الأسرة والمربين نظراً لجهل الناشئة بخطر رفقاء السوء، فالواجب تقديم رفقاء الخير لهم وتزيين سلوكهم أمامهم، وتشجيعهم على معرفتهم، وكذلك تحذيرهم من رفقة الشر والأخذ على أيديهم خوفاً عليهم، لما في ذلك من التخريب الكامل لكل أصول التربية تلقيناً أو تعليماً أو قدوة.

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد ص٢٢٦، المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم ص٣٤٧، وكيف نربي أطفالنا، محمود الإستانبولي ص١٩.

فقرين السوء يمكن أن يدمر ما تصنعه مدرسة بكاملها، وقرين الخير يمكنه القيام بما تقوم به مدرسة بكاملها.

ومن هذه الأساليب القرآنية:

الأسلوب الأول: الترغيب والترهيب:

١ ـ الترغيب في صحبة الأخيار المتقون وبيان ما يتنعمون به من النعم والجزاء في الآخرة وبيان أحوالهم عند رب العالمين يوم القيامة **ومنها**:

١ ـ القرناء المتقين في أمن لا ينتابهم خوف ولا فزع:

قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف].

٢ ـ نزع الغلّ من قلوب القرناء المتقين:

قال تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر].

وقوله: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف].

فدلت هاتين الآيتين الكريمتين على سلامة قلوب المتقين من كل غلّ وحسد، متجاورين غير مستدبر بعضهم البعض، متكئين على سرر مزينة بالفرش واللؤلؤ، خالدين في جنات النعيم لا يصيبهم فيها مشقة ولا تعب[1].

(١) انظر: تفسير البغوي ٣/ ٥٢، وتفسير القرطبي ٧/ ١٨٦، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٠٧، وتفسير السعدي ص٤٣٢.

٣ ـ القرناء المتحابون في الله من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلّه:

فعن أبي هريرة[(١)] رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**سبعة يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظل إلا ظلُّه**، ومنهم... **رجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»[(٢)].

٤ ـ القرناء المتحابون في الله على منابر من نور:

فعن معاذ بن جبل[(٣)] رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**»[(٤)].

فهذا الحديث القدسي يبين ما للمتحابين في الله من مجد عظيم يوم القيامة إذا كان تحاببهم في الدنيا ابتغاء مرضاة الله وعلى طاعته، ولم يكن تحاببهم ابتغاء مطامع دنيوية ومصالح شخصية وعلى معصية الله ومخالفة أوامره ونواهيه[(٥)].

٢ ـ الترهيب عن صحبة الأشرار والقرناء المسيئون وبيان حالهم وما يؤولون إليه يوم القيامة، **ومن هذه الأحوال:**

- **التحسر على اتخاذ القرناء والأخلاء المسيئون:**

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ

---

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم الحديث (٦٦٠).

(٣) سبقت الترجمة له.

(٤) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، رقم الحديث (٢٣٩٠)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في سنن الترمذي ص٥٣٩.

(٥) انظر: شرح السُّنَّة للبغوي ٦/ ٤٥٤، وتحفة الأحوذي للمباركفوري ٧/ ٦٥، ٦٦، والأخلاق الإسلامية وأسسها، ٢/ ٢٧٢.

ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان].

«فهو يعض يديه فعل النادم الحزين لأجل طاعته خليله، فلا تكفيه يد واحدة يعض عليها، إنما هو يداول بيد هذه وتلك أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من الندم اللاذع المتمثل في عضه على اليدين»(١) لاتخاذه صاحب السوء الذي يصد عن السبيل ويضل عن ذكر الله.

ويتمنى الظالم يوم القيامة أن يجعل أهل الضلال والغواية تحت قدميه سواء أكان من شياطين الجن أو كان من شياطين الإنس.

كما صور ذلك سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت].

«وفي هذا بيان حنق بعضهم على بعض، وتبرِّي بعضهم من بعض»(٢).

- **تبرؤ القرناء المسيئين من بعضهم البعض:**

قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

- **القرناء المسيئين يكفِّر بعضهم البعض ويلعن بعضهم بعضاً:**

قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [العنكبوت].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٧، وفي ظلال القرآن ٥/ ٢٥٦٠.

(٢) تفسير السعدي ص٧٤٨.

«ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن إبراهيم عليه السلام عاتب قومه على اتخاذهم الأوثان والأنصاب وأنهم فعلوا ذلك اتباعاً من بعضهم لبعض وحفظاً لموداتهم ومحباتهم الدنيوية، وأنهم يوم القيامة يجحد بعضهم بعضاً ويتلاعنون لأن توادهم كان على غير تقوى، والأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين»(١)، وقد جاء البيان القرآني موضحاً سبب التلاعن بين القرناء المسيئين في نار جهنم بقوله: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ٣٨ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾ [الأعراف].

الأسلوب الثاني: أسلوب القصة:

أ ـ قصة الصحبة الصالحة (أصحاب الكهف):

«تعرض قصة أصحاب الكهف نموذجاً للإيمان في النفوس المؤمنة كيف تطمئن به وتؤثره على زينة الأرض ومتاعها، وتلجأ به إلى الكهف حين يعز عليها أن تعيش به مع الناس، وكيف يرعى الله هذه النفوس المؤمنة ويقيها الفتنة ويشملها بالرحمة»(٢)، لهؤلاء الفتية الذين اعتزلوا بدينهم وفرُّوا من فتنة الكفر وأهله، وقد عرض سبحانه وتعالى قصتهم في كتابه الكريم: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ٩ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ١١ ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا ١٢ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٣١٣.

(٢) في ظلال القرآن الكريم ٤/ ٢٢٦٠، ٢٢٦١.

فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ . . .﴾ [الكهف: ٩ ـ ٢٦].

وهذه القصة تعدّ مثالاً للصحبة الخيرة التي يقتدى بها في تمسُّكها بدينها وفرارها من أجله، ومنها من العبر والفوائد ما يجعلهم قدوة صالحة يقتدى بهم **ومنها**:

١ ـ «شدة رغبة هؤلاء الفتية في الدين وفرارهم من كل فتنة في دينهم وتركهم أوطانهم في الله»[١].

٢ ـ تعاونهم على البر والتقوى وذلك باجتماع الفتية على الحق[٢].

٣ ـ التوكل على الله تعالى.

فحين أوى الفتية أصحاب الكهف إلى كهف الجبل هرباً بدينهم إلى الله توجهوا إلى الله بالدعاء بأن يؤتيهم رحمة من لدنه عظيمة تناسب عنايته باتباع الدين الذي أمر به، فسألوا الله أن يثبتهم ويحفظهم من الشر ويوفقهم إلى الخير، ودعوا الله تعالى أن ييسر لهم كل سبب موصل إلى الرشد، وأن يصلح لهم أمر دينهم ودنياهم وان يقر لهم أحوالاً تكون عاقبتها الثبات على الدين الحق والنجاة من المشركين ومن عبادة الأوثان التي يدعو إليها قومهم. وبذلك جمعوا بين السعي والفرار من الفتنة إلى محل يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرعهم وسؤالهم لله بتيسير أمورهم وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله لهم دعاءهم وقيض لهم ما لم يكن في حسابهم[٣].

٤ ـ التواصي بالثبات على الحق: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف].

---

(١) تفسير السعدي ص٤٧٣.

(٢) الخليل والصاحب والقرين ص١٢٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٥/١٦١ـ ١٦٢، والجامع لأحكام القرآن ١٠/٣١٦، تفسير السعدي ص٤٧١، والتحرير والتنوير ١٥/٢٦٦.

٥ ـ تمسُّكهم بعقيدة التوحيد: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾.

ب ـ قصة قرناء السوء (قصة صاحبي الجنتين):

ضَرب الله تعالى في كتابه الكريم أمثالاً لأصحاب سيئين، منهم: «قصة الرجلين والجنتين، فضرب سبحانه مثلاً للقيم الزائلة والقيم الباقية من خلال نموذجين واضحين، **أولهما**: للنفس المعتزة بزينة الحياة، **وثانيهما**: النفس المعتزة بالله؛ فالنموذج الأول للرجل الثري تذهله الثروة وتبطره النعمة فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة، ويحسب هذه النعمة خالدة ولا تفنى فلن تخذله القوة ولا الجاه، والنموذج الثاني للرجل المؤمن المعتز بإيمانه الذاكر لربه، يرى النعمة دليلاً على المنعم، موجبة لحمده وذكره لا لجحوده وكفره»[(١)].

وقد صوَّر سبحانه كل ذلك في كتابه الكريم عن طريق القصص القرآني: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٧٠.

عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف].

وفي هذه القصة عبر وفوائد منها:

١ ـ عاقبة من اغتر بنفسه وأعجب بماله وجاهه على الآخرين وجحد نعمة الله تعالى عليه فلم يشكر ربه على هذه النعمة، وإنما نسب وجودها لنفسه فكانت العاقبة الخسران وفقدان النعم.

فالله سبحانه أحاط النموذج الأول بالعقاب «لا لمجرد الكفر، لأن الله قد يمتع كافرين كثيرين طول حياتهم ويملي لهم ويستدرجهم، وإنما أحاط به هذا العقاب جزاء على طغيانه وجعله ثروته وماله وسيلة إلى احتقار المؤمن الفقير، فإنه لما اعتز بتلك النعم وتوصل بها إلى التكذيب بوعد الله استحق عقاب الله بسلب تلك النعمة عنه كما سلبت النعمة عن قارون»[(١)] حين قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

٢ ـ ما اتصف به النموذج الأول من تواضع ونصح وتذكير وزجر لصاحبه، لكفره وإنذاره بعاقبة أمره، وتحذير من الاغترار بالمال والولد. وهذه من الحقوق الواجبة بين الأصحاب والقرناء، ولكنه لم يسمع نصيحته ولم يرجع عن كفره حتى هلك ماله وفنى بستانه ولاقى الحسرة والندم لكفره بخالقه وموجده[(٢)].

ومما تقدم يتبين الأثر المترتب على اختيار قرناء الخير والصحبة الصالحة خلافاً لمن اتخذوا قرناءهم من صحبة السوء فكانوا وبالاً عليهم.

على أن هذه القصة تؤكد الخط الفاصل بين الخير والشر في مجال

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٢٨.
(٢) انظر: الخليل والصاحب والقرين، أمل الغنيم، رسالة ماجستير ص١٤٦.

الأصحاب؛ فالصاحب الخيّر لا يوافق صاحبه فيما جار فيه على حق الله وحق نفسه بل نبهه وحذره إلى عاقبة الأمر. والقصة كما هو واضح تغلِّب جانب الخير والتقوى والشكر على جانب الشر والكفر والإنكار.







المبحث السابع عناصر وآداب وأساليب قرآنية في توجيه الناشئة في مجال الأخلاق

❐ تمهيد:

إن الاتصاف بالأخلاق الحسنة ركن مهم من أركان البناء الخلقي عند الناشئة لما لها من أهمية كبرى في بناء شخصيته وتحرير علاقته بجوانب مختلفة في حياته، تتعلق بدينه وعقيدته، وأيضاً بما تُحدثه هذه الأخلاق من آثار على سلوك الناشئة.

وتوجيه الناشئ نحو الخير والفضيلة والأخلاق الحسنة في هذه الفترة المبكرة من عمره لها الأثر القوي في صلاحه واستقامة أخلاقه عندما يكبر.

وقد أشار الإمام الماوردي[١] رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أهمية هذه الفترة في توجيه الناشئة: «فأما التأديب اللازم للأب، فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها، وينشأ عليها، فيسهل عليه قَبولها عند الكبر، لاستئناسه بمبادئها في الصغر، لأن نشأة الصغير على شيء، تجعله متطبعاً به، ومن أُغفل في الصغر، كان تأديبه في الكبر عسيراً»[٢].

وتدريب الناشئة على التخلق بالأخلاق الكريمة يتطلب من الوالدين بذل الجهد والصبر في غرس الأخلاق في نفوس الناشئة واستبدال السيئ منها بالحسن.

---

(١) سبقت الترجمة له.

(٢) أدب الدنيا والدين ص٢٢٨.

وقد سبقت الإشارة إلى هذه الأخلاق في سورة تمثل دستوراً للأخلاق هي سورة لقمان(١)، وفي هذا المبحث نكشف بالإضافة إلى ذلك عن بعض الأخلاق التي ينبغي أن يُربى عليها الناشئة سواء في علاقتهم مع ربهم، أو مع أنفسهم، أو مع الآخرين.

وفيما يلي إشارة موجزة إلى أصول المعاملة في بعض هذه العلاقات كلها.

☐ أولاً: العناصر والآداب القرآنية في توجيه الناشئة في مجال الأخلاق:

أ ـ أخلاق الناشئة مع الله تعالى:

يعتبر الأدب مع الله ﷻ من أوجب الواجبات؛ «إذ هو الخالق، وحده لا شريك له، وما عداه مخلوق؛ فلا يستوي حقُّ المخلوق مع حق الخالق بحال، ولا يستوي تأدُّبُ الإنسان مع الخالق ومع أيّ مخلوق! وكما أن الله هو الخالق وحده لا شريك له، فكذلك يجب أن يوحِّدَه عباده بالعبادة والشكر والأدب وَفْق ما يقتضيه هذا المعنى!»(٢).

ومن الأخلاق الأساسية التي يجدر بالناشئة التخلق بها مع الله تعالى ما يلي:

١ ـ محبة الله تعالى:

لقد تحدث القرآن الكريم عن آيات حب الإنسان لله تعالى وأثنى عليه، ومنها قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقد

(١) سورة لقمان، آية (١٢ ـ ٩)، راجع المبحث الأول ص١٧٥ من هذا الفصل.
(٢) الأخلاق الفاضلة، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ص٨٦.

دلت هذه الآية الكريمة على أن هذا حب متبادل ويبدأ من الله ﷻ ومحبة الله للعبد من نعم الله الجليلة على عبده تفضل الله بها عليه، ومحبة الله للعبد تيسّر له الأسباب، وتهون عليه كل أمر عسير، وتوفقه إلى فعل كل خير، وترك كل منكر، وتجعل له المحبة في قلوب عباده[1]، «وعلى المربي أن ينتهز الفرصة السانحة، ليعرّف الطفل بإلهه الحق ويربط مشاعره به، ويعلق قلبه بالتطلع إليه والخشية منه مع مراعاة أن مدارك الطفل ما تزال صغيرة وأن قدرته على الاستيعاب محدودة فيحدث بما يناسب قدرته ومداركه.

وحين يحدث الناشئ عن رضا الله وعن غضب الله، فلن يدركه إلا في صورة حسية، وقد يجسم صورة للرضا والغضب.. ومع ذلك فلا بد أن يحدث المربي الناشئ عن رضا الله وغضبه ليزرع في نفسه الفضائل التي ينبغي أن يمارسها، والسيئات التي ينبغي أن يحجم عنها..

وهناك محاذير ينبغي للمربي أن يتوقاها:

لا يجوز له أن يتكئ على خط الخوف حتى يرعب الطفل بغير موجب بكثرة الحديث عن غضب الله وعذابه والنار وبشاعتها. إنما ينبغي كما هو مقرر في المنهج الرباني في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ المزاوجة الدائمة بين الرضا والغضب، والنعيم والعذاب، وأن نبدأ بالترغيب لا الترهيب حتى يتعلق قلب الطفل بالله فهو أحوج في صغره إلى الحب.. ولا بأس بأن يصل الترهيب إلى نفس الطفل من طريق غير مباشر كأن يقال له حين يقوم بعمل خيّر: إن الله سيحبه من أجل هذا العمل ويدخله الجنة. وإنه ليس كالأولاد الآخرين الذين يعملون السيئات، والذين سيعذبهم الله في النار... وبذلك يحدث في نفسه الرهبة المطلوبة ولكنها

(١) انظر: تفسير السعدي ص٢٣٥.

لا ترتبط بشخصه مباشرة فتفزعه في سنه الصغيرة دون تحقيق هدف تربوي.

وعن طريق التعريف الدائم بالله ونمو مدارك الطفل وإشاعها، وربط القلب والمشاعر دائماً به، تستنبت الفضائل في نفس الطفل وتعمق محبته لله تعالى»[١].

٢ ـ معرفة الناشئة لنعم الله وشكره عليها:

عرَّف الأصفهاني[٢] الشكر بأنه «هو تصور النعمة وإظهارها، وضده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها»[٣].

ويعبر ابن القيم[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ عن حقيقة الشكر «بأنه ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافاً. وعلى قلبه: شهوداً ومحبة. وعلى جوارحه: انقياداً وطاعة. ولا بد من خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته. وثناؤه عليه بها وأن لا يستعملها فيما يكره»[٥]. وقد عُني القرآن المجيد بالحديث عن الشكر عناية واضحة، فذكره في مواطن كثيرة من آياته وطلب من عباد الله أن يتحلوا به ويحرصوا عليه، فقال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة].

وقد ضرب لنا الإمام الغزالي صوراً كثيرةً للشكر فقال: «إن حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر، ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر، والاعتذار عن قلة الشكر شكر، والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره

(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ٢/ ١٦٣، ١٦٤ بتصرف.
(٢) سبقت الترجمة له.
(٣) المفردات في غريب القرآن ص٢٦٨.
(٤) سبقت الترجمة له.
(٥) مدارج السالكين ٢/ ٢٣٤.

شكر. . وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر، وقلة الاعتراض وحسن الأدب شكر بين يدي المنعم شكر، وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر»(١). والإنسان إذا وجد من يكرمه ويحسن إليه فإنه يشعر نحوه بواجب الشكر، والاعتراف بالجميل، فإذا كان هذا حاصلاً مع الناس، فكيف برب الناس.

وإذا عرف الناشئ هذه النعم ومن أوائل هذه النعم نعمة خلقه وإيجاده والصبر على أخطائه وتقصيره، فإنه يشعر بالحياء من الله ﷿ لما يُحدثه من تقصير في حق الله تعالى مما يساعد المربي على استغلال هذا الشعور، فيبين فضل الله ونعمه على الناشئ وأنه أسبغ عليه النعم ظاهرة وباطنة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

ويبيِّن ما سخَّر الله له من الطعام والشراب، والمركب والمسكن كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر: ٣]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النحل].

وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل].

(١) إحياء علوم الدين ٢/ ١٤٧٩، ١٤٨٠.

ويبين للناشئ ما وهبه من نعمة السمع، والبصر، والشم، والتذوق مقروناً بقوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل].

وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى، ويقرب بعد ذلك إلى ذهن الناشئ الشقاء الذي يمكن أن يحدث إذا فقد نعمة من هذه النعم مثل فقد الطعام ـ مثلاً ـ وما يحدثه من المجاعات المفزعة، أو فقدان البصر وما يترتب عليه من عناء للأعمى، فيشكر الله على نعمة البصر، أو إذا رأى مُقْعَداً فيتذكر أن الله جعله قادراً على الحركة، أو ما حاله إذا فقد والديه وكيف يمكن أن يعيش بدونهما، وغيرها من النعم التي تحيط بالناشئ ويتلذذ بوجودها[(١)].

ب ـ أخلاق الناشئة مع النفس:

إن صلاح الناشئة هو الطريق لصلاح المجتمعات وصلاحهم يتوقف على تهذيب نفوسهم وتحلِّيها بالأخلاق الإسلامية، واستقامتها على المنهج الرباني وتربيتها وتوجيهها، لتكون سوية صالحة في المجتمع[(٢)].

ومن هذه الأخلاق:

١ ـ الصدق:

من العوامل المؤثرة في تنمية الصدق عند الناشئة وتخلُّقهم به هو المحيط الأسري الذي يعيشون فيه، فالأسرة التي تحترم الحق وتلتزم بالصدق وتفي بما وعدت به من الطبعي أن يلتزم الناشئ بالصدق والأمانة.

ولذلك وجب على الوالدين الالتزام بالصدق في تعاملهم مع الناشئة في الوعد وفي الحديث وغيرهما.

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم ص١٠٦.
(٢) انظر: المرجع السابق ص١٦٣.

ويتأكد مسؤولية الوالدين في تعميق الصدق والأمانة في نفس الناشئ عن طريق الترغيب في التخلق بهما بما ورد في فضلهما وجزاء من يتصف بهما، فقد امتدح الله الصادقين وبيَّن أن لهم أجراً عظيماً، فقال سبحانه: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقوله ﷻ في الحث على التخلق بالصدق ليكون من الصادقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة].

وكذلك قوله ﷺ في بيان ما يهدي إليه الصدق وما يهدي إليه الكذب: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صدَّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»(١).

وجاء في السُّنَّة المطهرة أيضاً ما يحث على تعويد الطفل الصدق وحثّ الأم على فضيلة الصدق؛ لأنها قدوة أولادها في السلوك والخلق، والأفعال وأن تبتعد عن الكذب مهما كان صغيراً أو كان مجرّد الضحك على الطفل في صغائر الأمور، فعن عبد الله بن عامر أنه قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطيك، فقال لها رسول الله ﷺ: «**وما أردت أن تعطيه؟**»، قالت: أعطيه تمراً، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة**»(٢).

وبعض الآباء يحثون أولادهم على الصدق بالكلام ويدفعونهم إلى الكذب بالأفعال، فإذا سأل عنه من لا يحب لقاءه قال لولده: أخبره أنني غير موجود!! ثم يعاقب ولده بعد ذلك على الكذب، فالناشئ إذا وجد

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾، رقم الحديث (٦٠٩٤).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، رقم الحديث (٤٩٩١). وقال الألباني: حسن في سنن أبي داود ص٧٤٧.

أمه ولو مرة واحدة تكذب على أبيه، أو أباه يكذب على أمه، أو أحدهما يكذب على الجيران، فإن هذا السلوك من الأب أو الأم يترتب عليه فقدان الناشئ لقيمة الصدق وأهميته، فالكذب خُلق مذموم ينتج عنه فساد في نفس صاحبه ويترتب عليه سلوك يؤدي إلى الشر، فينبغي على الوالدين متى ما وجداه في خُلُق الناشئ العمل على تخليصه منه، ومن الأمثلة على ذلك عندما يتظاهر الناشئ عند أقرانه بأن عنده من الألعاب الكثيرة وليس ذلك بصحيح وإنما أراد حب الظهور عند زملائه، وهذا كذب مذموم، ودور الوالدين تنبيه الابن إلى ما هو عليه من الكذب والادعاء غير الصحيح، ثم يحاول بعد ذلك أن يلفت نظره إلى ما يمتلكه من صفات حسنة ويشعره بأنه لا داعي للكذب، وإذا أراد أن يخبر زملاءه بما عنده من الألعاب وغيرها من الأمور أن يخبرهم بالحقيقة دون كذب(١).

٢ ـ التوسط في الإنفاق:

إن التوسط في الأمور من أهم ما دعا إليه القرآن الكريم؛ لأن أمة محمد ﷺ أمة وسطاً لا إفراط ولا تفريط لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ولقد أرشد القرآن الكريم إلى ضرورة الالتزام بهذا الخلق في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء].

«فالمحمود في العطاء هو الوسط الواقع بين طرفي الإفراط والتفريط، وهذه الأوساط هي حدود المحامد بين المذام من كل حقيقة لها طرفان. وقد تقرر في حكمة الأخلاق أن لكل خلق طرفين ووسطاً، فالطرفان إفراط وتفريط وكلاهما مقرّ مُفاسد للمصدر وللموت، وأن الوسط

---

(١) للمزيد من الأمثلة، انظر: التربية والطفل، يوسف الهلال ص٦٠، ٦١، ومسؤولية الأب المسلم ١٨٧ ـ ١٩١.

هو العدل، فالإنفاق والبذل حقيقة أحد طرفيها الشح وهو مفسدة للمحاويج ولصاحب المال إذ يجر إلى كراهية الناس إياه وكراهيته إياهم»[(١)].

وقد ذمّ الله ﷻ الشحّ والبخل وتوعد عليه بالعذاب، فقال ﷿: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، «ويمكن للوالد إشراك الناشئ في الإنفاق على بعض مشتريات البيت واحتياجاته البسيطة، فيتدرب على الإنفاق ويتعود البذل، ويحاول المربي أن يذم أمامه البخل والشح ويمقته؛ ليتكون عند الولد التصور النظري لقبح هذه العادة وأهلها ولتشجيع الناشئة على أعمال الخير والإنفاق، يمكن للمربي في بعض الأحيان عندما يجلس لأولاده ويحدثهم أن يسألهم: «من تصدق منكم اليوم على مسكين؟»، ربما في المرة الأولى لن يجيبه أحد منهم ولكن عندما يعلمون أن أباهم سوف يسألهم ثانية فإنهم عند ذلك يسارعون للإنفاق والبذل والعطاء»[(٢)].

وقد تبع الرسول ﷺ هذا الأسلوب مع صحابته الكرام عندما كان يسألهم: «**من أصبح منكم اليوم صائماً؟**»، «**من تبع منكم اليوم جنازة؟**»، «**من أطعم منكم اليوم مسكيناً؟**»[(٣)].

فيمكن للوالدين الاستفادة من هذا الأسلوب في إعداد الناشئة للتخلق بخلق الإنفاق، وهكذا في بقية أعمال الخير. ولا يقتصر تعويد المربي ولده على الإنفاق فقط على الفقراء والمحتاجين، أيضاً تتسع دائرة الإنفاق لتصل إلى التبرع للجمعيات الخيرية والإنفاق على نفسه بشراء ما

---

(١) التحرير والتنوير ١٥/ ٨٤.

(٢) مسؤولية الأب المسلم ص١٦٨، ١٦٩.

(٣) انظر: الحديث بنصه في صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب من ضم إلى الصدقة غيرها من أنواع البر، رقم الحديث (٨٧).

يحبه من الحلوى مثلاً، كما يشمل إعطاء الإخوة والأخوات مما يملك من النقود أو الألعاب والحلوى وغيرها، فتعويد الناشئ على السخاء في هذه الأمور يهذب نفسه ويحصل له الاعتدال في التعامل مع ذاته فهو ليس بالأناني ولا بالمهمل لذاته الغافل عنها(١).

أما الطرف الآخر وهو التبذير والإسراف، ففيه العديد من المفاسد لصاحب المال وأهله، لأنه يصرف ماله عن مستحقه إلى مصارف وجهات لا ينبغي الصرف عليها(٢).

وإذا كانت دعوة الناشئة إلى الإنفاق ومقت البخل والشح فإن ذلك لا يدفعهم إلى التبذير، لأن الله تعالى نهى عنه في كتابه الكريم: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء].

«لأن الشيطان لا يدعو إلا إلى كل خصلة ذميمة، فيدعو الإنسان إلى البخل والإمساك، فإذا عصاه، دعاه إلى الإسراف والتبذير»(٣).

وكلا الطرفين البخل والإسراف خُلُقين ذميمين، ولكن الاعتدال والتوسط هو المطلوب، وقد أدب القرآن عباده بالخلق الواجب اتباعه بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان].

«أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم، فلا يكفونهم بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها لا هذا ولا هذا»(٤).

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم ص١٧٠.
(٢) انظر: التحرير والتنوير ١٥/ ٨٤.
(٣) تفسير السعدي ص٤٥٦.
(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٨٠.

٣ ـ العِفَّة:

العفة: «هي كفُّ النفس عن المحارم وعمَّا لا يَجْمُل بالإنسان فعله»[(١)]. والعفة التي ينبغي على الناشئ التخلُّق بها تدخل في أمور ونواحي متعددة **منها**:

أولاً: عفة عن النظر والتطلع إلى ما عند الغير من متع الحياة الدنيا من مختلف الأصناف.

وفي ذلك يقول الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه].

فعلى الوالدين تربية الناشئ إلى عدم النظر إلى ما عند الآخرين بطمع ورغبة بالاستيلاء، فقد يرى الناشئ من الألعاب والملابس التي تشد انتباهه ويرغب في امتلاكها، فدور الوالدين تغذيته بضرورة احترام حقوق الآخرين التي وهبهم الله إياه، وكفّ بصره عما وهب الله الناس من نعم وما فضلهم به من عطايا وهبات[(٢)].

وتربية الناشئ نفسياً على أن الله ﷻ: «فاوت بين الناس في الأرزاق والأخلاق، والمحاسن والمساوئ، والمناظر والأشكال والألوان»[(٣)].

كما قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥]. فينتج عن ذلك استقرار وتربية نفسية للناشئة وقناعة ورضا بما قسم الله تعالى.

---

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢/ ٥٨١.
(٢) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/ ٨١٧، ٨١٨.
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ١٧٤.

والتعفف عما في أيدي الناس باب عظيم لجلب محبة الناس، فالزهد فيما بأيدي الناس طريقاً إلى محبتهم للإنسان ويرفع من شأنه عندهم، أما التطلع الدائم إلى ما في أيدي الناس يحملهم على ازدراء العز والسخرية منه واحتقاره.

ويتخلَّق الناشئ بالعفة حتى عند احتياجاته، فيلزم التعفف منه عن سؤال غيره عند الاحتياج، لأن الله تعالى أثنى على الفقراء المتعففين عن المسألة وهم في شدة الحاجة، وإن صدر منهم السؤال إذا احتاجوا لم يلحوا على من سألوا[1]، قال ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

فبعض الوالدين يجعلون من أبنائهم طريقاً للحصول على المال عن طريق التسول وهم في غير حاجة، فيجعلونهم يتسوَّلون في أماكن متفرقة في الطرقات وفي الأسواق، وإذا كانوا كذلك فكيف يتخلق هؤلاء بخلق العفة والبعد عن المسألة.

◻ ثانياً: العفة في القول:

وذلك بترك الناشئة للألفاظ النابية والابتعاد عن السبِّ واللعن والسخرية والاستهزاء والكذب والغيبة والنميمة، فقد قال سبحانه عن عباده الأخيار: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ۝٢٤﴾ [الحج].

فعلى الوالدين ترسيخ هذا الخلق القويم في سلوك الناشئ عن طريق القدوة الصحيحة المتمثلة في الوالدين والأخوة فلا يصدر منهم إلا قولاً طيباً فلا يكتب الأبناء السب واللعن إلا من الوالدين إذا صدر منهم ذلك.

(١) انظر: تفسير السعدي ص١١٦.

وأيضاً ترغيب المربي الناشئة في اجتناب ذلك بأن الله تعالى نهى عن السخرية وعن النميمة والغيبة والتنابز بالألقاب كما جاء في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات].

وترغيبه بأن الله تعالى لا يصعد ولا يرتفع إليه إلا كل قول وكلام حسن طيب، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

ج ـ أخلاق الناشئة مع الناس:

إن الناشئ لا يعيش منفرداً عن الآخرين وإنما يتعامل مع فئات مختلفة في المجتمع، يترتب على هذا التعامل أخلاق ينبغي أن يتحلى بها سواء مع الوالدين أو الإخوة أو الأقارب أو الأصدقاء أو الجيران.

١ ـ أخلاق الناشئة مع الوالدين:

إن حب الوالدين وتقديرهما واحترامهما أمر واجب على الناشئة، وقد بيَّن سبحانه وتعالى هذه الأخلاق من الإحسان إليهما وعدم التأفف أو التضجر منهما، وعدم زجرهما والتحدث معهما بقول لين طيب كريم، والتواضع لهما والدعاء بالرحمة لهما وغيرها من الأخلاق الكريمة التي جاء بيانها في آيات كريمة، قال عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

وشكرهما على ما بذلاه من تعب وجهد في سبيل تربيته، قال

تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ...﴾ [الأحقاف: ١٥]، وغيرها من الأخلاق التي قد سبق الإشارة إليها في موضع سابق[(١)].

٢ ـ أخلاق الناشئة مع الإخوة:

عرض القرآن الكريم العديد من القصص التي تبين وتحدد العلاقة بين الإخوة وتبرز بعض من جوانب الأخلاق بينهم في قصص امتلئت عبرة وعظة يرتشف منها كل مربي في إعداد أبناء تسودهم معاني الأخوة في الله والحب فيه إلى جانب إخوة الدم، فيعلمهم التأدب مع بعضهم البعض في جو يسوده احترام الأخ الأكبر والرحمة بالأخ الأصغر والعطف عليه.

والمتأمل في قصة يوسف عليه السلام كأحد القصص القرآنية التي ألقت الضوء على هذه العلاقة، وما حصل ليوسف عليه السلام من إخوته، وما حصل منه عند اللقاء بهم بعد ذلك من خُلق العفو والصفح تجاههم: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف].

فعندما تذكر للناشئ هذه القصة يتعرف على هذه المغفرة والعفو والرحمة، وهذا الإحسان بهؤلاء الإخوة.

وعندما نتأمل قول هابيل لأخيه عندما عزم على قتله: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة]، فهذا الأخ لم يظهر لأخيه ويعدد ما امتاز به وخصه الله به حتى لا يثور حسده ويزداد غضبه، وعندما نعرض للناشئ قول هارون

(١) انظر: ص١٧٩ من هذا البحث.

لأخيه موسى عليه السلام طالباً منه ألا يشمت به الأعداء: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وغيرها من القصص التي تبين ما ينبغي أن يكون عليه الناشئ من أخلاق مع إخوته ثم بيانها والوقوف عليها في موضع سابق(١).

٣ ـ أخلاق الناشئة مع الأقارب:

إن قرابة الإنسان هم أهله وأنصاره، وعدته، بهم يأنس في حال الرخاء، وبهم يستعين في حال الشدة والبلاء، فهم ملاذه بعد الله تعالى، والناشئ يلتزم مع أقاربه وذوي رحمه بنفس الآداب التي يلتزم بها لوالديه إخوته من برّهم والإحسان إليهم(٢).

وقد أمر الله تعالى بهذا الحق في كتابه الكريم، قال عز وجل: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

وإن تنمية التربية الخلقية عند الناشئة في احترام الأقارب من أفضل ما يقدمه المربي للناشئ، وخصوصاً في هذه الأيام التي غدا فيها كثير من الناشئة لا يعرفون معظم أقربائهم أو عدداً ممن تربطهم بهم صلة رحم وقرابة»(٣).

والمراد بصلة الرحم: معاملتهم بالحسنى، ومعاشرتهم بالمعروف والتواضع لهم، والتلطف معهم، والتودد إليهم، وزيارتهم ومجالستهم ومواساتهم بالمال والجاه، والخدمة لهم، وغيرها من وجوه الصلة

---

(١) راجع المبحث الخامس من هذا الفصل ص٢٥٦.
(٢) انظر: منهاج المسلم ص٨٠، وفقه التعامل مع الناس، د. عبد العزيز بن فوزان الفوزان ص٢٦٣.
(٣) تربية الطفل في ضوء القرآن والسُّنَّة والأدب ص١٤٧.

والبر بهم[١].

وكما أمر الله ﷻ بالإحسان لذي القربى، فإنه حذر من أذيتهم، فقد أمرت السُّنَّة بالإحسان إليهم، وزجرت قاطع الرحم الذي يسيء للأقرباء كما جاء عن الرسول ﷺ أنه قال: «**الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**»[٢]، وقال أيضاً: «**لا يدخل الجنة قاطع**»[٣].

ومن هذه المعاني الوجدانية العظيمة يشغل المربي ما تعلمه من آداب تربوية وينميها في نفس الناشئ فتنمو صلة الرحم عنده وتتأصل هذه الناحية في نفسه خصوصاً عندما يكبر، وتتوثق عرى المحبة بينه وبين أقاربه.

وتتحقق هذه الصلة بعدة وسائل، ومن ذلك أن يختار المربي لطفله الوقت المناسب لزيارات الأقارب، وخصوصاً الجدّ والجدّة والعم، والعمَّة، ويحاول أن يشوق الطفل لذلك ويذكره بفضل هذه الزيارات، وما لها من الأجر العظيم عند الله ﷻ وكبير الأثر عند الأقرباء.

ويجب على المربي ألا يجبر طفله على زيارات الأقارب إجباراً فيه قسوة لأن من عادة الطفل الملل من مثل هذه الزيارات، ولكن يرغبهم ويكافئهم على الزيارة وصلة الرحم بما يراه مناسباً لميولهم، وكذلك يعمل المربي على تنظيم هذه الزيارات تنظيماً يتناسب مع ظروفه وظروف الآخرين، كأن يحدد أوقات الاجتماع وأماكن اللقاء ليتعارف أطفال الأسر على بعضهم البعض ويقضون مع بعضهم أوقات ممتعة.

---

(١) انظر: فقه التعامل مع الناس ص٢٦٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها برقم (١١٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها رقم (١٨).

ومن الجدير بالذكر عدم قصر الزيارات على صلة الرحم بين الأقارب بل إن استطاع المربي أن يساعد الأقارب بمال أو هدية أمام طفله فليفعل؛ لتكون صلة الرحم أعم وأشمل من الزيارات فتتحقق الفائدة وبالتالي يشب الناشئ على مكارم الأخلاق والبر بالأقرباء، ومساعدة من هم بحاجة إلى المساعدة وبذلك يحصل النفع الكبير من تدريب الناشئ على صلة الرحم والتخلق بالأخلاق الحسنة معهم[(١)].

٤ ـ أخلاق الناشئة مع الجار:

يعتبر الجار من أقرب الناس إلى الإنسان، وأكثر معرفة بأحواله بعد أهله وقرابته هم جيرانه فحق الجار عظيم والقيام بحقه من أوجب الواجبات، ومن أكبر أسباب التكامل والتعاون في هذه الحياة، ومن أكبر أسباب الإعانة على البر والخير، والحماية من الإثم والشر[(٢)].

وينبغي على المربي بيان هذا الحق للناشئة الذي أمر الله ﷻ القيام به في كتابه العزيز: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾ [النساء: ٣٦].

فالله سبحانه وتعالى يأمر في هذه الآية الكريمة بعبادته وينهى عن الشرك به ثم يوصي بالوالدين بأن يُحسن صحبتهما، وكذلك الأقرباء واليتامى والفقراء، ومع هؤلاء الجار القريب والجار البعيد، وقد أمر الرسول ﷺ أيضاً بحسن معاملة الجار، فقال عليه السلام: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[(٣)].

---

(١) انظر: مسؤولية الأب المسلم ص٢٢٢ ـ ٢٢٤.
(٢) انظر: فقه التعامل مع الناس ص٢٩٩.
(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، رقم الحديث (٦٠١٤).

وقوله عليه السلام: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**»، وفي رواية: «**فليحسن إلى جاره**»[١].

فهذه النصوص تأمر بإكرام الجار والإحسان إليه وتنهى عن إيذائه والالتزام بطيب المعاملة له، فمن لم يكرم جاره لم يتم إيمانه.

فمن الأخلاق التي ينبغي على الناشئة التخلق بها مع الجار الإحسان إليه وعدم إيذائه فهو أقل ما يجب على الجار تجاه جاره، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب].

ولهذا قال النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره**»[٢].

فيؤدَّب الناشئة على تجنب الأذى للجيران بأي نوع من أنواع الأذية من التنصت عليهم أو التجسس على أحوالهم وكشف أسرارهم، وتتبع عوراتهم، وكشف أسرارهم، وإصدار الأصوات واللعب بشكل مزعج في أوقات النوم والراحة[٣].

فالود للجار وإماطة الأذى عنه والاهتمام براحته يزيد من المحبة بين الجيران ومن صفاء القلوب.

وينبغي على المربي أن يرغب الناشئة في حسن الأخلاق مع الجار

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله فلا يؤذي جاره، رقم الحديث (٦٠١٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف...، رقم الحديث (٤٧) (٤٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله فلا يؤذ جاره، رقم الحديث (٦٠١٨)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، رقم الحديث (٤٧).

(٣) انظر: فقه التعامل مع الناس ص٣٠٩.

بما يحصل لهم من الخير عند الله عندما يكون من خيار الناس لجيرانه ويشرح لهم حديث رسول الله ﷺ الذي يبيّن ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: «**خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»[(١)].

وأيضاً توجيه الناشئة إلى كيفية حسن الأخلاق مع أولاد الجيران عند اللعب معهم، والسير سوياً وآداب التحدث معهم مجانباً السبَّ والشتم واللعن وغيرها، وأن يتعلم الناشئ كيف يراعي شعور أبناء الجيران، فلا يزهو ويتفاخر بلباسه وطعامه وخاصة إذا كانوا فقراء حتى لا يشعرون بما يسبب لهم الحزن، بل على الناشئ محبتهم ومصاحبتهم بالخير والبر بهم، وبهذه التوجيهات يستطيع المربي تربية الناشئة على تطبيق الأخلاق الحسنة مع الجار[(٢)].

❑ ثانياً: الأساليب القرآنية لتربية الناشئة في مجال الأخلاق:

سلك القرآن الكريم العديد من الأساليب التربوية في توجيه الناشئة إلى اكتساب الأخلاق الحميدة، **ومن هذه الأساليب ما يلي**:

أ - الأمر بمكارم الأخلاق:

إن المتأمل في الآيات القرآنية يجد أن الله ﷻ في حثه للالتزام بالأخلاق الحسنة كان يتضمن هذا الحث صيغة الأمر ومن هذا الآيات.

وقال في الحث على التوكل: وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حق الجوار، رقم الحديث (١٩٤٤). قال الترمذي: حسن غريب. قال الشيخ الألباني: صحيح في سنن الترمذي ص٤٤٣.

(٢) انظر: تربية الطفل في ضوء القرآن والسُّنَّة ٢/ ٦١٤.

وقال تعالى في الحث على الاستقامة: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١١٢﴾ [هود].

وقوله تعالى في الحث على الاعتدال في الأكل والشرب: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف].

وفي الحث عن العدل ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ٥٨﴾ [النساء].

وفي الحث على خُلق الصبر قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ١١٥﴾ [هود]. وقوله تعالى في الحث على التواضع: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]، وقوله ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ٢٤]. وقوله تعالى في الحث على الإحسان: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ﴾ [القصص: ٧٧]. وقوله تعالى في الحث على العفو قوله: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ﴾ [البقرة: ١٠٩].

فكل هذه الآيات المتقدمة تضمَّنت أوامر إلٰهية جاءت مصنفة الأمر وهي جميعها تأمر بالتحلِّي بمكارم الأخلاق، وغيرها كثير جدّاً في الكتاب العزيز.

ب ـ النهي عن سيّئ الأخلاق:

قال تعالى في النهي عن السخرية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات].

وقال تعالى في النهي عن الكبر: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ

فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان].

قال تعالى في النهي عن النظرة والتطلع إلى ما لدى الآخر من متـع: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر]. وقال تعالى في النهي عن التبذير: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

قال تعالى في النهي عن الإسراف: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ﴾ [الأعراف: ٣١]. وقال تعالى في الاعتدال في خفض الصوت: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠].

فكل هذه النواهي إنما جاءت لتنهي عن سوء الأخلاق. ولسوء الأخلاق صور كثيرة يحفل بها الذكر الحكيم ناهياً عن الوقوع فيه.

ج ـ القدوة الحسنة:

ضرب الله لنا أمثلة عديدة لبعض أنبيائه الكرام الذين تخلَّقوا بالأخلاق الفاضلة فكانوا قدوة حسنة ونموذجاً يقتدى به، فتجد في كل خُلق ضرب الله لنا أمثلة من أخلاق أنبيائه عليهم السلام.

فخُلق التوكل ذكر لنا سبحانه بعضاً من أنبياء تخلَّق به، وذلك قوله تعالى عن موسى عليه السلام يحث قومه على التوكل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يونس].

وقوله عن نوح عليه السلام: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس].

وقوله عن هود عليه السلام: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود: ٥٦].

وفي خُلق الصدق قال تعالى واصفاً إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم]، وقوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم]، وقوله عن إدريس: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾﴾ [مريم].

وفي الحث على خلق الأمانة فهذا نوح عليه السلام قال لقومه: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشعراء]، وكذلك قال كل من هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨].

وأشار الكتاب العزيز إلى أمانة يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾ [يوسف].

وفي خلق الصبر ضرب الله لنا مثلاً في أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء].

وقوله تعالى عن إسماعيل وإدريس وذي الكفل وأنهم جميعاً قد تحلّوا بالصّبر: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء].

د ـ الترغيب في اتباع الخُلق القويم:

قال تعالى في الحث على شكره وأنه سبيلٌ لزيادة النعمة، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ﴾ [إبراهيم: ٧]. وفي الحث على رجاء الله وعدم البأس قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى في الحث على التخلق بالصدق: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى في الترغيب في عفة اللسان قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

وفي الترغيب في القسط، العدل قال تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

وقوله تعالى في الترغيب في العفو وكظم الغيظ قوله: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران]. وقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

هـ ـ الوعظ والإرشاد:

وجاءت الموعظة في وصية لقمان لابنه في التخلق ببعض الأخلاق والابتعاد عن سيئها.

قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان].

و ـ القصة القرآنية:

وذلك من خلال قصة يعقوب عليه السلام مع أبنائه وما فيها من قيم أخلاقية تمثلت في حسن التوكل على الله، وعدم اليأس من كرم الله في العثور على يوسف عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف].

وقوله: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ

ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف].

وعن خلق العفة ما جاء في قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز فقال سبحانه: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف].

ز ـ التفصيل والبيان:

قال تعالى في بيان الاعتدال في الإنفاق: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان].

وقال في الاعتدال في الأكل والشرب: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال في الحث على أن يكون الدعاء بين الجهر والمخافتة: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعراف: ٥٥].

وهذه من الأساليب الرائعة التي تجسّد المعاني من خلال التفصيل تارة والتصوير البياني المعجز تارة أخرى.

وقال تعالى في الحث على الإنفاق على الأيتام: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ [البقرة: ٢١٥].

ح ـ مدح الحسن وذم القبيح من الأخلاق:

مدح الله تعالى من يرجون رحمة ربهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧].

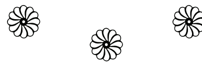
وقوله تعالى مادحاً إبراهيم عليه السلام في صدقه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم]، وقوله عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾ [مريم].

ومدح الله سبحانه وتعالى المتعففين عن المسألة: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

ومدح الله تعالى المتواضعين من عباده ومن صفاتهم القصد في المشي والتلطف في القول، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان].

ومدح الله تعالى العافين عن الناس بقوله: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران].

أما الذم، قوله تعالى في ذم المبذرين: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى في ذم وتقبيح الصوت الزائد في الارتفاع: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩]. وقد ذم الله تعالى الذي لا يكرم اليتيم والذي يُسيءُ إليه قال عز وجل: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون].



المبحث الثامن
عناصر تأهيل النشء في مجال الآداب الاجتماعية العامة وأساليبه في ضوء القرآن الكريم

أولاً: عناصر تأهيل النشء في مجال الآداب الاجتماعية العامة في ضوء القرآن الكريم:

أولاً: تأديب الناشئة بآداب السلام في القرآن الكريم:

أهمية السلام وبيان فضله:

«إن السلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تكمن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع وإعظام حرمات المسلمين... وبذل السلام للعالم، والسلام على من عرفت ومن لم تعرف... وفيها لطيفة أخرى وهي أنها تتضمن رفع التقاطع، والتهاجر، والشحناء، وفساد ذات البين»[(١)].

وقد أمر الله ﷻ إفشاء السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال ابن كثير[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «أي: فأكرمهم برد السلام عليهم، وبشرهم برحمة الله الواسعة الشاملة لهم»[(٣)].

---

(١) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي ٢/ ٣٦.

(٢) سبقت الترجمة له.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ١١٩.

وقال سبحانه أيضاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ [النور: ٢٧].

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الأثر الطيب الذي تتركه التحية على علاقة الناس بعضهم ببعض فقال عليه السلام: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[١].

فالمعنى أفشوا السلام بينكم تسلموا من الفرقة والتقاطع وتعيشوا في مودة وتجتمع قلوبكم على الخير وتزول الأحقاد والبغضاء، فأخبر المصطفى ﷺ أن السلام يبعث على التحابب بين الناس ويبعد عنهم التقاطع.

والسلام: اسم من أسمائه تعالى، وهو التسليم والتحية عند المسلمين والسلامة والبراءة من العيوب والأمان والصلح، وقيل معناه: سلامته مما يلْحق الخلق من العيب والفناء، والسلام في الأصل السلامة، يقال: سلم يسلم سلامة وسلاماً، ومنه قيل للجنة: دار السلام؛ لأنها دار السلامة من الآفات[٢] كما قال عز وجل: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾ [الأنعام]. قال القرطبي[٣] رحمه الله: «التحية السلام، وأصل التحية الدعاء بالحياة، والتحيات لله؛ أي: السلام من الآفات»[٤].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث ص٤٤١، ولسان العرب ٧/ ٢٤١، والمصباح المنير ١/ ٣٠٧، والمعجم الوسيط ١/ ٤٤٦.

(٣) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد من أهل قرطبة، قال عنه الذهبي: إمام متقن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، منها: الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة وغيرها، توفي سنة (٦٧١هـ).
انظر: طبقات المفسرين، للداودي ص٣٤٧، والأعلام ٥/ ٣٢٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٨٣.

وقيل السلام: «تجرد النفس عن المحنة في الدارين»[(١)].

فالسلام هو التحية التي يحيِّي بها المسلمون بعضهم بعضاً كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦].

وقوله سبحانه: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

ومن آداب السلام التي ينبغي على الناشئة التأدب بها:

١ ـ إلقاء الناشئ السلام قبل دخول بيوت الآخرين:

وذلك تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧]، «فالناشئ عندما يريد دخول بيوت الآخرين فإن عليه السلام على الساكنين فيها فلا ينبغي الدخول فيها فجأة وبدون صوت بل يلزم في الخطوة الأولى إلفات صاحب الدار بدخوله بلين وهدوء وإقامة علاقة أنس معه كي لا يستوحش ولا يضطرب ولا يظن به سوءاً ولا يبدي رد فعل غير مناسب وعند إلقائه السلام فإنه يشعر بطمأنينة من جانبه»[(٢)].

فيؤدب الناشئ على ضرورة إلقاء السلام بقوله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ويبين له بأن هذا هو الأفضل.

٢ ـ سلام الناشئ على أهل بيته وعلى نفسه:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

يقول الشيخ السعدي[(٣)] رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: «نكرة في سياق

---

(١) التعريفات ص١٢٠.

(٢) انظر: الأخلاق في القرآن الكريم، محمد تقي اليزدي ١/ ٢٤٨.

(٣) سبقت الترجمة له.

الشرط يشمل بيت الإنسان وبيت غيره، سواء أكان في البيت ساكن أم لا، فإذا دخلها فليسلم بعضكم على بعض، وسلامكم بقولكم: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[(١)].

فالإنسان يسلم على أهل بيته إذا دخل عليهم؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك**»[(٢)].

وإذا كان البيت خالياً من السكان يسلم على نفسه بقوله: «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**».

٣ ـ رد الناشئ السلام:

وذلك عملاً بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

فالله ﷻ يأمر عباده المؤمنين: «إذا حيوا بأي تحية كانت أن يردوها بأحسن منها لفظاً وبشاشة أو مثلها في ذلك»[(٣)].

وإذا كان الإسلام قد آثر كلمة السلام لما شع منها من المعاني الطيبة فإنه مع هذا يتقبل أي تحية طيبة يتبادلها الناس، ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦] غير مقيد التحية بقيد مخصوص أو مختص بصورة معينة ليتيح للناس فسحة في تبادل التحايا المختلفة التي تغذي عواطف الإخوة والمودة بينهم، وإن كان المقصود من هذه التحايا هو الأثر المترتب عليها، وإن كانت كلمة السلام هي تحية الإسلام وبشارة المسلمين[(٤)].

(١) تفسير السعدي ص٥٧٥، ٥٧٦.
(٢) سبق تخريج الحديث.
(٣) تفسير السعدي ص١٩١.
(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن ٢/٨٥٣.

٤ ـ أن يبدأ الصغير بالسلام على الكبير لأجل حقه عليه:

وأن يسلّم القليل على الكثير لأجل حق الكثير؛ لقوله ﷺ: «**يسلم الصغير على الكبير، والمارّ على القاعد، والقليل على الكثير**»[١]، وكذلك يسلم الكبير على الصغير لغاية تعليمية، فقد كان النبي ﷺ يفعل ذلك إذا مر بالصبيان[٢]، «وهذا من خُلقه العظيم، وفيه تدريب للصغير وحض على تعليم السنن ورياضة لهم على الآداب الإسلامية»[٣].

ومن آداب السلام التي تورث المحبة وتزيد من الألفة:

المصافحة عند اللقاء[٤] مع إظهار التبسم وبشاشة وطلاقة الوجه ويرغب الناشئ في ذلك لما يحصل له من الأجر عند قيامه بهذا العمل الطيب وتدعيم ذلك بقول النبي ﷺ: «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا**»[٥].

□ ثانياً: تأديب الناشئة بآداب الاستئذان في القرآن الكريم:

١ ـ تعريف الاستئذان:

أورد علماء اللغة للإذن استعمالات شتى يهمنا منها هنا قولهم:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسليم القليل على الكثير، رقم الحديث (٦٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان، رقم الحديث (٦٢٤٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٨٨ بتصرف.

(٤) قال ابن حجر في «فتح الباري»: «المصافحة: مفاعلة من الصفحة، والمراد بها الإفضاء بصفحة اليد إلى صفحة اليد ٧/ ٣٣٢.

(٥) رواه أبو داود، كتاب الآداب، باب في المصافحة، رقم الحديث (٥٢١٢)، والترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المصافحة، رقم الحديث (٢٧٢٧). وقال أبو عيسى: وهذا حديث حسن غريب.
قال الشيخ الألباني: صحيح في سنن أبي داود ص٧٨٠، وسنن الترمذي ص٦١٣.

أذِن له في الشيء إذناً: أباحَهُ[(١)]، والاستئناس والاستئذان يجتمعان في معنى واحد وهو الاستعلام[(٢)].

«والاستئذان: طلب الإذن»[(٣)].

الاستئذان في الاصطلاح: «التماس الإذن تأدباً خشية الاطلاع على عورة أو الوقوع في محظور»[(٤)].

ـ أهمية الاستئذان وأثره:

إن الاستئذان من الأدب الاجتماعي، وقد أمرنا الله أن نتخلق به في حياتنا الاجتماعية وهو: طلب الإذن ممن نود زيارته حتى لا يفاجأ بزيارتنا له في وقت قد يكون منشغلاً فيه بواجبات أخرى، أو قد يكون في وضع لا يريد أن يراه عليه أحد، لذا فمن أهمية الاستئذان أن الله تبارك وتعالى قرن الاستئذان بالإيمان في مواضع كثيرة من كتابة العزيز[(٥)].

كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [النور].

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ [النور: ٥٨]. «ولذا فمن الأدب واللباقة الاجتماعية أن يُستأذن قبل الدخول من يراد الدخول عليه مراعاة لحرمة

(١) انظر: لسان العرب (أذن) ١/ ٧٨.
(٢) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي ٣/ ١٣٤٦، ١٣٤٧، روح المعاني ١٨/ ١٩٧، وزاد المسير ٦/ ٢٨.
(٣) المفردات في غريب القرآن ص٢٤.
(٤) أدب الاستئذان، د. عبد الرب تواب الدين ص١٨ بتصرف.
(٥) انظر: أدب المسلم في العادات والعبادات والمعاملات، محمد سعيد مبيض ص٣٩، وأدب الاستئذان ص١١.

الإنسان، وحفاظاً على شعوره أن يتأثر بالمفاجأة وعلى حريته أن تقيد بزيارة غير متوقعة»(١).

كما قال ﷺ: «**إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**»(٢).

٢ ـ أنواع الاستئذان:

قسم القرآن الكريم الاستئذان من حيث استعماله إلى قسمين:

١ ـ الاستئذان العام: خارج البيوت، وإليه يرشد قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَـٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور].

٢ ـ الاستئذان الخاص: داخل البيوت، وعليه يوجه الله عباده فيقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النور].

- **آداب الاستئذان العام:**

ـ إذا أتى باب غيره لا يستقبل الباب تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر خشية أن يطلع إلى من هو داخل البيت.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ

---

(١) أدب المسلم في العادات والعبادات ص٣٩.

(٢) سبق تخريجه.

أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور]، وأيضاً لفعله ﷺ: «أنه إذا أتى بيت قوم أتاه مما يلي جداره ولا يأتيه مستقبلاً بابه»(١).

«وكثير من الناس يتلصَّص فيسترق النظر ويحاول أن تقع عينه على ما في البيت في غفلة من صاحبه، وهذا النوع من الناس يجب ألا يؤذن له حتى يتأدب بأدب الإسلام، وهذا النوع من الناس أولي النظرات الفضولية الذي يرمون أبصارهم يَمنة ويَسرة من غير خوف ولا حياء أهدر الشارع كرامتهم بل أباح القصاص منهم حفاظاً على حرمات البيوت وحرمات المسلمين»(٢)، كما جاء في حديث سهل بن سعد(٣) قال: اطلع رجل من جحر في حُجَر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مِدرى يحك به رأسه فقال: «**لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**»(٤).

ـ أن يسلم مع الاستئذان:

من السُّنَّة أن يسلم ويستأذن ثلاثاً، فيجمع بين السلام والاستئذان.

كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ﴾ [النور: ٢٧]. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ٣٥٨ (١٠٨١)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٨٩، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) أدب الاستئذان ص٢٣.

(٣) هو: سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج الأنصاري الساعدي، يكنى بأبو العباس ويقال: أبو يحيى، كان اسمه حزناً فسماه رسول الله ﷺ: سهلاً، رأى سهل النبي ﷺ وسمع منه، توفي (٨٨هـ)، وقيل: (٩١هـ)، وهو ابن ٩٦ سنة، وقيل: ١٠٠ سنة، وقيل: أنه آخر من بقي من أصحاب النبي بالمدينة.
انظر: أسد الغابة ٢/ ٥٧٥، وتهذيب التهذيب ٣/ ٨٤.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، رقم الحديث (٦٢٤١).

بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ﴾ [النور: ٦١]. وجاء في تفسير السعدي لهذه الآية: «يرشد الباري عباده المؤمنين ألا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم بغير استئذان فإن في ذلك عدة مفاسد: فيها ما ذكره الرسول ﷺ من قوله: «**أن الاستئذان إنما جعل من أجل البصر**»، فبسبب الإخلال به يقع البصر على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده، **ومنها**: أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، ويتهم بالشر: سرقة أو غيرها؛ لأن الدخول خفية، يدل على الشر، فمنع الله المؤمنين من دخول غير بيوتهم حتى يستأنسوا؛ أي: يستأذنوا ويسمى الاستئذان استئناساً؛ لأن به يحصل الاستئناس وبعدمه تحصل الوحشة»[١].

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: إن الاستئناس الاستفعال من الأنس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم مخبراً بذلك من فيه، وهل فيه أحد وليؤذنهم أنه داخل عليهم، فيأنس إلى إذنهم له في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم. وفائدة السلام مع الاستئذان تقوية الألفة[٣].

ـ أن يكون السلام والاستئذان ثلاثاً، فإن أُذن له فليدخل وإلا فليرجع.

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨﴾ [النور] فقد قال رسول الله ﷺ: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع**»[٤].

---

(١) تفسير السعدي ص٥٦٥.

(٢) سبقت له الترجمة.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٧/ ٢٤٥، ٢٤٦، والتحرير والتنوير ١٨/ ١٩٨.

(٤) سبقت تخريجه.

ـ أن يقوم المستأذن بالتعريف التام باسمه، ولا يقول: أنا ونحو ذلك مما لا يظهر معه معرفة من عند الباب فالإبهام باق على حاله، وقوله: (أنا) لم تفد شيئاً.

وكراهة ذلك تؤخذ من حديث جابر رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في دَين كان على أبي فدققت الباب، فقال: «**من ذا؟**»، فقلت: أنا، فقال: «**أنا أنا**» كأنه كرهها[(١)]. فينبغي على المستأذن التعريف التام باسمه حتى يحصل الاستئناس وتذهب الوحشة.

ـ قد يقوم بطرق الباب أو تحريك زر منه مقام الاستئذان وخاصة في البيوت الكبيرة التي قد لا يسمع فيها من يسلم ويستأذن عند الباب. ولعل قرع الباب وهو مقدمة للسلام. «وقد يُرى أن هذا ليس كافياً للتعرف على طالب الإذن بالدخول، وإنما هو إعلام بقادم فحسب إذ لا بد بعد ذلك تعريف القادم باسمه وهذا يخص عادة حين يقال من؟ فيقول القادم: أنا فلان فيفتح الباب أو يعتذر من القادم، وعند رد صاحب البيت يكون السلام والاستئذان»[(٢)].

ويلتزم بالأدب عند دق الباب قال الفخر الرازي[(٣)]: «وأما قرع الباب بعنف والصياح بصاحب الدار فذلك حرام؛ لأنه يتضمن الإيذاء والإيحاش»[(٤)].

وتنزل الوسائل الحديثة منزلة الوسائل القديمة من حيث ضرورة إلقاء التحية الإسلامية، فالجرس والهاتف، والأنترفون وغيرها تقوم مقام الاستئذان قبل الدخول إن أوفت بالشروط. «ويراعى في استعمال هذه

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا قال: من ذا؟ فقل: أنا، رقم الحديث (٦٢٥٠).
(٢) تحية السلام في الإسلام أحكام وآداب، د. عبد الله بن محمد الطريقي ٢/ ٨١٨.
(٣) سبقت الترجمة له.
(٤) تفسير الرازي ٢٣/ ١٧٢.

الوسائل الآداب الإسلامية السامية فلا يجوز استعمالها للإيذاء أو التجسس أو الفسق أو التجريح»[(١)].

ـ أما عند دخول الأماكن العامة كالفنادق والبيوت المعدة للضيافة والدكاكين وغيرها من الأماكن التي جرت العادة دخولها بغير استئذان فإنه لا يجب الاستئذان[(٢)]، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ٢٩].

- **آداب الاستئذان الخاص:**

خصَّ الله ﷻ طائفة من الناس بالاستئذان داخل البيوت في أوقات معينة، وهم الصغير الذي لم يبلغ الحلم وهو وقت البلوغ، والمملوك ممن يكثر ترددهم داخل البيوت فعليهم أن يستأذنوا في أوقات معلومة ذكرها ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النور].

ـ فهؤلاء يستأذنون في ثلاثة أوقات:

الأول: قبل صلاة الفجر.

وتخصيص ذلك الوقت؛ لأن الناس إذ ذاك يكونون نياماً في فرشهم، وقيل: هو وقت انتهاء النوم ووقت الخروج من ثياب النوم، أو لأن الإنسان قد يبيت عرياناً أو على حالة لا يحب أن يُطلع عليه فيها[(٣)].

---

(١) آداب الاستئذان ص٢٧.

(٢) انظر: تفسير سورة النور أبو الأعلى المودودي ص١٤٧.

(٣) انظر: زاد المسير ٦/ ٦١، والجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٧٨، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٦١.

الثاني: وقت القيلولة. وتكون في وقت الظهيرة.

الثالث: بعد صلاة العشاء، وهو وقت التعري للنوم[(١)].

والحكمة في ضرورة هذا الاستئذان «كي لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم، وهو أدب يغفله الكثيرون في حياتهم الأسرية مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخُلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة، وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر بينما يقرر النفسيون اليوم بعد تقدم العلوم النفسية أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم تؤثر في حياتهم كلها وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها.

والعليم الخبير يؤدب المؤمنين بهذه الآداب وهو يريد أن يبني أمة سليمة الأعصاب سليمة الصدور، مهذبة المشاعر طاهرة القلوب، نظيفة التصورات... وحين يدرك الصغار سن البلوغ فإنهم يدخلون في حكم الأجانب الذين يجب أن يستأذنوا في كل وقت حسب النص العام الذي مضت به آية الاستئذان»[(٢)].

والآية الشريفة وجهت الأطفال في الحالين: حال ما قبل البلوغ وهو سن تقبل التوجيه دون نقاش، وحال ما بعد البلوغ وهو سن التفكر في الأحكام، فعن الحال الأولى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ [النور: ٥٨]، وعن الحال الثانية يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩].

---

(١) انظر: روح المعاني ١٨/ ٣١١، والجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٧٨.

(٢) انظر: زاد المسير ٦/ ٦١، والجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٧٨، وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٦١.

فيكون حالهم الاستئذان في كل الأوقات والذين من قبلهم هم الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ [النور: ٢٧]، وورود الحكم للطفل في مبدأ الاستئذان على هذه الصورة المكررة المبالغ فيها جدير بالاعتبار والاتعاظ كما قال عن ذلك الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «والتكرير للتأكيد والمبالغة في طلب الاستئذان وإضافة الآيات إلى ضمير الجلالة لتشريفها فهو يقوي أمر التأكيد والمبالغة»[(٢)].

وفي هذه الأحكام القرآنية دليل كمال التشريع الرباني الذي خلق الإنسان وعلم مراحل خلقه وأطوار نموه وغرائزه بأن شرع له الآداب السامية والأخلاق الحميدة وطالب أولياء الأمور بتدريب الأطفال عليها منذ الصغر[(٣)].

□ ثالثاً: تأديب الناشئة بآداب المجلس في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ [المجادلة: ١١]، فالمنهج الإسلامي تناول كل شأن من شؤون الحياة حتى جلوس المسلم وكيفية مجالسته لإخوانه[(٤)] فهي من الآداب الاجتماعية التي ينبغي على الناشئة تعلمها والتعود عليها لتصبح صفة من الصفات الحسنة، **ومن هذه الآداب:**

---

(١) هو: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، الألوسي، مفسر ومحدث، وأديب من المجددين، من أهل بغداد، كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً، تقلد الإفتاء ثم انقطع للعلم له مصنفات، منها: «روح المعاني» في التفسير، و«دقائق التفسير»، و«كشف الطرة عن الغرة»، توفي في بغداد سنة (١٢٧٠هـ).
انظر: الأعلام ٧/ ١٧٦.

(٢) روح المعاني ١٨/ ٣١٦.

(٣) انظر: أدب الاستئذان ص٤٦.

(٤) انظر: منهاج المسلم ص٩٧.

١ ـ التفسح في المجالس:

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة].

فالتفسح في المجالس من الآداب التي حث عليها القرآن الكريم ودعا إلى القيام بها «لأن تفسح المسلمين بعضهم لبعض في المجالس محموداً مأموراً به وجوباً أو ندباً؛ لأنه من المكارمة والإرفاق... ومن مكملات واجب التحاب بين المسلمين، وإن كان فيه كلفة على صاحب البقعة يضايقه فيها غيره فهي كلفة غير معتبرة إذا قوبلت بمصلحة التحاب وفوائده، وذلك ما لم يُفْضِ إلى شدة مضايقة ومضرة، أو إلى تفويت مصلحة من سماع أو نحوه، مثل مجالس العلم والحديث وصفوف الصلاة، فالغرض هو إيجاد الفسحة في النفس قبل إيجاد الفسحة في المكان، ومتى رحب القلب اتسع وتسامح واستقبل الجالس إخوانه بالحب والسماحة، فافسح لهم في المكان عن رضى وارتياح»[(١)].

إذاً في حالة امتلاء المجلس وعدم وجود مجال لمن يدخل من جديد ينبغي للناشئة أن يؤثروا الذين لهم امتياز في العلم أو التقوى أو الإيمان أو كبار السن على أنفسهم ويقدموا مكانهم لهم احتراماً لمكانتهم أو لسنهم بإعطائهم المكان اللائق بهم في المجلس.

وقد يكون المجلس فيه فسحة ولكن من باب الاحترام لهم أن يكون جلوس الرؤساء والعلماء في مكان خاص كالصدارة في المجلس، فمن المستحسن إعطاؤهم المكان الخاص وإن كان ذلك يتم بقيام الإنسان من مكانه وجلوسه في مكان أخفض منه ما دامت المبادرة من الجالس لا ائتمار بأمر القادم.

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥١٢، والتحرير والتنوير ٢٨/ ٣٨.

٢ ـ النهي عن التناجي:

من الآداب الإسلامية في الاجتماعات هو اجتناب النجوى في المجالس العامة التي يحضرها الآخرون وهم يرونهم.

«والنجو: السر بين اثنين، يقال: نجوته نجواً؛ أي: ساررته، وكذلك ناجيته، والاسم النجوى»[(١)].

«والتناجي المنهي عنه هو أن يتسارَّ اثنان دون الثالث، والعلة في ذلك حتى لا يدخل الحزن إلى قلب الثالث لما يراه من تسارِّ صاحبيه والشيطان حريص كل الحرص على إدخال الحزن والوساوس والشكوك على قلب المسلم»[(٢)]، وقد جاء النهي والتحذير من النجوى في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة].

ومن السُّنَّة قول النبي ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه**»[(٣)].

وأما إن كان القوم أربعة فما فوق فلا بأس بذلك لانتفاء العلة «فهذا أدب رفيع كما أنه وتحفظ حكيم لإبعاد كل الريب والشكوك، فأما حيث تكون هناك مصلحة في كتمان سر أو ستر عورة في شأن عام أو خاص فلا مانع من التشاور في سر وتكتم»[(٤)].

٣ ـ حسن الاستماع:

وقد ربط القرآن الكريم بين الاستماع وحسن الإنصات في قوله

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص٤٨٦، ولسان العرب ٤/ ٢٠٥.

(٢) الآداب، الشلهوب ص١٠٨.

(٣) رواه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، حديث رقم (٢١٨٤).

(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥١١.

تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف]، فيربى الناشئ أولاً على حسن الاستماع لكلام الله ﷻ والإنصات له، ثم الاستماع إلى كلام الآخرين من والدين ومن هم أكبر منه شيئاً دون مقاطعة وإذا أشكل على الناشئ شيء من كلام محدثيه فإن عليه الانتظار حتى الانتهاء من الحديث ثم سيتفهم عمّا أشكل عليه في غاية الأدب واللطف، وقد كان هذا هو نهج أطفال الصحابة ﷺ إذا حضروا مجالس الكبار، فعن عبد الله بن عمر بن الخطاب(١) ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أخبروني شجرة مثلها مثل المسلم تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ولا تحت ورقها**» فوقع في نفسي النخلة فكرهت أن أتكلم وثم أبو بكر(٢) وعمر(٣)(٤).

وهناك آداب اجتماعية في المجلس يجدر بالطفل أن يعوّدها «كأن لا يبصق في مجلسه، ولا يتمخَّط ولا يتثاءب بحضرة غيره، ولا يستدبر غيره ولا يضع رِجلاً على رِجل، ولا يضع كفه تحت ذقنه، ولا يعمد(٥) رأسه بساعده ويعلم كيفية الجلوس، ويمنع كثرة الكلام، ويمنع اليمين رأساً صادقاً أو كاذباً حتى لا يعتاد ذلك في الصغر، ويمنع أن يبتدئ بالكلام، ويعوّد ألا يتكلم إلا جواباً، ويقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه»(٦).

---

(١) سبقت الترجمة له.
(٢) سبقت الترجمة له.
(٣) سبقت الترجمة له.
(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال، رقم الحديث (٦١٤٣).
(٥) عمد الشيء عمداً: أقامه بعماد، والمعنى هنا: إقامة الرأس باليد وفيه إراحة لعضلات العنق، ولكنه لا يحبذ أن يقوم به طالب العلم في دروس التعليم أدباً. انظر: المعجم الوسيط ٢/٦٢٦.
(٦) إحياء علوم الدين ١/٩٣٦.

٤ ـ حق الطريق عند الجلوس فيها:

١ ـ غض البصر فلا يفتح بصره في مارة من المؤمنات أو واقفة ببابها أو مستشرفة على شرفات منزلها أو مطلة على نافذتها لحاجاتها، كما لا يرسل نظرة حاسد لأحد أو ازدراء أحد.

٢ ـ أن يكف أذاه عن المارة من سائر الناس فلا يؤذي أحداً بلسانه ساباً أو شاتماً أو عاتباً مقبِّحاً، ولا بيده ضارباً، ولا سالباً لمال غيره غاضباً، ولا معترضاً في الطريق صادّاً المارة قاطعاً سبيلهم.

٣ ـ أن يرد السلام على كل من سلَّم عليه من المارة؛ إذ إن رد السلام واجب لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

٤ ـ أن يرشد الضال، فلو استرشده أحد في بيان منزل أو هداية إلى طريق أو تعريف بأحد من الناس، وجب عليه أن يبين له ويعرفه بغيته[(١)].

وقد حذر النبي ﷺ من الجلوس في الكرمان كما مر بنا إلّا أن تعطى الطريق حقها كما ذكرنا: «**إياكم والجلوس في الطرقات**»، فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها قال: «**إذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها**». قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»[(٢)].

□ رابعاً: تأديب الناشئين بآداب الكلام في القرآن الكريم:

أهمية الكلام وخطورته:

«إن الكلام نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على الإنسان، ولكننا نرى الإنسان ينطق ويعبر ويبين ويتفاهم ويتجاوب مع الآخرين، فننسى بطول

---

(١) انظر: منهاج المسلم ص٩٨، ٩٩. (٢) سبق تخريجه.

الألفة عظمة هذه الهبة وضخامة الخارقة فيردنا القرآن إليها ويوقظنا لتدبرها في مواضع شتى»[١]، ومنها قوله سبحانه في بيان هذه النعمة: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن]، وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ [البلد].

واللسان أداة الكلام ووسيلة لإظهاره «وهو نعمة من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير جِرمه عظيم طاعته وجُرمه ـ إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان... فاللسان رحب الميدان ليس لمجاله منتهى وحَدّ»[٢].

ويؤكد خطورته بأنه محاسب بكل ما يتلفظ به من قول، قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق].

وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار].

وقد تعجب الرسول ﷺ حين يسأله معاذ رضي الله عنه: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فأجابه قائلاً: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**»[٣].

ونظراً لأهمية الكلام وخطورته كان على المربي واجب تأديب الناشئة بآداب الكلام ليتحلى بها، ومنها:

١ ـ نهي الناشئة عن السباب والفحش في القول:

وجه القرآن الكريم عباده إلى تجنب الكلمات والألفاظ البذيئة،

---

(١) في ظلال القرآن ٦/٣٤٤٦.
(٢) إحياء علوم الدين ٢/٩٨٧ بتصرف.
(٣) رواه الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم الحديث (٢٦١٦). قال الترمذي: حسن غريب. قال الشيخ الألباني: صحيح في سنن الترمذي ص٥٩٠.

وأن ذلك من السوء من القول، قال سبحانه: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النساء]. والسوء من القول: «ما يسوء من يقال فيه كذكر عيوبه ومساوئه، والله تعالى لا يحب من عباده أن يجهروا فيما بينهم بذكر العيوب والسيئات؛ لأن في هذا الجهر كما يقول صاحب المنار مفسدتين كبيرتين هما:

١ ـ أنه مجلبة للعداوة والبغضاء بين من يجهرون بالسوء ومن ينسب إليهم هذا السوء، الأمر الذي قد يفضي العداوة إلى هضم الحقوق وسفك الدماء.

٢ ـ إن الجهر بالسوء بذكره على مسامع الناس يؤثر في نفوس السامعين تأثيراً ضاراً، فإن الناس يقتدي بعضهم ببعض»[(١)].

والقول السيء نوع من أنواع الإيذاء الذي نهى الله عَجَّلَ عنه، وذكر سبحانه في كتابه الكريم أنه يترتب عليه إثم عظيم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب].

وقد أكد الرسول ﷺ على «**أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[(٢)].

فسباب المسلم فيه: «خروج عن الاستقامة وجور[(٣)] يرتكبه الإنسان في حق أخيه المسلم».

والسبُّ: «كلام يدل على تحقير أحد أو نسبته إلى نقيصة أو معرَّة بالباطل أو بالحق»[(٤)].

---

(١) تفسير المنار ٦/٣، ٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المسلم من أن يحبط عمله، رقم الحديث (٤٨)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**سباب المسلم فسوق**»، رقم الحديث (٦٤).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث ص٧٠٦.

(٤) التحرير والتنوير ٧/ ٤٢٧.

وإذا كان هذا النهي في حق المسلم كذلك نهى القرآن الكريم عن سب المشركين لما في ذلك من آثار ضاره كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ [الأنعام: ١٠٨]. وقد ينتشر بين بعض الناشئة بعضاً من السب واللعن والشتم وألفاظ وكلمات مبتذلة، وقد يكون السبب في ذلك يرجع إلى مجتمع الأسرة من والدين وإخوة نتيجة لترديد مثل هذه العبارات أمام الناشئ منذ أن كان صغيراً فيكتسبها وينشأ عليها فينبغي على الوالدين الاهتمام بما يصدر منهم من كلمات وألفاظ وأن يكونا القدوة الصالحة في إكساب الناشئة الطيب من الكلام والبعد عن كل ما هو فاحش من القول.

٢ ـ حثّ الناشئة على خفض الصوت وعدم رفعه:

من أدب الكلام خفض الصوت وعدم رفعه وقد جاء التوجيه القرآني في الحثّ على هذا الأدب، ويظهر هذا التوجيه جلياً فيما جاء على لسان لقمان الحكيم في وصاياه لابنه وهو يعظه بمواعظ جليلة جاء منها: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان]. وقد أشرنا إلى هذا الأدب سابقاً[1].

٣ ـ نهي الناشئة عن تزكية النفس:

إن الحديث الذي يكون مصحوباً بتزكية النفس ومدح الذات يترك انطباعاً سلبياً لدى السامع، ومدح النفس غالباً ما يكون نتيجة حب في الظهور والتمييز[2] عند الآخرين، ونلحظ ذلك عند بعض الناشئة عندما يعدد مزايا ما عنده ويكثر الكلام عن نفسه ومآثره ولو كان صادقاً، وهذا

---

(١) انظر: ص١٩١ من هذا البحث.

(٢) انظر: أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن، عودة عبد عودة ص٢٩٠.

ليس من الأدب، وقد نهى الله ﷻ عن تزكية النفس: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: تمدحوها وتمنوا بأعمالكم»[(١)].

٤ ـ نهي الناشئة عن السخرية بالآخرين والتنابز بالألقاب:

«والسبب في هذا النهي وتأديب الناشئة على الابتعاد عنه؛ لأنها تؤدي إلى أسباب الفرقة التي تؤدي إلى الشقاق والمشاحنات والبغضاء، فالسخرية بالخلق والازدراء بالناس والهمز واللمز والتنابز بالألقاب ما هي إلا عوامل للفساد، ومعاول لهدم الأخوة بين المؤمنين، بل هي الفسوق الذي لا يناسب الإيمان الذي يتحلى ويتجمل به المؤمنون البررة، وقد نهى الله ﷻ عن هذه العوامل المهلكة المكدرة لصفو المجتمع»[(٢)]، فقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات]، والسخرية: هي احتقار الآخرين والاستهزاء بهم والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه: وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء[(٣)].

وتلمزوا أنفسكم: بأن لا يعيب بعضكم على بعض واللمز بالقول، والهمز بالفعل.

ولا تنابزوا بالألقاب: أي: لا يعيِّر أحدكم أخاه، ويلقبه بلقب ذم

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٦.
(٢) نظرات في سورة الحجرات، محمد محمود الصواف ص١٠٨، ١٠٩.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٧٦، وتفسير ابن كثير ٤/ ١٨٧، وتفسير ابن السعدي ص٨٠١، وإحياء علوم الدين ٢/ ١٠١٣.

يكره أن يطلق عليه، فلا يتداعوا بالألقاب التي يسوء الشخص سماعها[١].

وبناء على ما سبق ينبغي أن يؤدب الناشئ على اجتناب السخرية من الآخرين باحتقارهم والاستهانة بأقوالهم أو خلقتهم بأن يكون معاقاً لا يستطيع الكلام بوضوح، أو ذو طبيعة خاصة، أو السخرية من أسرته ونسبه، وأن يجتنب كل ما يؤذي أخيه المؤمن فلا يلقبه ويناديه بما يؤذيه، وربما يصل التنابز بالألقاب إلى مستوى الشتيمة؛ كالنبز بالحمار، والكلب، فمن أدب المؤمن ألا يؤذي أخاه بمثل هذا وقد توعد الله ﷻ في كتابه العزيز لمن كانت فيه هذه الصفة بقوله سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة]. «وقد غيَّر الرسول ﷺ أسماء وألقاباً كانت في الجاهلية لأصحابها، أحس فيها بحسه المرهف، وقلبه الكريم، بما يزري بأصحابها، أو يصفهم بوصف ذميم»[٢].

وأيضاً لما في هذه الصفات الذميمة من قطع الروابط الاجتماعية القائمة على الأخوة والتوادّ والتراحم، ونبذ بذور العداوة والبغضاء، وهي ظلم من الإنسان لأخيه الإنسان، وعدوان على حقه عليه[٣].

٥ ـ نهي الناشئة عن الغيبة والنميمة:

من الأمور التي وجه القرآن الكريم لاجتنابها لمنافاتها أدب الكلام الغيبة والنميمة، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

والغيبة كما عرفها الرسول ﷺ: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته**

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١٨٧، وتفسير ابن السعدي ص٨٠١.

(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٤٤.

(٣) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها ٢/ ٢٣٣ ـ ٢٣٧.

وإن لم يكن فيه فقد بهته»[١]، وقيل: الغيبة: أن يذكر الإنسان غيره بما فيه من عيب من غير أن أحوج إلى ذكره سواء ذكره بنقص في بدنه أو في نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره، ودابته[٢].

ويكفي بالناشئ وعظاً أن يقوم الوالدين ببيان معنى هذه الآية السابقة التي تنهى عن الغيبة بشكل يقرب له المعنى المراد غرسه في نفس الناشئ، وكيف أن القرآن الكريم صور من يغتاب أخيه المسلم كمن يأكل لحم إنسان ميت، فيوجه السؤال للناشئ هل يستطيع أكله وتناوله؟ فيجاب عليه، فكما تكره أكل لحم أخيك ميتاً فلا تأكل لحم أخيك حياً بغيبة عندما تغتابه وفي هذا التصوير تنفير عن هذا الفعل القبيح والابتعاد عنه.

«والغيبة تشتمل على مفسدة وضعف في أخوة الإسلام. وقد تبلغ الذي اغتيب فتقدح في نفسه عداوة لمن اغتابه فينثلم بناء الأخوة، ولأن فيهما الاشتغال بأحوال الناس وذلك يلهي الإنسان عن الاشتغال بالمهم النافع له وترك ما لا يعنيه»[٣].

أما النميمة فهي: «الوشاية، وهي نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشرّ»[٤][٥].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر، باب تحريم الغيبة، رقم الحديث (٢٥٨٩).

(٢) انظر: إحياء علوم الدين ٢/ ١٠٢٨، والمفردات في غريب القرآن ص٣٧٠.

(٣) التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٥٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث ص٩٤٣، والمفردات في غريب القرآن ص٥٠٨.

(٥) والفرق بين الغيبة والنميمة كما ذكر ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن النميمة نقل حال شخص لغيره على جهة الإفساد في غير رضاه سواء كان بعلمه أم بغير علمه، أما الغيبة فذكره في غيبته بما لا يرضيه، فامتازت النميمة بقصد الإفساد، ولا يشترط ذلك في الغيبة، وامتازت الغيبة بكونها في غيبة المقول، واشتركا فيما عدا ذلك». فتح الباري ٧/ ١٨١.

وقد يوجد في وسط الناشئة من ينقل الكلام للإفساد بين صديقين أو بين أخيين، وهذا من أخبث وسائل التفريق الشيطانية، فيحذَّر الناشئ بأن هذا الفعل منهي عنه، وقد جاء التحذير منه في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم].

وأن الله سبحانه يبغض من يفعله، وأن صاحبه يعذب في قبره، ويذكر له حديث الرسول ﷺ، فعن ابن عباس قال: «مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: «**يعذبان وما يعذبان في كبير**»، ثم قال: «**بلى كان أحدهما لا يستتر من بوله وكان الآخر يمشي بالنميمة**»، ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال ﷺ: «**لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا**»[(١)]، فهذا الحديث سبيلاً لترهيب الناشئة من هذا الفعل والابتعاد عنه.

ويبقى أن نقول: أن التزام الناشئ بالآداب الاجتماعية أمر ضروري في حياته؛ لأنها أساس التعامل مع الآخرين ومن خلالها تقوى علاقته بهم أو تضعف ولكن الدور العظيم يبقى على الوالدين في تنمية هذه الآداب عند الناشئة والحث المستمر على تطبيقها.

◻ خامساً: أساليب تأهيل النشء في مجال الآداب الاجتماعية العامة في ضوء القرآن الكريم:

لقد سلك القرآن الكريم أساليب عديدة في بيان الآداب الاجتماعية والحث على تطبيقها، **ومن هذه الأساليب:**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، رقم الحديث (٢١٦).

١ ـ الحث على حسن الأدب:

وقد تجلى ذلك في عدة آداب اجتماعية منها:

أ ـ رد التحية.

لذلك أمر الله تعالى بردِّها، وأن يكافئ المحسن تحيته بتحية أفضل ليشعر بالأمان: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء].

وقد جاءت الملائكة إبراهيم فحيَّوه بالجملة الفعلية، والفعل يدل على الحدوث، فأجابهم بتحية دلت على الثبوت وذلك بالجملة الاسمية، فكان رده أحسن ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [الذاريات].

ب ـ الحث على التفسح في المجالس:

فقد كان المسلمون يتنافسون في مجلس النبي ﷺ أو غيره من المجالس، فأمرهم الله بالتواضع والإيثار وأن يفسحوا في المجلس لمن أراد الجلوس عند النبي ﷺ ليتساوى الناس في الأخذ من حظهم من رسول ﷺ[1]، ولهذا حث سبحانه على هذا الأدب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١].

وعلى طريقة القرآن في استجاشه الشعور عند كل تكليف، فإنه يعد المفسحين في المجالس بفسحة من الله لهم وسعة، ويعد الناشرين الذين يرفعون من المكان ويخلونه عن طاعة لأمر الرسول برفعة في المقام، وذلك جزاء تواضعهم وقيامهم عند تلقي الأمر بالقيام.

---

(١) انظر: من أساليب التربية في القرآن الكريم ص٤٥، ٤٦.

وهكذا يتولى القرآن تربية النفوس وتهذيبها، وتعليمها الفسحة والسماحة والطاعة بأسلوب التشويق والاستجاشة(١).

ج ـ الحث على أن تكون النجوى بما فيه خير وطاعة:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المجادلة].

د ـ البيان لكيفية تطبيق بعض الآداب:

فمن ذلك آداب السلام والاستئذان.

فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [النور].

فذلك منهج متكامل في دخول الناس على الناس والأدب الإسلامي الرفيع في ذلك، وقد استكمل هذا المنهج بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾ [النور].

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥١٢ بتصرف يسير.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

حيث تطرقت الآيات إلى موضوعات تفصيلية لا بد منها لاستكمال أدب الاستئذان في الشريعة الإسلامية الغراء.

هـ ـ الترغيب في الكلام الطيب:

يقوله الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم].

وهكذا تفعل الكلمة الطيبة في نفوس السامعين، تدخل القلوب دون استئذان ويتبؤوا المكانة المقبولة في نفوسهم ويستمعون له ويحبونه، أما الكلمة الخبيثة فعلى العكس من ذلك تنفر الناس من صاحبها ويجدونه ثقيلاً على قلوبهم(١).

وقد جاء التأكيد من الله ﷻ إلى أهمية الكلمة الطيبة كما في الآية السابقة، وكذلك القول الحسن أو القول المعروف أو القول السديد أو القول الميسور أو القول الكريم في آيات كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقوله: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب]، وقوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

٢ ـ النهي عن سوء الأدب.

مثل النهي عن بعض الآداب السيئة.

---

(١) من أساليب التربية في القرآن ص٧٩.

لقوله تعالى في النهي عن السخرية بالألقاب.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات].

والنهي عن الغيبة والنميمة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات].

وكذلك النهي عن تزكية النفس، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

٣ ـ مدح المترفعين عن سوء الأدب.

مدح الله ﷻ الذين هم عن اللغو معرضون بأن هذه من صفات المؤمنين الذين كتب الله لهم الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ [المؤمنون]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾ [الفرقان].

وقد ذم الله ﷻ بالمقابل كل همّاز كثير العيب للناس والطعن لهم بالغيبة والاستهزاء، وكل مشاء بنميم يمشي بين الناس بالنميمة ينقل كلام بعض الناس لبعض بقصد الإفساد بينهم وإرساء العداوة والبغضاء(١). كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١﴾ [القلم].

---

(١) انظر: تفسير السعدي ص٨٧٩ بتصرف.

٤ ـ الترهيب ببيان العقوبة.

صوَّر ﷻ: «من يعيب الناس، ويغتابهم ويطعن في أعراضهم أو يلمزهم سراً بعينه أو حاجته ويوقع بين الناس، بالنار... والإحراق، فهذا جزاؤه المناسب»[(١)].

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهمزة]، فالهماز: الذي يعيب الناس ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز: الذي يعيبهم بقوله[(٢)].

٥ ـ حوار الأنبياء مع أقوامهم تمثل نماذج حية لأدب الكلام.

إن حوارات الأنبياء مع أقوامهم تشير بكل وضوح إلى أدب الأنبياء في كل كلمة تفوهوا بها ومن هؤلاء الأنبياء.

نوح ﷵ ويظهر: «أدبه مع قومه في الطريقة التي قدَّم فيها دعوته، من حيث التمهيد في الطرح، والوضوح في العرض، هذا من جهة ومن جهة أخرى من حيث الطريقة التي حاور فيها قومه حيث كان حريصاً في حواره على تحقيق الألفة معهم، ولجأ إلى استثارة عقولهم من خلال صيغ الاستفهام والاستدلال الواقعي، ولم يتهمهم مباشرة بالضلال، بل لجأ إلى صيغة البناء للمجهول وأجاب على جميع تساؤلاتهم بالحكمة واللين»[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢٥ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝٢٦ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ۝٢٧ قَالَ يَٰقَوْمِ

(١) من أساليب التربية في القرآن ص٤٦. (٢) تفسير السعدي ص٩٣٤.
(٣) أدب الكلام ص٣٦٥، ٣٦٦.

أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود].

«ومن المواقف الحوارية التي تدل على أدب إبراهيم عليه السلام موقفه مع أبيه وموقفه مع ولده، فبالنسبة لحديثه مع أبيه الكافر فقد كان في غاية الرفق واللين، مذكّراً إياه بصلة الأبوة التي تربطه به، وتواضع أمامه عن تزكية نفسه، كما أظهر خوفه على مصيره إن هو استمرّ على سلوكه، أما حديثه مع ولده فكان هو الآخر في غاية الرفق، فقد عرض عليه موضوع الرؤيا بأدب طالباً رأيه في الموضوع، وفي حين قابل آزر إبراهيم بكل جحود وعناد وسوء، فإن إسماعيل قابله بكل طاعة وأدب واحترام»[1] قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي

(١) أدب الكلام ص٣٦٥، ٣٦٦.

حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم].

أما حواره مع ابنه قال ﷻ: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات].

«**ومن المواقف الحوارية التي تدل على أدب يوسف** عليه السلام، موقفه مع السجناء وموقفه مع إخوته، ففي موقفه مع السجناء استمع للسجينين اللذين يطلبان تعبير الرؤيا بكل أدب، وبدأ حديثه معهما بأسلوب التشويق ولفت الانتباه، متخذاً منهما صاحبين له، أما موقفه مع إخوته فقد قابل كل ما قاموا به من تآمر بالعفو وحسن الكلمة ولم يأت أمامهم على ذكر ما حلّ به من مصائب بسببهم بل اعتبر أن كل ما أصابه كان بسبب الشيطان»[(١)].

فمن حواره مع السجناء قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ

(١) أدب الكلام ص٣٦٦.

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف].

أما موقفه مع إخوته: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف].

وأخيراً اللقاء بالأبوين: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

«ومن مواقف أدب الكلام في قصة موسى عليه السلام المواقف الحوارية لموسى مع فرعون ومع قومه ومع الخضر، فعلى الرغم من جبروت فرعون إلا أن موسى كان يخاطبه بالقول اللين، التزاماً بالتوجيه القرآني بذلك، وعلى الرغم مما واجهه به قومه من المماطلة وكثرة الأسئلة إلا أنه كان يقابل كل ذلك بحلم وسعة صدر، أما موقفه مع الخضر عليه السلام فيمثل الأدب المتبادل من الطرفين»(١).

أما الحوار الذي دار بين موسى وفرعون: فقد ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ

---

(١) أدب الكلام ص٣٦٦.

(٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (٣١) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ (٣٣)﴾ [الشعراء].

أما موقف موسى مع قومه «قصة البقرة»، ففيه الحوار التالي: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ (٦٧) قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ (٦٩) قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ (٧١)﴾ [البقرة].

وأخيراً هذا هو موقف موسى مع الخضر عليهما السلام: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا (٧٣) فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا (٧٤) ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا (٧٦)﴾ [الكهف].

وكل هذه المواقف دروس في أدب الحوار، وأدب التعامل، وأدب

الاجتماع تبقى على مرّ الأيام لوحات مضيئة يقتدي بها المربون ليستقوا منها ما يشدّ أزرهم في نماذج بشرية رائعة كانت بتزكية من الله وبحفظ من الله.

الفصل الثالث

أثر إعداد وتأهيل الناشئة
وأثره في مواجهة الأخطار المعاصرة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: جوانب وأنواع الأخطار الداهمة على الناشئة عبر وسائل الغزو الفكري والعقدي.

المبحث الثاني: نماذج من الأخطار الداهمة عبر ثورة نقل المعلومات المعاصرة ووسائل الإعلام الوافدة.

المبحث الثالث: خطر بعض النظريات المعاصرة وبيان المآخذ الشرعية عليها.

المبحث الرابع: الأثر الضار لبعض التطبيقات المعاصرة على الناشئة في مراحلها العمرية المختلفة.

المبحث الخامس: ضرورة التزام المنهج القرآني لإعداد الناشئة ودوره الهام وأثر ذلك في مواجهة كافة أسباب الانحراف المعاصرة.



المبحث الأول: جوانب وأنواع الأخطار الداهمة على الناشئة عبر وسائل الغزو الفكري والعقائدي

❐ **تمهيد: تعريف الغزو الفكري:**

إن مصطلح الغزو الفكري يتكون من كلمتين هما: الغزو، والفكر.

فالغزو في اللغة: غزاه غزواً: أراده وطلبه، وقصده؛ كاغتزاه، والعدوَّ: سار إلى قتالهم وانتهابهم، غزواً، وغزواناً. وغزاوةً: وهو غازٍ[(١)]. والغزو: السير إلى قتال العدوِّ وانتهابِهِ[(٢)].

والفِكْرُ: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول[(٣)]، والفكريّ وصف بالنسب إلى الفكر، وعلى ما تقدم فالغزو الفكري تعبير مجازي، يقصد به محاربة الخصم، ومحاولة القضاء عليه، بغير الطرق القتالية الحسّية.

ويمكن تعريف الغزو الفكري المعادي للإسلام بأنه: «قيام أعداء الإسلام وخصومه بمحاربته، ومحاولة القضاء عليه وإيقاف مده، وإخراج المسلمين منه أو صرفهم عن التمسك به، لإحكام السيطرة عليهم، واستغلالهم وشلِّ بواعث القوة فيهم بالطرق غير العسكرية»[(٤)].

والفرق بين «الغزو الفكري»، و«الغزو العسكري»: أن الغزو العسكري يأتي للقهر، وتحقيق أهداف استعمارية، دون رغبة الشعوب

---

(١) القاموس المحيط (غزو) ٤/ ٣٧٢.
(٢) لسان العرب (غزا) ١١/ ٤٦، ٤٧.
(٣) المعجم الوسيط ٢/ ٦٩٨.
(٤) الغزو الفكري التحدي والمواجهة، د. إسماعيل علي محمد ص١٣، ١٤.

المستعمرة؛ أما الغزو الفكري فهو لتصفية العقول والأفهام لتكون تابعة للغازي، وقد يكون الغزو الفكري أشد وأقسى؛ لأن الأمة المهزومة فكرياً تسير إلى غازيها عن طواعية، وإلى جزارها عن رضا واقتناع، وهي لا تحاول التمرد أو الخلاص[١].

❐ وسائل الغزو الفكري والعقائدي وجوانب من أخطارهما:

أولاً: التعليم والثقافة:

إن من أهم روافد الغزو الفكري هما التعليم والثقافة، فمن خلالهما تتكون أفكار الأمة وتصوراتها لمختلف القضايا السياسية والاجتماعية والعسكرية، ولأنهما من الأسس التي تقوم عليها نهضة الأمم والشعوب وأن السيطرة عليها يعني: السيطرة على فكر الأمة ومستقبله[٢]، ومجال التعليم من أخطر المجالات، والسيطرة عليه سيطرة على مستقبل الأمة وتحكُّم في خطواتها في كافة ألوان النشاط البشري، وما دخل الاستعمار بلداً إلا وكانت ضربته الأولى نحو سياسة التعليم ونظمه في ذلك البلد، وقبل الاستعمار كان التعليم في البلاد الإسلامية في المدارس والكتاتيب والمساجد والمعاهد والجامعات، يتعلم الطلبة فيها الدين والعلوم الأخرى التي تتطلبها حاجات الناس في مجتمعاتهم، فتخرج هذه المؤسسات التعليمية المسلم الفاهم لدينه القادر على العمل والكسب الشريف، فلما جاء الاستعمار وجَّه كل اهتمامه نحو إفساد التعليم، فجاء بخطط ومناهج ومواد تعليمية يؤكد من خلالها في نفوس

---

(١) الغزو الفكري في التصور الإسلامي وكيفية مواجهته، د. أحمد عبد الرحيم السايح ص٣.

(٢) انظر: الغزو الفكري في الخليج العربي، سعيد عبد الله المهيدي ص٢٥٧ رسالة ماجستير.

المتعلمين احترامهم فكر الغرب وحضارته وثقافته من جانب، ويزري بالفكر الإسلامي وحضارته وثقافته من جانب آخر(١).

ويمكن القول أن أهم وسائل الغزو الفكري التعليمي والثقافي كانت عبر:

١ ـ إنشاء المدارس الخاصة:

إن المؤسسة التربوية والتعليمية هي المحضن الرئيسي الذي يتربى فيه الناشئة. ولذا فإن السيطرة على هذا المحضن تضمن تنشئة جيل يؤمن بالفكر الذي أنشأها، ولقد وعى الغزو الفكري هذا المحضن وأهميته فأعطاه اهتماماً كبيراً، فجعل من هذه المؤسسة التعليمية وسيلة إفساد وتدمير بتفريغ الشخصية الإسلامية من معاني دينها العظيم وأخلاقها الكريمة وإغرائها بفوارغ الأمور(٢).

ولهذا قام الغرب بإنشاء المدارس المنتشرة في كل مكان، وقد تنوعت أساليبهم في السيطرة على المدارس وذلك من خلال المدارس الخاصة التي تقام بأيدي «دعاة الغزو الفكري.. وتكون تابعة لهم يديرونها بأنفسهم أو بأعوانهم، وتخضع كلياً لمناهجهم وأفكارهم التي يبثونها في الناشئة، كل ذلك يفتح الطريق أمام الغزو الفكري من خلال هذه المدارس التي تكون عادة على درجة من التنظيم الإداري والعلمي ومجهزة بأحدث الأجهزة العلمية والتربوية، والترفيهية، مما يجعل الرغبة في إرسال الطلبة إليها ماثلةً عند أولياء أمورهم.

وتدفع هذه المدارس إلى المجتمع جيلاً تربى تربية غربية مخالفة في

---

(١) انظر: الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر، علي عبد الحليم محمود ص١٢٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ص١٢٧.

تصوراتها وأفكارها ومفاهيمها للقيم والمبادئ التي يقوم عليها المجتمع، وهي القيم والمبادئ الإسلامية، وهذه المدارس اشتملت على مختلف مراحل التعليم ابتداء من رياض الأطفال والابتدائية ومروراً بالمتوسطة والثانوية إلى الكليات والجامعات»(١).

٢ ـ الدعوة إلى الاختلاط بين الجنسين:

إن الاختلاط بين الطلاب والطالبات دعوة دعا إليها غزاة الفكر ابتداء من المرحلة الابتدائية ومن ثَمَّ المرحلة المتوسطة والثانوية، وذلك حتى يتعوَّد كل من الجنسين على الآخر وما ينتج من ذلك من نشر للرذيلة وانحطاط للخلق بين الطلاب والطالبات، وبالتالي فساد الأجيال والانغماس في مهاوي الردى(٢).

٣ ـ المناهج الدراسية:

يكوّن المدرس والطالب والمنهج محاور هامة للعملية التربوية، ولقد كانت المناهج دائرة الاهتمام عند دعاة الغزو الفكري، فقد عمدوا إلى توجيه المناهج وفقاً لما يخططون له، ونلحظ ذلك في الكتب التي تقدم للطلاب سواء كانوا في مدارس حكومية أو خاصة، أما المدارس الحكومية فإنها لا تخضع لسيطرة مباشرة من قبل دعاة الغزو الفكري فكان الهدف الأساسي الوصول إلى أفكار الطلاب عن طريق المناهج التي تقدم إليهم فأوجدوا الغزو الفكري فئة من أبناء المسلمين تحمل فكراً مخالفاً للإسلام يقوم دورهم على التخطيط والتأليف لمناهج الطلاب تحقق الدور الذي يسعى له الغزو الفكري.

أما في المدارس الخاصة فيبدو الأمر أكثر سهولة ويسراً؛ لأن

(١) الغزو الثقافي في الخليج العربي ص٢٦٦، رسالة ماجستير.
(٢) انظر: الغزو الفكري للأمة الإسلامية ماضيه وحاضره، منصور الخريجي ص١٥٧.

المناهج وتأليف الكتب بيدهم، ولذا فهم يضعون المناهج تبعاً لما يرون، وتكون عادة من مناهج مستوردة من كتب أجنبية تعرض الإسلام بصورة مشوهة بينما تمجد الحضارة الغربية والنصرانية[١].

وقد عملوا على تمييع المناهج الإسلامية باسم التطوير، ولم يكن الأمر قاصراً على المعاهد والكليات الدينية بل امتد إلى المناهج في التعليم العام فاقتصرت على القشور واحتوت على التعقيد، وصاحبها سوء اختيار معلم الدين ليورث الطلبة كراهية الدين والسخرية منه[٢].

بالإضافة إلى ذلك فإن هذه المناهج تستورد من دول مختلفة، فبعض المدارس تقوم بتدريس المناهج الإنجليزية وبعضها تدرس المناهج الهندية والأمريكية والفرنسية وغيرها من المناهج. ومن الملاحظ أن استيراد المناهج الغربية إلى البلاد الإسلامية فإذا كانت للأمة عقيدة وأخذت بنظام تعليمي آخر فلا بد أن يحدث نزاع عقلي وعاطفي وينتهي الأمر إلى قبول القيم الوافدة شيئاً فشيئاً والتخلي عن القيم الأصلية[٣].

ومع أهمية كتب تلك المناهج من الناحية العلمية إلا أنه ليس من الحكمة التربوية نقل هذه العلوم والكتب المؤلفة فيها إلى النشء المسلم بروحها وضميرها.

وقد اتفقت كلمة العقلاء وأهل التجربة على أن خسارة الأمة والبلاد في هذا النظام التعليمي، وفي هذه المعاهد ودور التعليم الحديث، كانت أكبر من ربحها، لما نتج عنها من فوضى فكرية هائلة. واضطراب وتناقض في الأفكار والآراء، وشك وارتياب في الدين.

---

(١) انظر: الغزو الفكري في الخليج العربي، سعيد عبد الله ص٢٧٤، ٢٧٥.
(٢) انظر: أساليب الغزو الفكري، علي جريشة ص٦٧.
(٣) انظر: معالم الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان ص١٠٢.

واستخفاف بفرائضه وواجباته، وثورة على الآداب والأخلاق، وضعف وانحطاط في الأخلاق، وتقليد للأجانب في الظواهر وتبذير الأموال، وغير ذلك مما سيرى في جسم هذا الجيل[١].

٤ ـ الكتب المدرسية الموجهة:

الكتاب هو الوسيلة الرئيسية لتلقي العلم والمعرفة، وقد ساعد التطور المادي الحديث على انتشار الكتاب، فتطور وسائل الطباعة والتغليف والتوزيع جعل الكتاب يخرج في حلية بهية من حسن الطباعة وجودة الإخراج.

وكما أن الكتاب وسيلة للمعرفة والاطلاع فهو من أخطر الوسائل لنشر الأفكار الباطلة والمبادئ الهدامة، ومن هنا فقد سعى سدنة الغزو الثقافي الغربي إلى استغلال الكتاب في نشر أفكارهم ومبادئهم لتشويه الإسلام عقيدة وخلقاً وعملاً بواسطة سيل الكتب المتنوعة التي تمجد أوروبا وتصف حضارتها وتطورها وكيف وصلت إلى هذا كله عبر الصراع مع الكنيسة ورجال الدين عندهم حتى عزلوهم عن الحياة والدعوة ـ تصريحاً أو تلميحاً ـ إلى سحب هذا المعنى على كل دين باعتباره طوراً متخلفاً من أطوار الحياة أدى دوره في القرون الوسطى ولا يصلح لمجاراة العصر الحاضر بتقدمه العلمي[٢].

فلنستعرض بعض آراء هؤلاء في الكتب التي يقررونها في مدارسهم التبشيرية، فقد أصدرت مؤسسة فرانكلين فيما أصدرته من مطبوعات سلسلة عنوانها «كيف نفهم الأطفال ـ سلسلة دراسات سيكولوجية».

ومما جاء في العدد الثاني عشر من هذه السلسلة بعنوان «الطفل

---

(١) انظر: نحو التربية الإسلامية الحرة، أبو الحسن الندوي ص٨ ـ ١٠.
(٢) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، عبد الستار فتح الله سعيد ص٩٠.

والأمور الجنسية» جاء في الصفحة (٧٨): «إن خروج الفتيات في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبُّلها في الوقت المناسب على أي حال باعتبارها جانباً من جوانب النمو الجسمي للمراهق»[١].

ثم يأتي دور ترجمة الكتب الأجنبية، فبدلاً من أن يبدأ بترجمة الكتب العلمية ذات الفائدة ـ تترجم مئات من القصص والمسرحيات والكتب التي تحمل الفكر الغربي العلماني الجاحد للدين، وكان الهدف من ترجمة القصص والمسرحيات ونشرها تحطيم التقاليد الإسلامية التي تمنع الاختلاط وتنفر من الفاحشة والتحلل الخلقي، فقد كانت التقاليد عقبة في سبيل الإفساد الخلقي التي يهدف المستغربون إلى إحداثه في المجتمع المسلم، فالذي تعرضه تلك القصص والمسرحيات علاقات غير مشروعة بين رجل وامرأة أو شاب وفتاة، فحين يقرأ الشاب قصة غرامية يلتقي الفتى بالفتاة منفردين ويجري بينهما من الكلام والمواقف ما يجري، يتمنى ضعيف الإيمان فيهم أن يقع له مثل ما يقرأ في القصة أو المسرحية وهو يعرف بأن مجتمعه لا يسمح له بذلك، وإذا جاء اليوم الذي تحطم فيه هذه التقاليد سيكون هو أول المرحبين بذلك[٢].

ثانياً: الإعلام ويتم عن طريق:

١ ـ القنوات التلفازية الفضائية:

إن الغزو الوافد إلينا عن طريق القنوات التلفازية الفضائية تعتبر من أخطر ما يواجه الناشئة اليوم، فمع بداية كل يوم تبدأ القنوات التلفازية

---

(١) انظر: حصوننا مهددة من داخلها، محمد محمد حسين ص٣٩ ـ ٤٣.
(٢) انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب ص٢٣٥ ـ ٢٣٨.

نشاطها المحموم لتغزو العالم الإسلامي وتقتحم على المسلمين بيوتهم مؤدية دوراً خطيراً في قلب مفاهيم الناشئة واهتماماتهم، وتفتح أبوابها وأبواقها، وتسخر أدواتها وإمكانيتها للفكر الانحلالي الغربي[1].

والعديد من برامج القنوات التلفازية العالمية بما فيها العربية والإسلامية لا تخرج عن إطار الإلهاء والتفسخ **حيث تتضمن ما يلي**:

١ ـ برامج ومسلسلات تهدم الأخلاق، تركز موضوعات الغريزة والمجون.

٢ ـ برامج العنف والعدوان والإجرام والقتل والسرقة وغيرها.

٣ ـ برامج تعرض المخدِّرات والتدخين والقمار والتي تدفع بمشاهديها وخاصة الأطفال والشباب إلى التقليد الأعمى ومن ثم تنحرف بسلوكياتهم.

٤ ـ برامج الترفيه والتسلية، بالمعنى المبتذل لمفهوم الترفيه، مع التركيز على جانب إبراز الشخصيات الفنية، وبالمقابل يحدث نقص واضح في الاهتمام بجوانب تهم المسلم بما يتعلق بالتنمية ومشكلاته الحياتية.

٥ ـ الغناء الفاحش والموسيقى الصاخبة.

وواضح ما لهذه البرامج التي تبثها القنوات الفضائية من آثار خطيرة تؤدي إلى زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس النشء. حيث يسعى الغربيون إلى إبعاد المسلمين عن دينهم بأية وسيلة مهما كلف الأمر وبلغ من الجهد فهم يعتبرون الإسلام العدو الأول لهم، ولهذا فإن خططهم الخبيثة ترمي إلى إفساد عقيدة أجيال المستقبل وشبابها للمجتمعات الإسلامية، مع ما يبذله القائمون على التنصير من إنفاق الملايين من

---

(١) انظر: الفضائيات والغزو الفكري، د. محمود عبد الرازق، مجلة الحكمة، العدد (٢٧)، ص١٩ بتصرف يسير.

الدولارات لتحقيق هذه الغاية[١].

ومن البرامج التي تقدم للأطفال بدعوى الترفيه أفلام الرسوم المتحركة أو التي تسمى «أفلام الكرتون»، ولشد انتباه الأطفال فإن بعض الأفلام التي لا تكفي فيها الحركة للتعبير عن المقصود تترجم إلى اللغة العربية بصورة مدبلجة؛ أي: وضع أصوات عربية محل أصوات أجنبية، وعند التأمل في تلك الأفلام المدبلجة المترجمة إلى اللغة العربية فإنه ما من شك في أن الطفل العربي المسلم ستقوى صلته باللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم، ولكن في الوقت نفسه فإنها تفقد المفاهيم الإسلامية، ومقتضيات السلوك الإسلامي التي يحتاجها الطفل المسلم، بل العكس تظهر السلوكيات الهابطة المغايرة.

وأما الأفلام التي أعدت أصلاً لأبناء أهل الغرب كما هي الحال في أفلام الكرتون غير المدبلجة فهي مملوءة بالمخالفات الشرعية؛ فمعظمها في صورتها المترجمة لا تخلو من مظاهر الاقتتال والسكر واللصوصية والاحتيال والكذب، تلك السلوكيات التي تلطخ فطرة أطفالنا وهم في فترة البزوغ والتفتح، فسرعان ما تذبل لما تحدثه تلك الرسوم المتحركة للأطفال من اضطرابات عقدية ونفسية، ومخالفات سلوكية واجتماعية[٢].

٢ ـ المجلات الوافدة:

تتطلب المجلات من الطفل القدرة على أن يقرأ ويفهم ما يقرأ

---

(١) انظر: تقنيات الاتصال والإعلام وآثارها في النشء السعودي «دراسة تقويمية»، د. ضياء الدين بن محمد مطاوع، د. عبد الله بن سعد العمري، مجلة البحوث الأمنية، العدد (٢٢)، شعبان (١٤٢٣هـ)، ص١٧٢، ١٧٦.

(٢) انظر: المترجمات والناشئة، عدنان بن محمد الوزان، مجلة الفيصل، العدد (٢٣٩)، جمادى الأول، (١٤١٧هـ)، ص٥٩ بتصرف يسير.

ويفهم، ومما لا شك فيه ما للقراءة من دور كبير في تكوين الاتجاه الفكري عند الطفل وتكوين المفاهيم العقدية والسلوكية لديه.

ولهذا يسعى غزاة الفكر إلى انتشار تلك المجلات في البلاد الإسلامية لدورها الخطير على الناشئة، ومما زاد من انتشار التقدم التقني من استخدام الأساليب التقنية للطباعة، وبالتالي خروج كتب ومجلات للأطفال بصور ملونة وفيها من الإغراءات والإيحاءات ما يجذب الأطفال لشرائها[١].

٣ ـ الإذاعة:

إن الإذاعة وسيلة تخاطب كل فئات الأمة: العالم والجاهل، والرجل والمرأة، الكبير والصغير، بما تبثه من برامج مختلفة الأنواع والأساليب، ويتضح خطر الإذاعة بكونها «تخاطب كل فرد في الأمة بلغته دون حاجة إلى التعلم، وأكثر هؤلاء الأفراد من الذين تؤثر فيهم الكلمة أياً كان نوعها أو مصدرها، بما تبث من برامج روائية وقصصية تنمي اتجاهات غريزية وميولاً عدوانية وعنصرية بين طبقات المجتمع الإسلامي، بالإضافة إلى بث أخبار الجريمة وقصصها وصور المجتمعات غير الإسلامية، وهي أساليب شدت انتباه أجيال من المسلمين وساقت لهم أفكاراً وممارسات عمَّقت إعجابهم بالغرب مما أتاح المناخ وهيأ المجتمع لتقبل الفكر الوافد المعادي للإسلام والمسلمين»[٢]، وهذه الإذاعات لها أثرها على المجتمع، فما يصدر منه من كلمات أو أصوات تفسد ولا تصلح وتغوي ولا تهدي، وقصصها المسلسلة موطناً للفزع

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٥٤، ٥٥.

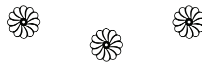
(٢) آثار الغزو الثقافي على قيم الإسلام الخلقية وعلاجها، أحمد مبشر جالو، رسالة ماجستير ص٦٢، ٦٣.

الذي يؤرق النفوس ويسقم الناشئة ويقود بطبائعهم إلى الانحراف بما يدور فيها من جرائم تظهر الأشقياء في مظهر الأبطال، وما تدعو له من سلوك متدني يتحدى الخلق الإسلامي ويورث نفوس فَظة مريضة وما له من أثر على كيان الأسرة من تفكك هدام ومشاركة الوالدين في سلطتها المتمثلة في الرقابة وتصحيح التصرفات، وتصور الوالدين أمام أبنائهم بالرجعية وأنه لا بد من تعديل هذه الآراء الجامدة، وبالتالي تغذي سخط الأبناء وتمردهم المتزايد الذي ينمو يوماً بعد يوم[١].

هذا عن الإذاعات داخل الوطن الإسلامي، أما الإذاعات الأجنبية خارج العالم الإسلامي الموجهة إلى المسلمين فقد اعتمدت على مجموعة من الأساليب الدعائية في الغزو الثقافي للناشئ.

٤ ـ الألعاب:

إن كثيراً من الألعاب تعد من الوسائل التي تحقق أهدافاً إعلامية خطيرة، وفيها من الأخطار العقدية والفكرية على الناشئة ما لا يعرفه الكثير من الآباء، ولست أبعد كثيراً في اقتناص الشواهد على ذلك، فقد اشتريت لقريب لي صغير لعبة على الحاسوب وبدأ الصغير يتدرج في إتقانها، وحاولت مرة أن أشاركه اللعب لعلي أُفرحه بمشاركتي، فإذا بي أجد البطل في اللعبة في موقف حرج جداً، فإذا بالصغير يقول: لا يمكن أن تتجاوزي هذه المرحلة حتى تحصلي على الصليب الأزرق فهو يحل كل مشكلاتك!! ونزلت هذه العبارة كالصاعقة على رأسي أنا المربية المسلمة!! والأمثلة على ذلك كثير.



(١) انظر: حصوننا مهددة من داخلها، محمد محمد حسين ص٥٩، ٦٠.



المبحث الثاني: نماذج من الأخطار الداهمة عبر ثورة نقل المعلومات المعاصرة ووسائل الإعلام الوافدة

❐ تمهيد: آثار وسائل الإعلام الوافدة:

نتيجة للتطور السريع لوسائل الإعلام، فقد أصبح من الواضح أنها غدت من أخطر المؤسسات على المجتمع وخاصة الناشئة، «وقد لا نغالي إذا قلنا بأننا نعيش اليوم مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة التي ألغت الحدود، وأزالت السدود، واختزلت المسافات، واختصرت التاريخ، وتكاد تلغي الجغرافيا حتى بات الإنسان يرى العالم ويسمعه من مقعده، ولم يقتصر الأمر على اختراق الحدود السياسية والسدود الأمنية، وإنما بدأ يتجاوزه إلى إلغاء الحدود الثقافية ويتدخل في الخصائص النفسية، وتشكيل القناعات العقدية، فيعيد بناءها وفق الخطط المرسومة لصاحب الخطط الأكثر تأثيراً والبيان الأكثر سحراً والتحكم الأكثر تقنية»[1].

والحديث عن آثار وسائل الإعلام الوافدة هو حديث عن جانب الشر فيها وما خلفته هذه المواد الإعلامية من ركام من الفساد يعبث بعقول هذه الأمة صغاراً وكباراً شباباً وشياباً رجالاً ونساءً ومن هذه الآثار:

١ ـ زعزعة عقيدة المسلمين:

إن زعزعة العقيدة الإسلامية من أخطر وسائل الإعلام، ويتجلى

---

(١) مقالات في الدعوة والإعلام، كتاب الأمة، عمر عبيد حسنة، ونخبة من المفكرين والكتاب ص٨، ٩.

هذا الخطر في جهدها المستمر على إضعاف الولاء والبراء الذي هو أهم ما يجب أن يكون عليه الفرد المسلم، وكتاب الله جل وعلا فيه من الآيات ما يجلي هذه القضية: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة]، وكذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]، فإضعاف هذا المفهوم من آثار الإعلام الوافد.

وكذلك عن طريق زرع روح تقليد هؤلاء الغربيين والتشبه بهم[(١)]، والرسول ﷺ يقول: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[(٢)].

٢ ـ زرع الهزيمة النفسية ونشر ما يخالف العقيدة:

إن الهزيمة النفسية الحاصلة الآن والإعجاب بالغرب والاعتقاد بأنه مصدر الحضارة ومصدر الرقي، كل ذلك له آثاره العقدية التي لا تخفى، **فمن ذلك**:

- إظهار بلاد الكفار بأنها بلاد الحرية وبأنها بلاد الديمقراطية.
- نشر ما يخالف عقيدة المسلمين كإشاعة العمل بالسحر. كما في بعض القنوات والصحف الوافدة والبرامج الأسبوعية التي تعرض السحر، ويعلن الدعاية للخمر، والأغاني، وكل ما حرم الله[(٣)].

٣ ـ الاستهزاء بالدين:

من آثار الإعلام الوافد أيضاً: «الاستهزاء بالدين بطرق متعددة

---

(١) انظر: الإعلام الوافد وسبل مواجهته، مجلة الحرس الوطني، العدد (١٣٨)، ص٣٦ ـ ٣٨ بتصرف.

(٢) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، رقم الحديث (٤٠٣١). وقال الألباني: حسن صحيح في سنن أبي داود ص٦٠٣.

(٣) انظر: الإعلام الوافد وسبل مواجهته ص٣٨.

وأساليب مختلفة وبخاصة عن طريق الإيحاء الضمني بالرسالة الإعلامية، كأن تكن اللحية قرينة للجريمة فيظهر الشخص الملتحي في السجن أو في المستشفى وهو يتقمص دور المريض أو كأن اللحية قرينة للإهمال وهذا المريض لم يجد وقتاً لحلقها.

ومن الآثار أيضاً تغريب بعض شعائر الدين الإسلامي مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كنا نعمل على تربية الجيل المسلم وناشئة المسلمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن ما يعرضه الإعلام الوافد يجعلهم يألفون المعاصي والمحرمات بدلاً عن إنكارها ومنع التعرض لها.

ومن أخطر الآثار التي يحدثها الإعلام الوافد إفساد المجتمعات العربية والإسلامية. بترويضها لتقبل نمط الحياة الغربية، كأن تخصص الإذاعات الموجهة والأقسام العربية في وسائل الإعلام الأجنبية محصور في فقرات تمثيلية وأفلام متنوعة ما يسمى بمقطوعات غنائية على الطريقة الغربية، أو من خلال تقديم الإعلانات التجارية»[1].

٤ ـ تغريب العقل السليم:

إن ما يصل إلينا من تلك المجتمعات عبر وسائل الإعلام هو انعكاس صادق لواقع الحياة فيها ومرآة لنمط العيش ونهج الحياة، ولذلك فإن من الآثار أيضاً تغريب العقل المسلم والسلوك الإنساني والبشري الفطري عندما يكون نمط الحياة الغربية هو المثل المحتذى[2].

ومن الآثار الاجتماعية لوسائل الإعلام الوافدة:

١ ـ دخول كثير من العادات الغربية لبيوت المسلمين.

---

(١) الإعلام الوافد وسبل مواجهته، مجلة الحرس الوطني، العدد (١٣٨)، ص٣٩.

(٢) انظر: الإعلام الوافد وسبل مواجهته، مجلة الحرس الوطني، العدد (١٣٨)، ص٣٩.

٢ ـ ضعف القيام بحقوق الوالدين وتفكّك الأسر، وإهمال حقوق الجيران.

٣ ـ إبراز أبطال لا حقيقة لهم على حساب أبطال الإسلام.

٤ ـ انصراف المرأة للأزياء العالمية وتقليد المرأة الغربية في أسلوب حياتها.

٥ ـ تشجع النشء على الانحراف والجريمة[١].

هذا ما يتعلق بوسائل الإعلام الوافدة بشكل عام، وعند الحديث عن أكثرها انتشاراً وتأثيراً، يأتي التلفاز وما يبث فيه من قنوات فضائية متعددة في مقدمة هذه الوسائل؛ لأن جهاز التلفاز هو وسيلة إعلام تتميز عن غيرها من الوسائل بالقدرة على النقل المباشر للحياة بالصوت والصورة تصل للإنسان وهو في مكانه من غير أن يبذل مجهوداً لا نفسياً ولا بدنياً، وبالتالي هو يلعب دوراً خطيراً في المجتمع له آثاره المختلفة السلبية والإيجابية حسب تنوع الجمهور الذي يتلقاه وتعدد القنوات مع البث المباشر[٢].

وعندما نتحدث عن الأخطار لهذه الوسيلة، فإننا نقف على الآثار السلبية الناجمة عن الإعلام المرئي المسموع «التلفاز».

ـ ومن الآثار السلبية للتلفاز:

١ ـ تسلل القيم والأخلاق السيئة إلى المجتمع:

إن المتابعة المستمرة لما يعرضه التلفاز ينتج عنه الرغبة في التقليد والمحاكاة لما يعرض منه من صور للمجتمع الغربي المتحرر من قيود

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٣٩.

(٢) انظر: أفلام الرسوم المتحركة الأجنبية وأثرها على قيم وسلوك الطفل، فاطمة أحمد أبو ظريفة، رسالة ماجستير ص٢٦.

الشرع الإلـٰهي والمتفلِّت من كثير من الأسس الأخلاقية، ولا يحدث هذا التقليد إلا بعد مرور الأيام والشهور والسنين، ومع أن تأثيره بطيئاً إلا أنه يصعب تغييره بعد ذلك[١].

٢ ـ تعلم العنف والجريمة:

يرى معظم الباحثين بأن للأفلام خاصة دوراً رئيسياً في تعليم العنف للناشئة حيث إن: «التلفاز يحتوي برامج من الأفلام والمسلسلات المليئة بالجرائم والقتل والعنف والإرهاب، والتمثيل بالجثث والانتقام البشع، والعدوان الشنيع وغيرها من المشاهد المعادية للقيم والمعايير الاجتماعية والخلقية. ولا شك أن مثل هذا العرض المستمر قد يؤدي إلى تكوين شخصيات منحرفة ذات نوازع عدوانية[٢].

٣ ـ تقمص الأطفال للعادات والقيم الغربية:

إن مشاهدة الناشئة للبرامج التلفازية المختلفة والاستغراق في متابعتها يجعلهم في حالة للتقبل لكل ما يعرض من أقوال وأفعال.

ونلاحظ أن أكثر ما يؤثر على نفس الناشئ وعقله في تلك البرامج تمرد الأبناء في الأسر المفككة الغربية على آبائهم وتجاهل الآباء لحقوق أبنائهم مما يكوّن لديه فكرة خاطئة لمعنى الأسرة في المجتمعات المتحررة وما تتضمنه هذه المجتمعات من عادات سيئة مخالفة للمنهج الإسلامي القويم، من سفور واختلاط بين النساء والرجال، مما يوقع الناشئ في حيرة في مفهوم القدوة الصالحة أهي في الذين يعتنقون الإسلام ولا يتضح ذلك في سلوكهم وقيمهم، أم في أسرته الملتزمة بشرع الله؟ فيعيش في دائرة الشك إذ يعجز ذكاؤه المتواضع أن يحسم

(١) المرجع السابق ص٢٨.
(٢) الإعلام، محمد منير سعد الدين ص١٨٠ بتصرف يسير.

الأمر ويدرك أيهما أصح؟ وأيهما أجدر؟ وأيهما أكثر متعة[١].

◘ أولاً: بعض النماذج الخطيرة على الناشئة عبر القنوات الفضائية:

١ ـ الرسوم المتحركة (أفلام الكرتون):

تعتبر الرسوم المتحركة من أكثر برامج الأطفال قبولاً ومتابعة لما تتميز به من خيال وألوان جذابة مما يدعو الطفل للمتابعة بشوق شديد واضح لدى الصغار.. فهي مادة مسلية، مرحة، خيالية إلى أبعد الحدود.

وصناعة أفلام الرسوم المتحركة هي في الأصل صناعة غربية بحتة أدباً وإخراجاً، حيث نجد أن معظم أفلام الرسوم المتحركة التي تعرض في قنوات الدول العربية والإسلامية إما مدبلجة أو تكون مترجمة أو بلغتها الأصلية ولم تنتج لأطفالنا المسلمين.. وإنما لأطفال الغرب.. بل إن المجتمع ذاته نبذ أنواعاً كثيرة منها، ولا بد أن تكون أهداف هذه الأفلام منطلقة من مبادئ وعقيدة المجتمع التي نشأت فيه ووضعت على يديه[٢].

فمن أهداف الرسوم المتحركة تنمية الخيال لدى الأطفال وتنمية محصوله اللغوي عبر مواقف لغوية حيّة، وهذا لا غبار عليه، ولكن ما يحتاج إلى الكلام عنه ما تتركه تلك الرسوم من سلبيات على أطفالنا، من غرس عادات المجتمعات الغربية في عقل الطفل العربي المسلم، ثم إننا نرى في تلك الأفلام ترجيح جانب القوي الذي ينبغي أن تكون السيطرة له في غالب ما يعرض، وتفضيل العنصر الأبيض على الملونين فضلاً عن أنهم يعدون العرب والمسلمين من هؤلاء الملونين مما يسوغ منطق الإبادة التي يمارسها اليهود وغيرهم من الحاقدين على العروبة والإسلام[٣]،

(١) انظر: التلفزيون وتربية الطفل المسلم، عالية خياط ص٣٥، ٣٦.
(٢) انظر: بصمات على ولدي، طيبة اليحيى ص٤٨.
(٣) انظر: أدب الأطفال، محمد صالح الشنطي ص١٥٢.

«لذلك يجب الانتباه إلى الثقافة التي يتلقاها الطفل عن طريق أفلام الرسوم المتحركة كيلا تصبح جزءاً من تفكيره وعقله فيصعب بعد ذلك تغييرها»[١].

ـ أنواع الأفلام الكرتونية وأمثلة عليها:

يعد جزء كبير من هذه الأفلام مملوكاً لمؤسسات أمريكية مشهورة كالتي تنتج أفلام القطط والفئران والبط.. حيث يقوم بأدوار البطولة فيها الحيوانات. وهذه غالباً ما تقدم بلغتها الأجنبية، وهناك أفلام كرتونية أخرى تقدم على صورة أفلام كاملة كما في قصص الشعوب، وحكايات عالمية أو مسلسلات أخرى تترجم إلى العربية (تدبلج).

وتتميز هذه الأفلام الكرتونية بالإتقان الفني والإخراج البديع على نحو يدعو إلى الإعجاب والانبهار.. وهذه الأفلام بخيالها الشارد تجذب انتباه الأطفال، فتمنحهم السعادة والابتسام، رغم بعدها عن الواقع والحقيقة، ومع ذلك نجد إقبال الأطفال عليها في تزايد وتصاعد مستمر. ومن أهم الملاحظات التي تؤخذ على هذه البرامج[٢] أنها: «تشتمل على قيم وأهداف تربوية معارضة وهادمة للقيم الإسلامية العربية، وهذا بطبيعة الحال هو المتوقع باعتبارها مكتوبة ومنتجة من منطلقات ثقافية مخالفة لعقيدة وثقافة الإسلام، ويمكننا القول: إن هذه الأفلام والمسلسلات تشكل خطراً حقيقياً على عقيدة أبنائنا وثقافتهم وأخلاقهم»[٣]، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

أ ـ المسلسلات الكرتونية (المترجمة):

إن البرامج إما أن يلعب فيها الخيال بشكل رهيب لا معقول كما

---

(١) أفلام الرسوم المتحركة الأجنبية وأثرها على قيم وسلوك الطفل المسلم ص٩٠.
(٢) انظر: التلفزيون وتربية الطفل المسلم ص٥٩، ٦٠.
(٣) مدى تأثير القيم العربية الإسلامية على برامج الأطفال بدول الخليج العربي، فاروق أحمد الدسوقي ١/٣٠٢، ٣٠٣.

في أحداث «السنافر»، وإما أن تحتويها القيم والعادات الغربية الدخيلة، واشتمالها على السحر أمر وارد لكن الإشكال أنهم يجعلون السحرة على نوعين نوع صالح كساحرة (الساندريلا) ونوع سيئ كالشرير (شرشبيل) في مسلسل السنافر. والمسلم يؤمن بوجود السحر ولكنه لا يعمل به وحرام عليه ذلك.

١ ـ الكابتن ماجد:

وروح هذه المسلسلة بعض الملاحظ والعادات غير الواردة في الشريعة الإسلامية كعادة الانحناء والمبالغة فيه عند التحية حيث قد يصل فيه الانحناء إلى الركوع!!

وكعادة نسبة الاعتماد على غير الله في قولهم هذا بفضل فلان و«اعتمد على فلان...».

٢ ـ عدنان ولينا:

على ما في المسلسل هذا من المعاني الجيدة إلا أن الشاب فيه أو هذا الطفل كل ما يقوم به من أعمال أو انجازات تصب في اتجاه واحد هو مدى تقربه وحبه لحبيبته «لينا»، وهذا مفهوم لا يقبل به مجتمعنا المسلم الذي فيه تقدير للأولويات، فينشأ الطفل وهو في صراع مع نفسه فتولد لديه ثقافات متضاربة[(١)].

وقد يسهل عند البعض أن يتوقعوا انحراف الطفل انطلاقاً من أصغر ملحوظة يرونها في المسلسل الكرتوني كما فعل صاحب الاقتباس السابق الذي أثبتناه، ولكني أقول ينبغي أن يعطى كل شيء بقدره، فلو اكتفى الدكتور الشميسي بالوقوف عند أثر ظاهرة الاهتمام بالفتاة بالقول إنها

---

(١) ثقافة الطفل شهادات محلية وعربية، دور الإعلام في تنمية ثقافة الطفل، تقديم د. إبراهيم الشميسي ١/ ٢٧٨.

تؤثر في وقوع تضارب وصراع مع الذات، لكان أولى من التوصل إلى أن تلك الظاهرة سبب حتمي للانحراف، ولعل الصواب في ذلك أن نقول أن تغليب جانب الاهتمام بالمرأة قد يؤثر على الجوانب الشرعية التي ينبغي أن يوطن الطفل نفسه عليها من تقديم الأوجب على الواجب وهكذا.

٣ ـ وكذلك فيلم (القط والفأر):

فهو يحرض الطفل على تدبير المقالب والمزالق والكمائن للآخرين مما يثير الأحقاد والشحناء بين النفوس، ويقود الطفل إلى أفكار مسلكية خطيرة في مستقبل حياته بالإضافة إلى ذلك ما يتخلل حلقاته من استخدام الأطعمة (كالبيض والجبن) كوسائل للدفاع بينهما مما يؤدي إلى الاستهانة بها وعدم احترامها.

٤ ـ وكذلك من أفلام الكرتون القصيرة (ميكي ماوس):

ويحتوي هذا النموذج على العديد من المخالفات الشرعية والمغالطات العقدية، منها إظهار هذا الفأر أن لديه القدرة على إيقاف البراكين وإنزال المطر وإيقاف الرياح، وفي ذلك دعوة للطفل على الإلحاد وفيه ترسيخ في ذهن الطفل أن هذه القوة هي التي تقف مع المضطر وتنقذه من المهالك مما يبعده عن مفهوم قربة الله من عباده وإجابة لدعوة المضطرين لهم سبحانه وتعالى[(١)].

٥ ـ وكذلك برنامج (البوكيمون):

ذلك البرنامج الذي بلغت شهرته ومحبة الأطفال، فيه نشر لبعض النظريات والأفكار الباطلة، وتقوم فكرة هذا البرنامج على أن هناك

---

(١) انظر: المترجمات والناشئة، د. عدنان الوزان، مجلة الفيصل، العدد (٢٣٩)، ص٥٤، والفضائيات والغزو الفكري، د. محمود عبد الرازق، مجلة الحكمة ص٦٨.

حيوانات يطلق عليها اسم (بوكيمون) وهي في تطور مستمر، فتجد البوكيمون يتطور وحده ويصبح شكلاً آخر، ويتطور بالاتحاد مع بوكيمون آخر وينتج كائناً آخر يختلف كلياً عن البوكيمون الأصلي، وكل ذلك يضع في عقيدة الطفل رصناً لقبول النظريات الإلحادية كالتناسخ والتقمص. يضاف إلى ما تقدم ظاهرة تكشف النساء في أغلب تلك المسلسلات بما يخدش حياء الطفل مرة ومرة حتى يضمحّل عنده الحياء أو يكاد ينعدم.

ومما سبق نلاحظ أنه ليس هناك برنامج كرتوني يعرض الآن يخلو من هذه الأمور وهذه الآثار السلبية التي يتلقاها الطفل مما يجعل الطفل يعتاد هذه الصور والمظاهر. ووجد نفسه يعيش هموماً غير التي يعيش فيها ووجد نفسه طفلاً أوروبي العادات والتقاليد مما جعله يكتسب العدوانية في سلوكه وفكره[(١)].

❐ ثانياً: أخطار صحافة الناشئة وبعض النماذج عليها

تمهيد:

أهمية الصحافة للناشئة:

تعتبر صحافة الناشئ وسيلة جيدة في إيصال المعرفة والثقافة، وتتركز أهمية صحافة الناشئ في أنها تساعد على تنمية السلوك وإمداده بسلوكيات هامة في حياته، وإمداده بذخيرة حية من المعلومات لها أهميتها في بناء الاتجاهات المختلفة للناشئ في عالم اليوم وخاصة ما يتعلق بالاتجاهات والسلوكيات المرتبطة بالمجتمع الذي يحيا فيه ويعيش

(١) انظر: الفضائيات والغزو الفكري، د. محمود عبد الرازق، مجلة الحكمة العدد (٢٧)، ص٦٨ ـ ٧١.

من خلاله مما يؤدي إلى ثبات هذه الاتجاهات واكتساب الناشئ لها وهو صغير إلى أن تتغير بفعل عوامل تنشئة أخرى، بالإضافة إلى ذلك ما تحققه الصحافة للناشئ من تنمية للتفكير السببي والمنطقي، وتساعده على تكوين صورة إيجابية عن ذاته وعن العالم[١].

نماذج من مجلات الناشئة وجوانب الأخطار فيها:

عند الحديث عن صحافة الناشئة ومواقع الخطر فيها، فإن الحديث يتوجه مباشرة إلى نوع منها شديد الارتباط بالناشئة ويشكل خطورة أكثر عليهم، وهي مجلات الأطفال. وهذه المجلات نماذج متعددة تتضمن العديد من الأخطار هي **كالتالي**:

١ ـ صحف الهزليات المصورة التي تعتمد على المغامرات والخدع والنكتة السريعة، والتي يقوم الكثير منها على الجرائم وكيفية البحث عن مرتكبيها على يد شخصية بطولية أسطورية وهي تعتمد على الصور المتتابعة بالدرجة الأولى، ولا يكون للكلمة فيها أهمية كبرى، وهذا يؤدي إلى إعاقة نمو لغة الطفل، بل إن بعضها يعتمد على اللهجة العامية أو اللغة العربية التي تكثر فيها الأخطاء، كما أن مضمونها يشعره خيال الطفل ويغرس في نفسه بعض الأفكار والقيم الخاطئة.

٢ ـ فهناك المطبوعات المخصصة للأطفال تحتوي على قصص وصور وتقارير وفقرات وتعليقات تتضمن الإشادة بأعمال اللصوصية والكذب والسرقة والتبطل والحب والكراهية والفجور وأعمال أخرى

---

(١) انظر: مجلات الأطفال وثقافة العنف، محمد حيان الحافظ، مجلة أحوال المعرفة، العدد (٣١)، ص٨٦، والطفولة والمستقبل، د. إسماعيل عبد الفتاح الكافي ١/ ١٦٠.

مكونة للجريمة والمخالفات التي تفسد أخلاق الأطفال، وتحتوي على إعلانات ودعايات عن مطبوعات تفسد أخلاق الأطفال.

٣ ـ المجلات التي تعتمد على الصور المرسومة بحذق وقوة، حيث توحي بحوادث القصة دون الرجوع إلى النص، وحوار قصص هذه المجلات تمجيد لضرب من البطولة تعتمد على الرياء أو على القوة والعنف. فالقصص التي تحتويها تنطوي على معاني الكبت وإرضاء الرغبة الأوديبية، والانتقام من الأب وممن يمثل السلطة، وإن ضرر هذه المجلات يرجع إلى أنها تدفع إلى الإجرام؛ لأن قصصها تمجد مبدأ اللذة، وتؤدي بالقارئ الصغير إلى أن يثور على الواقع وعلى السلطة أياً كانت في حين أن التربية السديدة يجب أن تكون تهذيباً للدوافع المبتذلة ولأوهام العظمة والسيطرة، وربما ترجع الفوضى التي تعانيها الإنسانية اليوم إلى انطلاق مثل هذه الدوافع والأخيلة والأوهام[1]، ومن أمثلة المجلات الوافدة التي تصور شخصيات خيالية غير حقيقية: «الرجل الخارق»، «الرجل الوطواط»، و«سلاحف النينجا».

٤ ـ المجلات المترجمة: وتتميز هذه المجلات بتقديم المواد بصورة فيها الكثير من الإثارة والجاذبية، فتحفز الناشئة على الإقبال عليها وهذا يعتبر جزء من عملية الغزو الثقافي، بالإضافة إلى ما يتخلل هذه المجلات من إبراز لقصص العنف وسيلة لحل كل المشكلات، والتي تجعل القوة البدنية هي العامل الأقوى في مختلف المواقف، وهي أمر نجده في كثير من قصص المغامرات، ومن الأمثلة على هذه المجلات

---

(١) انظر: مجلات الأطفال وثقافة العنف، محمد حيان الحافظ، مجلة أحوال المعرفة، العدد (٣١)، ص٨٧.

التي تدعو القصص فيها إلى العنف: قصص (طرزان) الذي تربى بين الحيوانات لم يعرف وسيلة لحل ما يواجهه من مشكلات إلا القوة البدنية(١).

وكذلك شخصية سوبرمان الذي يتغلب على كل من يقف في طريقه عن طريق القتل، وكذلك «الرجل الوطواط»، «فإن هذه المجلات المترجمة التي يقرؤها أبناؤنا تنقل مفاهيم ثقافية وحضارية وعقديه مختلفة عن مجتمعنا، وتقدم أنماطاً سلوكية اجتماعية وتربوية وفكرية خطرة على الأطفال، ومثل هذه الشخصيات السابقة تخلو من جميع القيم الإسلامية عقيدة وشريعة إذ تنفي وجود قدرة الله وتزعم أن قدرة «سوبرمان» كفيلة بأن تقاوم أي قوة تقف أمامها كما أنها تنفي المشيئة الإلـٰهية، وخلق الكون من رب خالق»(٢)، أو كأنه تعالى خلق الكون ثم تخلّى عنهم، وهذه أهم سلبية في تلك القصص.

مع أن اعتقاد المسلم ينبغي أن يبنى على ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

٥ ـ من بين القصص التي تترجم لأطفالنا تلك القصص التي تدور حول المنافسة بين طرفين، وتجعل الصراع حتى الموت هو الوسيلة الوحيدة لإنهاء التنافس بين الأطراف المتنازعة.

فهذه القصص التي يقرؤها الطفل ويطالعها أسبوعاً بعد أسبوع في مجلته تدربه على نمط خاطئ من السلوك من السهل تقليده والتمثل به لما فيه من تنمية للإحساس بالتفوق على الآخرين برغم ما يسببه لهؤلاء الآخرين من أذى وأضرار.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص٨٨.
(٢) المترجمات والناشئة ص٥٥.

٦ ـ إن شخصيات قصص الرجل الخارق للطبيعة مثل قصص (الرجل الأخضر) و(باتمان) أو غيرها تلجأ إلى تبسيط الشخصيات بحيث تجد بعضها ممثلاً للخير المطلق؛ وبعضها ممثلاً للشر المطلق مما يؤدي إلى فهم الأطفال لمجتمعهم والمجتمعات الأخرى فهماً خاطئاً وتثير لديهم دوافع التعصب والعدوان.

يضاف إلى هذا أن قصص الرجل الخارق تزيف الحياة عندما تجعل في متناول البطل الثروة والسيارات والطائرات وكل وسائل الراحة، دون إبراز أي جهد بذله للحصول على هذه الوسائل؛ حتى إنه يحطم ما يساوي عشرات الآلاف من المال بغير أسف أو ندم، ثم يجد غيرها بالبساطة نفسها، هذا رغم أن من أسس التربية السليمة أن ينشأ الأطفال على تقدير قيمة ما يملكون أو ما يتطلعون إلى امتلاكه، وأنه لا بد من بذل الجهد للحصول على هذا الذي يتطلعون إليه.

إذن دور هذه المجلات الوافدة سلبي فيما يتعلق بتعليم الناشئة وتلقينهم مظاهر العنف والإرهاب والأخلاق السيئة وغيرها من الأخطار التي تؤثر على عقول الأطفال ونفوسهم وسلوكياتهم.

فمن واجب الآباء والأمهات والمربين ورجال التعليم والمثقفين توجيه الأطفال نحو القراءات الصالحة والنافعة، لا سيما القصص والحكايات والمجلات والمطبوعات الإسلامية، التي تهدف إلى نشر القيم الدينية والأخلاقية والتربوية وتنشئة الأطفال تنشئة صالحة بعيداً عن أشكال الانحرافات الخلقية والفكرية والعقدية والسلوكية التي تسعى إليها معظم مجلات الأطفال بالمكتبات العربية، ولا سيما المجلات والمطبوعات المترجمة[1].

(١) انظر: مجلات الأطفال وثقافة العنف، محمد الحافظ، مجلة أحوال المعرفة، العدد (٣١)، ص٨٨، ٨٩.

وهنا لا بد من الهمس في أذن المؤلفين ألّا يجعلوا من قصص الأطفال منابر للخطب الإرشادية، فالطفل في أيامنا أمامه وسائل شديدة الجاذبية شديدة التأثير فلا أقل من أن تكون القصص التي تؤلف له يختفي فيها العنصر الوعظي المباشر لتكون القصة أبعد تأثيراً وأشدّ تشويقاً للطفل، ولا مانع أن تشتمل على أهداف تربوية إسلامية تستخلص من حب الطفل للبطل وصفاته، لا في عبارات ونصائح مباشرة تفقد القصة جانبها المؤثر[١].

❐ ثالثاً: الإنترنت (الشبكة العالمية للمعلومات):

مع نهاية القرن الماضي «تطورت أجهزة الاتصال تطوراً كبيراً، حتى توصلت بواسطة الاتصال عن طريق الحاسبات الآلية إلى ما يسمى بالإنترنت (الشبكة العالمية للمعلومات) بحيث يستطيع الفرد وهو جالس في غرفته أن يتصل بالعالم ويحصل منه على المعلومات التي يريدها»[٢].

ـ الخدمات التي تؤمنها شبكة الإنترنت[٣]:

وتنفرد هذه الشبكة بتأمين خدمات لا تتوفر في أجهزة الاتصال المعروفة منها:

١ ـ **البريد الإلكتروني**: تقوم على تبادل البريد أو الاتصال بين شخصين بطريقة إلكترونية أقل تكلفة بكثير من كلفة الفاكس، وهي وسيلة

---

(١) من قصص الأطفال الناجحة من هذا الجانب مجموعة (الباقة الرائعة)، تأليف: د. أحمد مختار الشريف، وقد اعتمدت وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية توزيعها على المدارس.

(٢) الإعلام والبيت المسلم ص٩٩.

(٣) الفضائيات والإنترنت آثارهما على النشء، مازن محمد الشامي ص٤٥.

سريعة، وهي من أكثر الخدمات المستعملة على شبكة الإنترنت، ويتم إرساله واستقباله عن طريق برامج أعدت خصيصاً لهذه الغاية[١].

٢ ـ **نقل الأخبار وتلقيها**: فعن طريقه يتلقى الفرد صفحات من أخبار الصحف والمجلات فضلاً عن تبادل الآراء حول المواضيع ذات الاهتمام المشترك.

٣ ـ **نقل وتحميل الملفات**: حيث يمكن عبر الإنترنت نقل البرامج الإذاعية والتلفزيونية وعرضها وتخزينها أغاني أو أفلاماً سينمائية دون متابعة أو مراقبة[٢].

٤ ـ **المحادثة الإلكترونية**: ويتم عن طريقها التحدث مع أشخاص آخرين على الإنترنت وهي تخدم خاصة أصحاب الأحاديث والآراء الحرة، وهي مثيرة وشائقة وتتوقف مصداقيتها على مدى جدية المتحدثين وصدقهم، وهذه الخدمة تتميز بها شبكة الإنترنت عن غيرها، ولها برامج تتيح لك فتح شاشة خاصة بكتابة ما تريده، ونفس الشاشة تتاح للطرف الآخر، وكل من الطرفين يرى ما يكتبه الآخر في نفس الوقت[٣].

ـ أخطار هذه الشبكة على الناشئة:

إلى جانب الفوائد الكثيرة لهذه الشبكة فإن أخطاراً تكمن فيها تؤثر على أبناء الأمة، **ومن تلك الجوانب**:

---

(١) انظر: الإنترنت والمعلومة، حمد بن بداح الصالح ص١٠٦، الإعلام والبيت المسلم ص١٠١.
(٢) الإعلام والبيت المسلم ص١٠١.
(٣) انظر: الفضائيات والإنترنت آثارهما على النشء ص٤٥، ٤٦.

١ ـ على التحصيل الدراسي:

ذلك أن الطالب إن تُرك وحده ليتعامل مع الشبكة كان ذلك في الأعم على حساب دراسته واستذكاره، ولكن إن تهيأ له التوجيه والرعاية استطاع أن يعرف كيف يستفيد حقاً من الشبكة وخصوصاً أن التعليم الإلكتروني اليوم غدا مبنياً عليها.

٢ ـ على التربية:

إذ يصعب ضبط هذه الشبكة أو مراقبة مواقعها لعدم امتلاكها من أي أحد في العالم، وكل من يشترك فيها من ملاكها، وأيضاً أن في كل لحظة ممكن إنشاء موقع آخر على هذه الشبكة ويوجد من بين هذه المواقع مواقع مشبوهة لأناس مشبوهين يعملون على نشر أفكارهم وترويجها في بلاد الإسلام ليحطموا عرى الدين، ويقاوموا العفة، ويشيعوا الرذيلة والإلحاد، ويزرعوا الشك في الدين والقيم والمبادئ الصحيحة.

ومن المخاطر الناجمة عن استخدام الإنترنت أيضاً ما قد يحدث من اتصال مباشر بين الناشئ وشخص آخر على الشبكة قد تؤدي إلى كشف الناشئ لمعلومات قد تعرضه أو أسرته إلى خطر شخصي، فالأطفال يمكنهم التواصل مع أي أحد عبر الإنترنت لا يحدهم في ذلك مظهر ولا عمر، وهو ما يضفي شعوراً بالحرية والانطلاق على العلاقات الناشئة عبر الإنترنت. وقد تنشأ علاقات متينة عبر أحاديث الإنترنت وحدها ويترسخ معها شعور عميق بالثقة في الطرف الآخر المجهول. وهنا يكمن الخطر، لأن الناشئ يتحدث مع شخص غريب قد يكون حديثه صحيحاً أو غير ذلك. وأيضاً يمثل البريد الإلكتروني وما يحتويه من رسائل أعظم خطراً يهدد الناشيء وتضيره، لما تضمنه

من رسائل دعائية تدعو للمشاركة في مسابقات وسحوبات ومنها رسائل تشجع على إقامة علاقات الصداقة والدردشة غير المشروعة عبر الإنترنت، أو رسائل تقود الناشئة إلى مواقع مشبوهة تضم صوراً وأفلاماً يجب ألا يطلع عليه الكبار فضلاً عن الصغار، ولا ننسى الفضول الذي يدفع بالناشئة إلى فتح هذه الرسائل فمنهم من ينزعج منها ويصدها ولا يخبر والديه بها، ومنهم لا يعلم إذا كانت مفيدة أم لا؟ وهل ينبغي فتحها أم لا؟[(١)].

□ مسؤولية الآباء والمربين في تحقيق الاستخدام الصحيح للإنترنت:

إن مسؤولية الآباء والمربين تتمثل في وقاية أبنائهم من خطر هذه الشبكة، **وذلك عن طريق**:

١ ـ استخدام الأساليب التي تحمي الناشئة من التعرض للمواقع المشبوهة والتعرف على البرامج التي تتيح رقابة المربي على الإنترنت واستخدامها لمنع هذه البرامج، أو استخدام خيار تخزين ملف بعناوين المواقع التي تزار على الإنترنت ويتحقق منها مرة أسبوعياً، والتأكد من المواقع التي يدخلها الناشئة والوقت الذي يقضونه فيها.

٢ ـ تحديد القواعد الأساسية للناشئة عند التفاعل مع أشخاص آخرين عبر الإنترنت ومنها:

أ ـ عدم الكشف عن الرقم السري للاتصال بالإنترنت لأي شخص.

ب ـ عدم البوح بآلية معلومات شخصية عنه.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص: ٥٥، ٥٦، والأطفال والبريد الإلكتروني، محفوظ عبد الرحمٰن، مجلة أحوال المعرفة، العدد (٣١)، ص٦٧.

ج ـ عدم إرسال صور لنفسه أو لأي أحد من أفراد عائلته عبر الإنترنت.

د ـ عدم المواصلة في حديث يشعره بعدم الارتياح مع أي شخص على الإنترنت.

هـ ـ عدم كشف عنوان سكنه لاستلام منتج ما بالبريد.

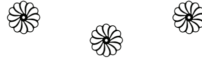
٣ ـ اتخاذ الإجراءات الصارمة للحد من تعرض الناشئة لاستقبال تلك الرسائل، **ومن هذه الإجراءات:**

أ ـ تعزيز الحوار بين الآباء والأبناء وتوعية الأبناء تجاه ما يمكن أن يصلهم من محتوى وصور مشبوهة والعودة إلى الآباء عندما يجدون في بريدهم شيئاً من تلك الرسائل.

ب ـ توعية الأطفال إلى عدم ذكر أي معلومات شخصية تطلب منهم عن طريق الرسائل، وخاصة أن الكثير من الشركات تستغل الأطفال للحصول على هذه المعلومات مثل أسمائهم وعناوينهم.

ج ـ تدعيم الثقة المتبادلة بين الآباء والأبناء.

د ـ التعرف على نوعية الأصدقاء الذي يقضي الأبناء أوقاتهم معهم[١].



(١) انظر: الأطفال والبريد الإلكتروني ص٦٨.

المبحث الثالث
خطر بعض النظريات المعاصرة وبيان المآخذ الشرعية عليها

❐ تمهيد:

إن المتأمل في الفكر التربوي عبر التاريخ يجد ذلك التباين بين الأمم والمجتمعات الإنسانية في اختيار نظرية تربوية ينطلقون منها في ممارستهم وتطبيقاتهم التربوية، فلكل مجتمع تربية خاصة تميزه عن سائر المجتمعات يحقق عن طريقها أهدافه وطموحاته، بل إن المجتمع الواحد يمر بمتغيرات تربوية تختلف من عصر إلى آخر تفرضها المستجدات والمتغيرات الجديدة التي يمليها التطور والتقدم.

وعلى الرغم من وجود ذلك التميز الخاص للتربية في كل مجتمع عن بقية المجتمعات، فإن ذلك لا يمنع من الإفادة مما لدى الآخرين في مجال التربية والتعليم بأخذ المفيد الذي يقره الشرع والعقل السليم، واستبعاد غيره مما لا يتفق مع أصولنا الإسلامية المتمثلة في كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، وهذا يتطلب مراجعة الفكر التربوي القادم إلينا مراجعة تقوم على معايير مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

كان لجان جاك روسو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨م): «أحد فلاسفة التربية الذين كان لهم آثار على التربية سواء في الأفكار أو الممارسات، وقد أحدث منعطفاً بارزاً في قضايا التربية الحديثة التي يطلق عليها (التربية المتمركزة حول الطفل) وضرورة مراعاة مراحل نمو الإنسان وطبيعته، والاهتمام بالحواس إلى غير ذلك من الأفكار.

ومن المعروف أن «روسو» قد ضمن جل فكره التربوي في كتابه المعروف «إميل» (صدر عام **١٧٦٢م**) ونظراً للأثر الذي تركه على معظم المدارس التربوية الحديثة وروادها الغربيين ووصول ذلك الأثر إلى التربويين المسلمين والمكتبة التربوية والكتب المقررة على طلاب التربية وإعداد المعلمين، كان من الضروري الوقوف على أبرز السلبيات حتى تتبين الأخطاء ليتم طرحها، ومن ثم يأتي التوجه إلى الحلول البديلة التي تتفق مع الدين الإسلامي فيكون الأثر الإيجابي على الناشئة المسلمة»[(١)].

❑ أولاً: افتراضات روسو عن مراحل النمو:

«جاءت دعوة روسو إلى تربية تراعي مرحلة نمو الإنسان في ظل عصر يعامل الطفل على أنه رجل صغير، فقد أكد على أن لكل مرحلة من مراحل النمو الإنساني خصائص معينة تتعلق باحتياجاته وميوله واستعداداته، وعلى ضوء هذه الخصائص ينبغي أن يعامل المتعلم، كما أنه يرى بأن مرحلة الطفولة من أهم مراحل النمو الإنساني التي يجب أن توجه لها العناية والرعاية من أجل نمو سليم. وقد قسم روسو مراحل نمو المتعلم إلى أربع مراحل، فالمرحلة الأولى: من الولادة وحتى الخامسة، والثانية من الخامسة حتى الثانية عشرة، والثالثة من الثالثة عشرة إلى الخامسة عشرة، والرابعة من الخامسة عشرة إلى العشرين. وقد تميزت كل مرحلة من المراحل بخصائص جسمية ونفسية معينة وبميول واحتياجات نابعة من طبيعة الطفل نفسه»[(٢)].

---

(١) انظر: نظرية «روسو» التربوية دراسة تحليلية ناقدة من منظور التربية الإسلامية ص**٣** ـ **٦**، رسالة دكتوراه مقدمة من ظافر سعيد الشهري.

(٢) المرجع السابق ص**٢١٣**.

أ ـ المرحلة الأولى (من الميلاد حتى خمس سنوات):

تتركز اهتمامات روسو في هذه المرحلة على:

١ ـ احتياجات الطفل الجسمية:

من رضاعة طبيعية وحركة جسمية، فقد أنكر على الأمهات اللاتي يتركن أطفالهن للحواضن «المأجورات ليكن أمهات لأطفال غرباء لا يجدن في طبيعتهن باعثاً فطرياً نحوهم»[١]، ويرى أن الحرمان من لبن الأم هو الأصل الذي تبعث منه جميع الشرور»[٢]، فهو ينبه إلى حاجة الطفل العاطفية إلى الأم الحنون.

أما حركة الطفل فهي من الحاجات الأساسية في هذه المرحلة خصوصاً في المراحل الأولى التي اعتاد الناس على تكبيلها: «وعندما يأخذ الطفل أنفاسه الأولى، لا تكبلوه في الأقمطة المحكمة ولا تضعوا على رأسه تلك الطواقي، بل اجعلوا لفائفه واسعة فضفاضة بحيث تتاح لأطرافه الحرية التامة، ومن قماش غير ثقيل حتى لا يعوق حركته»[٣].

٢ ـ الخصائص العقلية:

«يؤكد روسو أن قدرات الطفل العقلية محدودة، فيجب أن لا يهتم كثيراً بالمعلومات الجاهزة، ويحذر على نحو مركز من الإكثار من المعلومات التي تنهال على ذهن الطفل الضعيف؛ لأن ضررها قد يكون أكثر من نفعها[٤]، . . . «فالإنسان له مكانه المحدد في ترتيب الموجودات الطبيعية، والطفولة لها مكانها المحدد في ترتيب الحياة البشرية، لذا يجب أن نعتبر الطفل في الطفل»[٥].

---

(١) إميل، جان جاك روسو ص٣٥. (٢) المرجع السابق ص٣٧.
(٣) المرجع نفسه ص٦٢.
(٤) انظر: روسو دراسة تحليلية ناقدة ص٢١٤.
(٥) المرجع السابق ص٨١، ٨٢.

والعبارة الأخيرة تفسر «بأننا نجهل الطفولة الجهل كله... فالمربون يبحثون دوماً لدى الطفل عن الراشد دون أن يفكروا بما هو عليه قبل أن يصبح راشداً»(١).

٣ ـ نمو الحواس:

«لأن الطفل يميل إلى استخدام حواسه في التعرف على الأشياء فيجب مراعاة ذلك في هذه المرحلة وفي مطلع الحياة، فحينما تكون الذاكرة والمخيلة غير نشيطتين لا يتنبه الطفل إلا لما يؤثر فعلاً في حواسه، «فميوله التي تساعد على التعلم في هذه المرحلة حاسية (مثل النظر والسمع واللمس والذوق)، ويميل أيضاً إلى الحركة الذاتية وتحريك الأشياء، وإنه يميل إلى لمس كل شيء وتحريك كل شيء، فلا تعارض هذا الاتجاه مطلقاً فإنه يتعلم بهذه الوسيلة ويتدرب»(٢).

ب ـ المرحلة الثانية يدرس روسو عدة جوانب منها:

١ ـ الاهتمام بالجانب الجسمي واستخدام الحواس:

فهو يرى ألّا يفرض على التلميذ في هذه المرحلة كما في سابقتها شيء قبل أوانه، وأن يتمهل المرء حتى لا يفرض على تلميذه شيئاً في غير أوانه»(٣).

٢ ـ تقسيم الحاجات إلى حاجات ضرورية وغير ضرورية:

يرى أن للطفل حاجات حقيقية وضرورية، وطلبات غير ضرورية، فيجب أن يتنبه المربي «لها، فلا ينبغي إذا عمد إلى البكاء الإسراع في تنفيذ رغبته، بل أن يُرفض تنفيذ تلك الرغبة رفضاً قاطعاً، أما إذا كانت حاجته الحقيقية هي التي أنطقته فيجب أن يُفطن لذلك والقيام بما

---

(١) انظر: التربية عبر التاريخ، عبد الله عبد الدايم ص٣٧٩.

(٢) إميل، جان جاك روسو ص٦٥. (٣) المرجع السابق ص١٠٩.

طلبه فوراً»[١].

«فروسو يرى أن يجتهد المربي في عدم تلبية رغبات الطفل في الحصول على الأشياء؛ لأنه يريدها، بل يلبيها فقط عندما يكون الطفل في حاجة لها»[٢].

٣ ـ عدم استعداد الطفل لإدراك الأفكار والمعاني:

يرى عدم اكتمال استعدادات الطفل لإدراك الأفكار والمعاني؛ فهو وإن حفظ العبارات اللفظية ورددها إلا أنه لا يفقه معانيها، فالطفل يتذكر الألفاظ جيداً ويعيدها بحذافيرها فيفهمها السامع الكبير، في حين أن الطفل وهو يقولها ويعيدها لا يفقه معناها ويقول: فهم أي الأطفال يعون في ذاكرتهم أصواتاً وأشكالاً وإحساسات، أما المعاني والأفكار فقلما يعونها في ذاكرتهم[٣].

إن هذه المرحلة والسابقة لها عند روسو ـ وهي مراحل الطفولة ـ تعتمد على استخدام الحواس والحركة والنشاط الجسمي، وهي مراحل تعكس الصور كالمرآة دون وعي بمدلولات الألفاظ أو الكلمات والأفكار، ويعبر عن الطفولة في المرحلة الثانية في جانبها العقلي بقوله[٤]: «الطفولة هي نعاس العقل»[٥].

ج ـ المرحلة الثالثة من (١٢ ـ ١٥) سنة:

ومن أبرز الخصائص في هذه المرحلة:

١ ـ التفكير والتأليف بين عمل الأعضاء والحواس.

---

(١) المرجع السابق ص٨٥.

(٢) انظر: نظرية روسو دراسة تحليلية ناقدة ص٢١٥.

(٣) المرجع السابق ص١١٦، ١١٧.

(٤) انظر: روسو التربوية دراسة تحليلية ناقدة ص٢١٥، ٢١٦.

(٥) كتاب إميل، جان جاك روسو ص١١٦.

٢ ـ الخصائص الاجتماعية.

د ـ المرحلة الرابعة (من ١٥ ـ ٢٠) سنة:

ومن خصائص هذه المرحلة التي يجب مراعاتها التغيرات الجسمية والانفعالية السريعة.

❐ ثانياً: نقد افتراضات روسو عن مراحل النمو:

«قسم روسو مراحل نمو الإنسان كما سبق إلى أربعة مراحل، وقد جعل لكل مرحلة خصائص تتناسب مع كل مرحلة وذلك لتحديد الأهداف والوسائل والطرق والمعارف والمهارات اللازمة لكل مرحلة، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المراحل ودعا إلى الاهتمام بها، ومن الآيات القرآنية الكريمة التي توضح مراحل النمو والتدرج[1] قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾ [الحج: ٥].

والدارس في كتب الفقه والثقافة الإسلامية يجد الأدلة القرآنية والنبوية الكريمة على مراعاة تلك المراحل وأحكامها وخصائصها ومتطلباتها، ومن الكتب التي اختصت بوضع دراسة عن مراحل النمو وما يصلح فيها من تربية إسلامية ما ألفه ابن الجوزي بعنوان: تنبيه النائم الغمرْ على مواسم العمر، وفي هذا الكتاب ذكر لمراحل سمَّاها مواسم العمر، **وهي كما يلي**:

الموسم الأول: من وقت الولادة إلى زمان البلوغ، وذلك خمس عشرة سنة.

---

(١) انظر: نظرية روسو التربوية دراسة تحليلية ناقدة ص٢٤٢.

الموسم الثاني: من زمان بلوغه إلى نهاية شبابه، وذلك إلى تمام خمس وثلاثين.

الموسم الثالث: من ذلك الزمان إلى تمام الخمسين سنة.

الموسم الرابع: ما بعد الخمسين إلى تمام السبعين.

الموسم الخامس: ما بعد السبعين إلى آخر العمر[(١)].

وهناك من قسم مراحل النمو من منظور تربوي إسلامي وهي:

١ ـ مرحلة الرضاع: حتى نهاية السنة الثانية من العمر.

قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وذكر المؤلف فيها خصائص وحاجات المرحلة والآداب الإسلامية مع المولود.

٢ ـ مرحلة الحضانة: من ثلاث سنين حتى نهاية السادسة:

وسُميت حضانة لأن المربي يحمل الطفل إلى حضنه، هذا هو الأصل، ثم انتقل الفعل إلى معنى مجازي ذكره المعجم الوسيط «حضن الرجل الصبيَّ: رعاه ورباه فهو حاضن»[(٢)]، والمصدر (حضانة) كما هو عليه الأصل. إلى جانب الحقوق اللازمة، الخصائص المعروفة للمرحلة تبرز فيها تأثير توجيهات الأبوين الأخلاقية والعقدية على الصغير قال ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**»[(٣)].

٣ ـ مرحلة التمييز: (من السابعة حتى البلوغ):

«ويذكر المؤلف فيها خصائص هذه المرحلة وآداب السلوك واحتياجات الطفل الروحية والجسمية والعقلية فيها، ويبرز فيها الجانب الديني وكيفية توجيه إدراك الصغير لأوامر الدين بطريقة متدرجة، قال ﷺ:

---

(١) تنبيه النائم الغَمْر على مواسم العُمْر، لابن الجوزي ص٤٦.

(٢) المعجم الوسيط (ح ض ن) ١/ ١٨٢.

(٣) سبق تخريج الحديث.

«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع»[١].

وفي الحديث فوائد كثيرة فيها مراعاة قدرة الصغير على التقليد وتعويده على الصلاة وإن لم يدرك، حتى تصبح عادة طيبة لديه، ومنها تحقيق التربية الوقائية للطفل بفصله عن إخوانه وأخواته في هذه السن، وبالتالي تتهذب أخلاقه ويحافظ على فطرته حتى يصل لمرحلة البلوغ وقد تعوَّد العفة والاحتشام والحياء بدون إثارة لغرائزه»[٢].

٤ ـ **مرحلة البلوغ**: وهي من حوالي العاشرة حتى السادسة عشرة:

«ومن خصائصها الميول الجنسية، والتقليد والاهتمام بالبطولات والميل للنقد، والرغبة في الإصلاح، والنمو الانفعالي، ولكل جانب توجيهات قرآنية ونبوية كريمة.

ثم تأتي **مرحلة الرشد**: (من السابعة عشرة حتى الأربعين)، ثم **مرحلة الشيخوخة**: (من الخمسين إلى آخر العمر)»[٣].

وعند النظر في افتراضات روسو عن التعلم في المراحل الأولى نجد أنه يركز على الجانب الجسمي، ويبدأ بتدرج في العناية به وهو جانب إيجابي لروسو، ولكنه لم يشمل جانبي الروح والعقل بالدرجة نفسها، فهو ويرى أن من الخطأ تعليم (إميل)[٤] قبل الخامسة عشرة أفكاراً لا يستطيع إدراكها بعقله عن الغيبيات، ويرى أن الطفولة فترة غير ناضجة للعقل[٥].

---

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) نظرية «روسو» التربوية دراسة تحليلية ناقدة من منظور التربية الإسلامية، ظافر بن سعيد الشهري ص٢٤٤.

(٣) انظر: مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية، خالد حامد الحازمي ص٤٠ ـ ٤٤.

(٤) اسم الطفل كان محور كتاب روسو يخاطبه فيه ويوجهه، وقد أسمى كتابه باسمه.

(٥) انظر: كتاب إميل، جان جاك روسو ص١١٦.

ومع أن العقل غير ناضج فعلاً في هذه المرحلة إلّا أن التربية الإسلامية لا تهمل هذا الجانب كلياً، بل تراعي السير وفق قواعد متدرجة في مخاطبة عقل الطفل حيث يتابع الآداب والعقائد المتفقه مع قدرة الاستيعاب بعد ذلك. ويحس فيها دائماً الانتقال من المحسوس إلى المجرّد.

ثم تأتي الصلاة من سن السابعة عن طريق الأمر المستمر دون قسوة حتى سن العاشرة، وهكذا يتدرج حتى سن التكليف والبلوغ والإدراك العقلي، فكما يتدرج المربي في تنمية الجوانب الجسمية كذلك يكون التدرج في الجوانب الأخرى.

أما قوله بتأخر جوانب الدين والاعتقاد حتى سن ما بعد الخامسة عشرة.

فهذا أمر ضار بدين المتعلم، وقد يؤدي إلى تعود الشاب على حب التفلت وعدم التقيد بتعاليم الدين، وصعوبة الرجوع إلى الفطرة الإسلامية، فتنشئة الطفل على الطاعات وتعميق العقيدة في نفسه من أهم ما ينبغي على المربي القيام به في كل مرحلة من مراحل عمر الطفل بحسب قدراته واستيعابه حتى ينشأ وقد أدرك دينه وطبقه وعمل به وكان له حصناً منيعاً من الانحلال والانحراف الديني والأخلاقي، والقرآن الكريم في منهجه التربوي اهتم بجميع الجوانب العقدية والجسمية والروحية للطفل ووازن بينهما، وأعطى كل جانب حقه، مما يؤدي إلى تكامل شخصية الطفل مقارنة بغيره من الأقران في ظل النظريات التربوية الأخرى[١].

❑ ثالثاً: افتراضات روسو عن طرق التدريس:

«تركزت اهتمامات روسو بالنسبة لطرق التدريس على أن يكون

(١) انظر: نظرية روسو التربوية دراسة تحليلية ناقدة ص٢٤٧.

للمتعلم دور فعال وذاتي في التعلم إلى جانب مشاركة المعلم في الأنشطة والخبرات التعليمية التي تعتمد على الملاحظة والتجربة والكشف، مع تنظيم مستمر للمواقف التعليمية من قبل المعلم.

ولذلك فإن المتعلم يتميز بإعطائه أدواراً تطلق له زمام المبادرة والتصميم على التعلم الذاتي، أما طرق التدريس المعتمدة على النقل اللفظي والقراءة فلم يكن لها نفس الاهتمام من قبل روسو رافضاً تدخل الراشدين والمعلمين المباشر لفرض تقاليد المجتمع وتلقينها للصغار»[(١)]، وفيما يلي افتراضات روسو عن أهم طرائق التدريس الرئيسية، وإلى أي مدى يمكن استخدام كل منها من وجهة نظره:

أ ـ تنظيم المواقف التعليمية والتربية السلبية:

وفي هذه الطريقة يكون أغلب التركيز على المتعلم الذي لا ينتظر التلقين من الآخرين ويكون دور المعلم هو تنظيم المواقف التعليمية حتى يتم التعلم الذاتي، وتبرز هنا دعوة روسو للتربية السلبية «يقول روسو: فالتربية الأولى ينبغي إذاً أن تكون تربية سلبية خالصة»[(٢)]، حيث لا يرى تلقين الطفل ما ينبغي عمله وما لا ينبغي عمله (التربية الإيجابية)، ولكنه يرى منع الرذائل من أن تصل إلى المتعلم.

ويبدأ الطفل الصغير في تعلمه الذاتي من إحساسه بالألم عندما يتخذ وضعاً سيئاً، ولذلك فإن روسو يبدأ بفكرة رفض القماط وربط الطفل الصغير[(٣)]، «ثم بعد أن يكبر الصغير يرى روسو أن يتم تعريضه لاختلافات الفصول والأجواء والجوع والعطش والتعب بقوله»: وحتى إن

---

(١) نظرية «روسو» التربوية دراسة تحليلية ناقدة ص٣٣٠.

(٢) كتاب إميل، جان جاك روسو ص٩٨.

(٣) انظر: نظرية روسو التربوية دراسة تحليلية ص٣٣٠.

وجد بعض الخطر فليس من الخير أن يردنا عما اعتزمناه»[١]، «وعن طريق معرفة تلك التغيرات والأخطار بطريقة مباشرة يتعلم الطفل ذاتياً ما هو خطر أو غير خطر، وما هو خير وما هو شر.

إن روسو في تأخيره للمعرفة الدينية والخلقية التي يفرضها مجتمعه عادة على الصغار، قد جاءت من قناعة بعدم جدواها مع الطفل، وأنها ليست من شأنه، ولذلك فهو يقول: «الحقيقة أن معرفة الخير والشر والأسباب التي يقوم عليها الواجبات الأخلاقية ليست مطلقاً من شأن الطفل»[٢].

ويوضح روسو مدى تدخل المعلم في تنظيمه للمواقف التعليمية فيرشد إلى عدم تحريم شيء ما كلامياً بل يكون المنع عملياً، وكذلك المسموح به يعطى للمتعلم دون تردد فيقول: «أما ما يجب أن يمتنع عن إتيانه فلا تحرمه بالكلام، بل امنعه من عمله بغير إيضاح وبغير مجادلة، وما تريد أن تسمح له به اسمح له به عند أول طلب من غير إلحاح أو توسل»[٣].

وتتلخص طريقة روسو هذه في دعوته المعلم إلى تهيئة الأشياء والأشخاص المساعدة على تعلم الإيجابيات من خلال الاحتكاك المباشر بها، وفي الجانب الآخر يحرص المعلم على منع تسرب الرذائل إلى المتعلم والمحافظة على بقائه جاهلاً بها إلى نهاية مرحلة الطفولة[٤].

يقول روسو: «إذن فالواجب الأول هو تخير الأشياء التي تتأثر بها حافظته والأشخاص الذين يخالطهم وإقصاء ما لا ينبغي أن يطلع عليه

(١) كتاب إميل، جان جاك روسو ص٩٨. (٢) المرجع السابق ص٩٥.
(٣) المرجع السابق ص٩٧.
(٤) نظرية روسو التربوية دراسة تحليلية ناقدة ص٣٣٠، ٣٣١.

حتى يعرف ما يجب، ويجهل ما لا يجب»[١].

وقد لخص فاضل الكعبي نظرية الحرية للطفل ودور المعلم فيها بقوله:

«ينصح روسو المعلمين ومن على طريقتهم من المربين والكُتَّاب والأدباء الذين يتوجهون لمخاطبة الطفل ويعنون بثقافته، أن يجعلوا الطفل أكثر انطلاقاً في آليات التحكم التربوي والثقافي، وأن لا يكون هذا التحكم تحكماً آلياً مقيتاً هدفه الإخضاع والسيطرة على قدرات الطفل وحواسه.. بل أن يكون التحكم ضابطاً أخلاقياً لنظم المجتمع وقيمه الثقافية والاجتماعية المتجددة، وكذلك أن يكون التحكم أسلوباً مرناً في الأخذ والعطاء الإيجابيين بين الطفل والمربي، ليصبح هذا الأسلوب بمرونته وطواعيته، غاية ثقافية وتربوية وتعليمية سامية، هدفها تفعيل نشاط الطفل، وتطوير قدراته، وتوسيع مخيلته، بالاتجاهات الإيجابية التي تضمن له الحرية المنضبطة، في واقعه الموضوعي، ليصل بذلك إلى تعزيز محصلاته الثقافية والتربوية، تعزيزاً إيجابياً، ويضيف قوة إلى قوة التعزيز الإيجابي للقيم الثقافية والتربوية والاجتماعية وأطرها العلمية في المجتمع، وفي ممكنات بنائه الثقافي والاجتماعي والتربوي.. من هنا ينطلق روسو في نصيحته، مخاطباً المعلمين والمربين ومن بحكمهم، ممن يعنون بتربية الأطفال بقوله: (دع الطفل يعتقد أنه دائماً المتحكم، مع أنك ترى «أي: المعلم» من يسيطر عليه في الواقع) لكي ينطلق بقدراته ومدركاته إلى الآفاق الواسعة التي يريد بلوغها، مثلما أنت تريد له ذلك في تحكمك التربوي والثقافي والاجتماعي به، من خلال حفظ لحريته.. وكما يذهب روسو باعتقاده إلى القول: (ليس ثمة إخضاع كامل

(١) كتاب إميل ص١٢٣، ١٢٤.

كالإخضاع الذي يحفظ مظهر الحرية)[١].

وقد كان لهذه الآراء أصداء واسعة حيث لفتت الانتباه إلى الاهتمام بعالم الطفل من جهة وألقت الضوء على ضرورة إعطاء الطفل الحرية مع الرقابة الخفية. وهذه أمور لا غبار عليها حتى من وجهة النظر الإسلامية.

❐ رابعاً: نقد التربية السلبية عند روسو:

ـ المآخذ على التربية السلبية عند روسو:

١ ـ إن الاعتماد على طريقة التلقين بشكل كلي ومستمر أمر لا يصلح لمرحلة الطفولة حيث القدرات العقلية لا تستوعب أو تفهم الكثير من الألفاظ والمعاني، ولكن رفض تلقين بعض مبادئ الفضيلة والحق لا يتفق مع التوجيهات النبوية الإسلامية؛ فقد ورد أمر الأطفال ببعض الأعمال وفعل العبادات مثل الصلاة بعد سن السابعة كما قال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[٢].

«ومثل هذه التوجيهات ضرورية وهي لا تكلف عقل الصغير الكثير من الجهد، ولكنها تعوِّده الأفعال الحسنة، وتعوِّده البعد عن السيئات والأخطاء بطريقة سهلة ومقبولة في مرحلة الطفولة، فعن عمر بن أبي سلمة[٣] قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام، سمِّ الله تعالى وكل بيمينك،**

---

(١) آراء روسو في ثقافة الطفل، فاضل الكعبي، جريدة التآخي العدد (٣٠)، ٢٠٠٥م.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) هو: عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد القرشي المخزومي ربيب الرسول ﷺ، أمه أم سلمة زوج النبي ﷺ، يكنى بأبي حفص، روى عن النبي ﷺ أحاديث توفي سنة (٨٣هـ)، وقيل غير ذلك.
انظر: أسد الغابة ٤/ ١٦٩، وتهذيب التهذيب ٥/ ٣٨.

وكل مما يليك»[١].

وبهذا فإن تعليم الصغار ما يتفق مع قدراتهم العقلية والجسمية أمر مطلوب في التربية الإسلامية، فمثلاً تعليم الأطفال الصلاة لا يعني تكليفهم بها قبل سن التكليف ولكنها استغلال لقدرات الطفل في التقليد والمحاكاة في هذه المرحلة لترسيخ بعض الأقوال والأفعال وخصوصاً الصلاة وهي عماد الدين وركنه العظيم»[٢].

فالتلقين المباشر لأساسيات الدين في هذه الفترة من الطفولة المبكرة هام للغاية؛ لأن الولد لا يفهم معظم تصرفات الكبار فيكون تلقيه المفاهيم الصحيحة وسيلة سهلة؛ لأن الولد مستعد للتقبل والاقتناع.

٢ ـ إن رفض روسو للنهي اللفظي عن الوقوع في الخطأ في تربيته السلبية وتركه للطفل يتلقى جزاءه الطبيعي «عندما يكسر زجاج نافذته مثلاً يتركه يتلقى جزاءه طبيعياً أي من البرد القارس في ليلة مثلجة حتى يتعلم حجم خطئه وفضيلة المحافظة على الأشياء»[٣]، وهذا بالطبع يؤدي في بعض الأحيان إلى هلاك الطفل، فلو منع الكبار الطفل من فتح النافذة في ليالي الشتاء الباردة وأخذوا على يديه لكان في ذلك الخير بدلاً من تركه لرغباته التي قد يكون فيها هلاكه»[٤]، ولأن المربي تقع على عاتقه مسؤولية الوقاية لمن يقعون تحت مسؤوليته وذلك بالتوجيه والإرشاد، وبيان الخطأ وبيان الصواب، والخير والشر سواء كان الأمر دينياً أو

---

(١) صحيح مسلم كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم الحديث (٢٠٢٢).

(٢) نظرية روسو التربوية دراسة تحليلية ص٣٥٧، ٣٥٨.

(٣) كتاب إميل ص٣٦ ـ ٣٩.

(٤) انظر: نظرية «روسو» التربوية دراسة تحليلية ص٣٥٨.

دنيوياً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

ولعل التوجيه غير المباشر الذي يمكن أن يتعلمه الطفل من خلال اللوحات الإرشادية والقصص الهادفة دور الوسيط في أمور كهذه، فإن يكلفنا التوجيه صورة ملونة تضمن فكرة أقل كلفة من أن يجرح الطفل يده بزجاج النافذة لكي يتعلم!! ثم إن لنمذجة التوجيه دور فعال في اتقاء شرور التجربة المباشرة الكاملة، وأضرب لذلك مثلاً من الواقع: فمن المعلوم أن الطفل لا يكون لديه مفهوم سبق عن النار (النار الدنيوية) ومن غير الملائم أن تترك الطفل يحرق يده حرقاً بليغاً بتعريضه لوضع يده فيها، وقد نجحت تجربة ذاتية نموذجية في ذلك عن طريق (القداحة) التي توضع أمام الطفل وقد ظهر اللهب في أعلاها ثم يحذّر الطفل منها بصوت ملائم فيشتد انتباه الطفل ثم تطفأ (القداحة)، وبعد لحظات وقبل أن تزول برودتها توضع على يد الطفل ليشعر بحرارتها المزعجة وغير المؤذية في الوقت نفسه عند ذلك سنرى الطفل يبعد يده مقرراً ألا يقرب القداحة نهايتها في المرحلة الأولى، ثم يستنتج أن لا يقربها بعد أن تطفأ مباشرة، ثم يستنتج أن الخطر الأول إنما هو من اللهب التي يسخن القداحة فتكون بذلك قناعة الطفل بتماشي اللهب.

كما نهى ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما عندما أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها الحسن في فيه، فقال له رسول الله ﷺ: «**كخ، كخ، إرم بها أما علمت أنا لا نأكل الصدقة**»[1]، فرسول الله ﷺ ينهى الحسن رضي الله عنه قولاً ويطالب الصغير برميها، ثم يسأله وهو طفل ليلقنه مبدأ معيناً، وهو أن آل البيت لا يأكلون الصدقة، ثم إنه يسأل الطفل بقوله: أما علمت؟ فمن

(١) انظر: نظرية روسو دراسة تحليلية ناقدة ص٣٥٨.

الذي يفترض أنه علمه؟ قد يكون والداه رضي الله عنهما أولى الناس بتعليمه هذا الشيء، والخلاصة أن الصغير لا يدرك الأسباب والنتائج والمقدمات، ولكن التربية الإسلامية لا تعفي المربين من التدخل والتوجيه والإرشاد بما يتفق مع مصلحة الطفل وقدراته.

٣ ـ وتربية الطفل حتى سن الثانية عشرة تربية سلبية، دون أمر شفوي بالمعروف أو دعوة بخير ونهي عن منكر أو فساد، سوف يعوِّد الطفل على الحرية المطلقة وعدم تقبل النصح والإرشاد لعدم تعوده في الصغر على كبح الشهوات الفردية والاستقلالية في التفكير بعيداً عن أي مرجعية تضبط للمجتمع اتزانه وحقوقه، فلا بد من الأخذ على يد المخطئ صغيراً كان أو كبيراً وإلا عادت آثار الخطأ ونتائجه على الجميع قال ﷺ: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**»[١].

فالسفيه كبيراً كان أو صغيراً لا يترك لحريته يفعل ما يشاء، ولكن لا بد من تدخل العقلاء وتوجيه السفيه والصغير، وإلا فقد يتصرف تصرفاً يكون فيه هلاك الجميع»[٢].

ومن الخير كما ذكرنا تصعيد التوجيه ليميل نحو اللامباشرة، فنضمن بذلك محاسن آراء روسو وأهداف التربية الإسلامية.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم الحديث (٢٤٩٣).

(٢) نظرية «روسو» التربوية دراسة تحليلية ناقدة ص٣٥٧ ـ ٣٦٠.

❐ خامساً: بين التربية الإسلامية ونظرية روسو التربوية:

إن لكل أمة توجهاتها التربوية وإن التقت تلك التوجهات في معايير أخلاقية كثيرة بين المدارس التربوية، غير أن للتربية الإسلامية أهدافاً تميزها تمييزاً واضحاً عن سائر النظريات الغربية، ومن هنا فمدى نجاح التربية في بلادنا لا يمكن أن يقاس على أهداف المدارس الغربية؛ لأنها مختلفة عنها اختلافاً واضحاً.

فما هي أهداف التربية الإسلامية؟

لخص الدكتور مقداد يالجن أهداف التربية الإسلامية بأربعة أهداف أساسية، ثم قام بالتحدث التفصيلي عنها في كتابه «أهداف التربية الإسلامية وغايتها»، **وهذه الأهداف هي:**

«١ ـ البناء العلمي.

٢ ـ بناء إنسان مسلم متكامل الجوانب الشخصية.

٣ ـ بناء خير أمة مؤمنة أخرجت للناس.

٤ ـ بناء خير حضارة إنسانية إسلامية»[1].

وظاهر أننا لا نجد من هذه الأهداف في النظريات التربوية الغربية سوى الهدف الأول فحسب. على أننا نجد في الأهداف التربوية الغربية طلباً للقيم الأخلاقية وقيم الفضيلة دون شك، لكنه طلب يسير على غير هدى، وليس له ضوابط، وكانت نتائجه في واقع المجتمع الغربي مخيبة للآمال باعتراف قياداتهم الفكرية والسياسية على حد سواء.

إن ما يمكن أن تلتقي به النظرية التربوية الإسلامية (التي يرجى لها أن تطلع إلى النور بشكلها المتكامل) مع آراء (روسو) أشياء كثيرة منها:

---

(١) أهداف التربية الإسلامية وغايتها، مقداد يالجن ص٤١.

ما ذكره روسو من أن كل ما خرج من بين يدي خالق الأشياء حسن خيّر وكل شيء يفسد بين أيدي الناس[١].

وقال أيضاً: «لنؤمن إيماناً لا مرية فيه بأن الحركات الأولى للطبيعة هي دوماً قوية رشيدة، وما من فساد أصيل في القلب البشري»[٢].

فهذا هو الذي يسمِّيه الإسلام (فطرة الإسلام)، وأطلقه مدويّاً بعبارات الرسول الكريم: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه، أو يمجِّسانه، أو ينصِّرانه...**»[٣].

فالطفل لا يولد عارفاً بالكذب ولا الخداع، وهذا ما يضحك منه بعض المربين في أثناء مراحل تعليمهم ويطلقون عليه (البراءة عند الطفل)، وهنا أحب أن أشير إلى تحاشي السخرية من الطفل إذا تصرف تصرفات بريئة تدل على فطرته السليمة الطاهرة؛ لأن هذا من أسباب تلويث تلك الفطرة النظيفة، وهنا نقطة الالتقاء الثانية مع آراء (روسو)، فهو رأى كما ذكرنا قبل أسطر أن كل شيء يفسد بين أيدي الناس، ومراد روسو في هذا يقابل تلويث الفطرة (في المفهوم الإسلامي)، ولذلك كانت معنى الحنيفية: عدم الميل عن فطرة التوحيد التي فطر الله الناس عليها.

ويلتقي (روسو) مع المفهوم الإسلامي للمربي فهو يلح ألّا يأسر إرادة الطفل نفسها، «وإن حدث ذلك فإن إرادة الطفل ستكون ضعيفة خاضعة لدوافع خارجية، قد تجعلها سهلة التحكم فيها، والانقياد إليها.. إذ يوضح روسو هنا أن الطفل كائن ضعيف، ونحن من نعينه؛ لأنه خاضع لنا، وواقع تحت رحمتنا... لذلك نحن من يجعله ينمو أو لا ينمو، ونحن من يرتب عوالمه وأشياءه.. ونحن من يهديه إلى

---

(١) انظر: التربية عبر التاريخ ص٣٧٨. (٢) المرجع السابق.

(٣) سبق تخريجه.

الصواب.. ويجنبه الخطأ.. ونحن من يعمل له الألعاب.. ونحن من يفرحه ويحزنه.. هذا يعني أن كل ما نريده لهذا الطفل لا بد من أن يكون وحسبما نريد ونشتهي، إذاً من السهولة التأثير عليه، وتسييره على وفق ما نريد ونتمنى.. ولكن؟.. علينا أن نستخدم قوتنا وتحكمنا به على وفق المبادئ السليمة التي تضمن لنا ما نريد من الطفل.. وما نريده له، وفي الوقت نفسه تكون هذه المبادئ ضامنة لحق الطفل وحريته وما يريده منا، لينشأ سليماً.. يعي ما يريد هو وما نريد نحن، ليكون التوافق موضوعياً بيننا. ويسير على وفق قواعدنا التربوية والأخلاقية والثقافية... وعندها سيشعر الطفل أن حريته هي حريتنا.. وقيمه هي قيمنا.. والصواب الذي يخطو إليه هو ما يريده هو لنفسه، وهو ما نريده نحن له، حتى يسلك هذا السلوك.. وحتى يستجيب لتحكمنا الواعي، الذي يخلص إلى نتيجة إيجابية أساسها ترصيخ الوحدة الاجتماعية والثقافية والتربوية بينه وبيننا..

والطفل هنا كما يؤكد روسو بقوله: «ما من شك أنه يجب أن لا يعمل إلا ما يريد، ولكن ينبغي أن لا يريد إلا ما تريده أنت أن يعمله، وينبغي أن لا يتخذ أية خطوة لا تتوقعها أنت، وينبغي أن لا يفتح فمه من دون أن تكون على علم بما سيقول»(١).

إنها مسؤولية عظيمة ألقاها (روسو) على المربي، بل جعل (روسو) للمربي كامل الحق في التدخل، ولكن أي تدخّل؟ إنه التدخل غير المباشر لدى الطفل بحيث لا يلغي شعوره أنه هو الذي يقرر، وهو الذي يختار.

والتربية الإسلامية لا تخالف هذا البتة، فإن تعمقنا في طرائق التوجيه الإسلامي للناشئة نجد المبادئ نفسها بأساليب ناضجة ورائعة.

---

(١) آراء «روسو» في ثقافة الطفل. جريدة التآخي العدد (٣٠)، ٢٠٠٥م.

فهذا يوسف الصديق عليه السلام يخاطب صاحبي سجنه قائلاً: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف]، وظاهر أسلوب الاستفهام في هذا التوجيه الخفي لاختيار مبدأ توحيد الربوبية، فقد عرض القرآن الكريم على لسان يوسف النبي مشكلة المشكلات وهي اضطراب الفطرة البشرية حين تصطدم بمفهوم تعدد الأرباب، فجعل يوسف المسألة سؤالاً يسأله، ويبني عليه جواب وقرار يتخذه السامع، فبعد أن عرض المربي (وهو هنا يوسف عليه السلام) صورة قاتمة لواقع تعدد الأرباب والتي تسفر لا محالة عن اختيار الصواب وهو جانب الله الواحد القهار... وبعد اختيار المتربي هذا الجانب تتم المهمة التعليمية الرائعة دون أن يشعر المتربّى (الهدف) أنه قد أملي عليه شيء.

والمتأمل لكتاب الله عز وجل وأحاديث رسول الله ﷺ يجد من هذا الكثير، ففي الذكر الحكيم كذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، والمسألة لا تحتاج إلى تفكير طويل، فالجواب المتوقع من السامع (الجواب الطبيعي) أن يقول: نعم، وأن يتخذ قراراً بذلك لا يأسر الإرادة.

أما في الحديث الشريف فتوجيهات النبي ﷺ في هذا كثير ما يتصدرها مثل هذا التخيير لشد الانتباه ولاستدعاء القرار من السامع (المتربّي)؛ كقوله ﷺ: «**أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[(١)].

وهذا النوع من الاستفهام هو الاستفهام التقريري الذي يخرج عن أن يكون استفهاماً ليصير تقريراً يصدر من السامع، ولا يكون الاستفهام

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، حديث رقم (٥٤).

تقريرياً إلا إذا كان السائل يتوقع جواباً إيجابياً من السامع بـ(نعم) أو (بلى)، وهذا يلتقي تماماً مع ما رمى إليه (روسو) بقوله في الطفل: وينبغي ألا يفتح فمه ـ أي: الطفل ـ من دون أن يكون ـ أي: المربي أو المعلم ـ على علم بما سيقول[1].

وقد أكد (روسو) على أهمية الانتقال من المحسوس إلى المجرّد وهذا ما كان يعنيه النبي ﷺ في توجيهاته.

فمن ذلك إقناعه للمتربي بأثر الصلاة في التطهير من الذنوب حيث بدأ بقوله: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم...**» الحديث، فلم يعمد إلى القول: (الصلاة تمحو الخطايا)، بل قدم لذلك بصورة محسوسة مقنعة توضح المقصود والمطلوب وتقربه من الأفهام.

ولو حاولنا تتبع المسائل التي طرحتها نظرية (روسو) التربوية ولا تتعارض مع التربية الإسلامية لوقفنا على الكثير مما قد لا تتيحه مجال هذه الدراسة، فلننتقل إلى النقاط التي يمكن تسميتها بنقاط الاختلاف مع توجهات (روسو)، تلك النقاط التي يمكن أن تقسم قسمين: نقاط عامة، ونقاط محددة.

ـ نقاط الاختلاف العامة مع نظرية (روسو):

لا تتباين نقاط الاختلاف بين توجهات التربية الإسلامية والتوجهات التربوية الغربية بوجه عام، و(روسو) واحد عن أعلام التربية الغربية على كل حال.

فالاختلاف الجذري بين نوعي التربية يكمن في اختلاف الأهداف من التربية، وقد ذكرنا من قريب أهداف التربية الإسلامية[2]، ومعلوم أن

---

(١) انظر: مقالة آراء روسو في ثقافة الطفل جريدة التلآخي العدد (٣٠)، ٢٠٠٥م.

(٢) تقدم ذلك ص٤٢٧.

أهداف التربية الغربية تُجمع على أمور الفضيلة والأخلاق فيما تطرحه من أهداف لكنها تترك هذه الأمور مائعة ليس لها طابع التقنين أو التحديد، وهذا ما ردّده كذلك بعض التربويين من العرب الذين أفاضوا كتربويي الغرب في ذكر صلاح النفس، وسمو الروح، والتحلي بالأخلاق، والمُواطن الصالح، دون أن يضعوا معايير صارمة لتلك الأمور، بل ربطها بعضهم بأن «يكون لدى الوالدين أنفسهما ضمير ومعايير خلقية ناضجة ومعقولة؛ أي: ليست متشددة أكثر من اللازم أو جامدة أو قاسية»[(١)].

إن مثل هذه العبارة تشعر بمدى الانفتاح الأخلاقي وعدم التحديد! ثم ما هو اللازم وغير اللازم؟ ومن يضع قانونه؟ ومن الغريب حقّاً في بلاد إسلامية ألا نجد في كثير من الكتب التي يضعها التربويون العرب إشارة إلى ما يسمى التربية الإسلامية أو التوجيه الديني في التربية!

ومن هنا فإن التربية الإسلامية وأهدافها ومرامها مستقلة متميزة بالأسس التي تنطلق منها وهي أخلاقيات الإسلام، وأسس العقيدة الإسلامية وضوابطها، هذه الأسس التي لا تتغير مكوناتها الأساسية على مر العصور، فالسرقة تبقى هي السرقة، وشرب الخمر هو شرب الخمر، والزنا هو الزنا، وسرعان ما يردّ العالم الإسلامي الذي يُسأل عن مستحدثات في العصر الحديث إلى أصولها الإسلامية بمسمياتها الأساسية.

بينما نجد القيم الخلقية ذاتها باعتراف علماء التربية الغربيين أنها تتطور مع الزمن وهم في ذلك يجربون!! في ضوء النتائج التي تجري في المجتمعات، ويستخلصون ويستنتجون، ولكن بعد فوات الأوان. فقد لاحظ بعض تربويي الغرب أخيراً أن من الضروري فصل الطالبات عن

(١) الطفل من الحمل إلى الرشد، محمد عماد الدين إسماعيل ١/ ٤٢٣.

الطلاب في المدارس[١].

ويقول محمد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تلتقي مناهج التربية الأرضية على هدف التربية هو إعداد (المواطن الصالح)، وتختلف الأمم بعد ذلك في تصور هذا المواطن وتحديد صفاته، فقد يكون هو الجندي الشاكي السلاح المتأهب في كل لحظة للوثوب سواء للعدوان أو لرد العدوان، وقد يكون هو الرجل الطيب المساعد الذي لا يحب الاعتداء على أحد ولا اعتداء أحد عليه... ولكنها تشترك كلها في شيء واحد! في إعداد (المواطن الصالح)! أما الإسلام فلا يحصر نفسه في تلك الحدود الضيقة، ولا يسعى لإعداد (المواطن) الصالح، وإنما يسعى لتحقيق هدف أكبر وأشمل هو إعداد الإنسان الصالح... الإنسان من حيث هو إنسان لا من حيث هو (مواطن) في هذه البقعة من الأرض أو في ذلك المكان، وذلك معنى أشمل ولا شك من كل مفهوم للتربية عند غير المسلمين»[٢].

ـ نقاط الاختلاف الخاصة مع نظرية (روسو):

تقدم في هذا المبحث كيف أن (روسو) قد قسّم المراحل العمرية للبشر إلى مراحل صارمة[٣] جعل بينها كالحدود بين الدول، وليس الإشكال في التقسيم بقدر ما هو متعلّق بما أسبغه على كل مرحلة من شرائط وصفات. وأبرز تلك الشرائط أنه اعتبر المرحلة الأولى والثانية خاضعتين للتربية السلبية، وتعني: عدم التدخل في حياة الطفل، وجعله يتعلم من تلقاء نفسه ومن الطبيعة نفسها، كما أولى الاهتمام الأكبر

---

(١) انظر: مقالة بعنوان منع الاختلاط في مدارس أمريكا، للدكتورة نورة السعد، جريدة الرياض، العدد (٢٧٧٠٧)، تاريخ ١٩/ ٥/ ٢٠٠٢م.

(٢) منهج التربية الإسلامية ١/ ١٣.

(٣) انظر: ص٤١٢ من هذا البحث.

للحواس لدى الطفل وتنميتها[١]، وكان لـ(روسو) موقف من التربية الدينية فجعل أوانها في سن السادسة عشرة! وحظر التعليم التلقيني فيما قبل الثانية عشرة.

وهذه كلها نقاط ينبغي مناقشتها في ضوء التربية الإسلامية؛ لأنها تتعارض معها قليلاً أو كثيراً.

إن مسألة التوجه إلى الطفل وإيلائه العناية الخاصة من حيث هو طفل له تطلعاته وإمكاناته مسألة أقرتها التربيات الغربية على اختلافها بما فيها التربية الإسلامية، لكن قضية عدم التوجه إلى الطفل بالتعليم من جهة المربي مسألة فيها نظر ذلك أن الإسلام توجه إلى الطفل بالتعليم وفي الحديث الشريف بعض الأوامر التي تختص بتربية الطفل عن طريق الأمر المباشر كأمره بالصلاة لسبع؛ لقوله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر**»[٢]، ويقتضي هذا الأمر تعليمه حفظ سور من القرآن الكريم، أو ما أمكن من الكتاب العزيز، وقديماً قالوا: العلم في الصغر كالنقش على الحجر.

أما أسلوب هذا التعليم فقد ترك الإسلام لأساليب التربية المختلفة حرية الانتقاء منها ما يناسب الحال والمقام. ولعل أقوى أساليب التربية الحديثة هو أسلوب التربية بالقدوة، فالطفل يرى والده يصلي فيسعى إلى تقليده والوقوف إلى جانبه في الصلاة والسجود معه. ومسألة تعليم الولد حفظ السور يمكن أن يستفاد من رغبة الطفل الشديدة في السن المبكرة في تعلم مفردات اللغة فلا بأس من جعل آيات الكتاب العزيز من ضمن ما يردّده الطفل ويجري على لسانه على أن يشجع على ذلك ويكأفا عليه.

---

(١) انظر: ص٤١٢ من هذا البحث.

(٢) سبق تخريجه.

أما تأخير تعليم مفاهيم الدين كمسألة التوحيد والاتّباع فيمكن تبسيط مسائلها بحيث تجعل غير خارجة عن إحساس الطفل بأنه توصل إليها من تلقاء نفسه، وذلك باستخدام الحوار الهادئ المبسّط من جهة المربي وسلوك طريق الاستدلال الذي تحث عليه الآية القرآنية: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ. . .﴾ [يونس: ١٠١].

إن أمام المربي المسلم من المحسوسات التي تقود إلى المجردات ما لا يحصى من مظاهر الكون، فالسماء مرفوعة بلا عمد، والزرع ينمو من تلقاء نفسه، وقلب الإنسان والحيوان يخفق بلا كلل ولا ملل. .

ثم إن الطفل لن يدع والديه ومعلمه حتى يبلغ سن السادسة عشرة ليتساءل أو يسأل عن أسرار هذا الوجود ومظاهره وربط كل شيء بعلاقة السببية.

وعلى هذا نستطيع القول إن المربي المسلم من الخير له ألا يتدخل بالأمر المباشر إلا عند الضرورة القصوى معتمداً على أمرين متلازمين:
أولهما: تقديم القدوة الصالحة له من خلال تصرفات الأبوين.

والأمر الثاني: الحرص الشديد على تقديم الحب للطفل، فإن المحب لمن يحب مقلّد بشعور أو لا شعور. وقد أشار إلى هذا محمد عماد الدين إسماعيل فقال: «أثبتت الدراسات أن تبني الطفل لقيم ومعايير الوالدين تعتمد على مقدار الدفء والحب الذي يحاط به الطفل في علاقته بوالديه»[1].

ومن الاعتراض على مبدأ (روسو) في تأخير تقديم المبادئ والأفكار إلى ما بعد الثانية عشرة ما ذكره عبد الله عبد الدايم: «على (إميل) أن يكون في هذه السنوات الثلاث (١٢ ـ ١٥ سنة) ذهناً مشرقاً

(١) الطفل من الحمل إلى الرشد ص٤٢٣.

وذكاء لامعاً بعد أن قضى اثنتي عشرة سنة في التربية السلبية!»[(١)].

لكن عبد الدايم اعترض على (روسو) «كيف يعرّض (إميل) فجأة للدراسات السريعة التي يفرضها عليه؟! إذ لم يقيد في سنواته الأولى على التفكير وعاش حياة جسدية كلها»[(٢)].

ومع أن عبد الدايم يرى أن نصائح (روسو) لا تخلو من جانب كبير من الصحة، لكن ذهب إلى أن فكره لا ينجو من الإفراط والمغالاة[(٣)] فقد قال: «وظاهر أن خطأ (روسو) هنا هو في تجزئته حياة الإنسان قسم العشرين أجزاء أربعة قاطعة لا سبيل إلى التواصل بينها[(٤)]، وقال أيضاً: «أفلا تخشى إذا استغنى الطفل عبد الله حتى سن وأن يشك بدل أن يعتقد؟ ثم إن الطفل فضولي بطبعه، فهل في وسعه أن ينتظر حتى السنة الثانية عشرة ليسأل عن الكون؟»[(٥)].

وعلم النفس التعليمي بنظرياته المتعددة مقرّ بأن مرحلة الطفل (٦ ـ ١٠) هي: «مرحلة النشاط العقلي المتدفق والتفكير الذي يساعد على الفهم والتحصيل المدرسي، ولكن تحصيل الطفل في هذه المرحلة يعتمد على الواقع أكثر من الخيال فهو يريد أن يتعلم بنفسه بالنشاط الذاتي والتجريبي والمحاولة. . . ويلاحظ في هذه المرحلة اكتساب الطفل الكثير من أساليب السلوك بالمحاكاة والتقليد والامتصاص والتقمص الأمر الذي يجعل أثر المدرسين كثيراً في تكوين عادات الطفل والقيم الاجتماعية التي يكونها كمبادئ العدل وعدم التحيز أو التعصب وحب الخير والمثابرة. . . والمساواة والحق والواجب»[(٦)].

---

(١) التربية عبر التاريخ، مصدر سابق ص٣٨٦.
(٢) نفسه ص٣٨٦.
(٣) نفسه ص٣٨٩.
(٤) نفسه ص٣٨٩.
(٥) نفسه ص٣٩٢.
(٦) علم النفس التعليمي، محمد خليفة بركات ص١١٥، ١١٦.

وفوق هذا كله فعلم النفس التعليمي يقول عن المرحلة من عمر الطفل التي تبدأ من ست سنوات: «يكتسب الطفل من المعلم العادات المفيدة، وبالأخص من حيث التنشئة الدينية والتمسك بالقيم والمبادئ الاجتماعية السليمة»(١).

وهذا الذي ذكرناه هو ما عليه أساليب التعليم المعاصرة ومناهجه وهو كله يجبّ إصرار (روسو) على التربية السلبية في مرحلة ما قبل اثني عشر عاماً من عمر الطفل.

لكننا قد نلتمس لـ(روسو) من جهة أخرى أسباباً جعلته يقف هذا الموقف من تأخير تقديم مسائل العقيدة (الدين إلى ما بعد السادسة عشرة، ذلك أن (روسو) طلع بكتابه (إميل) في مرحلة تاريخية كانت فيها فرنسا تطرد (اليسوعيين) من فرنسا وتقوم بانقلابها على الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والاستيلاء على ممتلكاتها(٢).

وقد كان مليئاً بالحنق الطاغي على تصرفات الكنيسة الأوروبية التي وقفت ما وسعها ذلك في وجه التقدم العلمي المحض والاكتشافات العلمية وعاقبت المبدعين ووصفتهم بالإلحاد، وزجَّت بسلطتها ومحاكم تفتيشها بكل ثقلها في صراع دموي غير مشرّف.

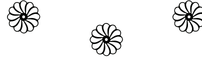
وهذا بطبيعة الحال مغاير لتاريخ العقيدة الإسلامية ومسيرتها المليئة بالعدل والرحمة والتفتح وتقبّل مخرجات العلم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك].

وقال في موضع آخر: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

(١) نفسه ص١١٧.
(٢) انظر: الموسوعة العربية العالمية ٨/ ٧٩.

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ [آل عمران].

إن تقبّل العقيدة الإسلامية لاكتشافات العلم واضح في هذه الآيات، فليس هنالك من تعارض بين العقيدة الإسلامية واكتشافات العلم مهما علا شأنها؛ لأن العلاقة بين الأمرين علاقة مساندة، فكلما عظمت المكتشفات العلمية أشار ذلك إلى عظمة الخالق وحسن تدبيره للكون وعلاقاته وقوانينه.





المبحث الرابع الأثر الضار لبعض التطبيقات المعاصرة على الناشئة في مراحلها العمرية المختلفة

إن المتتبع لمراحل التعليم التي يمر بها الناشئة في البلاد الإسلامية، يجد بين ثنايا تطبيقاتها بعضاً من الآثار الضارة التي تؤثر على النشء في مسيرة حياتهم سواء على المستوى الديني أو التعليمي، وسوف نقف بإذن الله على البعض منها وخاصة في مرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية، **ومن هذه الآثار ما يلي:**

□ أولاً: تعليم الناشئة في رياض الأطفال والمدارس ذات الطابع الأجنبي:

١ ـ تعليم الناشئة في رياض الأطفال:

إن التعليم في رياض الأطفال له أهمية كبرى في تنشئة الطفل وتربيته على المبادئ القويمة، والعادات الخيرة والأخلاق الفاضلة حسب جميع المناهج التربوية.

ونظراً لأهميته البالغة لرياض الأطفال اهتم بها المبشرون، فلما بدأت هجمة الغزو الفكري جعلت تركز على المدارس عموماً ومدارس الصغار بشكل خاص، من أجل خدمة أغراض التبشير والمستعمرين، ويرجع اهتمامهم بالأطفال ومدارسهم إلى أن التعليم الديني في هذه المدارس يجعلها باباً مفتوحاً للتبشير، وللتأثير في عقول الأطفال الغضة[١].

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي وعمر فروخ ص٦٨.

وقد تخرَّج في مدارس رياض الأطفال في المدارس ذات الطابع الغربي أناس من أبناء المسلمين يحملون أفكاراً علمانية، قادوا بلادهم في عدد من الأقطار ونفذوا طائعين ما يريده أعداء ديننا الحنيف.

فعلى الوالدين عدم الانخداع في مظهر هذا النوع من رياض الأطفال؛ لأن داخلها مكمن خطير يقود الناشئة إلى التهلكة والانسلاخ من العقيدة الإسلامية.

ذلك أن هذه المدارس لا تقوم على أهداف واضحة المعالم فيما يخص التربية الإسلامية بل على العكس تقوم بتغذية أطفالنا بمبادئ العلمانية والليبرالية لينشأ الطفل خلواً من كل غيرة على عقيدة أو التزام بدين.

◻ ثانياً: أثر تعليم الناشئة في المدارس الأجنبية في المرحلة الابتدائية:

إن المقصود بالتعليم الأجنبي هو التعليم الذي لا يرتبط بالسياسة التعليمية للبلد ولا يتقيد بمناهج التعليم فيه، وإنما يسير وفق سياسة تعليمية ومناهج مختلفة ويكون تابعاً لجهة أجنبية»[(١)].

وهذا النوع من التعليم يعد نوعاً من الاستعمار الفكري، فهو معركة فكرية هدفها استعمار قلوب المسلمين عقيدة وفكراً ومنهج حياة، ليصبح العالم الإسلامي غريباً في أخلاقه ومقوماته متنافراً مع دين الإسلام الحق.

والمدارس في هذا التعليم الأجنبي على نوعين:

١ ـ «مدارس تابعة للإرساليات ـ البعثات ـ التنصيرية ـ الكاثوليكية ـ

---

(١) الغزو الفكري التحدي والمواجهة ص١٠٤.

والبروتستانتية «جمعيات التبشير»، الإيطالية والفرنسية والبريطانية والألمانية، والأمريكية، واليونانية.

٢ ـ مدارس تابعة للسفارات الأجنبية، ولهذا تجدها مدارس «فرنسية» و«ألمانية» و«أمريكية»، وغيرها وقد تسمى باسم المدارس القومية وهي مشتهرة باسم «مدارس الجاليات».

وكل مدرسة من النوعين المذكورين تخدم ما تنتمي إليه من دين ونحلة وسلوك ومنهج، لكن النوع الأول المقصود به استعمار مواليد المسلمين والتأثير عليهم، وأما النوع الثاني فقد يكون مقصوراً على أولاد الجالية فقط، ففيه مبدأ وجودها على الأرض الإسلامية، وقد يسمح بإدخال أولاد المسلمين فيها»[1].

أهداف المدارس الأجنبية وآثارها على ناشئة المسلمين:

إذا تبنت أمة نظام تعليم وافد في ظل عقيدة غير عقيدتها، وأخلاق غير أخلاقها، فسيكون الناتج أهدافاً في الاعتقاد والأخلاق والسياسة والاجتماع تتحقق في أبنائها فتترك فيهم أفكاراً وانحرافات مغايرة لمقتضى الإيمان والعقيدة الصحيحة.

وأهداف نشر التعليم الأجنبي بين المسلمين تتمثل في الآتي:

من معجزات النبوة الظاهرة وآثارها الباهرة الحديث المتفق على صحته: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه**»[2].

ومن مآثر علماء المسلمين العمل على تلقين عامتهم وأولادهم هذا الحديث وقاية لهم في فطرتهم ودينهم وحماية لهم من الضلال.

---

(١) المرجع السابق ص١٩.

(٢) سبق تخريج الحديث.

إن المدارس الأجنبية تقوم على تعصب ديني وتثقيف قومي في اللسان والتاريخ، فكل مدرسة تعنى بتعليم دين بلادها ولغتها وتاريخها، ومقومات حياتها، تلقنها طلاب مدارسها، وتسعى بواسطتهم لنشرها بين أهليهم، وهذه بالطبع تفضي إلى الآثار المدمرة في اللغة والتاريخ، والدين.

أما في اللغة: فهذه المدارس المظلمة تقوم بالتعليم بلسانها ولغتها، ومعلوم أن اللغة وعاء الحضارة، فكان بالتالي أن يتشرب أبناؤنا تلك الحضارة ويعجبوا بها ويقلدوها منسلخين عن حضارة دينهم وأصالتهم.

وأهم ما في الأمر إهمال اللغة الأصلية ذلك الحاجز العالي الذي يقوم بين المسلم ولغته العربية، فإذا ابتعد عن لغته ابتعد آلياً عن تراثه المتمثل بالقرآن الكريم أولاً والحديث الشريف ثانياً، وهما أساس ارتباطه بالدين الحنيف.

وأما في التاريخ: فيتعلم الناشئ تاريخ الدول الغربية على أنه قمة الرقي والأخلاق والعدل، وتمسح من ذهنه كل علاقة بالتاريخ العربي الإسلامي المشرّف الذي كان فيه المسلمون أسياد العالم قروناً عديدة.

والكتب التي يتم تدريسها في هذه المدارس تتكلم عن بطولات وشخصيات غير إسلامية، مما يرسِّخ في أذهان الناشئة تمجيداً واحتراماً لهذه الشخصيات في حين تغفل البطولات الإسلامية والتاريخ الإسلامي المجيد(١).

وأما في الدين: فإن غزو هذه المدارس التثقيفي هو تمهيد للغزو الديني، فهي معاقل تبشير بالديانات.

والمتربي المسلم الذي يضعه والده في أحضان هذه المدارس

(١) الغزو الفكري في الخليج العربي، سعيد عبد الله المهدي ص٢٣٧.

الاستعمارية يخرج مسلماً خواء مفرغاً من مقوماته فهو يكون مشحوناً بمقومات الغيرة على دينه وثقافته، فيستخدمونه لأغراضهم وغاياتهم[(١)].

❑ ثالثاً: أهمية القدوة عند الناشئة:

تعتبر القدوة من الوسائل الناجحة والمؤثرة في إعداد الناشئة خلقياً، ونفسياً، واجتماعياً، وهي من أرقى أساليب التربية.

والتربية بالقدوة العملية أبلغ وأشد تأثيراً من التربية النظرية، وكثيراً ما تشكو المجتمعات اليوم من مظاهر الانحراف، وتُلقي باللائمة على الناشئة وتتجه نحوها بالزجر والوعيد، ولكن هذه الأساليب لا تؤتي ثمارها لفقدان الناشئة القدوة الصالحة في الآباء والمعلمين والمربين[(٢)].

ويقول أحد المربين في هذا المجال: «في القرآن آيتان ما تلوتهما أو استمعت إليهما إلا عزوت خيبة التربية والتعليم في الناشئة إلى عدم إعطاء الآباء والمعلمين والرؤساء القدوة العملية من أنفسهم لمن وكل إليهم الأمر في تعليمهم أو تربيتهم أو تشغيلهم»[(٣)]، هاتان الآيتان هما: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف].

أ ـ أنواع القدوة وأثر كل منها:

فالقدوة ذات أثر كبير في سلوك الناشئين، وقد يكون أثرها هذا إيجابياً أو سلبياً.

---

(١) انظر: المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية ص٣٢، ٣٣ بتصرف.
(٢) انظر: القدوة ودورها في تربية النشء، بريكان القرشي ص١٩ بتصرف.
(٣) على مائدة القرآن، دين ودولة، أحمد محمد جمال ص١٤٢.

فلقد جاء التوجيه الرباني للاقتداء بأنبياء الله ورسله ومن اقتدى بهم فأمر الله ورسوله محمد ﷺ بأن نقتدي بهدي الرسل السابقين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ۝٩٠﴾ [الأنعام]، وأمر الله المؤمنين بأن يقتدوا برسول الأمة وأسوتها محمد ﷺ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾ [الأحزاب].

ولكن عندما تكون القدوة أسوة سيئة فإن التقليد والمحاكاة له أثره الضار في الناشئة، وطريقاً سهلاً للوصول إلى دركات النقص التي انحدرت إليها أسوتهم السيئة، ويغذي هذا التقليد والمحاكاة لهذه الأسوة السيئة ما يقدمه دعاة الشر للمجتمعات من نماذج فاسدة لها تأثيرها القوي في نفوس الجماهير، وهي نماذج ذات مفاهيم وعقائد باطلة وأعمال مضلة سلطت عليها الأضواء الإعلامية ونشر بين الناس عبارات الثناء والإعجاب ليقتدي بها.

ومن هذه الأمثلة نجوم الفن والجمال والأناقة والغناء ليكونوا قدوة للجماهير يقتدي بهم في مظاهرهم وسلوكهم حتى في شؤونهم الخاصة كما هو الحال في بعض برامج التلفاز المتعلقة بإعداد النجوم وما لها من أثر ضار على الناشئة في متابعته وتقليد من ينضمون فيه من شباب وفتيات[(١)].

ب ـ أهم المجالات المؤثرة في تشكيل القدوة الحسنة عند الناشئة:

١ ـ الأسرة ودورها في تشكيل نموذج القدوة:

تمثل الأسرة بجميع أفرادها القدوة الحسنة التي يحتاج لها الناشئ، لذا ينبغي أن تكون أسرته خالية من عوامل انحراف الفطرة السليمة، «فكما أن في الإنسان استعداداً فطرياً لمعرفة الحق وفعل الخير فهو أيضاً قابل تحت تأثير بعض الظروف الأسرية والاجتماعية غير الصالحة التي

---

(١) انظر: غزو في الصميم ص١٥٢، ١٥٣.

ينشأ فيها؛ لأن يطمس فيه هذا الاستعداد الفطري لمعرفة الحق وفعل الخير، فيميل إلى الباطل وفعل الشر[١]، وقد وضح الرسول ﷺ الدور الفاعل للأسرة في تربية الأبناء وفي تزويدهم بنماذج القدوة: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه**»[٢].

فالآباء هم القدوة الفعلية لأبنائهم في سلوكهم وسائر أحوالهم سواء كان حسناً أم سيئاً. فإذاً تعهد الآباء أبناءهم بالتربية الصالحة وتعويدهم في هذه المرحلة على الأخلاق والأفعال الحميدة حتى يكبروا عليها. ولكن إذا أهمل الأبناء وعُوِّدوا على المسلك السيئ، فإن ذلك يصير جزء من حياتهم، فالطفل مثلاً: يحاكي والديه في أفعال الصلاة فيركع ويسجد حتى قيل: إنه لا يدرك حقيقة الصلاة، فإذا شب وأدرك حقيقة الصلاة أصبحت جزء من سلوكه يؤديها على إيمان وقناعة، وكذلك إذا رأى والده يعامله ويعامل إخوانه بالعطف والرفق فإنه يتعلم منه معنى الرحمة والشفقة، وكذلك إذا رأى والدته تحترم والده وإخوانه الكبار يحترمون والديهم بطبيعتهما فإنه ينشأ على طاعة والديه واحترامها[٣].

فالقدوة الحسنة تتمثل في الوالدين أولاً، ثم في بقية أفراد الأسرة، ومنهم يكتسب الطفل أنماط السلوك ومعاني المفاهيم.

أما إذا كانت القدوة في الأسرة سيئة فإنها تكون معول هدم لكثير من المبادئ والقيم الحسنة التي ينبغي على الناشئ اكتسابها من والديه، وينبغي أن نضع في الاعتبار أن نظرة الناشئ إلى سلوكيات وتصرفات الآخرين الخاطئة تختلف عن نظرته إلى سلوكيات وتصرفات والديه، فالأب والأم مراقبان في البيت من أولادهما، وكل سلوك أو قول يصدر عنهما يسهم في

---

(١) الحديث وعلم النفس ص٢٥٠.　　　(٢) سبق تخريجه.
(٣) انظر: القدوة ودورها في تربية النشء ص٢١ ـ ٢٣.

تكوين النموذج والقدوة الذي يؤثر على تنمية شخصياتهم[١]، فالولد الذي يرى والده يكذب لا يمكن أن يتعلم الصدق.

والولد الذي رأى أمه تغش أباه أو أخاه لا يمكن أن يتعلم الأمانة.

والبنت التي ترى أمها مستهترة متبرجة فمن الصعب أن تتعلم الحياء والفضيلة.

والولد الذي يقسو عليه أبوه لا يمكن يتعلم الرحمة[٢].

«ويلاحظ أن ترسيخ مبدأ الشورى والتعاون، ومبدأ قوامة الرجل في الأسرة واحترام الصغير للكبير، وعطف الكبير على الصغير، كل ذلك يعدّ من أحسن الأنماط السلوكية التي يلتقطها الطفل في هذه المرحلة وينشأ وفقاً لها»[٣].

٢ ـ المعلمة ودورها في تشكيل نموذج القدوة لمرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية:

إن المعلم أو المعلمة في المدرسة هو المثل الأعلى والأسوة الحسنة في نظر الناشئ يحاكيه سلوكياً ويقتدي به خلقياً من حيث يشعر أو لا يشعر، بل وتنطبع في نفس الناشئ وإحساسه صورة المعلم القولية والفعلية ومن السهل على المعلم أن يلقن المتعلمين مقرراً دراسياً، ولكن من الصعب أن يستجيب هؤلاء المتعلمون لما يتضمنه هذا المقرر من مبادئ وقيم حين يرون أن من يشرف على تربيتهم ويقوم على توجيههم غير ملتزم بها[٤]، «ولذلك فإنه مهما يكن من أمر إيجاد منهج تربوي

(١) انظر: مضامين مفهوم القدوة كما تدركها معلِّمات رياض الأطفال، مضاوي عبد الرحمٰن الراشد ص١٨.

(٢) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب ص١٨٦.

(٣) دور البيت في تربية الطفل المسلم، خالد أحمد الشنتوت ص٣٠.

(٤) انظر: تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله علوان ٢/ ٤٧٦.

متكامل ومهما يكن من أمر إعداده والدقة في اختياره فإنه لا يغني عن وجود واقع تربوي يمثله إنسان مرب قدير يترجم من خلال سلوكه وتصرفاته وأسلوبه التربوي الأهداف والمعاني والأفكار التي يراد إقامة المنهج التربوي عليها، لذا فالمتعلم بحاجة إلى قدوة يراها في كل معلم من معلميه وفي كل معلمة في المدرسة يقتنع حقاً بما يتعلمه وليرى فعلاً أن ما يطلب منه من السلوك المثالي هو أمر واقعي ممكن التطبيق في الحياة»[(١)].

وتبرز أهمية القدوة في تربية الناشئة وأهمية الدور الذي تؤديه معلمة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية كنموذج للقدوة من خلال:

١ ـ استحسان الناشئ كل سلوك أو عمل حسناً يراه، والتقدير لهذا العمل، وهذا يدفعه إلى محاولة تقليده[(٢)].

٢ ـ رغبة الناشئ في محاكاة من يعجب له وتقليده سواء كان حسن أو سيئ السلوك، فقد يقتدي عدد كبير من الأطفال بنماذج غير صالحة، لذا تظهر بعض البوادر السلوكية غير المرغوب فيها وتزداد حدتها حيث تكون معززة بصورة مباشرة أو غير مباشرة من الأحداث والمواقف المختلفة في الحياة[(٣)].

والمعلمة ينبغي أن تكون حياتها حياة الداعية إلى الله التي يكون سلوكها تطبيقاً عملياً لما تدعو إليه، وتكون مصباح هداية لا غواية، قدوة صالحة ظاهراً وباطناً تعمل بعلمها، فلا يكذِّب فعلها قولها، ولا يخالف

---

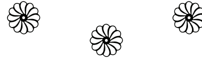
(١) منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، ١/ ٢٢١ وأصول التربية الإسلامية، عبد الرحمن النحلاوي ص٢٢٨.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، النحلاوي ص٢٣٣.

(٣) القدوة وأثرها في التنشئة الاجتماعية لتلاميذ المرحلة الابتدائية، د. محمد بن شحات الخطيب ص٣٤ بتصرف.

ظاهرها باطنها، بل لا تأمر بشيء ما لم تكن هي أول من يعمل به، ولا تنهى عن شيء ما لم تكن هي أول من تتركه كما قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وينبغي أن تسعى جاهزة في إيصال القيم الدينية والخلقية إلى الأجيال، وأن تبتعد عن الفنون المحرمة كالغناء والموسيقى المحرمة، فلا يتعلم أطفالها منها إلا كل جميل مباح.

ومما ينبغي التأكيد عليه التركيز على ضرورة تأهيل المعلمة تأهيلاً شرعياً وتقوية الوازع الديني والأخلاقي لديها؛ لأن كلاهما عنصران ضروريان لقيام المعلمة بدورها بشكل صحيح له دوره في وجود أجيال ونشء صالح قادر على مواجهة ما من شأنه أن يكون ضرراً على عقيدته وسلوكه وأخلاقه وقدرته على الحفاظ على دينه والثبات عليه[1].



(١) انظر: القدوة ودورها في تربية النشء ص٢٥، وتربية الأطفال في رحاب الإسلام ص٣٦٧.



المبحث الخامس
ضرورة التزام المنهج القرآني في إعداد الناشئة وأثر ذلك في مواجهة كافة أسباب الانحراف المعاصرة

يمثل الالتزام بالمنهج القرآني القاعدة الأساسية للمربين في تحصين الناشئة وحمايتهم من مظاهر الانحراف المعاصرة؛ ذلك لأن القرآن صادر عمّن خلق الخلق، وهو أعلم بمن خلق، ما يسعده وما يشقيه. ولحماية الناشئة من آثار الغزو الفكري والعقدي وسائل غير مباشرة تعنى بتحصين الناشئ نفسه ليكون قادراً على الوقوف في وجه الرياح، ووسائل مباشرة تتصدى لتلك الرياح أو تتجنبها:

❐ أولاً: الوسائل غير المباشرة في حماية الناشئة من الغزو الفكري والعقدي:

ويكون ذلك بالتربية الإيمانية الصحيحة للناشئة، فإن التربية الإيمانية من أولى التوجهات القرآنية التربوية، ومسألة العقيدة هي المسألة الأولى في القرآن الكريم؛ فلا تكاد تخلو سورة صغيرة أو كبيرة لا تذكِّر بالخالق الواحد، وتدعو إلى الإيمان به والامتثال لأمره. واستخدم الذكر الحكيم طريقة الترغيب والترهيب في أمرين لا ثالث لهما هما مصير كلّ البشر، فإمّا إلى جنّة فيها كل جميل وممتع، وإمّا إلى نار فيها كلَ فظيع ومفجع. ولعل من المناسب أن نعرض هنا جوانب ينبغي مراعاتها ضمن إطار التربية الإيمانية للناشئ، **وهي**:

١ ـ إشعار الناشئ بأهمية العقيدة للحياة الإنسانية[١]:

إن إشعار الناشئ أنه لم يُخلَق هملاً في هذه الحياة، وأن له دوراً وواجباً عليه تأديته ليترفَّع عن منزلة البهائم ويرتقي إلى ما جعله الله جديراً به من المكانة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين]، إن ذلك الشعور وحده كافٍ بتوفيق الله وفضله أن يجعل الناشئ يحسّ بوجوده الحقيقيّ كإنسان، وأن يشعر أنه لم يخلق على هامش الحياة، وأن عليه أن يسلك مسلك نبيه في الدعوة إلى الله لإيصال الرسالة التي هي رحمة للناس أجمعين إلى جميع البشر دون إكراه أو عنف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٦٧﴾ [المائدة]، وقال تعالى أيضاً: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، لكن هذا التخيير موجهٌ للداعي حتى لا يجعل الدعوة والتبليغ مصحوبين بالإكراه، أما المدعو فإن تخييره لا يمنع من معاقبة الله له إن هو اختار الكفر على الإيمان بدليل قوله تعالى في تمام آية الكهف السابقة: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، أما الداعي فحاله موضحةٌ بقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية]، قال الإمام الطبري في شرح الآية: «لست عليهم بمسلَّط، ولا أنت بجبار تحملهم على ما تريد»[٢].

٢ ـ تربية الناشئ على الاعتقاد الجازم بالرقابة الربانية:

إن اعتقاد الناشئ بالرقابة الربانية خير واقٍ من التأثر بالغزو الفكري

---

(١) انظر: التربية الإيمانية الصحيحة، د. علي بن إبراهيم الزهراني ص٦١، ٦٢.
(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٨٩.

الوافد والمخالف للمنهج الإسلامي وما يرتبط به من المخالفات الشرعية والفكرية؛ حيث يستحضر الناشئ رقابة الله تعالى وهو القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران]، ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٩﴾ [آل عمران]، و﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٣٠﴾ [آل عمران].

وتتمثل الرقابة الربانية بأجلى صورها في الحديث الدالّ على الإحسان، حيث يشير إلى رؤية الله الكاملة للعبد: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[(١)].

ولا يقلّ الشطر الأول من الحديث: «**أن تعبد الله كأنك تراه**» أهمية تربوية عن الشطر التالي الذي ذكرنا؛ فتعامل المؤمن هو مع ربٍّ موجود حاضر، ناظر قريب، يفرح لإيمان العبد وذكره له، وخوفه من عقابه وشكره لأنعمه عليه، فيجزيه على كلّ ذلك تقوية وتثبيتاً وأنساً وقرباً ومحبّة ونوراً ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، ثم يضمن له حياة خالدة في جنة الحياة الأخرى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٦٤﴾ [العنكبوت].

ولا شك أن تقوية الرقابة الربانية لدى الناشئة لن تكون إلا بالتربية الإيمانية التي تجعل الفرد يتقيد بالمنهج الرباني في جوانب حياته المختلفة، وقد أشار إلى هذا المعنى أبو الأعلى المودودي بقوله: «وأهم شيء وأجدره في هذا الصدد أن الإيمان بـ (لا إلـٰه إلا الله) يجعل الإنسان مقيّداً بقانون الله ومحافظاً عليه، فإن المؤمن يكون على يقين

---

(١) سبق تخريج الحديث.

بسبب اعتقاده بهذه الكلمة أن الله خبير بكل شيء وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وإن أتى بعمل في ظلمة الليل أو حالة الوحدة فإن الله يعلمه، وإن خطر بباله شيء غير جميل فإن علم الله محيط به، وأنه إن كان من الممكن له أن يخفي أعماله على كل واحد في الدنيا فإنه لا يستطيع إخفاءها على الله ﷻ»[(١)]. فيبقى المسلم طاهر القلب والفكر مستحضراً عظمة الخالق ﷻ فيحسن عمله وقوله»[(٢)].

٣ ـ حثّ الناشئ على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن تربية الناشئ على قيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مجتمعه، في حدود قدراته ومسؤوليته سوف يؤدي إلى إشعاره بالدور القيادي الملقى على عاتقه، فيصير متحمّساً؛ لأن يكون معيناً للحق وأداة تغيير في المجتمع. ويجعل ذلك كله الناشئ إزاء هذه الوظيفة الجديدة عليه مستنفراً لخدمة دينه ومبادئه. وعندما يكون كذلك يصير من السهل عليه كشف الدعوات المضلِّلة وأساليبها.

ثم إن ممارسة الناشئ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زاجر قويّ له عن أن يقارب ما ينهى هو الآخرين عنه: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف].

وبهذا يؤهل الناشئ لوظيفة أخرى هي التأثير في الآخرين بالقدوة الحسنة، لكن ينبغي تذكير الناشئ بمراعاة درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الاستطاعة والظرف امتثالاً لقول النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(٣)].

---

(١) مبادئ الإسلام، أبو الأعلى المدودي ص٩٨ بتصرف.
(٢) التربية الإيمانية الصحيحة ص٦٦.
(٣) سبق تخريج الحديث.

٤ ـ دفع الناشئ للتأسي بالسلف الصالح:

«ينبغي أن يربى الناشئ على التأسي بالسلف الصالح، وذلك من خلال إبراز سيرهم وجوانب القدوة في شخصياتهم، لا سيما وأن الكثير منهم تربوا في مدرسة النبوة وتشربوا الإيمان من أعذب موارده، القرآن الكريم والسُّنَّة والسيرة النبوية.

فإن قرأ الناشئ قول النبيّ ﷺ المروي عن أنس: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**»(١)، إن هذه الأنوار الساطعة من صحابة رسول الله لتشدّ الناشئ إلى التأسّي بها وتقليد سيرتها. والتمكّن من سِيرِ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومتابعة مواقفهم المضيئة، ينشئ في نفس الناشئ نوعاً من التقدير والإعجاب أوّلاً، ثم يتحوّل ذلك إلى الحبّ لهؤلاء، ومعلوم أن اقتداء المحبّ بمن يحبّ من بديهيات التربية.

والتأسي يعدّ من أعمق وسائل التربية أثراً في إصلاح الفرد أو إفساده، لما يتركه من آثار إيجابية أو سلبية في عناصر الشخصية البشرية. ويعدّ التأسي بالسلف الصالح من أعذب موارد اكتساب الفضائل الخلقية ودعائم تحصينات الذات ضد مظاهر الانحراف والبغي.

والتأسي مهمٌ في تربية الأجيال لعدد من الأسباب:

١ ـ أن في فطرة الإنسان ميلاً قوياً للمحاكاة والتقليد، الأمر الذي يسهل عملية تعلُّم الأعمال الصالحة واختيار أفضلها.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل و... أبي عبيدة بن الجراح برقم حديث (٣٧٩٠). قال الترمذي: حسن غريب، وقال الألباني: حديث صحيح في سنن الترمذي ص٨٥٦.

٢ ـ أن المثال البشري الذي يتحلّى بجملة من الفضائل السلوكية يعطي الآخرين قناعة بأن بلوغها من الأمور التي هي في متناول القدرات الإنسانية.

٣ ـ أن النموذج الذي قام بالأعمال الصالحة والإنجازات الكبيرة يثير في نفوس الآخرين الإعجاب والاستحسان، وبالتالي الرغبة في التأسي والتقليد»[(١)].

٥ ـ تقوية الجانب العاطفي لدى الناشئة:

«يتكون لدى الفرد عواطف دافعة وأخرى رادعة من خلال المسار التربوي الذي يمر به بدءاً من الأسرة وانتهاء بالمجتمع، الأمر الذي يتطلب العناية بتكوين هذه العواطف الدافعة إلى السلوك الإنساني، والمؤثرة فيه عن طريق التربية الإيمانية»[(٢)]؛ «فعاطفة الحب وعاطفة الخوف من أكبر الدوافع والحوافز التي يمكن استخدامها في عمل الخيرات وتنفيذ المأمورات وترك الشرور»[(٣)].

أما الحب فهو حب الله وحبّ رسوله وصحابته: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وأما الكره فهو كره الشيطان ورذائله وأحابيله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر]، فإذا أحكم المسلم ذاك الحب وهذا البغض صار ذلك باعثاً لكل خير ومانعاً من كل شرّ بإذن الله.

٦ ـ تعويد الناشئ على الرجوع عن الخطأ:

ما من شكّ أن الوقوع في الخطأ سمة بشرية، فلا تخلو نفس من

---

(١) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبد الرحمٰن حبنّكة الميداني ص٨٠.
(٢) التربية الإيمانية الصحيحة ص٧١، ٧٢.
(٣) علم النفس التربوي في الإسلام، مقداد يالجن ص٢٦٧.

مقارفة الذنب ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣]. فينبغي أن يُشعَرَ الناشئ بضرورة أن يتراجع عن الخطأ بعد أن يعرفه ويعرف عقوبة المصرّ عليه، وأن يذكّر دائماً بمكفِّرات الذنوب، وأن من الصواب الذي لا بدّ منه الرجوع السريع عن الخطأ والسعي على الفور إلى تكفيره بالتوبة والندم، وبعدم الإصرار على المعصية؛ فالإصرار على المعاصي من محبطات الأعمال، والعياذ بالله. قال ﷺ: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التَّوابُونَ**»[1].

لذلك يتطلب الأمر من الفرد تزكية نفسه وتطهيرها من الأخطاء والزلات والشهوات والأهواء، حيث يحصل بهذه التزكية الفلاح في الدنيا والآخرة»[2]، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الأعلى]، وقال أيضاً: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس].

أما أسباب مغفرة الذنوب ومكفِّراتها فمن رحمة الله بعباده أن جعلها كثيرة، وعلى درجات متفاوتة في القوّة والأثر، فهي تبدأ بالابتسامة في وجه أخ مسلم أو إزالة الأذى عن الطريق، وتنتهي بالتوبة النصوح أو بالحجّ المبرور. وينبغي أن يكون ماثلاً أمام الناشئ ذلك المبدأ العظيم الذي بلغنا عن الصادق المصدوق: «**وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها**»[3].

وليس الغرض من المكفرات محو الذنب فحسب، بل صون قلب الناشئ عن أن يتراكم عليه الصّدأ من تكاثر الذنوب بعضها فوق بعض

---

(١) سنن الترمذي، كتاب القيامة، باب في استعظام المؤمن ذنوبه، رقم الحديث (٢٤٩٩). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، وحسنه الألباني في سنن الترمذي ص٥٦٣.

(٢) التربية الإيمانية الصحيحة ص٧٣ ـ ٧٥.

(٣) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، رقم الحديث (١٩٨٧). وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني في سنن الترمذي ص٤١٥.

فيدخل في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين] والعياذ بالله.

٧ ـ تنقية البيئة من مظاهر المعصية والانحراف:

لكي تغدو البيئة نظيفة صالحة للتربية السليمة، فالواجب في هذا العصر الذي كثرت فيه الوسائل التي تتلاعب بميول الناشئة ورغباتهم، العمل على تنقية البيئة الاجتماعية من مظاهر الانحراف الفكري والعقدي والخلقي والسلوكي ومسبباته ودواعيه.

﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النساء].

وقال سبحانه: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام].

«فالواجب على ولاة الأمر والمربين والدعاة والمصلحين وأفراد المجتمع العمل على صون المجتمع من مظاهر الانحراف والفساد المختلفة ومنها وسائل الغزو الفكري»[1].

وأيضاً من أجل ضمان نقاء البيئة قد يتطلب من المربي ترك الديار التي امتلأت وغزت فيها الأنواع من الانحرافات والمعاصي والفتن إلى ديار فيها الصلاح والخير حتى ينشأ الأبناء في جو نقي بعيد عن كل ما لا يرضي الله ويعين على استقامة سلوكهم وصلاح حياتهم، وقد جاء في السُّنَّة المطهرة خبر ذلك الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً فجعل يسأل هل له من توبة، وعندما سأل راهباً فقال له: ليست لك توبة، فقتله فكمل به مائة، ثم ذهب إلى رجل عالم فقال له: من يحول بينك وبين التوبة،

(١) التربية الإيمانية الصحيحة ص٨٢.

وأمره بالهجرة من قريته إلى قرية فيها أناس يعبدون الله وهم صالحون[(١)].

٨ ـ ربط المكتشفات العلمية الحديثة بحقائق الإسلام والقرآن:

من الجوانب التي تبدو مهمة في تربية الناشئة أن يعرف الناشئ العلاقة التوافقية بين كل حقائق العلم ومكتشفاته، وحقائق الإسلام وما أخبر به، ذلك لأن العصر الحديث أولى العلم وإنجازاته مرتبة متقدمة في مجال تفاخر الأمم بعضها على بعض، مما جرّأ بعض أصحاب النوايا غير الحميدة على التشكيك بمعتقدات الناشئة مع موجة الانبهار بتطورات العلم واكتشافاته المعاصرة. لكن هذه المكتشفات والنظريات أثبتت للناشئ شيئين: **أولهما**: إخبار القرآن والسُّنَّة بكثير من تلك الحقائق قبل ألف سنة ونيف!، **والثاني**: عدم تعارض أيٍّ من مكتشفات العلم الحديث ونظرياته مع حقائق القرآن والإيمان. وهذا يجعل الناشئ يقف على أرض مطمئنة تورثه عزّةً وفخراً بدينه الذي يثبت كلّ صباح ومع كل اكتشاف أنه الدين الحق.

٩ ـ أسلوب تعظيم شعائر الله وحرماته:

لا شكّ أن الناشئ يتأثر أكثر ما يتأثر بالقدوة الصالحة من الأبوين والمعلم والأصحاب، فإنه إن رأى لديهم استهانة بحقّ من حقوق الله، أو قبولاً لمظهر من مظاهر المخالفة لأمره، انتقل هذا الإحساس بالعدوى إليه فينشأ مستهيناً بذلك.. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج]. قال ابن كثير: «شعائر الله»؛ أي: أوامره»[(٢)].

وإن من علامات تعظيم حرمات الله، أن ينظر العبد للمعصية نظرة

---

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم الحديث (٢٧٦٦).

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ١٩.

خوف ووجل، فالمؤمن «**يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا....**»[١].

١٠ ـ حماية الناشئة من مخالطة المنحرفين:

«إن للخلطة والمعايشة لأصحاب الانحراف الفكري أو أصحاب الشبهات أثر سيّئ على حياة الناشئ المسلم، وقد أكد المنهج الإسلامي ضرورة مخالطة الصالحين، والحذر من مخالطة أهل الباطل؛ لأن من وسائل تقوية عقيدة الناشئة الرفقة التي يخالطها، فهو يميل إلى الانتماء للجماعات التي يعيش معها، ويتأثر بها»[٢].

وقد أشار النبي ﷺ إلى خطر مخالطة المنحرفين في كثير من أحاديثه منها: «**مثل الجليسِ الصالح والجليسِ السوء كحاملِ المسكِ ونافخِ الكير...**»[٣]، وفي حديث آخر: «**الرجل على دين خليله فلينظر المرء من يخالل**»[٤].

ومن واجب الأسرة وكلّ جهة تربوية أن تكشف عناصر الخلل والانحراف في المجتمع المسلم وتجنّب أبناءها وبناتها مخالطة تلك العناصر بالأساليب المناسبة، فضلاً عن محاولة إصلاح تلك العناصر ذاتها.

ومن التطبيقات التربوية المناسبة لذلك:

١ ـ إشعار الناشئة بصفات الرفيق الصالح والرفيق المنحرف وعلامات كل منهما.

٢ ـ ربط الناشئة بالمساجد، فهي بيئة نظيفة مباركة تشعر روادها من الناشئة بالانتماء لهذا الدين.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، الحديث رقم (٦٣٠٨).
(٢) انظر: التربية الإيمانية الصحيحة ص٩٨.
(٣) سبق تخريج الحديث.
(٤) سبق تخريج الحديث.

٣ ـ تهيئة البرامج التربوية كالدروس واللقاءات والبرامج الموسمية كالأنشطة التربوية والمراكز الصيفية. . .

٤ ـ توفير الكتب والمراجع والقصص المناسبة، وبخاصة الكتب الدينية والقصص الهادفة وجعلها في أماكن تجمّع الناشئة لتلبية حاجاتهم الثقافية والفكرية.

١١ ـ أسلوب تقديم البدائل الصالحة للناشئ:

إن الفتى وعاء يمتلئ بما تملؤه به إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ. وهذا الوعاء لا يمكن أن يُتركَ فارغاً؛ لأن في تركه فارغاً تجريداً للناشئ من خصائص كينونته البشرية التي يدخل في تركيبتها العقل والعواطف والقناعات والعادات.

وعلى هذا فإن أي تساهل في أمر هذا الوعاء الفكري العاطفي يفتح المجال للغزو الفكري أن يفعل فعله في نفس الناشئ وعقله. فالواجب توفير البدائل الخيِّرة لمنع حلول الوسائل الهدّامة التي قد تدخل نفوس الناشئة وفكرهم في لحظات الفراغ الفكري والعاطفي. وقد قيل في المثل الشائع «المشغول لا يُشغَل». فإن نحن شغلنا أوجه الحياة اليومية للناشئ بالمباحات النافعة، وفكره بالمعتقدات والاتجاهات الإيجابية، لم نترك مجالاً لعادات الآخرين ووسائلهم للنفاذ إلى نفوس ناشئتنا وأساليب حياتهم وأنماطها.

يقول ابن القيم رحمه الله[1]: «إن الله سبحانه أغنانا بما شرعه لنا من الحنيفية السمحة وما يسَّره من الدين على لسان رسوله ﷺ، وسهَّله للأمة. . . كما أغنانا عن كل باطل ومحرم وضار بما هو أنفع لنا من الحقّ والمباح النافع، فأغنانا بأعياد الإسلام عن أعياد الكفار

---

(١) سبقت الترجمة له.

والمشركين... وأغنانا بأنواع الأشربة اللذيذة النافعة للقلب والبدن عن الأشربة الخبيثة المسكرة المذهبة للعقل والدين.. وأغنانا عن سماع المعازف وقرآن الشيطان بسماع الآيات وكلام الرحمٰن...»(١).

ونصيحتي للمربين والآباء: أن يبحثوا عن البديل المشروع قبل أن يمنعوا أطفالهم من المحذور الممنوع؛ أي: ألا يقوموا بالمنع إلا والبديل جاهز بين أيديهم، وإلا ضاعت الثقة وأخفقت العملية التربوية. وليس يعني هذا أن يترك الولد يستمرّ في ارتكاب المحظورات، وإنما المراد به أن تكون البدائل جاهزة دائماً لدى المربي.

١٢ ـ تربية الناشئ على ممارسة العبادات والطاعات المختلفة:

يجب أن يربّى الناشئ منذ الصغر على العبادات والطاعات، لما لذلك من أثر إيجابي على سلوكه بعد سنّ التكليف؛ لأنه سوف يعتادها وبالتالي يألفها فيقبل عليها بقلبه وعقله، ولقد أرشد الرسول ﷺ إلى هذا المبدأ بقوله: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع**»(٢).

إن هذه التربية المبكرة على العبادة سوف يظهر أثرها بعد البلوغ فتكون وسيلة لحماية الناشئة من المخالفات الفكرية الوافدة؛ لأن من طبيعة العبادة والطاعة أن تعصم الناشئة(٣) من ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المعارج].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم ٢/ ٤٣٥.
(٢) سبق تخريج الحديث.
(٣) انظر: التربية الإيمانية الصحيحة ص١١١.

وبالعبادة يتعلم الإنسان الصبر فلا يَهوي أمام أوّل تحدٍّ للشيطان يعرض له في مستقبل أيامه.

كما أنّ الصوم كذلك يساعد في تربية الناشئ على الصبر ومواجهة الشهوات المنغرسة فيه فيحسن بناؤه ويقوى بنيانه.

أما الحج فإنه يشعر الناشئ بروح المجتمع الإسلامي العالمي فيسعى إلى تسديد نظرته إلى العالم من زاوية شاملة عريضة، ويحصل على صورة مصغّرة ليوم الحشر حيث يساق الناس لربّ العالمين.

كما أن تعويد الناشئ على الدعاء بالمأثور في مناسبات اليوم والليلة يقوي ارتباطه بربّه، ويقيّد شيطانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف]، ويبعده عن ضنك المعيشة: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

ومما ينبغي الإشارة إليه ههنا أن كلّ هذه الجوانب التي ذكرناها في تربية الناشئ التربية القرآنية المحمدية لا يمكن أن تتحقّق إلا في بيئة حاضنة صحّية، وهي تتمثّل بقوة في بيئة البيت ومحيط الأسرة، وفي بيئة المدرسة ومحيطها. فليحرص على هاتين البيئتين؛ لأنهما منشأ الرجال القوّامين بالقسط وأمهات المستقبل بانيات النشء على الحقّ والخير والعدل.

❐ ثانياً: الوسائل المباشرة في حماية الناشئة من الغزو الفكري والعقدي

من طبيعة الوسائل المباشرة في مواجهة أساليب الغزو الفكري أن تتصدّى لوسائل الغزو الفكري المختلفة الأشكال والألوان ومنها:

١ ـ المدارس الأجنبية:

ينبغي أن يتنبه لأخطار تلك المدارس ودورها في خدمة الغزو الفكري، فتقاطعها مقاطعة تامة، ولا نسمح بأن يدخلها النشء بأي حال من الأحوال(١).

وقد جاء في توصيات المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة عام ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م بهذا الخصوص ما يلي:

«يوصي المؤتمر جميع المسلمين في البلاد الإسلامية بعدم إرسال أبنائهم وبناتهم إلى المدارس التبشيرية والأجنبية مهما كانت المغريات التي تقدمها تلك المدارس، نظراً للنتائج المدمرة التي تصيب الدارسين في هذه المدارس من ناحية عقيدتهم وولائهم للإسلام والوطن الإسلامي، واتخاذ أعداء الإسلام لهم جنوداً يحاربون بهم الإسلام من داخل المجتمع الإسلامي ذاته»(٢).

٢ ـ وسائل الإعلام المرتبطة بالغزو الفكري:

إن وسائل الإعلام المرتبطة بالغزو الفكري التي يجب وقاية النشء كثير منها مسخر للغزو الفكري، وأدواته في ذلك التلفاز والقنوات الفضائية المختلفة والإنترنت وكثير من مجلات الأطفال.

فالأسرة المسلمة اليوم مدعوة إلى ترشيد التلفاز والقنوات الفضائية في بيتها، **ويمكن تحديد ذلك في عدة أمور منها:**

١ ـ إبعاد الطفل عما لا يتوافق مع الإسلام وانتقاء ما لا يتعارض معه ويسمح به فقط، وينبغي للوالدين أن يكونا قدوة صالحة أمام الناشئ في علاقتهما مع التلفاز، فلا يسمحان لنفسيهما إلا بمشاهدة ما

---

(١) انظر: الغزو الفكري التحدي والمواجهة ص٢٥٣.

(٢) غزو في الصميم، عبد الرحمٰن حبنكة الميداني ص٢٣٥.

لا يخالف الإسلام[١].

٢ ـ تنمية وعي المشاهدة لدى الناشئة لمعاونتهم على انتقاء البرامج التي يشاهدونها وتقويمها ونقدها من الوجهة الشرعية، وهم يحملون مواقف إيجابية ويتحلون بنفسية تحميهم من الآثار السلبية لوسائل الإعلام[٢].

٣ ـ تنمية رقابة الضمير لدى الناشئة بالتثقيف والتربية والتوجيه المناسب وتنمية المدارك الشرعية وتقوية الإيمان والخوف من الله ومراقبته في قلوب الناشئة مع الحرص على تعظيم الشريعة في نفوسهم وملاحظة جلسائهم وحسن اختيارهم[٣].

٤ ـ وقبل ذلك كله ينبغي على الوالدين وقاية أطفالهم من مشاهدة كثير من الأفلام الكرتونية، وما ينتج عنها من آثار سلبية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

وهذه الوقاية بحاجة إلى إيجاد البديل بإنشاء قنوات فضائية إسلامية يتابع الناشئة من خلالها ما يعمق عقيدة التوحيد في نفوسهم، ويهذب أخلاقهم ويزيد من ثقافتهم بما تبثه تلك القنوات من برامج هادفة مدروسة.

ومن البدائل الثقافية والترفيهية كذلك البرامج الحاسوبية النافعة

---

(١) انظر: الغزو الفكري التحدي والمواجهة ص٢٥٤.

(٢) انظر: تقنيات الاتصال والإعلام وآثارها في النشء السعودي، د. ضياء الدين مطاوع، د. عبد الله العمري، مجلة البحوث الأمنية، العدد (٢٢)، ص١٩٢، وانظر: وسائل الإعلام والأطفال، أبو الحسن صادق، مجلة آفاق الإسلام، العدد (٣)، ص١٦٧، ١٦٨.

(٣) انظر: تقنيات الاتصال والإعلام وآثارها في النشء السعودي. انظر: الفضائيات والغزو الفكري، د. محمد عبد الرازق، مجلة الحكمة ص٩٣.

والمفيدة مع المتابعة المستمرة من قبل الآباء لهذه البرامج؛ لأن في بعضها ما تخفى أهدافه عن كثير من الناس.

وكذلك مواقع الشبكة العالمية (الإنترنت) التي يتصفحها الناشئة، فينبغي تنبيههم إلى أن يجعلوا النية واضحة قبل دخولها، بحيث يكون هدفهم من الاشتراك لا يتعارض مع تعاليم الإسلام ومبادئه وأخلاقياته، وذلك بأن يكون هدفهم الحصول على معلومات تنفعهم وتنفع المسلمين، ولا بد أن يتذكر الناشئ قوله تعالى[1]: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

فإذا تذكر راغب التصفح أن حواسه (سمعه وبصره وجلده) تشهد عليه وأنها تنطق بما عمل صاحبها فإن ذلك أدعى إلى مراقبة الله والرجوع عن الأمر المخالف للشريعة، بالإضافة إلى ذلك فإن الإنسان محاسبٌ على وقته إذا ضيّعه فيما لا يرضي الله، وإذا ضاع الوقت بما لا ينفع فقد ضاع العمر، وسيسأل الله هذا العبد عن عمره فيم أفناه لقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه...**»[2].

وليحرص الآباء والأمهات إذا استخدم أبناؤهم الشبكة العالمية (الإنترنت) أن توضع الشاشة في مكان تكون فيه ظاهرة للجميع، وأن تكون الغرفة مشتركة يطرقها الجميع، فإن ذلك أدعى إلى أن لا يشعر الناشئ بالخلوة؛ لأن حبائل الشيطان تقوى في الخلوات إن لم يكن من الله حافظ.

---

(١) انظر: الفضائيات والإنترنت آثارهما على النشء، مازن الشامي ص٤٧ ـ ٤٩.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، رقم الحديث (٢٤١٦). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب. وصححه الألباني في سنن الترمذي ص٥٤٤.

وثمة أمر على غاية من الأهمية، وهو يقضي بأن تكون إحدى مؤسسات الدولة مسؤولة عن مراقبة ما يصل عبر الشبكة من مواقع شيطانية هدفها الإيقاع بشبابنا، عن طريق عرض رخيص للجنس، ويذكَّر المسؤولون هنا ألا يسمحوا بوجود الشركات التي تزوّد المواطنين باشتراكات عبر الأقمار الصناعية تتخطّى رقابة مؤسسات الدولة المختصة للمواقع الإباحية في الشبكة العالمية (الإنترنت).

رابعاً: الحيلولة بين النشء وبين قراءة المجلات أو الكتب التغريبية التي تعدّ من روافد الغزو، وتوجيه الناشئة نحو القراءات الصالحة والنافعة، ولا سيما القصص والحكايات والمجلات والمطبوعات الإسلامية التي تهدف إلى نشر القيم الدينية والأخلاقية والتربوية(١).

إن ما تتسابق عليه القنوات التي تعلي من قيمة العبث والابتذال يدعونا إلى تنبيه الناشئة إلى أن مثل هذه القنوات هدفها إيجاد جيل من شباب المسلمين مجرَّدٍ من القيم والفضيلة والطموح العلمي، همّه في هذه الحياة العبث واللهو، وإطلاق العنان للشهوات. وواجب الآباء والأمهات هنا أن يمنعوا وصول أبنائهم إلى تلك القنوات عن طريق إيصادها (تشفيرها) من الاستخدام. ولا ينبغي أن يقتصر ذلك على الأبناء فقط، فالكبار قدوة لأبنائهم، ولأنهم أولى بالحفاظ على أنفسهم من حبائل الشيطان الذي جعل من بثّ معاني الكراهية بين الزوجين من أهدافه الكبرى التي يسعى إليها.

فعن جابر قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً. قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا**

---

(١) انظر: مجلات الأطفال وثقافة العنف، مجلة أحوال المعرفة، ٩٠ العدد (٣١).

تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ»[١].

فالدعاة إلى التخريب والشر هم دعاة على أبواب جهنم وهم كثيرون، والكل يعمل جاهداً على تحقيق هذه الأهداف الضارة، فمن استجاب لهم قذفوه فيها، وقد جاء التحذير من الرسول ﷺ من هؤلاء الدعاة وبين المخرج والسبيل لاتقائهم، فعن حذيفة بن اليمان[٢] رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم، وفيه دخن**»[٣]، قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**»، قلت: فهل بعد ذلك من شر؟ قال: «**نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ فقال: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»[٤].

ونلاحظ أن سبل الغواية كثير يتخذها هؤلاء الدعاة لتنفيذها وقد

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، رقم الحديث (٢٨١٣).

(٢) سبقت الترجمة له.

(٣) **الدخان**: يعني: كدورة تميل الى السواد، ويقال: دخن: هو الشيء الفاسد السيء الخبيث.
انظر: لسان العرب ١٣/ ١٥٠، النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٠٩.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٦٠٦). ومسلم كتاب الإمامة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن. . .، رقم حديث (١٨٤٧).

جاء الأمر الرباني بأن يتبع سبيل واحد هو سبيل الحق والدين القويم الذي لا عوج فيه وأن يعمل به وأن يكون منهاجاً يسلك فيتبع ويترك ما سواه من السبل الأخرى من الضلالات والبدع[1] التي تخالفه وهي كثيرة، قال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام]، قال ابن مسعود[2] رضي الله عنه في هذه الآية: إن الله جعل طريقاً صراطاً مستقيماً طرف محمد ﷺ وشرعه ونهايته الجنة، وتتشعب منه طرق فمن سلك الجادة نجا ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار[3]، وقال أيضاً: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً فقال: «**هذا سبيل الله**»، ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطاً فقال: «**هذا سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها**»[4].

وفي ختام هذا المبحث أقول: الناشئة أمانة بين أيدينا، وهم قد فُطروا على فطرة الإسلام، فلا يكوننَّ أحدنا أباً كانَ أو أمّاً أو مربِّياً سبباً في إمالته عن فطرته السليمة، وذلك بالتقصير في حسن رعايته وحمايته من الرياح المسمومة التي أرسلت عبر البحار لتميله عن فطرته ونقائه، وتوظّفه ليكون عوناً لها في الباطل، بعد أن تعمل وسائلها الإعلامية المغرضة تخريباً في شخصيته وعقيدته ونقائه، فيغدو هزيلاً لا أهداف سامية له، وعبداً للشهوات مسلوب الإرادة.

---

(١) انظر: روح المعاني ٨/ ٨٤، والطبري ٩/ ٦٦٩، والمنار ٨/ ١٦٩.
(٢) سبق الترجمة له.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٣٦٤.
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/ ٦٧١.

الخاتمة

أحمدُ الله الواحد المنَّان في الآخرة والأولى، حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وأصلِّي وأسلِّم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد سنوات من الجهد والبحث قضيتها في إعداد هذا البحث، وقد استفرغت ما في وسعي لإظهاره بشكل تتحقق فيه الفائدة، ولكن يبقى جهداً بشرياً يتخلَّله النقص ويعتريه الضعف. وقد حاولت أن أكشف عن هذا المنهج وأستنير ببعض هداياته وأقطف بعضاً من ثماره، فوجدته منهجاً قويماً لتربية نفوسٍ مستقيمة، وإعداد نشء صالح لمن التزم به وسار على هديه.

وقد ظهرت لي بعضاً من النتائج عظيمة النفع منها:

أولاً: النظرة الشمولية في التربية القرآنية، فقد اهتمت بتربية الناشئة من الناحية العقدية، ويقع على المربين الدور الكبير في تعميق العقيدة في نفوس الناشئة واستثمار كل ما من شأنه تحقيق ذلك من وسائل وتقنيات حديثة.

ثانياً: أوجد القرآن الكريم في منهجه أدوية مفيدة لمواجهة الانحرافات النفسية لدى الناشئة ومنها: الحب، والرحمة، والعدل، فالقرآن الكريم يدعو دائماً إلى تأمين حاجات الناشئة النفسية والجسدية، فهم السبيل لوقاية الناشئة من الهلج والانحراف.

ثالثاً: عرض القرآن الكريم مواعظ عظيمة في تربية لقمان الحكيم لابنه، فهذه السورة تعد نموذج من النماذج التي ترتقي بالتربية إلى قيمة

عالية، ويظهر ذلك في العناصر العظيمة الفائدة التي اشتملت عليها، وقد تناولت ذلك بالتفصيل، فهذه السورة ترسم الطريق الواضح في إصلاح النفس البشرية وتعتبر منهجاً واضحاً يسير عليه كل مربي في إعداد نشء صالح ذو علاقة واضحة ومحددة مع خالقه ومع والديه ومع أفراد مجتمعه، وفي تطبيق الناشئة لهذه الواجبات الخير الكثير له ولوالديه.

رابعاً: للمربي خصائص وصفات ضرورية ليقوم بدوره على الوجه الأكمل، وقد تجسدت هذه الصفات والخصائص في شخص الأنبياء عليهم السلام فما أحرى بالوالدين والمربين السير على خطاهم والنهل من معين خصائصهم وصفاتهم.

خامساً: إن المتأمل في رحاب القرآن الكريم يجد وقفات جميلة مع الأنبياء الكرام في مرحلة من مراحل حياتهم هي مرحلة الطفولة، وقد تناولت هذه المرحلة من حيث ارتباطها بالإحاطة الربانية ارتباطاً مباشراً وقد اتضحت في قصة كل نبي ما حباه الله له من رعاية إلٰهية في مرحلة طفولته ونشأته وقفت بنا على خطوط بارزة لمعالم التربية الإلٰهية للناشئة ما يمكن للمربي أن يستقي منها ويطبقها تطبيقاً عملياً مع ناشئته، وما يتخلل هذه القصص من جوانب يتغذى منها الناشئة لها أثرها في تقويم سلوكه وحسن تعامله مع والديه كما كان عليه أنبياء الله تعالى ورسله.

سادساً: عرض القرآن الكريم منهج الأنبياء في تعليم ذرياتهم وكان منهجاً قويماً اشتمل على العديد من الأساليب التربوية للوصول بهم إلى مدارج الكمال الخلقي والديني، ومنها: الدعاء والمشورة ـ والحوار والنصيحة، وكلها أساليب عظيمة النفع وتتجه إلى مقصد وغرض واحد هو الفلاح والصلاح للابن، وفيها الضمان ـ بعد الله ـ لسلامة الناشئة نفسياً وخلقياً، وتكوين شخصية تتميز بالثقة بالنفس متمسكة بدينها ومطبقة لتعاليمه.

سابعاً: لم يدع القرآن الكريم الناشئ يتيه في حياته دون منهج واضح يسير عليه في برٍّ من كانا سبباً في وجوده وإعانته حتى صار إنساناً واعياً، وبذلا من الجهد الكبير في سبيل تنشئته، فبين القرآن الكريم للناشئ الهدايات والدلالات التي تساعد على برهما والقيام بحقهما والإحسان إليهما، وقد تناولت ذلك في ثنايا البحث، وكذلك أشار القرآن الكريم ووجَّه إلى أسس التعامل بين الإخوة التي بها تقوى روابط الألفة فيما بينهم وتتهذب أخلاقهم وتستمر سعادتهم، وقد تجلى ذلك في قصص قرآنية كشفت عن هذه الأسس، وأهدت للمربين والناشئة إضاءات تربوية يسيرون عليها ويستظلون تحت جنباتها ويقطفون ثمارها.

ثامناً: تعتبر الدعوة للتعليم بالقراءة والكتابة جانباً من المنهج الإلـٰهي لتربية الناشئة، فقد دعا القرآن الكريم إلى تعليم الناشئة آداباً متنوعة منها ما يتقرب به إلى الله، ومنها ما يُحسن حاله ويُصلح أمره في علاقته مع الآخرين، بالإضافة إلى ذلك يبين القرآن الكريم بأن الطريق لاستقامة سلوك الناشئة، إنما يكون بضرورة حسن اختيار الأصدقاء والقرناء لهم، وهذا واجب الأسرة والمربين؛ وذلك لعظيم الأثر الذي يتركه قرين السوء على قرينه، وإن في تجنب مصاحبتهم نجاة للناشئة من عواقب خطيرة وحماية لهم ـ بإذن الله ـ من اتباع المزالق الخطيرة.

تاسعاً: أقر المنهج القرآني المبادئ الأساسية للعلاقات الإنسانية وأدب التعامل مع الآخرين، وتمثل ذلك في آداب السلوك الأخلاقي والاجتماعي، وكلها آداب لها نتائج إيجابية وحسنة في بناء العلاقات ينبغي على المربين تربية الناشئة عليها.

عاشراً: إن المتأمل في واقعنا المعاصر يجد العديد من الأخطار الضارة التي امتلأت بها مجتمعات الناشئة، سواء أخطار تهدد عقيدته أو

فكره أو ثقافته، وقد تسللت هذه الأخطار عبر وسائل متنوعة تحيط بالناشئ وتغزو مسكنه، إما عن طريق التعليم والثقافة أو عن طريق إعلام من قنوات تلفازية فضائية غير هادفة، أو مجلات وافدة، أو إذاعة مسموعة، أو ألعاب وإنترنت بعيداً عن الإشراف والتوجيه، وما يتبع ذلك من انقياد واتباع.

وقد تناولت بعض هذه الأخطار وما تبثه من سموم وطرق مواجهتها، وتكمن أكبر المواجهة من قبل المربين في ضرورة الالتزام بالمنهج القرآني لإعداد الناشئة لما له من دور هام وأثر بليغ في مواجهة كافة الأسباب المعاصرة، فهو السلاح القوي الذي يهزم كل عدو ظاهراً وباطناً ممن تمسك به اهتدى إلى طريق الحق والصواب وما نراه في عصرنا من انسلاخ الناشئة من القيم واتباعاً وراء الشهوات والملذات ما هو إلا نتيجة البعد عن القرآن، والالتزام بمنهجه في كثير من جوانب الحياة، مما يتطلب بذل الجهد في تأمل منهج القرآن الكريم والانتفاع بدروسه في مجال تربية الناشئة، ففيه الفوائد الجليلة والدروس البليغة للوالدين والمربين، ولا بد أن يضع المربين البدائل المناسبة والموجهة وجهة إسلامية لتحل محل هذه الأخطار الوافدة فلا تعارض بين منهج القرآن العظيم وبين اكتشافات العلم إذا وجهت الوجهة السليمة التي تحافظ على فطرة الناشئة وتقوي من عقيدتهم، وتنشئهم نشأة صالحة لإعداد مجتمع صالح.

❐ ختاماً:

هذا جهد بشري وضعت فيه جلَّ بضاعتي، واستفرغت فيه كل ما أملك من طاقة، أرجو من الله تعالى القَبول وأن يغفر لي زلَّتي وضعف بصيرتي، فما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وما كان من صواب فمن الله تعالى وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

فهرس المراجع

١ - **القرآن الكريم**.

٢ - **آباء وأبناء ملامح تربوية في القرآن الكريم**: فاروق حمادة، دار القلم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣ - **أبجد العلوم**: صديق بن الحسن القنوجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، تحقيق: عبد الجبار زكار، الطبعة: ١٩٧٨م.

٤ - **أحكام القرآن**: أبو بكر أحمد بن علي الجصاص، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى، طبع بمطبعة الأوقاف الإسلامية ١٣٣٥هـ.

٥ - **أحكام القرآن**: أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ.

٦ - **إحياء علوم الدين**: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار السلام، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ.

٧ - **الأخلاق الإسلامية وأسسها**: عبد الرحمٰن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

٨ - **الأخلاق الفاضلة**: د. عبد الله بن ضيف الرحيلي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٩ - **الأخلاق في القرآن الكريم**: محمد تقي مصباح اليزدي، دار التعارف، الطبعة: ١٤٢٥هـ.

١٠ - **الآداب**: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب، دار القاسم، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١١ - **أدب الاستئذان**: عبد الرب توّاب الدين، دار المجتمع، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٢ - **أدب الدنيا والدين**: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: محمد فريد، المكتبة التوفيقية، الطبعة: بدون، التاريخ، بدون.

١٣ ـ **أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن**: عبد الله عودة عبد الله، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٤ ـ **أدب المسلم في العادات والعبادات**: محمد سعيد مبيض، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

١٥ ـ **أساليب التربية الإيمانية للطفل**: عبد الرحمٰن بن عبد الوهاب البابطين، دار القاسم، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٦ ـ **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي**: علي محمد جريشة، محمد شريق الزيبق، دار الاعتصام، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

١٧ ـ **أسباب النزول**: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، (د ت).

١٨ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، دار الجيل، بيروت تحقيق: علي بن محمد البجاوي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٩ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: لأبي الحسن علي بن محمد الجزري، جمع وترتيب: خالد عبد الفتاح شبل، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٠ ـ **الأسرة المسلمة ومواجهة التحديات المعاصرة**: عبد الله بن محمد العميريني، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٢١ ـ **أسس التربية الإيمانية للفتاة المسلمة**: عدنان حسن باحارث، دار المجتمع، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٢٢ ـ **أسس التعليم ومناهجه في ضوء القرآن والسُّنَّة**: صالح بن أحمد الصوافي، طبع وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب بسلطنة عمان، أصل الكتاب رسالة دكتوراه من قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة الأزهر بالقاهرة.

٢٣ ـ **أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها**: عبد الرحمٰن حسن حنبكة الميداني، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٤ ـ **أسس الصحة النفسية**: عبد العزيز القوصي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

٢٥ ـ **الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم**: سعيد عبد العظيم، دار الإيمان، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

٢٦ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: لابن حجر العسقلاني، حقق أصوله: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى **١٤٢٥**هـ.

٢٧ ـ **أصول التربية الإسلامية**: سعد بن عبد الله بن حنيدل، دار العلوم، الطبعة: ١٤٠١هـ.

٢٨ ـ **أصول التربية الإسلامية**: عبد الرحمٰن النحلاوي، دار الفكر المعاصر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية **١٤٢٢**هـ.

٢٩ ـ **إعداد الطبيب للرعاية الصحية الشاملة**: حسني الرودي، مركز بحوث العلوم التطبيقية والهندسية، مكة المكرمة، الطبعة: **١٤١٦**هـ.

٣٠ ـ **إعداد المعلم من منظور التربية الإسلامية**: عبد الله عبد الحميد محمود، دار البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى **١٤١٥**هـ.

٣١ ـ **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة عشر **٢٠٠٢**م.

٣٢ ـ **الإعلام قراءة في الإعلام المعاصر والإعلام الإسلامي**: محمد منير سعد الدين، دار، بيروت، الطبعة الأولى **١٤١١**هـ.

٣٣ ـ **الإعلام والبيت المسلم**: د. فهمي قطب الدين النجار، مؤسسة الجريسي، الرياض، الطبعة الثانية **١٤٢٠**هـ.

٣٤ ـ **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى **١٤٢٤**هـ.

٣٥ ـ **الأمة**: عمر عبيد حسنة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، الطبعة: **١٤١١**هـ.

٣٦ ـ **إميل، جان جاك روسو**: ترجمة: نظمي لوقا، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، الطبعة، بدون: التاريخ، بدون.

٣٧ ـ **الإنترنت والمعلومة**: حمد بن بداح الصالح، الطبعة الأولى **١٤٢١**هـ.

٣٨ ـ **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: ناصر الدين أبو الخير عبد الله ابن عمر البيضاوي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ.

٣٩ ـ **أهداف التربية الإسلامية وغايتها**: مقداد يالجن، الطبعة الأولى **١٤٠٦**هـ.

٤٠ ـ **الإيمان أركانه حقيقته نواقضه**: محمد نعيم ياسين، الطبعة الثالثة **١٤٠٢**هـ.

٤١ ـ **الإيمان بالقضاء والقدر**: محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

٤٢ ـ **البداية والنهاية**: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي مكتبة المعارف، بيروت (د ت).

٤٣ ـ **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد النجار، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٤٤ ـ **بصمات على ولدي**: طيبة اليحيى، دار الهجرة، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

٤٥ ـ **بين الطب والإسلام**: حامد الغوابي، الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة: ١٩٦٧م.

٤٦ ـ **التاريخ الكبير**: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، (د ت).

٤٧ ـ **تاريخ مدينة دمشق**: لأبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري الطبعة: ١٩٩٥م.

٤٨ ـ **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**: مصطفى خالدي، عمر فروخ، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، الطبعة: ١٩٨٦م.

٤٩ ـ **التبيان في أقسام القرآن**: لابن قيم الجوزية، مؤسسة السعيدية بالرياض، حققه وضبطه: محمد زهري النجار، (د ت).

٥٠ ـ **التحرير والتنوير**: محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

٥١ ـ **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**: محمد عبد الرحمٰن المباركفوري ضبطه وراجع أصوله: عبد الرحمٰن محمد عثمان، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

٥٢ ـ **تحفة المودود بأحكام المولود**: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، حقق نصوصه: أبو أسامة سليم بن عبد الهلالي الأثري، دار ابن القيم، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٥٣ ـ **تحية السلام في الإسلام**: د. عبد الله بن محمد الطريقي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٥٤ ـ **التداوي بالقرآن**: عبد المنعم قنديل، مكتبة التراث الإسلامي، الطبعة: بدون، التاريخ بدون.

٥٥ ـ **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**: بدر الدين بن جماعة الكناني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، (د ت).

٥٦ ـ **التربية الإسلامية (المفهومات والتطبيقات)**: أ. د. سعيد إسماعيل علي وآخرون، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى **١٤٢٥**هـ.

٥٧ ـ **التربية الإسلامية وأشهر المربين المسلمين**: د. محمد علي المرصفي وآمال حمزة أبو حسين، الطبعة الأولى **١٤١٠**هـ.

٥٨ ـ **تربية الأطفال في رحاب الإسلام**: محمد حامد الناصر، خولة عبد القادر درويش، الطبعة الأولى، **١٤٢١**هـ.

٥٩ ـ **تربية الأطفال في ضوء القرآن والسُّنَّة**: يوسف بديوي، محمد محمد قاروط، دار المكتبي، الطبعة الأولى **١٤٢١**هـ.

٦٠ ـ **تربية الأولاد في الإسلام**: عبد الله ناصح علوان، دار السلام، الطبعة الثلاثون **١٤١٧**هـ.

٦١ ـ **التربية الإيمانية الصحيحة وأثرها في تحصين الشباب ضدو الغزو الفكري**: د. علي بن إبراهيم الزهراني، دار الحضارة، الطبعة الأولى **١٤٢٦**هـ.

٦٢ ـ **تربية الطفل في الإسلام أطوارها وآثارها وثمارها**: عبد السلام عطوة الفندي، دار ابن حزم، دار الرازي، الطبعة الأولى **١٤٢٤**هـ.

٦٣ ـ **التربية المتكاملة للطفل المسلم**: عبد السلام عبد الله الجقندي، دار قتيبة، الطبعة الأولى **١٤٢٤**هـ.

٦٤ ـ **تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم**: أحمد محمد المقري، دار حافظ للنشر والتوزيع، الطبعة: **١٤٠٩**هـ.

٦٥ ـ **التربية عبر التاريخ**: عبد الله عبد الدايم، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى ١٩٨١م.

٦٦ ـ **التربية والطفل**: يوسف سعد الهلال، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

٦٧ ـ **التعريفات**: علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة **١٤٠٨**هـ.

٦٨ ـ **التعليم والتعلم في القرآن الكريم**: حامد عبده الهوال، مكتبة الفلاح، الطبعة الأولى **١٤٠١**هـ.

٦٩ ـ **تفسير البحر المحيط**: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية **١٣٨٩**هـ.

٧٠ ـ **تفسير الجلالين**: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، والشيخ جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، المكتبة الشعبية، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

٧١ ـ **تفسير الخازن**: المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: للإمام علاء الدين علي بن محمد البغدادي، المعروف بالخازن، دار الكتب العربية الكبرى، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

٧٢ ـ **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى **١٤٢٠**هـ.

٧٣ ـ **تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار القلم، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، التاريخ: بدون.

٧٤ ـ **التفسير القرآني للقرآن**: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

٧٥ ـ **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**: للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى **١٤١١**هـ.

٧٦ ـ **تفسير المراغي**: أحمد مصطفى المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الرابعة **١٣٩٢**هـ.

٧٧ ـ **تفسير سورة النور**: أبو الأعلى المودودي، دار الفكر، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

٧٨ ـ **تفسير سورة لقمان والجوانب التربوية فيها**: عبد الله محمد سلقيني، دار المكتبي، الطبعة الأولى **١٤٢٣**هـ.

٧٩ ـ **التلفزيون وتربية الطفل المسلم**: عالية محمد إسكندر خياط، الطبعة الأولى **١٤١٠**هـ، أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير في التربية الإسلامية، من قسم التربية بكلية التربية، جامعة أم القرى **١٤٠٥**هـ.

٨٠ ـ **تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر**: جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي، دار الحديث، القاهرة **١٩٩٢**م.

٨١ ـ **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**: أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي ابن مسكويه، منشورات، دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، التاريخ: بدون.

٨٢ ـ **تهذيب التهذيب في رجال الحديث**: لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

٨٣ ـ **التوقيف على مهمات التعاريف**: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت دمشق، تحقيق: د. محمد الداية الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٨٤ ـ **تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنَّان**: عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، اعتنى به تحقيقاً ومقابلة عبد الرحمٰن اللويحق، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

٨٥ ـ **ثقافة الطفل، شهادات محلية وعربية**: «دور الإعلام في تنمية ثقافة الطفل»: تقديم د. إبراهيم الشميسي، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الطبعة: ١٩٩٤م.

٨٦ ـ **جامع البيان في تأويل آي القرآن**: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٨٧ ـ **جامع العلوم والحكم**: عبد الرحمٰن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي، تحقيق: يوسف البقاعي المكتبة العمرية، صيدا ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

٨٨ ـ **الجامع لأحكام القرآن**: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٢٣هـ.

٨٩ ـ **حصوننا مهددة من داخلها**: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية عشرة ١٤١٣هـ.

٩٠ ـ **حق الوالدين على الأبناء وحق الأبناء على الوالدين**: يوسف بديوي، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٩١ ـ **حياة رسول الله**: محمود شلبي، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، التاريخ: بدون.

٩٢ ـ **خلاصة تهذيب تهذيب الكمال**: صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي مكتبة المطبوعات حلب، بيروت، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ.

٩٣ ـ **خلق المسلم**: محمد الغزالي، دار الدعوة، الطبعة السادسة ١٤٢٠هـ.

٩٤ ـ **الخليل والصاحب والقرين**: أمل الغنيم، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية بالرياض، قسم التفسير وعلوم القرآن، إشراف: د. نورة الخضير.
٩٥ ـ **دراسات في علم النفس الاجتماعي**: عبد الرحمٰن عيسوي، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.
٩٦ ـ **دراسات قرآنية**: محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الخامسة **١٤٠٨**هـ.
٩٧ ـ **دلائل النبوة**: أبو نعيم الأصبهاني، حققه: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية **١٤٠٦**هـ.
٩٨ ـ **دور البيت في تربية الطفل المسلم**: خالد أحمد الشنتوت، مكتبة دار المطبوعات الحديثة، الطبعة الرابعة **١٩٩٠**م.
٩٩ ـ **الرحيق المختوم**: صفي الرحمٰن المباركفوري، دار الوفاء، الطبعة الأولى **١٤٢٠**هـ.
١٠٠ ـ **الرد على المنطقيين**: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، حققه: عبد الصمد شرف الدين الكتبي، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى **١٤٢٦**هـ.
١٠١ ـ **رسائل في العقيدة**: محمد صالح العثيمين مكتبة المعارف، الطبعة الثانية **١٤٠٤**هـ.
١٠٢ ـ **الرسل والرسالات**: عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية عشرة **١٤٢٣**هـ.
١٠٣ ـ **روح الصلاة في الإسلام**: عفيف عبد الفتاح طبَّارة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة **١٩٨٧**م.
١٠٤ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: للعلامة شهاب الدين السيد الألوسي، دار الفكر، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.
١٠٥ ـ **زاد المسير في علم التفسير**: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمٰن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة **١٤٠٧**هـ.
١٠٦ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، حقق نصوصه: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون **١٤١٥**هـ.
١٠٧ ـ **سنن ابن ماجه**: تصنيف أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه، حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به: أبو عبيد مشهور بن حسن آل سليمان مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى بدون تاريخ.

١٠٨ ـ **سنن أبي داود**: تصنيف أبو داود سليمان الأشعث السجستاني حكم على أحاديثه وآثاره، وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى بدون تاريخ.

١٠٩ ـ **سنن البيهقي الكبرى**: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكتبة دار الباز مكة المكرمة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة ١٤١٤هـ.

١١٠ ـ **سنن الترمذي**: للإمام محمد بن عيسى الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى بدون تاريخ.

١١١ ـ **سنن الدارمي**: عبد الله بن عبد الرحمٰن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد العلمي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١١٢ ـ **السنن الكبرى**: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمٰن النسائي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كفوري حسن، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١١٣ ـ **سنن النسائي**: تصنيف أبو عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب علي الشهير «النسائي» حكم على أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، واعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى بدون تاريخ.

١١٤ ـ **سير أعلام النبلاء**: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١١٥ ـ **السيرة النبوية**: لابن هشام، حققها وضبطها، مصطفى السقا وآخران، دار الكنوز الأدبية، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

١١٦ ـ **شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسُّنَّة**: محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ.

١١٧ ـ **شذرات الذهب**: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١١٨ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: عبد الحي بن عماد الحنبلي، مكتبة القدس، مصر، الطبعة: ١٣٥١هـ.

١١٩ ـ **شرح السُّنَّة**: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى **١٣٩٠**هـ.

١٢٠ ـ **شرح العقيد الطحاوية**: لأبي العز الحنفي، حققها: وراجعها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة التاسعة **١٤٠٨**هـ.

١٢١ ـ **شرح النووي على صحيح مسلم**: لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية **١٣٩٢**هـ.

١٢٢ ـ **الصحة النفسية للطفل والمراهق**: وجدان عبد العزيز الكحيمي وآخرون، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى **١٤٢٤**هـ.

١٢٣ ـ **الصحة النفسية**: مصطفى فهمي، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية **١٤٠٧**هـ.

١٢٤ ـ **صحيح ابن حبان**: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية **١٤١٤**هـ.

١٢٥ ـ **الصلاة والرياضة والبدن**: عدنان الطرشة، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى **١٤١٣**هـ.

١٢٦ ـ **الطب النبوي**: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

١٢٧ ـ **طبقات الحفاظ**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى **١٤٠٣**هـ.

١٢٨ ـ **طبقات المفسرين**: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى **١٣٩٦**هـ، تحقيق: علي محمد عمر.

١٢٩ ـ **طبقات المفسرين**: محمد بن علي الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة، بدون، التاريخ: بدون.

١٣٠ ـ **طريق الهجرتين وباب السعادتين**: لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، (د ت).

١٣١ ـ **الطفل في ضوء السُّنَّة والأدب**: أحمد خليل جمعة: اليمامة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى **١٤٢١**هـ.

١٣٢ ـ **الطفل من الحمل إلى الرشد**: محمد عماد الدين إسماعيل، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى **١٤٠٩**هـ.

١٣٣ ـ **الطفولة في الإسلام**: سليمان أحمد عبيدات، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الطبعة الأولى **١٤٠٩**هـ.

١٣٤ ـ **الطفولة والمستقبل**: د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، مركز الإسكندرية للكتاب، الطبعة: ٢٠٠٥م.

١٣٥ ـ **عِدَة الصابرين وذخيرة الشاكرين**: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تقديم وتحقيق: محمد عثمان الحنشت، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: ١٤٠٨هـ.

١٣٦ ـ **العقيدة الإسلامية وأسسها**: عبد الرحمٰن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

١٣٧ ـ **عقيدة المؤمن**: أبو بكر جابر الجزائري، دار الشروق، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.

١٣٨ ـ **العقيدة في الله**: عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الرابعة عشرة ١٤٢٢هـ.

١٣٩ ـ **علم النفس التربوي في الإسلام**: مقداد يالجن، يوسف القاضي، دار عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

١٤٠ ـ **علم النفس التكويني**: د. عبد الحيمد الهاشمي، دار الهدى، الطبعة السادسة ١٤١٠هـ.

١٤١ ـ **علم النفس الدعوي**: عبد العزيز النغيمشي، دار المسلم، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

١٤٢ ـ **علم نفس النمو**: حامد عبد السلام زهران: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثامنة ١٩٨٦م.

١٤٣ ـ **على مائدة القرآن، دين ودولة**: أحمد محمد جمال، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

١٤٤ ـ **الغذاء وصحة المجتمع**: عبد الله البكيري وآخران، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: ١٤١٥هـ.

١٤٥ ـ **الغزو الثقافي للأمة الإسلامية ماضيه وحاضره**: منصور عبد العزيز الخريجي، دار الصميعي، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

١٤٦ ـ **الغزو الفكري التحدي والمواجهة**: إسماعيل علي محمد، دار الكلمة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٤٧ ـ **الغزو الفكري في التصور الإسلامي وكيفية مواجهته**: د. أحمد عبد الرحيم السايح، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٤٨ ـ **الغزو الفكري في الخليج العربي**: سعيد عبد الله المهيدي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض، قسم الثقافة الإسلامية، إشراف: د. عز الدين إبراهيم.

١٤٩ ـ **الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي المعاصر**: د. علي عبد الحليم محمود، دار البحوث العلمية، الكويت، الطبعة الأولى **١٣٩٩**هـ.

١٥٠ ـ **الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام**: عبد الستار فتح الله سعيد، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الرابعة **١٤٠٨**هـ.

١٥١ ـ **غزو في الصميم**: عبد الرحمٰن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة **١٤١٧**هـ.

١٥٢ ـ **الفائق في غريب الحديث**: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، الطبعة الثانية بدون تاريخ.

١٥٣ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى **١٤٢٦**هـ.

١٥٤ ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة **١٤١٧**هـ.

١٥٥ ـ **الفروق اللغوية**: أبو هلال العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

١٥٦ ـ **الفضائيات والإنترنت آثارهما على النشء**: مازن محمد الشامي، مكتبة دار البيان الحديثة، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

١٥٧ ـ **فقه التعامل مع الناس**: د. عبد العزيز بن فوزان الفوزان، الطبعة الأولى **١٤٢٤**هـ.

١٥٨ ـ **فقه تربية الأبناء وطائفة من نصائح الأطباء**: مصطفى العدوي، دار ماجد عسيري، الطبعة الأولى **١٤١٩**هـ.

١٥٩ ـ **فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم**: علي خليل أبو العينين، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى **١٩٨٠**م.

١٦٠ ـ **الفوائد**: محمد ابن قيم الجوزية، حققه بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، ومكتبة دار البيان، بيروت، الطبعة الثانية **١٤٠٨**هـ.

١٦١ ـ **في أدب الأطفال**: محمد صالح الشنطي، دار الأندلس، حائل، الطبعة الثانية **١٤٢٤**هـ.

١٦٢ ـ **في ظلال القرآن**: سيد قطب، دار الشروق، الطبعة السابعة عشرة **١٤١٢**هـ.

١٦٣ ـ **في ظلال بر الوالدين**: عبد الله إبراهيم أبو بكر، دار الضياء، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٦٤ ـ **القاموس المحيط**: للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت (د ت).

١٦٥ ـ **القانون في الطب**: أبو علي الحسين بن علي بن سينا، مؤسسة المعارف، بيروت، الطبعة: ١٤٠٦هـ.

١٦٦ ـ **القدوة وأثرها في التنشئة الاجتماعية**: محمد بن شحات الخطيب، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤١٧هـ.

١٦٧ ـ **القدوة ودورها في تربية النشء**: بريكان بركي القرشي، المكتبة الفيصلية، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

١٦٨ ـ **القرآن الكريم منهجه ووسائله في التربية الأخلاقية**: محمد جمعة عبد الله، المكتبة الأزهرية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٦٩ ـ **القرآن وعلم النفس**: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، الطبعة السابعة ١٤٢١هـ.

١٧٠ ـ **قصص القرآن**: محمد جاد المولى، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ.

١٧١ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: أبو القاسم جار الله الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

١٧٢ ـ **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**: إسماعيل بن محمد العجلوني، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، دار التراث، القاهرة، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

١٧٣ ـ **كيف تربي ولداً صالحاً**: المغربي بن السعيد المغربي، دار الكتاب والسُّنَّة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١٧٤ ـ **كيف تربي ولدك**: ليلى بنت عبد الرحمٰن الجريبة، طبع وزارة الشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٧٥ ـ **كيف نربي أطفالنا**: محمود الإستانبولي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

١٧٦ ـ **كيف نربي أولادنا في ضوء الإسلام**: محمود محمد عمارة، دار الخير، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

١٧٧ ـ **لسان العرب**: أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة **٢٠٠٤**م.

١٧٨ ـ **المؤثرات السلبية في تربية الطفل المسلم**: عائشة عبد الرحمٰن الجلال، دار المجتمع، الطبعة الأولى **١٤١٢**هـ.

١٧٩ ـ **مبادئ الإسلام**: أبو الأعلى المودودي، الدار السعودية، **١٤٠٤**هـ.

١٨٠ ـ **مبادئ الصحة النفسية**: محمد خالد الطحان، دار القلم، الطبعة الرابعة **١٤١٧**هـ.

١٨١ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**: جمع وترتيب: عبد الرحمٰن ابن محمد العاصمي النجدي الحنبلي، تصوير الطبعة الأولى **١٣٩٨**هـ.

١٨٢ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى **١٤٢٢**هـ.

١٨٣ ـ **مختار الصحاح**: محمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

١٨٤ ـ **مدارج السالكين بين منازل** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، الطبعة السابعة **١٤٢٣**هـ.

١٨٥ ـ **مراحل النمو في ضوء التربية الإسلامية**: خالد حامد الحازمي، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى **١٤٢٠**هـ.

١٨٦ ـ **مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد**: عدنان حسن باحارث، دار المجتمع، الطبعة الثامنة **١٤٢٣**هـ.

١٨٧ ـ **المسؤولية الجسدية في الإسلام**: عبد الله إبراهيم موسى، دار ابن حزم، الطبعة الأولى **١٤١٦**هـ.

١٨٨ ـ **المستدرك على الصحيحين**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الله الطبعة الأولى **١٤١١**هـ.

١٨٩ ـ **المستطرف في كل فن مستظرف**: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الإبشيهي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: مفيد محمد قميحة، الطبعة الثانية **١٤٠٦**هـ.

١٩٠ ـ **مشكلات الطفل النفسية**: محمد عبد المؤمن، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، الطبعة: ١٩٨٦م.

١٩١ ـ **مشكلات الطفولة من منظور نفسي إسلامي**: شاهيناز إسماعيل عبد الهادي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

١٩٢ ـ **المشكلات النفسية عند الأطفال**: زكريا الشربيني، دار الفكر العربي، الطبعة: ١٤٢٣هـ.

١٩٣ ـ **المصنف في الأحاديث والآثار**: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي مكتبة الرشد، تحقيق: كمال يوسف الحوت الطبعة، الأولى الرياض ١٤٠٩هـ.

١٩٤ ـ **مضامين مفهوم القدوة كما تدركها معلمات رياض الأطفال**: أعدتها مضاوي بنت عبد الرحمٰن الراشد، إشراف: أ. د. محمد بن شحات الخطيب.

١٩٥ ـ **مع الأنبياء في القرآن الكريم**: عفيف عبد الفتاح طبّارة، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة، التاريخ: بدون.

١٩٦ ـ **مع الطب في القرآن الكريم**: عبد الحميد دياب أحمد قرقوز، تقديم: محمود ناظم نسيمي، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

١٩٧ ـ **معالم التنزيل المسمَّى تفسير البغوي**: أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، إعداد وتحقيق: خالد العك ومروان سرار، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

١٩٨ ـ **معجم المقاييس في اللغة**: لأبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر، بيروت، تحقيق: شهاب الدين أبو عمر، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٩٩ ـ **المعجم الوسيط**: د. إبراهيم أنيس وآخرون، دار الدعوة، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

٢٠٠ ـ **المفردات في غريب القرآن**: أبو القاسم الحسين الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٠١ ـ **من أساليب التربية في القرآن الكريم**: عثمان قدري مكانسي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٠٢ ـ **من أسس التربية الإسلامية**: عمر محمد التومي الشيباني، منشورات الجامعة المفتوحة، ليبيا، الطبعة الثانية ١٩٩٣م.

٢٠٣ ـ **منهاج المسلم**: أبو بكر جابر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى **١٤٢٠**هـ.

٢٠٤ ـ **منهج الإسلام في تربية الأولاد**: سعد كريم الفقي، مركز الإسكندرية للكتاب، الطبعة: **٢٠٠١**م.

٢٠٥ ـ **منهج التربية الإسلامية**: محمد قطب، دار الشروق، الطبعة التاسعة **١٤٠٩**هـ.

٢٠٦ ـ **منهج التربية النبوية للطفل**: محمد نور سويد، دار الوفاء، الطبعة الرابعة **١٤١٣**هـ.

٢٠٧ ـ **منهج القرآن الكريم في رعاية ضعفاء المجتمع**: عماد زهير حافظ.

٢٠٨ ـ **منهج القرآن في التربية**: محمد شديد، مؤسسة الرسالة، بيروت، **١٤١٥**هـ.

٢٠٩ ـ **منهج القرآن في رعاية ضعفاء المجتمع**: عماد زهير حافظ، الناشر: **١٤١٣**هـ.

٢١٠ ـ **منهج النبي ﷺ في التعامل مع الناشئة**: سلمان خلف الله، بيت الأفكار الدولية، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

٢١١ ـ **النبوة والأنبياء**: محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، الطبعة: **١٤٢٤**هـ.

٢١٢ ـ **نحو التربية الإسلامية الحُرة**: أبو الحسن علي الحسني الندوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية **١٣٩٧**هـ.

٢١٣ ـ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**: أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، خرج آياته وأحاديثه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة **١٤٢٧**هـ.

٢١٤ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، أشرف عليه وقدم له: علي بن حسن الحنبلي الأثري، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة **١٤٢٥**هـ.

٢١٥ ـ **النوم والأحلام في الطب والقرآن**: محمد عبد الفتاح المهدي، دار اليقين، الطبعة الأولى **١٤٢٢**هـ.

٢١٦ ـ **هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب**: أبو بكر الجزائري، دار المغني، الرياض، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.

٢١٧ ـ **واقعنا المعاصر**: محمد قطب، مؤسسة المدينة، الطبعة الأولى **١٤٠٧**هـ.

٢١٨ ـ **وفيات الأعيان وأبناء الزمان**: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر بن خلكان، دار صادر، بيروت، تحقيق: د. إحسان عباس، (د ت).

٢١٩ ـ **الوقت في حياة المسلم**: يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.

❐ الرسائل الجامعية:

١ ـ **آثار الغزو الثقافي على قيم الإسلام الخلقية وعلاجها**: أحمد مبشر جالو، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض، قسم الثقافة الإسلامية، إشراف: د. عبد الرحمٰن بن زيد الزنيدي.

٢ ـ **أفلام الرسوم المتحركة الأجنبية وأثرها على قيم وسلوك الطفل المسلم**: فاطمة أحمد خليل أبو ظريفة، رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية مقدمة إلى كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت ـ لبنان، إشراف: محمد منير سعد الدين.

٣ ـ **الخليل والصاحب والقرين**: أمل الغنيم، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية بالرياض، قسم التفسير وعلوم القرآن، إشراف: د. نورة الخضير.

٤ ـ **الغزو الفكري في الخليج العربي**: سعيد عبد الله المهيدي، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض، قسم الثقافة الإسلامية، إشراف: د. عز الدين إبراهيم.

٥ ـ **القصص القرآني الكريم**: رسالة ماجستير مقدم من عماد زهير حافظ إلى جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، إشراف: د. أبو ضيق مجاهد حسن.

٦ ـ **نظرية «روسو» التربوية دراسة تحليلية ناقدة من منظور التربية الإسلامية**: ظافر بن سعيد الشهري، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، إشراف: محمد أحمد الصادق كيلاني.

❐ المجلات والدوريات:

١ ـ **آراء روسو في ثقافة الطفل**: فاضل الكعبي، جريدة التآخي، العدد (٣٠) ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٥م.

٢ ـ **الأطفال والبريد الإلكتروني**: محفوظ عبد الرحمٰن، مجلة أحوال المعرفة، العدد (٣١) شوال ١٤٢٤هـ.

٣ ـ **الإعلام الوافد وسبل مواجهته**: مجلة الحرس الوطني، العدد (١٣٨) شعبان ١٤١٤هـ.

٤ ـ **تقنيات الاتصال والإعلام وآثارها في النشء السعودي**: إعداد د. ضياء الدين مطاوع وعبد الله بن سعد العمري، مجلة البحوث الأمنية، العدد (٢٢) شعبان ١٤٢٣هـ.

٥ ـ **الفضائيات والغزو الفكري**: د. محمود عبد الرازق، مجلة الحكمة، العدد (٢٧)، مجلة علمية شرعية محكمة نصف سنوية.

٦ ـ **منع الاختلاط في مدارس أمريكا**: د. نورة السعد، جريدة الرياض، العدد (٢٧٧٠٧) ١٩/ ٥/ ٢٠٠٢م.

٧ ـ **المترجمات والناشئة**: د. عدنان بن محمد الوزان، مجلة الفيصل، العدد (٢٣٩) جماد الأولى ١٤١٧هـ.

٨ ـ **مجلات الأطفال وثقافة العنف**: محمد حيان الحافظ، مجلة أحوال المعرفة، العدد (٣١) شوال ١٤٢٤هـ.

٩ ـ **الأطفال والبريد الإلكتروني**: مجلة أحوال المعرفة العدد **٣١**.

١٠ ـ **آراء روسو في ثقافة الطفل**: جريدة التآخي العدد **٢٠٥٣٠**.

فهـرس الموضوعـــات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة